چورج بوننن

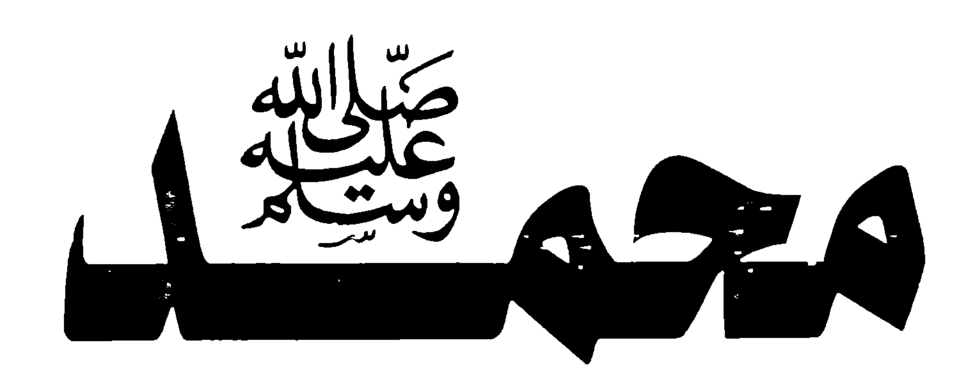


مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين

ترجمه وحقّقه وعلّق عليه
د . عبدالرحمن عبدالله الشيخ




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



محمد صلى الله عليه وسلم
مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين

تأليف

جورج بوش

REV. GEORGE BUSH, A.M
1796 - 1859

ترجمه وحققه وعلّق عليه:

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ

دار المريخ للنشر

ص.ب : 10720 - الرياض : 11443 فاكس 4657939
المملكة العربية السعودية - هاتف : 4647531 / 4658523 + (009661)

الطبعة الإنجليزية :

THE

LIFE OF MOHAMMED;

FOUNDER

OF

THE RELIGION OF ISLAM, AND OF THE EMPIRE OF THE SARACENS.

BY THE

REV. GEORGE BUSH, A.M

NEW - YORK:

PUBLISHED BY HARPER & BROTHERS.

NO. 82 CLIFF-STREET.

1844

Entered, according to Act of Congress, in the year 1830,by

HARPER & BROTHERS.

In the Clerk's Office of the Southern District of New-York

ردمك : 9960 - 24 - 546 - 2

الرياض - المملكة العربية السعودية ص.ب : 10720 - الرمز البريدى : 11443

فاكس 4657939 ، هاتف : 4647531 / 4658523 + (009661)

البريد الإلكترونى : Email: marspubl@zajil.net


بسم الله الرحمن الرحيم



المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



قبـــل قـــراءة الكتـــاب
تصدير من الناشر

يقول الكـاتب والباحث «منير الـعَكش» في كتابه القـيم «حق التضـحيـة بالآخر، أمريكا والإبادات الجماعيّة»:

«قبـل أن يصدر رمـزي كلارك Ramsey Clark وزير العـدل السابـق كتـابه عن جرائم أمريكا ضد الإنسانية في حربها على العراق، (The Fire This Time:US.War Crimes in the Gulf، وفيـه تفصيـل واف لهذه الجرائم التي توجـتهـا الولايات المتحدة وشـركاؤها الأباشي بقـتل حوالي مليوني عراقي جـوعاً ومرضاً بعد التدمير المتعمد لكل أسـباب الحياة ومقومـات البقاء). كانت الفرقة الجوية القتـالية السابعة والسبعـون(الأمريكية) قد أنتجت ووزعت كتـاب أناشيد تصف فيه ما سـتفعله الفرقة في «الخليج»، وتنذر هذا «المتوحـش القميء».. «خذن الأفاعي» بأن يستـعد للإباد،ة فيـما ينتـهي أحد هذه الأناشيـد بخاتمة تقول: «الله يـخلق أما نحن فنحرق الجثث Allah create but we cremate». والكتاب كـما يصفـه كريستـوفر هيتشنس في The Nation خليط من السادية والفحش. ومعظمه تشنيع وتشهير وشتائم بذيئة للعـرب والمسلمين باعتبـار أنهم أعراق منحطة و«حشرات» و«جـرذان» و«أفاع». وهي بذاءات مقتـبسة بالتأكـيد من كتاب «حيـاة محمد...» لجورج بوش (الجـد الأكبر 1796-1859) الذي يضم أشنع مـا كـتب عن الـعرب والمسلمين والنبي مـحـمـد في الولايات المتحدة. (انظر George Bush في كتابه The Life of Mohommed: Founder of the Religion of Islam, and of the Empire of the Saracens. والكتاب مطبوع عام 1831، وموجود في مكتبة الكونغرس. ولجورج بوش عشرات الكتب في شروح أسفار العـهد القديم. ويعتبر كتاب «وادي الرؤى: إحيـاء رميم إسـرائيل Valley of Vision: or, The Dry Bones of Israel من أبرز مـحطات الصهـيونيـة الأمـريكية الداعـية إلى ضـرورة العـمل من أجل تجمـيع يهـود العالم في فلسـطين وتدميـر «إمبـراطورية السـارازن». و«السـارازن» هو الاسم الذي كان يطلقـه الصليبيـون وأوروبيو القرون الوسـطى على العرب والمسلمين. وكان الرومان يطلقونه على بعض رعاياهم تحقيراً) (ص 95- 96).

وقد شكل ما ذكره «العَكش» حافزًا للبحث عن كتب المؤلف (جورج بوش) وإعمال النظر فيها لتقديمها للباحثين والقراء العرب، بهدف الكشف عن المصادر الأساسية للكره والحقد والعنصرية التي يمارسها تيار متطرف في فكر الغرب الأمريكي، يصف العرب والمسلمين بالتطرف، ويخضعهم الآن لحملة ظالمة. وقد اتضح لنا أن المؤلف رغم أهمية مركزه في الدراسات الكلاسيكية، حيث كان واعظاً بارعاً في الجدال والمناظرة، وراعياً لإحدى الكنائس في إنديانا بولس، وأستاذاً في اللغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك وله قائمة مؤلفات في هذا المجال، معظمها في دراسات الكتاب المقدس اليهودي والمسيحي ، وبالرغم من تأثيره وأهميته فلم تتناوله الدراسات والأبحاث العربية التي تناولت موضوع الاستشراق ، بل إن كتابه هذا الذي نقدمه في ترجمته العربية هذه لأول مرة، قد أعيد طبعه ثلاث مرات (في لغته الأصلية منذ 1830) في فَورة الإتجاه إلى تأسيس الخطاب الديني المتزامن مع تطلع الدولة الوليدة (أمريكا) التي تطمح إلى تأسيس نفسها كامبراطورية عالمية، قائمة على التفوق العرقي، فقد كانت أدبيات الخطاب الفكري والديني الذي رافق تكوينها تُركز على مدلول عقيدة «القدر المتجلي» وعقيدة «الشعب المختار» وهو المسوغ الذي قُدِّم لابادة شعوب القارة التي استعمروها وأطلقوا عليهم «الهنود الحمر » وقدموهم كشعب منحط تجب إبادته، وسادت بينهم اعتقادات في وقت مبكر أنهم (أي الهنود) وحوش لا تعقل ولا تفكر، وتأكل بعضها، ويأكلون أبناءهم وزوجاتهم (العكش ص 60) وكان واحد من أشهر أطباء عصره «أوليفر هولمز» في عام 1855 (معاصرًا للمؤلف جورج بوش) قال إن إبادة الهنود هو الحل الضروري للحيلولة دون تلوث العرق الأبيض، وان اصطياد الوحوش في الغابات مهمة أخلاقية لازمة لكي يبقى الإنسان فعلاً على صورة الله. (العكش ص61) وهو المعنى الذي ترجمته افلام السينما الأمريكية وقدمته للعالم. وقدمه جورج بوش مؤلف هذا الكتاب منذ عام 1830 لنا نحن العرب والمسلمين. إنه يصفنا بأننا أمة من الهَوام والجراد، ويتم تقديمه في آلة الخداع الإعلامي السينمائي الأمريكي منذ أوائل القرن الماضي، ويتم تفعيله على الواقع الآن، بالاحتلال وفرض الهيمنة ومصادرة مقدرات هذه الأمة، ومحاولة فرض الحظر على معتقداتها وفكرها وتغيير انظمتها، وتذويب النظام العربي الإسلامي.

الآن وفي هذه الأيام يذرّ قرن «الدمار الصهيوني» بذوره فأثمرت، حيث كان مؤلف هذا الكتاب يُفسر أسفار العهد القديم وفق توجه ديني وسياسي مدروس ومخطط له. فها هو رئيس أركان الجيش الإسرائيلي «موشيه يعلون» يُبشر في تعليقه على أحداث سنة 2003 وآفاق المستقبل الآتي بما يلي:

«لم يعد هناك عالم عربي. لم نعد نتكلم عن عالم عربي. لا يوجد شيء إسمه تحالف عربي. هناك لاعبون لكل منهم مصلحته الخاصة. والجميع يعرف أن في عالمنا الآحادي القطب، كل من يريد أن يُعتبر جزءاً من القرية الكبيرة عليه أن يكون مرتبطًا بالولايات المتحدة، وليس له أي حلف آخر». (وكالات الانباء 27 ديسمبر 2003).

لقد ترعرع المؤلف وشب مع بداية اعلان الاستقلال الامريكي سنة 1776، وكان الخطاب الديني طاغياً مؤثراً ذا نبرة عالية. وكأي ثورة لابد أن يكون خطابها عقلانيًا، وتزامن بعد ذلك قيام الثورة الفرنسية التي نادت بأفكار لفصل سلطة الكنيسة عن السلطة السياسية، وتَمثَل رجع الصدى لذلك على أيدى أفكار دعاة آخرين معادين لأفكار الكنيسة، كان أبرزهم «إلياهو بالمر» الذي اعتبر الدين التقليدي «امبراطورية الخرافة». وجاء الرد عبر جهود جمعيات ومؤسسات وأنشطة مدنية مثل «الجمعية الأمريكية للكتاب المقدس سنة 1816، والاتحاد الامريكي لمدارس الأحد 1824 لنشر وتوزيع الكتاب المقدس وبناء الكنائس والمدارس والجامعات اللاهوتية، وقامت جهود الوعاظ وعلماء الدين والأساتذة المتخصصين في العبرية، بتفسير أسفار دانيال ويوحنا وحزقيال على منهج حَرْفي تفكيكي بنيوي للنّص يُركز على مجيء المسيح والبعث اليهودي (تفاصيل أخرى في: رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم مكتبة الشروق، 2001 القاهرة).

وينقل «منير العكش» في كتابه المشار إليه (ص 152) عن باحث إسمه «ديمونت Max I. Dimont في كتابه «اليهود الذين أعجزوا الموت The indestructible Jews »:

«إن هؤلاء الإنجليز الذين جاءوا لاستعمار أمريكا (بلاد الهنود الحُمر) كانوا يعتبرون أنفسهم «عبريين Hebraists» وكانوا أكثر يهودية من أيوب؛ ذلك الأمي

المقدس الذي استطاع أن يندس بين أنبياء اليهود. لقد أرادوا أن يبنوا وطنهم على أساس العهد القديم، ولهذا اتخذوه علي المستوى السياسي والاجتماعي أساسًا أيديولوجياً لقوانينهم وعاداتهم. كانت تصورات «الشعب المختار» تأخذ بألبابهم مثلما أخذ بألبابهم يهوه إله العهد القديم الذي أرادوا تنفيذ وصيته بالسيطرة على العالم، واعتبروا ذلك إرادة الله».

ويُعلق الباحث (العَكش) على هذه الفقرة موضحاً أن:

«اللغة العبرية ومعها اللاتينية - لا الإنجليزية - هي التي كانت لغة التعليم الأساسية في جامعة هارفُرد عند تأسيسها في عام 1636. وشريعة موسى هي القانون الذي أراد جون كوتون John Cotton تبنيه إلى جانب العبرية التي أرادها لغة رسمية لأبناء مستعمرات الدم الأزرق الثلاث عشرة على ساحل الأطلنطي. وعند زحف «أبناء الرب» من جزيرة روانوك Roanoke في اتجاه الغرب لم تكن حروب الإبادة والتطهير العرقي وحرق المحاصيل ومصادرة الأراضي وإطعام أطفال الهنود للكلاب إلا مظاهر «إرادة الله- يهوه» في العهد القديم كما تجلت للرئيس الأمريكي الثاني والأربعين (كلينتون أمام الكنيست، أكتوبر 1995) والهمته وهو يخطب في «ساتيريكون Satyri-con الآلهة» أن يؤكد على المعنى الإسرائيلي لأمريكا وأن يشعر وكأنه في بيته».

في هذه الأجواء وهذه التربة التي كانت تحفر بأظافرأهلها في إحياء المجد الديني المؤسس على أسفار «العهد القديم» كان المؤلف (چورچ بوش) واحداً من أهم البارزين والمدققين في حفريات النصوص القديمة ومنها أسفار العهد القديم، ويبدو أن توجهه الأكاديمي وقبل ذلك اضطلاعه بالوعظ والإرشاد، قد أضفيا عليه طقوساً من اللاهوتية التي كانت تحصره في مجاله بعيداً عن الإنتشار الإعلامي، ولذلك كانت مؤلفاته محصورة بين المراكز العلمية والدينية والمؤسسات الجامعية.. فكتبه جميعها مصنفة ومحفوظة في مكتبة جامعة (ميتشجان). مما جعلها مصدرًا ومرجعاً لعديد من الدراسات الجامعية، التي شكلت بعد ذلك إتجاهاً عاماً في فهم مئات وألوف من الدارسين الذين تَخرّجوا وتسنّموا مراكز قيادية، في فهمهم للإسلام وللعرب، إنه الفهم

الخاطىء الـذي تَعتنقـه الآن قوة عظمى تسيطر على العالم. ولذلك فـإنه قبل تفكيرها ومُضيّها لفرض الديموقراطية على بلدان العالم الإسلامي، عليها أن تتخلص من أسمال وردائن ما يتضمنه فكرها وخطابها وتوجهها ونظرتها لهذه الأمة. إن ما تواجهه الآن من رفض وتحد مما تسميه إرهاباً بشكل مطلق، ليس في مُعظمه إلا رفضاً لمصادر هذا الفكر، وفرض الهيمنة والتبعية بالقوة والسيطرة.

بكل تأكيـد ونحن نقدم واحـداً من أهم مصـادر الكره الأمريكي الغـربي للإسلام والعرب - وقد ساءنا ما تضمنه من تجنٍ على نبينا وعلى امته أمتنا العربية والإسلامية - إنما نكشف بذلك عن أحد أهم مصادر الفكر المخالف، وأهم مـصادر ومرجعية التطرف في الفكر الغربي. إن بعضهم يفهمون ديننا وتاريخنا وفق ما جاء في أمثال هذا الكتاب. ويطالبونـنا الآن بشطب تراثنا، عليهم أن يمعنوا النظر بـتجرد علمي، فـيما ينـطوي عليه هذا الدين، من تسـامح وإعلاء لكل القـيم الإنسانيـة. هل نصبح هنوداً جُـددا؟!. إنها الفكرة الأمريكية مع هنود القارة التي استعمـروها: (فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة). هل نُعلن عن قـيام محاكم لمعادات العرب والإسلام، علـى الطريقة الإسرائيلية اليهـودية، التي ترفع راية معـادات السامـية، في وجه من يـهاجمـها وينتـقدها- إن من عجائب التاريخ أننا ساميون مثلهم!.

إنهم يقرأوننا جـيداً، فلابد أن نقرأ فكرهم. إنهم يُخططون لنواياهـم تجاهنا، فلابد أن نقرأ ونمحص مـصادرهم . إننا بنشـرنا لهذا الكتاب لاندعـو بشكل من الأشكال إلى تصـادم في أسـاس الفكر الديني وإنما إلى مـواجـهـة الأفكار، ولا إلى إثارة أي نوع من أنواع النعرات الدينية. إن المؤلف لا يكـتفي بمهاجمة الإسلام ونبـيّه ﷺ ، وإنما يهاجم كل المذاهب المسيحية الشرقية، نحن لا نتبنى فكرًا دينيًا متطرفًا، لإن أساس الأديان ليس التطرف، وإنما المحبـة والإخلاص لمنشيء الأديان. هذا فكرهم وتفسـيرهم نكشفـه. أما فكرنا وتفسيـرنا فهو واضح وجلي، جلاء الآيات المنزلة في كـتابه الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، وحفظه في صدور خلقه ممن وهبهم نعمة حفظه.

● ● ●

وبعد لابد من إزجاء الشكر والتقدير إلى الذين ساهموا وساعدوا في نشر هذا الكتاب، لابد من الإشادة بالجهد «المارثوني» الذي بذله الكاتب المبدع الأستاذ «عبد الله محمد الناصر» في لندن، على نحو تطوعي خاص، وهو المثقف والكاتب والصديق - في الحصول على نسخة نادرة «أصلية» من هذا الكتاب (طبعة 1844) بعد أن اعتذرت مكتبة الكونجرس في إمدادنا بنسخة مصورة منه. لقد تقمّص دور (محترفي جمع الكتب القديمة) حتى ظَفَرَ بهذه النسخة النادرة، وتبرع بها لنا. وكتب عنها مقالاً قيماً في مجلة «الثقافية» التي يصدرها في لندن(العدد 54، 2003).

أما مترجم هذا الكتاب، فأعتقد أنه ما كان يمكن لهذا الكتاب أن يظهر بصورته هذه لو لم يُقيّض الله له مُترجمه الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الذي طَوى معه ليله ونهاره، وانقطع في البحث والمقابلة مع مصادر عديدة، واندمج في حالة من التوحد مع النص والنصوص الأخرى، وهو صاحب القوس وراميها في هذا المجال. وتُنبيء عن ذلك دراساته وترجماته في مجال الكتب المتعلقة بالأديان ومقارناتها، وقائمة مؤلفاته ومترجماته الملحقة بآخر هذا الكتاب. تُبرهن على أنه خلاصة جيل من رواد الترجمة في عصر نهضة الترجمة إلى العربية.

وأخيراً لا نملك إلا أن نطلب العفو والغفران من الله سبحانه وتعالى، وأن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل، على كل من تجرأ وتزلف على نبيناﷺ وعلى أمة الإسلام والمسلمين. إنه نعم النصير.

عبد الله الماجد

مقدمة المترجم
(نموذج تطبيقي لفقه الحوار مع المخالف)

مـؤلف هذا الكتـاب «چورج بوش» ,THE REV. GEORGE BUSH A.M.(1796 – 1859) ، هو بروفيسور وعالم من أعلام الأستشراق الأنجلو ساكسون ، وأستاذ في جامعة نيويورك سيتى ، في اللغة العبرية . وحين عثرنا على كتابه هذا ، لفت انتباهنا التطابق ، بين اسمه واسم «چورج بوش» «الأب» و «الأبن» رئيسا الولايات المتحدة . وقد آثار إنتباهنا ما ذكره الباحث والناقد «منير العكش» في كتابه القيم «حق التضحية» بالآخر – أمريكا والإبادة الجماعية» (بيروت 2002) حيث ذكر في صفحة 96 أن مؤلف الكتاب الذي بين يدي القارئ هو (الجد الأكبر) .

وأيما تكون الصلة بين «چورج بوش» مؤلف هذا الكتاب وأسرة آل بوش التي ينحدر منها رئيسا الولايات المتحدة الأب والأبن ، فإن هذا الكتاب يعتبر أحد مصادر الفكر الغربي الأمريكي اليميني المتطرف .

ومن أغراض ترجمة هذا الكتاب الذي ألّفه الجد الأكبر چورج بوش ، التصدي لمزاعم المؤلف ، وافترآته على خاتم النبيين ﷺ وعليهم وسلم وتفنيد هذه المزاعم والرد على تلك الإفترآت أولاً ، وثانيًا : معرفة الفكر الديني الذي يسودُ رأس الرئيس الحالي وقلبه ، كما ساد من قبل رأس أبيه الذي حكم الولايات المتحدة أيضًا ، فالفكر الديني لآل بوش متوارث منذ فترة بعيدة . كما أنَّ هذا الكتاب عن حياة نبينا محمد ﷺ ربما هو واحد من مجموعة كتب دينية تضمها مكتبة چورج بوش (المؤلف) ، نرجو أن يُعيننا الله على ترجمتها

وشرحها بمدد من الصحّة وتيسير ظروف الحياة . كما أنه موجود في مكتبة الكونجرس ، وهذا هو رقمه في المكتبة ، و بياناته في فهرس المكتبة :

The life ofMohammed; founder of the religion of Islam, and of the empire...
LC Control Number: 44027298
Type of Material : Book (Print, Microform, Electronic, etc.)
Brief Description: Bush, George, 1796-1859. {from old catalog}
The life of Mohammed; founder of the religion of Islam, and of the empire of the Saracens.

New-York, Harper & brothers, 1837.
261 p. front. (fold. plan) 16 cm.

CALL NUMBER: BP75. B8 1837
Copy 1

ولن تكتمل بلورة هذا الإتجاه في هذا الفكر إلا بقراء كتابه الآخر :
«وادي الرؤيا أو إحياء عظام بني إسرائيل» "The Valley of Vision; or The Dry Bones of Israel Revived, 1844"

والذي تصدر ترجمته متزامنة مع صدور ترجمة هذا الكتاب . ولقد ظلت هذه المؤلفات وغيرها في بواكير الفكر الغربي التأسيسي ، هي المصدر لكثير من الدراسات في الفكر الغربي ، وأثّرت نظراتها في مجريات تاريخ منطقة الشرق الأوسط . حيث مركز الديانات والرسالات السماوية ومن ثم هي الموجهة للفكر السياسي المعاصر تجاه المنطقة والذي يشهد الآن عودة إلى الأصول والالتفاف حول السلفيات وتوجيهها حتى ولو كان التوجيه خاطئًا لتعضيد وجهة النظر السياسية القائمة الآن والتي تحرك مجريات الأحداث في منطقتنا .

أقول كان هذا في البداية هو الهدف من ترجمة هذا الكتاب عندما عَهد إليّ به الناشر ، لكنني ما كدتُ أشرعُ في قراءة الكتاب قبل ترجمته حتىّ تبيَّنتُ أنَّ هناك أهدافاً أخرى يجب وضعها نُصب أعيننا لضرورة طرح هذا الكتاب بترجمته العربية أمام القارئ المسلم بل والقارئ العربي المسيحي .

لقد أكّد هذا الكتابُ أنَّ نبينا محمداً ﷺ مكتوب عند أهل الكتاب في التوراة والانجيل ، تماما كما أشار القرآن الكريم ، لقد اختلفَ بوش مع علماء المسلمين في آيات التوراة والإنجيل التي قالوا - أي علماء المسلمين - إنها تتنبّأ بظهور نبينا ، وقال إنهم فسّروها خطأ ، ولكنه أورد آيات أخرى من العهدين القديم والجديد قال مؤكّدا إنها تشير إلى ظهور نبينا وانتشار دعوته ، وهذا في حدّ ذاته هدف جدير أن نضعه نُصب أعيننا عند ترجمة هذا الكتاب إلى العربية .

وأكّد هذا الكتاب أن النبوءات اليهودية والمسيحية تؤكد أن نبينا سيناطح «جند السماوات» وأنه هو «النجم إذا هوى» ونذكِّر القارئ المسلم بالآيات الكريمة :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② ﴾ (النجم :1 ،2) .

وهذه مسألة تهم الباحثين في الإسراء والمعراج باعتبارهما نبوءة وردت في الكتب السابقة على الإسلام . ووجدتُ في هذا دافعا آخر زادني حماسًا لترجمة هذا الكتاب إلى العربية .

ورغم أن المؤلف أورد ما سبق في سياق وَصَفَ فيه نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بكلمة خبيثة هي (الدَّعى) إلاّ أنه في أحيان كثيرة تحدث عنه واصفًا إيّاه بالنبي وأحيانا بالرسول ، وذلك في سياق فهمه لعقيدة أنَّ الأمورَ مقدّرة سلفا وأن القضاء والقدر خيره وشرّه من الله سبحانه ، وأنه لا يكون في كون الله إلاّ ما يريد . وما يريده الله سبحانه على حد فهم بوش هو أن ينتشر الإسلام ، ولكن إلى حين ، يعود بَعْده المسلمون إلى حظيرة الكنيسة المسيحية وبعدها يعود المسيح ابن مريم عليه السلام ليحكم في الألفية . وسنستعرض في هذه المقدمة (الدراسة) أهم أفكار هذا الكتاب شارحين لها معلّلين لها وموثّقين .

* * *

عقيدة المؤلف في القدَر: القدر خيره وشره من الله، وليس من تفسير لانتصارات الرسول وامتداد الدولة الإسلامية هذا الامتداد المذهل سوى عناية الله المقدّرة سلفا. تأديبا لأصحاب الديانات السماوية الأخرى الذين ضلوا سواء السبيل.

يؤكّد چورج بوش في آخر الفصل السادس عشر أن الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية قد تنبّأت بظهور محمد ﷺ ودينه ، ولا يمكن فيما يرى تناول

الإسلام وانتشاره بمعزل عن النبوءات اليهودية والمسيحية التي تنبّأت به . إلى هنا والمسلم يرى في هذا الكلام جمالا ما بعده جمال ، ومذاقا حلوا ما بعد حلاوته حلاوة ، وريحا طيبا دونه ريح الفل والياسمين . وإنّ بوش ليستطرد قائلا أن الله أنزله سوط عذاب للكنائس التي ضلّت سواء السبيل ، إلى هنا ولا بأس ولا جناح وكتب التاريخ تؤكد هذا . غير أنه يدعو الكنائس القائمة فعلا للعودة للدين المسيحي الصحيح . ساعتها - فيما يقول - سينزاح عنها هذا العذاب الممثل في دين محمد عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله لفترة محدّدة ليبلوَ به المسيحية والعالم المتحضّر . فبوش يرى محمداً ودينه مكتوبان عنده في التوراة والانجيل ، لكنه يفسّر الأمر على النحو الذي ذكرناه آنفا .

لقد قدَّر الله سلفا انتشار الإسلام وانتصاره فيما يقول بوش وليس من تفسير بشري معقول لهذا الانتشار والانتصار . لا يمكننا بالحساب الذي نعرفه أن نفسّر هذا ، فلا مناص من أن نقول إن الله أراد ذلك . هذا ما قاله بوش ولننقل هنا ترجمة عباراته التي وردت في الفصل الخامس عشر ، ونحثّ القارئ على العودة لسياقها . يقول بوش : « لقد وضع محمد أساس امبراطورية استطاعت في ظرف ثمانين سنة فقط أن تبسط سلطانها على ممالك وبلاد أكثر وأوسع مما استطاعته روما (أو الامبراطورية الرومانية) في ثمانمائة سنة . وتزداد دهشتنا أكثر وأكثر إذا تركنا هذا النجاح السياسي ، وتحدثنا عن صعود دينه وانتشاره السريع واستمراره ورسوخه الدائم . والحقيقة أنّ ما حقّقه نبي الإسلام لا يمكن تفسيره إلاّ بأنّ الله كان يخصّهما برعاية خاصة ، فالنجاح الذي حققه محمد ﷺ لا يتناسب مع امكاناته ، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية معقولة ، لا مناص إذن من القول أنه كان يعمل في ظل حماية اللّه ورعايته . ولا شك أنه يجب علينا أن ننظر للإسلام في أيامنا هذه بوصفه شاهداً قائماً ينطوي على حكمة غامضة لله سبحانه لاندري مغزاها . حكمة لا تفهمها عقول البشر أو على الأقل لا تفهمها عقول البشر حتى يتحقق غرضها» . هذا نص ترجمة كلام جورج بوش ، ومن أراد النص الانجليزي فقد أوردناه له . ألا يجعلني هذا الكلام أهتف من أعماق

الأعماق : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله؟ لا إله إلاّ الله محمد رسول الله عدد خلقه الذين خلقهم والذين يخلقهم والذين سيخلقهم . عدد خلقه ممن «تعلمون» وممن «لا تعلمون» .

لا يرى چورچ بوش غير رعاية الله لمحمد ﷺ والمسلمين في أن قريشا ومن حالفها لم يقضوا قضاءً مبرماً على المسلمين في أحد . لا يرى غير حُكم الله المسبّق بانتشار الإسلام ورسوخه في هذه الغزوة . ونحن نرى ذلك معه ، وننقل عن سيرة ابن اسحق التي هذّبها ابن هشام ما يؤكدّ ذلك . ففي غزوة أحد «انكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص (أي يوم محنة واختبار) أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خَلُص العدو إلى رسول الله (أي وصل إليه) فَدُثّ بالحجارة حتى وقع لشقّه (أي جانبه) فأصيبت رُباعيّته وشجّ في وجهه ، وكُلمت (أي جُرحت) شفته . . وسال الدم على وجهه . . . وسرى في المسلمين أَن النبي قُتل . . إلاّ أن كعب بن مالك هتف بعد ذلك : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ . . . فبينما رسول الله ﷺ بالشّعب معه نفر من أصحابه إذ علَت عالية من قريش الجبل (عالية هنا يعني جماعة مسلّحة) على رأسها خالد بن الوليد (ولم يكن قد أسلم بعد) . . وقيل إن النبي صلّى يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا . . وفي غزوة أحد حارب بعض اليهود الذين أسلموا إلى جانب النبي منهم مخيرْيق ، وقيل حارب إلى جانب الرسول قبل أن يُسلم على أمل اعترافه للنبي بإسلامه بعد ذلك : كان ممن قتل يوم أحد مخيريق . وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون الذي قال لليهود . . والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم حق . . إن أصبت فمالي لمحمد يصنعُ فيه ما يشاء ، فقال عنه رسول الله بعد مقتله : مخيرْيق خير يهود . . ثم إن أبا سفيان بن حرب (رئيس الجيش المعادي للمسلمين في هذه الغزوة) حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : . . . إنّ الحرب سجال ، يوم بيوم . اعلُ هُبَل . . فقال له عمر بناء على أمر النبي : الله أعلى وأجل ، ولا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في

النار . . . بل لقد ظل المسلمون يخشون عودة جيش أبي سفيان حتى بعد انصرافه فقد أرسل الرسول عليا بن أبي طالب في إثرهم فقال له : اخرج في آثار القوم فإن كانوا قد جنّبوا الخيل (أي لم يركبوها) وامتطوا (أي ركبوا) الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة . . .» . ربما كان لمؤلف هذا الكتاب حق في قوله إنه كان يمكن أن يُقضي على الإسلام ونبيه في هذه المعركة ، لولا لطف الله ورعايته . نحنُ إزاء قائد أصيب . قائد لم يستطع الصلاة إلاّ جالسا لفرط ما أصابه من ألم . ونحن إزاء قوة خيالة معادية فوق الجبل بينما النبي ومن بقي من صحبه في الشّعب ، يوم أن كان الموقع المرتفع أحد أسباب النصر . نحن إزاء إشاعة قوية بمقتل النبي مما أدى إلى تأثير كبير في أتباعه . ومع كل هذا أسرع أبو سفيان عائداً بجيشه وكأنه يولّي الأدبار . ما تفسير هذا؟ ليس من تفسير بشري إلاّ أن نقول قدّر الله وما شاء فعل . وهذا فيما نرى يجعلنا نتأكد أنه لا إله إلاّ الله محمد رسول الله . لكن چورج بوش وإن اتفق معنا في أنّ الله سبحانه قدّر ذلك سلفا ، فهو يرى انتشار الإسلام وانتصاره مكتوبا عنده في العهدين القديم والجديد ، إلاّ انه يرى أن هذا الانتشار والانتصار حدث عارض مؤقت إلى أن تعود الكنيسة لرشدها وتنهج نهجها الصحيح (أي تكون على مذهبه هو) ساعتها سينزاح الإسلام ويرتد المسلمون مرة أخرى للمسيحية .

معركة أخرى يرى بوش أنه كان من الممكن أن ينتهي فيها أمر النبي والمسلمين لكن هذا لم يحدث لأسباب بعضها مفهوم وبعضها غير مفهوم . إنها غزوة الخندق التي تسمى أيضًا غزوة الأحزاب . لنقرأ ما يقوله : «وسواء كان انسحاب الأحزاب عن المدينة (المنوّرة) بتدبير بشري أو بتدبير إلهي ، فمن المؤكدّ أن قريشا تخلّت بعدها عن كل أمل في وضع نهاية لقوّة النبي المتنامية ، فلم يعودوا من الآن فصاعداً يرسلون الحملات العسكرية ضدّه» . راجع سياق هذا النص في الفصل الحادي عشر .

أما الأسباب البشرية التي يشير إليها بوش فهي الخندق الذي أشار سلمان

الفـارسي بحـفره حـول المدينة ، وكـذلك المبـعوثون الذين كان يبعثـهم النبي إلى القبائل التي كانت تحاصر المدينة متحالفة مع قريش . ونجد فائدة في إيراد ما ورد عن غـزوة الخندق مـختـصـرا عن ابن هشـام الذي هذّب السيـرة النبـوية لابن اسحـاق . يقول ابن هشـام إن هذه الغزوة حـدثت في السنة الخامسة للهـجرة . إذ حدث أن نفراً من اليـهود حزَّبوا الأحزاب ضـد رسول الله إذ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فـدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقـالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتـى نستـأصله . . وتوجـهت اليـهود بعـد ذلك إلى قبـائل أخرى مثل غطفـان من قيس عيـلان ودعـوهـم لحرب رسـول الله وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه . . فخـرجت هذه الأحزاب جميعًا من يهـود وغير يهـود متجـهة إلى المدينة المنّورة لاستـئصـال شـأفة النبي ومن مـعـه ، فـضـرب النبي خنـدقـا حـول المدينة . . . ولما فـرغ رسـول الله ﷺ من الخنـدق نزلت قـريش ومن مـعـهـا عند مـجمع الأسيـال (أي ملتـقى المسـيلات) ونزلت غطفـان ومن تبـعهم من أهل نجد عند ذنب نَعّمى إلى جانـب أحد . . وظل حـيي بن أخطب اليـهودي ببني قـريظة حتـى جـعلهـم يـنقـضـون عـهـدهـم مـع رسـول الله ، واتصـل رسـول الله بـبـعض الأحـزاب لما رأى العرب قـد رمـته عن قـوس واحـدة (أي اجـتـمـعت عليـه وعلى المسلمين) وعرض عليـهم الصلح وأرسل إلى بني قريظة نعيـما بن مسعـود ليوقع بينهم وبين قـريش ، فـأدّى الرجل أكـرمـه الله دوره بإتقـان . . ثم حـدثت ظواهر طبيعية هي مدد من الله فتفرقت الأحزاب وفكّت الحصار عن المدينة المنوّرة .

هنا نجد أن العـرب كلّهم قد أتوا لحرب الرسول (ليـضربوه بقـوس واحدة) وهنا نجد أن اليـهود مـن كـان قـد تعـاهـد منهـم مع الرسـول (بنو قـريظة) ومن كـان منهم سـافرَ العـداوة قـد أتوا ليـضـربوا رسـولُ الله عـن قـوس واحـدة . على وفق حساب الاستراتيجيـات والتكتيكات الدنيوية كان لابد أن ينهزم المسلمون ، لكن هذا لـم يحـدث ، وهـذا دليل فـيـمـا يرى بوش على أن الله لا يريد هـذا ، وأنه مكتـوب للإسـلام أن ينتصـر . إلى هنا والكلام حلـو جمـيل ، أمَّـا ما هو غـير حُلو وغـيـر جـمـيل فـهـو قـولـه أن الله أراد للإسـلام أن ينتـصـر علي يد هذا «النبي

المحارب» ليؤدب الكنائس المسيحية التي ضَلَّت السبيل إلى حين ، وأن من أسلموا سيتركون إسلامهم مرة أخرى ليعودوا إلى حضن كنيسة أخرى سليمة العقيدة وربما كان هذا عند عودة المسيح في الألفية .

إذا كان عدم إفناء المسلمين في غزوتي أحد والخندق مسألة غير منهومة بالحسابات البشرية ، فهذا أدعى لي بصفتي مسلماً أن ازداد يقيناً بديني ، وازداد يقينا بأنه لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله .

ويتساءل چورج بوش في نهاية الملحق الأول لهذا الكتاب قائلا : «وإذا كان ما يُذكر بشأن ظهور الإسلام وتقدمه وسلطانه غير كاف ، وإذا كانت الأسباب الدنيوية التي عادة ما يجري إيرادها لشرح النجاح المذهل الذي حققه الادّعاء الإسلامي لازالت تبدو لنا غير كافية ، وإذا كانت أعظم (أو أكبر) ثورة على الإطلاق واجهت الكنيسة المسيحية تبدو مُعضلة لا حلّ لها ، فَلِمَ نتردّد في أنْ نعزو هذا مباشرة إلى الله ومشيئته . وبذا نجد الحلّ الذي يفسّر كل هذه الأسرار؟ !

لماذا نحن توّاقين للهرب من الاعتراف بالتدخل الإلهي في قيام هذه الهرطقة (يقصد الإسلام) التي هي رأس الهرطقات؟ . إن صحّ تفسيرنا لنبوءتي دانيال ويوحنا فإن الخداع المحمّدي (الإسلام) حقيقة تشهد بصحة محتوى كتبنا المقدسة ، وحقيقة تاريخية تشهد بظهور الإسلام وانتشاره . والآن فما معنى أن نُصر على أن العملية لا تعدو كونها ذات أسباب بشرية بينما هي حقا واردة في النبوءة ، فإننا بهذا حقيقة نكون قد نزعنا حكم الكون (العالم) من يد الله . وهذا المبدأ يَدْفع إلى تكذيب كلمات النبوءة المؤكّدة ، لأنه يجعل الله مجرّد متنبيء بأحداث ليس له سيطرة عليها وليُس هو ضابطها . هذا المبدأ لا يصمد أمام أيّ قدر من التمحيص . عندما تنبأ دانيال بمصير الإمبراطوريات الأربع الكبيرة أو عندما تحدث أشعياء عن قورش (كورش) وأسماه بالاسم باعتباره سيحقق هدفا لله المحيط بكل شيء ، هل يمكننا بعد هذا أنْ نقول إنّ الأحداث التي جرى التنبؤ بها تمت بعيدة عن المشيئة الإلهية ؟ من الأسهل والأصوب أن

نعترف بترسيم مسبّق (تعبير مسيحي يعني أن الله قضى بأمر قبل وقوعه) قضى الله بمقتضاه أن يظهر محمد الذي لا يزال باقيا (يقصد أمته) بهيمنته المرعبة ودوامه المستمر وتأثيره القدري في أمور البشر ، كما أنه مجال لنبوءات مؤكّدة . وهذا لا يعني عدم مسئولية الإنسان عن عمله ولا ينفي بالمرّة الطبيعة الأخلاقية لهذه الأعمال ، فعلم الله السابق بما سيكون لا يعني استبعاد حساب الإنسان عما اقترفت يداه . ولا يُضعف من فكرة الثواب والعقاب . والكتاب المقدس (المسيحي) زاخر . بالأمثلة التي تؤكّد هذا . .» .

ماذا نفهم من هذا النص الخطير الذي يوضح فكر طائفة كبيرة من المسيحيين :

- أن الأسباب البشرية أو العلمية لا يمكنها أن تفسر هذا النجاح المذهل لمحمد وأتباعه ، وبالتالي لابد أن نعزو هذا لإرادة الله .

- أن الله سبحانه ليس مجرّد مُخبر بما سيجري وليس مُجرد متنبئ بالأحداث التي ستحدث ، وإنما هو فاعل لها مُريد لها ، فهو أراد أن يُعذب المسيحيين الضالين بأيدي المسلمين .

- دين محمد ﷺ ضلال أراد الله سبحانه به أن يزيد ضلال المسيحيين واليهود الذين خرجوا عن دينهم الصحيح .

- محمد ﷺ رسول من الله بلاشك ، لكن بمعنى أنه محنة أو مصيبة ليعود بعدها من آمن به إلى الدين الصحيح (المسيحية على وفق مذهبه) فبوش - يتوقع حركة ردّة كبيرة وكاسحة بين المسلمين .

- علم الله المسبّق بما سيجري ، بل وتدبيره له ليكون على وفق مشيئته لا يعني عدم محاسبة الإنسان عما يفعل ولا ينفيُ فكرة الثواب والعقاب .

والواقع أن هذه الفكرة التي ختم بها بوش ملحقه الأول إنما هي فكرة شغلت المسلمين كثيراً بعد عصر النبوّة ، ولم تشغلهم أبداً في عصر النبي ﷺ فقد كان الصحابة يعلمون أنه : « ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » وأن «الفعل فعل الله» وأنه لا يكون في كون الله إلاّ ما أراد . . .الخ ،

ولكنهم لم يفكروا أبدًا في أن هذا يعني إنكار الثواب والعقاب ، ولا يعني أبدا ألا نأخذ بالأسباب فنحفر خندقا إذا لزم الأمر ونتفاوض ونهادن في الحديبية وغير الحديبية إذا لزم الأمر ، ونخطط وندبّر إذا لزم الأمر ، . . .الخ .

لم يُجهد المسلمون الأوائل أنفسهم في عرض هاتين القضيتين اللازمتين على منطق أو محاجّة . وأريد أن أؤكّد أن بوش وطائفته الدينية وطوائف مسيحية كثيرة تتخذ هذا الموقف الصحيح ولا تشغل نفسها بالتوفيق بين الفكرتين ؛ فكرة أن إرادة الله نافذة ولا يكون في كونه إلاّ ما يريد ، فكرة ضرورية لاستمرار الحياة . ماذا نقول لرجل مات ابنه في حادث ، ولأهل قرية أصابها زلزال ولرجل (أو امرأة) فقد ماله ، ولأمرأة عقيم أو رجل لا ينجب . . .الخ . وفكرة الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، أفكار ضرورية أيضًا لاستمرار الحياة وإلاّ لقتل القاتل وسرق السارق ونهب الناهب وزنى الزاني وهو آمن . وهل بهذا يستقيم حياة؟ ! . لكن المسلمين بعد عصر النبوّة بفترة أساءوا فهم فكرة القضاء والقدر خيره وشرّه من الله ، إذ يروي لنا التنّوخي في كتابه نشوار المحاضرة أن مجموعة من العسكر هرب منهم مجرم من بين مجموعة مجرمين كانوا سيُعدمون في اليوم التالي ، فخشوا أن يُحاسبهم رئيسهم على هذا الإهمال إذا اكتُشف هذا في اليوم التالي ، فقال أحدهم - أي أحد هؤلاء العسكر - لزملائه : لنبحث عن رجل حان قضاؤه وحلّ أجله ، فنضعه بدلا من المجرم الهارب ، فيكون عدد المجرمين الذين كُلّفنا بحراستهم كاملا ، وبذا نفلت من العقاب . نحن هنا إزاء تبرير جريمة باستخدام عقيدة القضاء والقدر خيره وشره من الله . المجرم هنا أهمل ، وظلم وقتل في ظل هذه العقيدة التي فهمها بشكل خاطئ . هذا مثال أورده لنا التنوخي في العصر العباسِي ، ولا تخلو كل العصور فيما بعد العصر النبوي ، من أمثلة لهذا الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر خيره وشرّه من الله سبحانه وتعالى ، وقد أورد بوش أمثلة من تاريخ المسلمين الحديث ، يجدها القارئ في تعليقاته على الفصل الحادي عشر .

❊ ❊ ❊

جورج بوش يؤكد أن التوراة وملحقاتها والأناجيل وملحقاتها تنبأت بظهور محمد ﷺ وتنبأت بمعراجه في السماء

يعلم المسلمون جيداً أن القرآن الكريم ذكَر أنّ التوراة والانجيل أكّدا على ظهور محمد ﷺ نبيا ورسولا حاملاً للبشرية الوحي الأخير من الله سبحانه :

﴿ ... النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف : من الآية 157) .

وجورج بوش مؤلف هذا الكتاب يختلف مع المسلمين ويتفق معهم في الوقت نفسه كما يلاحظ متصفّح هذا الكتاب . أما وجه الاختلاف فهو أن الباحثين المسلمين يفسّرون الفقرة التالية في سفر التثنية في التوراة على أنها إشارة لظهور نبي الإسلام ، وهو تفسير خاطئ فيما يقول بوش . أما الفقرة المقصودة فهي الفقرة رقم 2 الاصحاح 33 في سفر التثنية ونصها : «جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من رِبْوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . . .» .

أما تفسير المسلمين الذين يرون في هذه الفقرة نبوءة بظهور محمد ﷺ فهو أن الإشارة إلى سيناء تعني تسليم الله سبحانه الشريعة إلى موسى على جبل سيناء . والإشارة للقدس تعني نزول الانجيل على عيسى عليه السلام لأن سعير يعني جبلا في القدس . وأن الإشارة إلى جبل فاران تعنى نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد لأن فاران جبل بالقرب من مكة .

أما اعتراض جورج بوش المؤلف على هذا التفسير فهو اعتراض جغرافي فهو يعرف من دراسته للجغرافيا القديمة للمنطقة أن سعير جبل يبعد - فيما يقول عن القدس ، بمائة ميل ، وأن جبل فاران يبعد عن مكة

فيما يقول بخمسمائة ميل . إذن هذا النص لا يصلح في رأيه أن يكون إشارة تنبؤية بظهور نبي مكة أو نبي الإسلام ، لكنه يتفق مع المسلمين في أن الكتب السابقة : العهد القديم أي التوراة وملحقاتها ، والعهد الجديد أي الأناجيل وملحقاتها ، قد تنبأت بشكل يقيني فيما يرى بظهور محمد ﷺ بل وبانتشار دينه ، إذن هو لا يختلف مع المسلمين في هذا الأمر سوى في أن الشواهد أو النصوص التي أوردها المسلمون من التوراة والأناجيل ليست هي الدالة على النبوءة ، وإنما هناك نصوص أخرى تؤكّد هذا . حسنا أنت أدرى على أية حال بنصوص كتبك المقدسة ، فأنت الأقدر على فهم رموزها وأنت المالك لناصية اللغات التي كُتبت بها . فلنستمع إليه ولنقرأ بوعي ما كتب مع اختلافنا معه في التحليل والتفسير . سنجد فيما أورده المؤلف بشأن رؤيا دانيال ما يفسر لنا الآيات القرآنية المرتبطة بمعراج النبي صلوات الله وسلامه عليه إلى السماوات العُلا ، تفسيراً أفضل وأوضح مما نجده في كثير من التفاسير الإسلامية والمرويات الإسلامية عن هذا الحدث الجلل .

إن صاحب هذا الدين سيصل حتى إلى «جُند السماء» بل أنه «سيتطاول حتى على رئيس جند السماوات» ألا تشير هذه الكلمات في رؤيا دانيال إلى معراج نبينا عليه الصلاة والسلام . أليس الملائكة هم جند السماء؟ ! أليس جبريل هو رئيس جند السماء أو أعلى الملائكة مقامًا؟ ! لقد نبهنا چورچ بوش إلى هذه العبارات في سفر دانيال ولكنه يفسرها تفسيراً مختلفا فهو يرى أن جند السماء هم أحبار الكنيسة ورهبانها ، وهم سدنة المعبد اليهودي وربّيِيه . ليقرأ القارئ ما ذكره دانيال في رؤياه في الملحق الأول من هذا الكتاب ليخلص منه بما يشاء بصرف النظر عن تفسيرات بوش . وتفسير الرؤى أمر مشروع في الإسلام ، وورد في القرآن الكريم في سياق قصة يوسف عليه السلام وتفسيره لرؤيا فرعون .

هذه إشارات العهد القديم (التوراة وملحقاتها) لمعراج نبينا صلوات الله وسلامه عليه . فماذا عن إشارات العهد الجديد (الأناجيل وملحقاتها) . هنا نجد الإشارات أوضح . نجدها تكاد تنطق وتشير لنبينا ، بل إنها تكاد تستخدم المصطلح القرآني ذاته . هيا إلى رؤيا يوحنا المعروف باللاهوتي وهي إحدى ملاحق الأناجيل .

إن محمداً ﷺ في رؤيا يوحنا هو الكوكب الذي هوى أو النجم الذي هوى من السماء إلى الأرض . أو على حد الترجمة المصرية المتداولة للأناجيل وملحقاتها «كوكبا قد سقط من السماء إلى الأرض» أو على حد النص الانجليزي للكتاب المقدس المسيحي . . a star fall يا سبحان الله ، هل فهمنا الآن مطلع سورة النجم :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (النجم :١ ، 2) .

وقليل من المفسّرين العرب هو الذي تبحر في دراسة الكتب السابقة على الإسلام ، ولو فعلوا لفهموا القرآن الكريم بشكل أعمق . ومع هذا نجد منقولات في كتب تفسير القرآن تتفق بشكل عجيب مع هذه الإشارات ، يقول القرطبي : «لما أراد الله تعالى بعث محمد ﷺ رسولاً كثُر انقضاض الكواكب قبل مولده فَذُعر العرب وفزعوا إلى كاهن . . كان يخبرهم بالحوادث (من المفهوم أن هذا الكاهن إما أن يكون يهوديا أو نصرانيا) فقال لهم : انظروا البروج الاثنى عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا ، فإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم ، فاستَشْعروا ذلك ، فلما بُعث رسول الله ﷺ كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه» ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فالنجم الذي هوى من السماء إذن هو محمد ﷺ ويقول القرطبي : إن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضي الله عنهم قال : «النجم في آية والنجم إذا هوى هو محمد عليه الصلاة والسلام» .

هذا التطابق المدهش بين القرآن الكريم ورؤيا يوحنا اللاهوتي (العهد الجديد) في تسمية محمد ﷺ نجما هوى أليس إعجازاً ما بعده إعجاز؟! ألا يجعلني أردد في أعماق أعماقي: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله؟ وهذا بالفعل ما فعله آخرون إذ يقول بوش إن كثيرين من المسيحيين قالوا: كيف يكون محمد نجما هوى من السماء ويكون ضالاً مُضلاّ؟! فتحوّلوا للإسلام، وهو ما أغضب بوش لأسباب ذكرها في الملحق الأول من هذا الكتاب. وإني حزين لغضبه لكنني سعيد بأنه جعلني ازداد يقيناً بأن محمداً رسول الله، وجعلني اكتشف هذا الوجه المجهول من إعجاز القرآن الكريم الذي لا تفنى معجزاته.

هل المقصود بالنجم إذا هوى هو محمد ﷺ عندما بُعث أم عندما عاد إلى الأرض أو هوى إليها بعد معراجه للسماء؟ هنا يقول بوش: إن المقصود هو محمد عندما قام بالدعوة للدين الجديد أو على حد تعبيرنا عندما بُعث، أما جعفر بن علي بن الحسين فيقول: إن المقصود هو عندما هبط إلى الأرض بعد المعراج وهوى هنا تعني سرعة الهبوط، وهذا فيما رواه القرطبي عنه في تفسيره.

لو رجع المفسرون المسلمون للكتب السابقة على القرآن لاكتشفوا إعجازاً كبيراً. لكن هذه الكتب لم تترجم إلى العربية إلا في وقت متأخر تماماً، فقد كان الأحبار والرهبان والقسس ينقلون معانيها للناس شفاهة بل إن الطقوس الكنسية لم تُنقل بالعربية في مصر إلاّ بدءاً من القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد)، أما الأناجيل فلم يعرفها المسيحيون المصريون كاملة إلاّ في وقت متأخر جداً، بل إن الأناجيل المترجمة إلى العربية وإلى الانجليزية لا تزال محلّ مراجعة مستمرة، وبدءاً من القرن السادس عشر للميلاد كان هناك خلاف كبير في أوربا حول آية التثليث أو أن الله ثالث ثلاثة، بل وجرى حذفها بالفعل من بعض الطبعات.

فما معنى القول الذي قاله أحد المتخرصّين أن هناك انجيلا ترجمه للعربية ورقة بن نوفل ، وعنه نقل محمد ﷺ القرآن؟ بل ودعا هذا المغرض للتنقيب الأثري في مكة للوصول إلى انجيل ورقة هذا؟ الأولى به أن يبحث عن الانجيل الآرامي ، فقد كان المسيح عليه السلام يتحدث الآرامية كما هو معروف وليس العبرية أو اليونانية التي نترجم عنها هذه الأيام . على كلّ حال فإن هذه دعوة لإعادة تفسير القرآن الكريم وفهم إشاراته بالرجوع إلى الكتب السابقة عليه والتي لم تكن متاحة تماما للمفسّرين المسلمين السابقين لأسباب ذكرناها في السياق السابق ، بل إن بعض الكتب الدينية السابقة على القرآن لم تترجم إلى العربية حتي الآن . أين التلمود؟ أين الزُّهَرَ وهو كتاب التصوّف اليهودي الأساسي؟ أين القبالة أو أسرار الحروف بالمفهوم اليهودي؟ كل هذا لا يعرف العرب عنه شيئًا . من يَمُدني بقوّة للعمل على ترجمة هذه الكتب ونشرها ولو في طبعات محدودة ، لنعرف كيف يفكر القوم ، ولنعرف بعض ما تعنيه إشارات القرآن الكريم للذين أوتوا الكتاب من قبل . فها هي آية واحدة ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ لم نعرف تفسيرها اليقيني إلاّ بالرجوع للكتب التي نزلت من قبل ، وبغير ذلك كان تفسيرها عاما غير مرتبط بسياق إذ نجد في التفاسير الإسلامية كلاما عاما غير مرتبط بسند :

- فمن قائل إن النجم هنا هو القرآن .
- ومن قائل إن الله يقسم بما يشاء مما خلق .
- ومن قائل إن النجم هنا هو يوم القيامة .
- ومن قائل إن النجم هنا هو الزهرة لأن العرب كانوا يعبدونها .
- ومن قائل إن المراد هو النجوم التي تُرجم بها الشياطين .
- ومن قائل إن المقصود بالنجم النبات الذي ليس له ساق وهوى أي سقط على الأرض .

كل هذه التفسيرات قال بها المفسّرون ، إما اعتماداً على استنباطات لغوية أو اعتماداً على اجتهادات ، أو اعتماداً على مرويات غير مؤكّدة ، مع أن لدينا حكاية يرويها المفسرون ننقلها عن القرطبي فيما يلي : «إن عتبة ابن أبي لهب - وكانت تحته بنت رسول الله ﷺ ، (أي أنه كان متزوجا من بنت الرسول ﷺ) - أراد الخروج إلى الشام ، فقال لآتينّ محمداً فلأوذينّه (أي أسمعه ما يكره) ، فأتاه وقال له : أنا كافر بالنجم إذا هوى ، وبالذي دنا فتدلّى ، ثم تَفَل في وجه رسول الله ﷺ ، وردّ عليه ابنته وطلّقها ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم سلّط عليه كلبا من كلابك» وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها وقال ؛ ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة . فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ، ثم خرجوا إلى الشام (أي عتبة ومن معه) فنزلوا منزلا ، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم : إن هذه أرض مسبعة (أي بها سباع أو وحوش كالذئاب وغيرها . .) . فقال أبو لهب لأصحابه : أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة ، فإني أخاف على ابني من دعوة محمد ، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم ، وأحدقوا بعتبة (أي اقتربوا منه ليحموه) ، فجاء الأسد يتشمّم وجوههم (المفهوم أن هذا كان وهم نائمين) حتى ضرب عتبة ، فقتله . قال حسّان (الشاعر) :

من يرجع العامَ إلى أهْله فما أكيلُ السَّبع بالرَّاجع »

هنا نتوقّف قليلا لنقول ألا تعني هذه الحكاية أن ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ مرتبط بمعراج النبي إلى السماء؟ وإن لم تكن الإجابة بنعم ، فكيف يدهش عتبة من هذا الأمر ويكذبه . أيمكن أن يكون معنى النجم هنا نبات أو شجرة ، أو مجرّد قسم أقسمه الله سبحانه؟ ! هذا محال ، فلابد إذن أن تكون الآية التي تليها وهي : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ تعني أن محمداً ﷺ قدعُرِج به فعلا إلى السماوات العلا ، وأنه ما ضل - إذ قال هذا - وما غوى - إذ قال هذا ، ثم تتوالى الآيات الكريمة وكلها

مرتبطة بالوحي والقرآن الكريم ووصف وقائع المعراج بشكل إشاري لا نستطيع الخوض فيه لاختلاف المفسّرين في تفسير الضمائر الواردة في هذه الآيات . وكثيراً ما يستخدم القرآن الكريم الضمائر لا ليغيّم على المعنى ويُبعده وانما لأسرار لا يعلمها إلاّ الله يفسّرها تطور العلم فالآية الكريمة : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) ﴾ (الرحمن : 26) . ليس هناك آية قبلها تفيد أن المقصود بالضمير في (عليها) هو الأرض ، ولكن المفسّرين فسروا الضمير بالأرض على وفق علمهم المحدود . أما الآن فهل يمكن تفسير الضمير على هذا النحو؟ ماذا لو كان إنسان في مركبة فضائية عند القمر أو المشتري أو المريخ أو حتى خارج درب التبّانة؟ ألن يموت ويفنى؟ إذن (كل من عليها فان) قد يعني الأرض ، وقد يعني أيضا درب التبانة ، وقد يعني أيضًا دروبا أخرى ، وقد تعني المجرّة ، وقد تعني مجرّات أخرى ، وهذا التعميم أيضًا قد يعنى خلقاً آخر ، غير البشر ، فالله يخلق ما لا تعلمون!

المهم أن تفسير بوش لرؤيا دانيال ورؤيا يوحنا يزيد إيماني بنبوة المصطفى ، بل ويجعلني أؤكد أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً ، فالاشارات النبوئية السابقة قالت أنه وصل إلى جند السماوات ولم تقل أنه وصل بروحه . إن بوش - رغم كراهيته الشديدة لمحمد ﷺ يجعلني أصلي على رسولي الكريم عليه الصلاة وأزكى السلام .

❊ ❊ ❊

اقــرأ

يؤكّد جورج بوش أن محمداً ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة باللغة العربيّة ، ويسوق عدّة أدلّة يراها كافية لتأكيد هذا فيما يرى ، فالكتابة كانت شائعة بين العرب وقد أوصى القرآن الكريم نفسه الناس إنْ تداينوا بِدَيْن أن يكتبوه ، كما أن عليا بن أبي طالب ابن عم النبي ، والذي نشأ

النبي في بيته كان من كتّاب الوحي ، أي أنه كان يعرف القراءة والكتابة ، فكيف يعلّم أبو طالب ابنه القراءة والكتابة ولا يعلمها لابن أخيه . وقد عمل محمد ﷺ في التجارة وذهب بتجارة خديجة رضي الله عنها إلى الشام ، والمشتغل بالتجارة يحتاج دائما - فيما يرى بوش - للكتابة ليقيّد ما يخشى أن يفلت من ذاكرته ، وكانت مكة ملتقى حركة تجارية لذا فالكتابة والقراءة لازمة لأهلها إلى حدٍ كبير .

تلك هي الأدلة العقلية التي ساقها المؤلف لتأكيد معرفة رسولنا ﷺ القراءة والكتاب . [راجع الفصل الأوّل من هذا الكتاب] وأراني لا أجد أية إهانة لنبينا ﷺ في هذا . حاشاه عن الإهانة . لكن المؤلف عمد إلى الزعم بأن محمداً ﷺ ادّعى بأنه لا يعرف القراءة والكتابة رغبة منه في التأكيد على أن القرآن الكريم ليس من عنده وإنما هو وحي من عند الله . والحقيقة أننا لا نعرف نصاً إسلامياً واحداً يؤكد جهل نبينا بالقراءة والكتابة ، فهناك أمر إلهي للرسول بأن «اقرأ» ويستحيل أن يأمر الله سبحانه نبيه بما هو مستحيل ، هذا الأمر (اقرأ) وارد في النص القرآني الذي هو النص الوحيد الذي لا خلاف فيه بين المسلمين جميعاً ، أمّا ما أضيف من تفسيرات فلم ترد في النص القرآني ، والتفسيرات اجتهادية وأتت في وقت لاحق (مات الطبري صاحب التفسير الشهير مثلا في سنة 310هـ) ، أما الآية الكريمة :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ (العنكبوت : 48) .

فالمقصود كما هو واضح ما كنت تتلو قبله من كتاب من كتب أهل الكتاب أي ما كنت تتلو التوراة (التي لم تترجم كاملة للعربية إلاّ في القرن التاسع عشر) وما كنت تتلو من انجيل من الأناجيل (التي لم تترجم أيضًا كاملة إلى اللغة العربية إلاّ في وقت لاحق ، وإنما كان الأحبار

والرهبان ينقلون معانيها للناس ، والانجيل العبراني الذي ادّعى بعض الباحثين أن ورقة بن نوفل ترجمه للعربية لم تكشف عنه الآثار حتى يوم الناس هذا ، فالآية الكريمة لا تعني جهل النبي بالقراءة والكتابة . وإنما تعني كما يفيد سياقها - بقراءة الآيات السابقة لها - أنه عليه الصلاة والسلام لم ينقل القرآن نقلا عن الكتب السابقة وإنما أتاه القرآن من لدن عليم خبير ، والعليم الخبير هنا هو الله سبحانه وتعالى وليس هو ورقة بن نوفل رئيس كنيسة مكّة كما قال أحد المتخرّصين .

ونجد في تفسير القرطبي الذي توفى في سنة 671هـ في سياق تفسيره لهذه الآية أنها تفيد أن مسألة معرفته ﷺ للقراءة والكتابة مسألة خلافية ، هناك من يؤكّدها وهناك من يتشكك فيها .

أما أهم ما يُقال تأكيداً لجهله ﷺ بالقراءة والكتابة فهو ما يتعلق بما ورد في القرآن الكريم بكلمة أمّي وأميّن ، والسياق القرآني الذي وردت فيه هاتين الكلمتين لا يعني أبدًا عدم معرفة القراءة والكتابة ، وسنستعرض هنا الآيات التي وردت فيها هاتين الكلمتين :

﴿ ... وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (آل عمران : 20) .

هل يمكن أن يكون معني أمين هنا هو عدم معرفة القراءة والكتابة؟ وهل كل اليهود والنصارى يعرفون القراءة والكتابة؟ وهل كل العرب يجهلون القراءة والكتابة؟ هل الجهل مقتصر على العرب دون خلق الله؟ . إن القرطبي وهو مفسّر متنور في مواضع كثيرة فسّر الأمين في هذه الآية التفسير الصحيح وهو العرب المشركون ، فإن قيل إن عدم معرفة القراءة والكتابة قَصْر على العرب . قلنا لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وابن كثير (ت 774) في تفسيره يقول : الكتابيّن من الملّيين (أي

أصحاب الملل) والأمّيين من المشركين . يا سبحان الله أكل الأمّيين من المشركين؟ أي كل المشركين لا يقرأون ولا يكتبون ، وكل المليين يقرأون ويكتبون؟ هذا أمر عجاب! كلمة الأمّيين هنا لا تعني أبدا الجهل بالقراءة والكتابة وإنما لها معنى آخر مؤكدا سنورده في آخر هذه الفقرة .

- آية أخري لا يمكن أن يكون فيها معنى الأميين هو الجهلة أو الذين لا يجيدون القراءة والكتابة :

﴿ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ...(٧٥) ﴾ (آل عمران : 75) .

نجد في تفسير القرطبي أن اليهود كانوا يقولون إذا عاهدوا المسلمين ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ أي ليس علينا حرج في ظلمهم . فكلمة الأميين هنا فسّرها القرطبي بأنها تعني المسلمين . يا سبحان الله ، وهل الجهل قصر على المسلمين ، وهل معنى هذا أن اليهودي إذا عاهد يهوديا آخر لا يقرأ ولا يكتب فليس عليه حرج في ظلمه؟ لا يمكن أن يكون هذا هو المعنى . وإنما المعنى أن اليهود كانوا ولا يزالون يُقسِّمون الناس إلى قسمين : اليهود وغير اليهود . . وغير اليهود هم «الأغيار» بالمصطلح المعاصر أو غير اليهود أو الأمم الأخرى ، والأمم الأخرى هم الأمميّون ثم أدمجت الميمين في ميم واحدة مشدّدة فصارت الأمّيين . ويفسّر ابن كثير الأمميين بالعرب . ولا تعليق على تفسيره سوى ما ذكرناه آنفا .

- آية أخرى لا يمكن أن يكون معنى الأمِّيين فيها هو الجهل بالقراءة والكتابة :

﴿ ... هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... (٢) ﴾ (الجمعة : 2) .

كيف يكون أمّياً (أي جاهلا بالقراءة والكتابة) يعلم الجهلة بالقراءة والكتابة الكتاب . .؟ أيعلم الجاهل كتابا؟! ومع هذا فلنعد للنصوص .

لقد ذكر القرطبي أن المقصود بالأميين هم العرب مَنْ كَتَب منهم ومن لم يكْتب . ويقول إن العرب أميون لأنهم ليسوا أهل كتاب . وعلى كل حال فقد أورد القرطبي نصوصا أخرى تخالف هذا التفسير . ويذكر القرطبي أيضًا نقلا عن ابن عباس أن الكتاب هنا يعني الخطّ بالقلم أي أن النبي ﷺ أتي ليعلم العرب القراءة والكتابة ويدعوهم إلى ذلك .

- آية أخرى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (البقرة : 78) . . هنا قد يكون معنى «أميون» هو الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، فالسياق في الآيات السابقة عليها يشير إلى أهل الكتاب ، والله سبحانه يريد أن يقول للمسلمين أنهم - أي أهل الكتاب الذين يلقونهم - جهلة لا يعرفون الكتاب إلا أماني ، أي أنهم غير متفقهين في كتبهم . ومع هذا فمن التفسيرات التي أوردها القرطبي أنهم سمّوا أميون لأنهم أنكروا أم الكتاب وقيل هم نصارى العرب ، وقيل هم المجوس . . .الخ . ورغم هذا الخلاف فالكلمة هنا قد تعني الجهل بالقراءة والكتابة ، وقد ورد هذا في سياق الذم لا في سياق الفخر ، وهل الجهل مجال فخر؟

- ننتقل الآن للآيات التي وردت فيها كلمة «أمّي» مفردة . لقد تعمدنا أن نبدأ بالكلمة في صيغة الجمع لنصل ببساطة إلى أن الأمي هي مفرد الأميين بالمعنى الآنف ذكره ، لكن هذا لا يمنع من إيراد الآيات التي وردت فيها «أُمِّي» مفردة . ففي تفسير الآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ . . .﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف : 157) .

لم نجد في تفسير ابن كثير أن معناها الذي لا يقرأ ولا يكتب ، لكننا وجدنا مثل هذا التفسير عند القرطبي .

لماذا انتكس المفسرون؟ فالأمي مفرد أميّين ، وهناك يقين أن كلمة الأميين لا علاقة لها بالجهل ، والنبي الأمي أي النبي الذي هو من نسل إسماعيل عليه السلام أي النبي الذي ليس من بني اسرائيل أي النبي الذي هو من الأغيار أي من غير اليهود ، أي النبي الذي هو من الأمم الأخرى غير اليهودية ، فقد كان اليهود يظنون أن النبوّة مقتصرة على بني اسرائيل ، لكن الله تعالى قال لهم ها هو نبي ليس من بني اسرائيل . هاهو نبي من الأغيار . ها هو نبي من الأمم الأخرى غير اليهودية . ها هو رسول أمّي وهو المعنى المقصود .

بعد هذا العرض لابُدّ من القول أننا لا نؤيد جورج بوش تأييدا مطلقا في تأكيده على أن النبي كان يعرف القراءة والكتابة ، وإنما فقط نريد أن نؤكّد أن النصوص التي يستشهد بها المسلمون للدفاع عن الجهل ، إما أنه لا أساس لها ، وإما أنها موضع خلاف ، وإما أنه هناك ما يناقضها وإما أسيء تفسيرها ، فإن رأوا أن في إثبات جهل الرسول بالقراءة والكتابة ، مما يرفع قدره ، فليبحثوا عن أدلّة أخرى غير تلك التي يتقولون بها . لكن عليهم أن يضعوا في اعتبارهم أن الرسول ﷺ قدوة ومثل والاقتداء بسنته فضيلة ما بعدها فضيلة ، وقد يروا أن التأكيد على هذا والتشبث به والتعصب له دافع لعدم التحاق أبنائهم في المدارس وعدم العكوف على القراءة وعدم الأخذ بناصية العلم . وهل لمن اتخذ هذا السبيل مكان في عالم لا مستقبل فيه إلاّ للآخذين بناصية العلم؟ .

هناك طرق كثيرة مؤكّدة لإثبات أن القرآن الكريم لم يكن نقلا عن الكتب السابقة عليه ، وأن ما بينه وبينها من تشابه في مواضع كثيرة ليس إلاّ دليلاً على أن المصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى . كما أن في القرآن الكريم ردوداً حاسمة على ما ورد في الكتب السابقة عليه من تحريفات . ألم تقل التوراة . إن الله بعد خلق الكون تعب فاستلقى «على قفاه» ليستريح . ألم يَرُد القرآن الكريم على هذا السّفه بأن الله سبحانه خلق

السماوات والأرض وما «مسّه من لغوب» أي لم يتعب ، أين هذا الجلال الذي وصف به القرآن رب العالمين ، من الوصف الطفولي غير الناضج الذي ورد في سفر التكوين بالتوراة المحرّفة ، ألم يرد في التوراة أن الله سبحانه وتعالى ظل يصارع يعقوب حتى الفجر ، ونظر يعقوب إلى وجهه . انظر في هذا سفر التكوين الاصحاح الثاني والعشرين ، الفقرات من 25 إلى 31 . وانظر تفسير هذه الفقرات في قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه أورثوذكس . لا أريد أن استطرد أكثر من هذا في هذا الموضع من هذه المقدمة أو الدراسة ، ويكفي القول أنني لا أرى أية غضاضة فيما ذهب إليه المؤلف من أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن جاهلا بالقراءة والكتابة ، بل إن هذا يؤكد إسلامي لأهتف من أعماق قلبي : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

لكن ما الذي جعل هذا المعنى يسود بين العرب المسلمين وربما بين المسلمين من غير العرب . الواقع أنه ليس هناك أمامنا إلاّ التفسير النفسي ، فاللاشعور كثيراً ما يقود الإنسان إلى أن يبعده عن المشقّة ويُسقط عنه التكاليف ويجعله يتلمّس نقولاً أو نصوصا أو تبريرات ليركن إلى الراحة ، فما أسهل أن يقول لك قائل إن طالبته بتعلم لغة أو لغات أجنبية إنّه لا يتعلّم لغة الكفار ، وما أسهل أن يقول لك قائل إن طلبت منه الاستعداد بالعلوم الحديثة للتمكن من إعداد القوّة اللازمة للدفاع ، إن عرش الرحمن فوق الكعبة ، وأي طائرة تمر في هذا الموضع احترقت ، وما كان أسهل على المصريين والشوام أن يقولوا إن بلادهم بين مقاميْ الجيلاني في العراق والبدوي في مصر فلا يمكن لمستعمر دخول بلادهم . ولكنه دخل . ما أسهل استخدام نصوص في غير موضعها أو تفسيرها خطأ لإحداث الأذى بالمسلمين وكم تأخرت حركات محو الأمية في عالمنا العربي والإسلامي ، وكم عانت

الحكومات طويلا لنشر العلم . وكم سنت القوانين لجعل التعليم الابتدائي إلزامياً ، وكان الأولى أن يتكالب الناس عليه! ألا يمكن أن تكون المرويات من أننا أمة لا تقرأ ولا تكتب ولا تحسب وراء هذا كله . لكن لماذا لا نجد هذا المعنى الذي نقول به والذي قالت به بعض التفاسير في المعاجم اللغوية العربية؟ الواقع أن المعاجم اللغوية العربية تهتم بالأصل اللغوي للكلمات وكثيراً ما تُهمل المعنى الاصطلاحي لها ، إمّا لأن المعنى الاصطلاحي لم يكن قد ظهر بعد ، وإما لأن المعنى الاصطلاحي أتى من لغات ساميّة أخرى غير العربية أو كان مشتركا بين العربية وغيرها من اللغات السامية . فنحن لن نجد (مماليك) في المعاجم العربية بمعنى سلاطين مصر والشام والعراق ، كل ما سنجده في مادة (مَلَك) أن المملوك هو العبد ، ولن نجد امبراطور ، ولن نجد فرعون إلاّ بمعنى ملك دون إشارة إلى نظام الحكم والدلالات الأخرى للكلمة . وهكذا لن نجد كلمة أمّي إلاّ باعتبارها من الأصل اللغوي أم م . . . وهكذا .

* * *

محمد ﷺ ، هل هو إنسان الخطيّة الذي تنبأت به الكتب المقدسة المسيحية؟

في التراث الديني المسيحي نبوءة عمّا يُسمّى إنسان الخطيّة أو إنسان الخطيئة يظهر ويستعلي قبل المجيء الثاني للمسيح عليه السلام . وهذا المجيء الثاني للمسيح عليه السلام . هو أيضًا تراث ديني إسلامي متواتر . لكن كيف جرت النبوءة بظهور إنسان الخطيّة هذا :

- ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي (في اليونان) عن إنسان الخطيّة أن المسيحيين من أهل هذه البلاد اعتقدوا أن المجيء الثاني للمسيح قد حلّ أوانه فقال لهم بولس : «انه أي المسيح في مجيئه

الثاني لا يأت إن لم يأت الارتداد أولاً ، ويُستعلن إنسان الخطيّة (أي يجهر بدعوته) ابن الهلاك ، المقاوم والمرتفع على كل من يُدعى إلهاً أو معبوداً حتي أنه يجلس في هيكل الله كإله ، مُظهراً نفسه إنّه إله» .

ويذكّر بولس أهل تسالونيكي (في اليونان) أنه سبق أن قال لهم هذه النبوءة ، وأن أوانها لم يأت بعد لأنه «سيُستعلن في وقته» . لم يأتِ الوقت حتى يُستعلن الأثيم الذي الربّ يبيده بنفحة فمه ويُبطله بظهور مجيئه . . .» السفر الثاني من رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي .

هذه هي نبوءة بولس ، وبولس ليس هو المسيح وإنما هو أحد الوعّاظ أو الدعاة ويسمّى في التقليد المسيحي رسولا بهذا المعنى .

- وورد في انجيل متى عبارات تُفسّر أيضا على أنها نبوءة بظهور إنسان الخطيّة لكن من خلال أمثال ودون إشارة واضحة ، ودون استخدام لعبارة «ظهور إنسان الخطية» .

والمؤلف چورج بوش وطائفة من المسيحيين يعتبرون محمداً ﷺ هو إنسان الخطيّة المشار إليه في النبوءة السابقة ، ويعتبرون «الارتداد» الذي يسبق المجيء الثاني للمسيح هو انتشار الإسلام ، ويعتبرون جلوس إنسان الخطيّة في هيكل الله ، هو فتح المسلمين للشام وللقدس خاصة حيث الهيكل . . لذا وجدنا المؤلف في مقدمة كتابه (الصفحة 21 من النص الانجليزي والصفحة المقابلة لها في النص العربي) يؤكّد على أن المقصود بإنسان الخطية هو محمد ﷺ ، والمؤلف وطائفته الدينية يتوقّعون عند بداية كل ألفيّة مجيء المسيح ثانية وعودة المسلمين إلى المسيحية ثانية أو على حد تعبير المسلمين «ارتدادهم» عن الإسلام .

ومن المهم هنا أن نذكر أن المسيحيين ليسوا سواء في تفسير هذه النبوءة وفي القول بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو المقصود بها ،

ونفضل هنا الرجوع لمرجع كتبة مسيحيون هو دائرة المعارف الكتابية :

((- التفسيرات المختلفة : هناك نظريات وتفسيرات تفوق الحصر ، عن هذا الجزء من أقوال الرسول بولس ، إليك بعضها :

(أ) هناك رأي يجده المحدثون من النقاد - بأن هذا الجزء لا يحتوي على نبوة (فبولس حسب فكرهم لا يعرف المستقبل) ولكنه مجرد فكر من الرسول مبني على دانيال (8 :23 وما بعده ، 11 : 36 وما بعده) وعلى الأفكار الشائعة عن ضد المسيح ، وهو رأي لا يمكن أن يرضى أو يقنع من يؤمنون بحقيقة رسولية بولس وأنه قال ذلك بالوحي الإلهي .

(ب) يربط البعض بين «إنسان الخطية» وكاليجولا أو نيرون أو غيره من أباطرة الرومان ، وفي الواقع لقد أمر كاليجولا أن ترفع إليه التضرعات باعتباره الإله الأعلى ، وأراد أن يقام له تمثال في هيكل أورشليم ، ولكن كان هذا قبل زيارة بولس لتسالونيكي . كما أن أعمال هذا المجنون لا يمكن أن تكون أساسا لنبوة بهذه القوة وهذه الأهمية .

(ج) التفسير المقبول لدى البروتستنت هو أنها إشارة إلى البابوية التي يرون فيها الكثير من الملامح التجديفية التي تحدث عنها بولس ، فهيكل الله مقصود به الكنيسة ، والقوة التي تحجز هي الامبراطورية الرومانية ، أن «إنسان الخطية» لا يشير إلى فرد بل إلى نظام معين ، ومن العسير - على أي حال - مقاومة الانطباع بأن الرسول بولس يعتبر أن «سر الإثم» سيبلغ الذروة في فرد بعينه ، هو ضد المسيح ، كما أن وصف الرسول ، يستبعد معه الظن بأنه شخص مسيحي ولو بالاسم .

(د) يبقى الرأي الذي اعتنقه الآباء والذي يلقى القبول من كثيرين الآن ، وهو أن «إنسان الخطية» - في هذا النص - هو فرد فيه ستتجسد الخطية - قبيل مجيء المسيح ثانية - في أشد صورها فجوراً ونكراناً لله ،

ويمكننا إهمال كل المحاولات لربط هذه الشخصية بأي من الشخصيات التاريخية ، وليس معنى ذلك أن الفكرة نفسها غير صحيحة ، والصعوبة هي أن الرسول يتحدث وكأن ظهور «إنسان الخطية» قريب - ولكن ، قطعا ليس فوراً ، كما أنه ليس بعد زمن بعيد ، أي بعد ألفي سنة مثلا ، ويربط بينه وبين مجيء المسيح ثانية ودينونة الأشرار (انظر 2 تس 1 : 7-9) ، بدون أي إشارة واضحة إلى مدة «الألف السنة» سواء قبل ذلك أو بعده .

- الفكرة الجوهرية : ويبدو أن الأسلم في ضوء صعوبة هذا النص ، أن نتمسك بالفكرة العامة الموجودة به ، وأن نترك التفاصيل إلى أن تقع الأحداث فعلا . وفي الكتاب المقدس ، بل وفي أقوال المسيح نفسه (انظر مت 13 : 30 ، 37-43 ، 24 : 11-14 ، لو 18 : 8) ما يؤيد الاعتقاد بأنه قبل انتصار ملكوت المسيح نهائيًا ستأتي فترة من الضيق العظيم ، وضعف الإيمان ، وانتشار الارتداد ، حيث يبلغ الشر والخير مداهما (دعوهما ينميان كلاهما معًا إلى الحصاد» - مت 13 : 30) ، ومع الإنتصار الظاهري للشر على الخير سيكون ذلك وقتا عصيبا صارمًا رهيبا ، ينتهي بتدخل ابن الإنسان تدخلا حاسمًا «بظهور مجيئه» دون توضيح كامل لكيفية هذا الظهور . وستكتسح قوة الشر الصاعدة القانون والحكومات - وهي التي تمنع انتشار الفوضى ، وكان يمثلها في عهد الرسول بولس ، الامبراطورية الرومانية - فيستشري الإثم ، ويتقمص الشر شخصية رئيسية معينة . والمرمى النهائي للنبوة لا يمنع من إتمامها جزئياً في فترات من التاريخ إرهاصا بإتمامها النهائي)) .

لكن ما المقصود بالخطيّة أو الخطيئة التي يصفون بها هذا الإنسان الآثم الفاجر الذي سيظهر قبل المجيء الثاني للمسيح ، والذي يقول

بوش وطائفته أن المقصود به هو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . المسيحيون يفهمون أن الخطية هي التعدّي على الشريعة كما وردت في كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد . ورفض الانسان الانقياد أثناء حياته لأوامر الله ونواهيه ورفضه معرفة طبيعة الله سبحانه ، ورفضه محبّة الله المعلنة في «شخص ابنه» على حد تعبير انجيل يوحنا (السفر 3 الفقرة 36) . والخطية «تجلب على البشر عقاب الله» والخطية ينطبق عليها قانون الوراثة إذ تنتقل النزعة الشريرة والاثم إلى نسل الخاطئ . كما ورد في مزامير داود السفر 51 ، فقرة 11 . ويرى كل رجال الدين المسيحي أن الخطيّة بدأت عندما عصى آدم وحواء ربهما عندما أكلا من الشجرة التي حرّمها الله عليهما . وفي المسيحية كل الخطايا قابلة للغفران إلاّ خطية التجديف على الروح القُدُس «ومن قال كلمة على ابن الانسان (المقصود المسيح) يُغفر له أمَّا من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم (المقصود الدنيا) ولا في الآتي (المقصود الآخرة)» (انجيل متى 12 : 31 و32) . والزنا والسرقة من الخطايا كما أن ما يؤدي إليهما من الخطايا أيضًا أي الشهوة والطمع . . . الخ .

بعد هذا أيمكن أن يكون نبينا ﷺ هو إنسان الخطيّة الوارد في هذه النبوءات؟ لن نتحدث كثيرا عن فضائل النبي وإنجازه الحضاري إلاّ من خلال ما أورده بوش نفسه في كتابه هذا ، ومن خلال مفهوم الخطيّة كما ورد في الكتابات المسيحية ومفهوم إنسان الخطية كما ورد في هذه الكتب نفسها .

- يقول جورج بوش إن النبوءات الواردة في أسفار العهدين القديم والجديد تؤكد أن النبي محمدا ﷺ أمر قوّاته بألا تقطع شجرةً ، ولاتهدم بيتًا إلاّ لضرورة وألا تقتل امرأة أو طفلا أو شيخا . ولو أردنا أن

نعود لكتب السيرة والتاريخ لتأكيد هذا لما كفتنا مئات الصفحات لكننا نكتفي بما ذكره چورج بوش والموجود في صفحات هذا الكتاب بنصيه الانجليزي ، والعربي المترجم . وهنا نتساءل أمنَ الخطايا أن يكون الإنسان رؤوفاً بعدوّه؟ هل إنسان الخطية لا يقتل امرأة ، ولا طفلا ، ولا شيخا ، ولا يهدم داراً ، ولا يُفسد زرعاً . إنّ من يفعل هـذا هو إنسان الفضيلة لا إنسان الخطية . لقد جعلتني يا بروفسور بوش «الموقر» ، اهتف من أعماقي مردداً : صلى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله . صلى الله عليك يا رسول الله أيها الآمر بألاّ نقطع زرعًا لعدونا ولا نقتل له طفلا ولا امرأة . بل ولا رجلا إذا لم يحاربنا في ديننا .

- يؤكد چورج بوش في كتابه هذا أن سمات جيوش النبي ﷺ كما أكدتها النبوءات في الكتب السابقة أنها لا تعتدي على راهب ولا دير ولا ناسك ولا موضع تنسّكه ولا عابد ولا موضع تعبّده سواء كان يهوديًا أو نصرانيا . يا سبحان الله أهذه هي صفات إنسان الخطية؟ إذن ماذا تكون صفات إنسان الفضيلة؟ لقد جعلتني مرة أخرى يا رجل أهتف من أعماق أعماقي : عاش دين هذه مبادؤه إلى يوم الدين فصلى الله على نبيه أفضل صلاة وأزكى سلام .

- والسرقة ، بل وما يؤدي إليها من طمع ، هما خطيّة في المفهوم المسيحي للخطية ، فهل دعا نبي الإسلام للسرقة أم أن القرآن الكريم جعل حد السرقة هو قطع اليد ، بل وطبق رسول الله هذا الحد في حالات محدودة . أيكون من جعل حد السرقة هو قطع اليد إنسان خطيئة؟ ! هنا نتوقف قليلا . مغفّلون كثيرون - بعضهم حسن النيّة- يهاجمون هذا الحد ويسوقون الأدلّة على أنه فظ قاس ودليل على وحشية الإسلام ويجب إسقاطه . والسؤال : أيجب إسقاط آية قرآنية نصها

واضح غير متشابه؟ ثم ألا يعني مهاجمة هذا الحد أننا نشجع اللصوص والمختلسين؟ أليس من الأحكم والأجدى والأفضل عملياً أن نؤكد على هذا الحد ، أما عن تطبيقه فعلا فلهذا التطبيق شروط مجال الاجتهاد فيها قائم ، لكنه ليس اجتهاد ابن حنبل ولا أبي حنيفة ولا مالك ولا الشافعي ولا غيرهم من الفقهاء السابقين لأن أساليب السرقة والاختلاس قد تطوّرت كثيراً ولم تعد تجدي معها اجتهادات هؤلاء السابقين؟! ثم إن تطبيق هذا الحد متوقّف على أن يكون المسلمون في موضع قوّة وأن تكون دولهم قادرة على التصدّي لمن يريدون إسقاط حد من حدود الله ، لأن هذا الحد ينطبق على كل المواطنين داخل الدولة الإسلامية سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين . ومن الظّلم فيما يقول محضير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق - وهو رجل متنوّر - أن تُقْطع يدُ مسلمٍ سرق عنزاً ويُسجن مسيحيّ أو يهودي نهب بنكا . الأوّل فقد يده ، والثاني - فيما يقول محضير - عاش منعما داخل السجن بسبب ما لديه من مال يرشو به وعاش منعما بعد أن يخرج من السجن لينفق المال الذي خبّأه عن العيون وأعانه على تخبئته قومٌ آخرون .

تطبيق هذا الحد إذن في حاجة إلى مجتمع مسلم قوي ودول إسلامية قوية لا تهددها بعض جمعيات وهيئات حقوق الإنسان التي تطالب بالرحمة بمن سرق بنكاً وأفسد الحياة الاقتصادية ولا تطالب بالقصاص بمن نهب شعباً وأخرجه من أرضه؟

وكما وضع الفقهاء السابقون شروطاً لتطبيق حد السرقة قلّلت كثيراً من تطبيق هذا الحد ، فنحن الآن أيضاً وفي ظل ظروف غير ظروفهم ، وعصر غير عصرهم في حاجة ماسة لإعادة النظر في شروط تطبيق هذا الحد في ظل المتغيرات والمستجدات الحادثة . أقول

إعادة النظر في شروط التطبيق وظروفه لا في الحدّ نفسه . فوجود هذا الحد في حد ذاته قرآنا يُتلى وسيفاً معلّقاً ، لاشك أنه عامل يحد من هذه الخطيّة فليست القوانين وحدها هي المحرّك الأساسي للإنسان . المهم أنبيٌّ ينظر للسرقة ، هذه النظرة يمكن أن يكون هو إنسان الخطيّة في النبوءات المذكورة؟ لا يمكن . وهذا يجعلنا نصلّي على نبينا ونسلّم عليه تسليماً .

- وليس الزنا وحده هو الخطيّة في التراث الديني المسيحي وإنما الشهوة أيضا ، فهل شجّع المصطفى عليه الصلاة والسلام على الزنا ، أما غلّظ العقوبة على الزاني والزانية إلى حدّ الجَلْد . كما ورد في القرآن الكريم بل وإلى حد القتل (الرّجم) كما نعرف من سنته ، وإن كانت الحالات التي رجم فيها قليلة محدودة . فكيف يكون نبينا عليه الصلاة والسلام هو إنسان الخطية . كما أشارت النبوءات في الكتب السابقة عليه فيما يفسّر چورچ بوش؟ .

هنا نتوقف قليلا : ما معنى أن يتصدى بعض المسلمين غير بعيدي النظر لهذا الحدّ ، بل وما معنى أن نجد مواقع على الإنترنت لمسلمين تحت عنوان لا جلد ولا رجم للزانية . هل هو دفاع عن الزنا؟ وإن لم يكن هذا قصدهم ألا يفهم البعض هذا؟ لمْ يُطبق المصطفى عليه الصلاة والسلام هذا الحد إلاّ قليلا . بل لم يطبقه أحيانا إلاّ على من أصرّ على تطبيقه عليه بالاعتراف ، بل والإلحاح في الاعتراف ، وكل هذا معروف في كتب السيرة والفقه الإسلامي . أليس من الحكمة ومن ضرورات تسيير المجتمع بشكل مفيد أن نبقى على هذه النصوص؟ أنحذف آية؟ ! أنزيل سُنَّة مفيدة؟ ! أمْ أنّه من الأفضل إبقاء هذا الحكم المفيد سيفاً معلّقاً ضد مرتكبي هذه الخطيّة ، أمّا التطبيق فهناك شروط يمكن التشدد فيها لإثبات

هذه الخطيّة ، وهذا ما حدث فعلا فيما مضى . والقوانين ليست هي الشبكة الوحيدة التي يتحرك الإنسان من خلالها ، فجزء كبير من أفعالنا لا يمكن أن يطوله القانون أو يثبته أو يراه ، فبقاء هذا الحكم الديني مفيد عمليا بصرف النظر عن الخوض في النصوص الدينية والفقهية ، أليس الزنا أحد عوامل تقويض المجتمعات ، وأحد عوامل إشاعة العداوة وعدم الاطمئنان في المجتمع ، أيّ مجتمع . أن تكون جمعيات وهيئات حقوق الإنسان في أوربا مدافعة عن المعتقلين في قضايا الرأي . فهذا معقول رغم أنهم لا يُدافعون عن القائلين بتطبيق الحدود ، ولا عن المطالبين بالإصلاح السياسي إلاّ إذا كان هذا «الاصلاح» على وفق مفاهيم هذه الجمعيات ، أن تكون هذه الهيئات والجمعيات مدافعة عن حق الإنسان في الحياة الكريمة وفي إبعاد الفقر عنه بتدبير عمل له ، وفي حقه في الكساء والملبس ، فهذا معقول مفهوم خصوصا إذا خلا من الغرض والهوى ، فهل كَثُر الطعام واللباس والسكن في الدول والمناطق التي باركها المستعمرون باستعمارهم لها؟ لكن كيف تدافع هذه الجمعيات والهيئات عن حق الإنسان في الزنا؟ ! إن الزنا خطيّة على وفق التعريف المسيحي للخطية . ومحمد ﷺ لم يدافع عن الزنا ، فهو إذن ليس إنسان الخطية الذي تنبأت به كتبهم ، بل هم «إنسان الخطية» لأنهم يدافعون عن الخطية . أي محمد رسول الله ! صلّى اللهُ عليكَ وسلّم .

– وإنسان الخطيّة التي تنبأت بهِ الكتب السابقة على الإسلام فيما يقول بوش متأله «يُظهر نفسه إلها» على حد تعبير بولس ، متكبر متعجرف يرفع نفسه على كل «من يُدعى إلها» على حد تعبير بولس أيضا . هل هذه من صفات نبينا ﷺ؟ ألم يهوّن محمد ﷺ من خوف

رجل دخل عليه بقوله : هوّن عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد (اللحم المجفّف) بمكة؟! ألم ينم على حصير ترك أثره في جنبيه؟ ألم يشتد جوعه في وقت من الأوقات؟ ألم يدع الله أن يحشره في زمرة المساكين؟ لنترك هذا لنورد ما أورده بوش نفسه .ألم تذكر في صفحات كتابك هذا أنه كان «نبيل » الخلق كريماً ، وأن الكتاب المسيحيين سلبوه كل ميزة لفرط كراهيتهم له . ألم تدافع عن نسبه الشريف ذاكراً أنه من كرام العرب كما ثبت لك من مقارنة المصادر وفحصها؟ فكيف يكون خبيثا متألّها .

وإن تركنا كل هذا ورجعنا للقرآن الكريم الذي ترجع إليه كثيراً في كتابك هذا ، ألا تقرأ فيه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...(١٤٤) ﴾ (آل عمران : 144)؟!

وألا تقرأ فيه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... ﴾ (الفتح : 29)؟!

ألم تقرأ في القرآن أن محمداً «بشر»؟ ، ألم تقرأ أن الله عاتبه لعبسه وتولّيه عندما انصرف عن الأعمى؟ هل هذا إنسان متأله؟ هل ادعى الألوهية؟ إن كان قد تعاظم على كل من يُدعي إلها ، كما جاء في النبوءة ، أليس التفسير الأصح هو تحطيمه للاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى وغيرها من الأصنام ، وتعاظمه على الأيقونات المسيحية التي كانت محل عبادة في الكنائس الشرقية والتي تحاربها أنت نفسك وتعتبرها سبباً لنقمة الله على الكنيسة؟ أين هو التأله في شخصية نبينا عليه الصلاة والسلام . لقد جعلتني يا رجل أصلى عليه وأسلم عليه تسليمًا كثيراً في كل سطر قرأته في كتابك هذا . ألا صلّ يا ربنا عليه وسلّم تسليماً كثيراً .

- ومن سمات إنسان الخطية الذي ورد في النبوءات أنه يسيء إلى «الروح القدس» بل إن من يسيء إلى «ابن الإنسان» أي المسيح فربما تُغفر له خطاياه، أما الإساءة للروح القدس فهي أم الكبائر، كما فهمنا من تعريف رجال الدين المسيحي للخطية، وهو ما بسطناه فيما سبق. فهل في القرآن الكريم أو فيما يُروى عن رسولنا ﷺ أية إساءة للروح القدس، سواء كان المقصود به جبريل عليه السلام أم غيره. ها هو القرآن الكريم أمامكم لم يتغير ولم يتبدّل بتأكيد چورچ بوش نفسه، هل ترون فيه من ذلك شيئا. ألا إن هذه النبوءة لا تنطبق عليك يا رسول الله فصلى الله عليك وسلم.

- أما إذا كان المقصود بإنسان الخطية في النبوءات التي أوردها بوش هو المنكر بأن المسيح ابن الله، فإن بوش نفسه مؤلف هذا الكتاب يكاد لا يعترف بذلك. فقد أشار للمسيح في كتابه هذا بيسوع، وأشار إليه مرة بعبارة رسول الله Messenger ولم يستخدم في كتابه هذا عبارة «ابن الله» أبدا، وهناك ملايين المسيحيين يعلنون صراحة أن المسيح ليس هو ابن الله وينكرون التثليث، أقول ملايين المسيحيين بالمعنى الحرفي للكلمة، منذ ظهور المسيحية وحتى الآن. أقول: «وحتى الآن» بالمعنى الحرفي للكلمة.

أما القول بأن مسيحيين كثيرين على عهد الرسول ﷺ، كانوا لا يؤمنون بأن المسيح ابن الله فنفضل هنا إيراد النص التالي الذي كتبه مؤلّف انحرف عن جادة الصواب في كثير من آرائه الأخرى، وإن أصاب في النص الذي نورده هنا. والذي ذكر فيه أسماء الفرق المسيحية التي لم تؤمن بألوهية المسيح والتي كان لها وجود حتى زمن النبي محمد ﷺ وبعده:

1- الابيونية وهي فئة من اليهود المتنصرين ، التحقوا بالمسيح ورأوا فيه نبيًا عظيمًا من الأنبياء . لا يعترفون بألوهيته ولا ببنوته لله ؛ بل يقولون بأنه رجل كسائر الرجال جاءه الوحي بعد معموديته على يد يوحنا المعمدان . أو بالحري أن المسيح المبدأ الأزلي دخل يسوع يوم عماده وفارقه يوم استشهاده ، تقوم رسالته على التعليم والتبشير دون الفداء والخلاص ، يقبل الابيونيون انجيل متى وحده ، ويسمونه «الانجيل بحسب العبرانيين» ، وهو نفسه انجيل متى الآرامي ولكنه ناقص ومحرف ومزيف ، كما يشهد أبيفانوس . أما فروضهم فتتركز على الاغتسال الدائم بالماء للوضوء والتطهير ، وعلى تحريم الذبائح . ويشددون على أعمال البر والاهتمام باليتامى والعناية بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، ويوصون بإعالة المحتاجين وإطعام الجياع وإقراء الضيوف والغرباء . . . واسمهم يدل على ذلك ، فهو من قول المسيح :«طوبى للفقراء» ، وبلغتهم العبرانية : «طوبى للابيونيين» ذكرهم أيرناوس في كتابه «ضد البدع» ، وأوريجانوس في كتابه «ضد سلسوس» ، وأبيفانوس في «الشامل في الهرطقات» . دخل في شيعتهم معظم رهبان قمران بعد خراب هيكل أورشليم ، فهاجروا إلى الحجاز وانتمى إليهم بعض القبائل العربية .

2- القيرنثية نسبة إلى مؤسسها «قيرنث» Cérinthe . تتميز بقولها أن ملكوت المسيح السماوي هو على مثال الأرضي ، وأن دور المسيح يقوم على تحرير شعبه من الحكم الروماني والأجنبي ، وأن مهمته هي سياسية واجتماعية . وتقول بأن الجنة السماوية هي متاع الجسد وشهواته . يذكر أوسابيوس قيرنث في قوله : «بما أنه هو نفسه يحب جسده ، وكان شهوانيًا ، فهو يحلم أن هذا الملكوت يقوم على الأشياء التي يشتهيها ، أي الطعام والشراب ولذة الجسد» .

3- الكسائية نسبة إلى «الكسائي» Elxai . تذهب في الغنوص (العرفان) إلى أبعد حدّ . وتسمي أنصارها «أهل العلّم» . وتعلم في المسيح أنه بشر كسائر البشر ، وأن المسيح فارق يسوع قبل استشهاده ، وأن الروح القدس تارة هو «أم» المسيح فهو بالتالي مؤنث ، وطوراً هو الملاك جبريل فهو مذكر . ويدعي «الكسائي» بأن ملاكًا دفع إليه بكتاب من السماء كان محفوظًا في لوح مقدس نزله عليه جبرائيل وعلمه أسرار الحكمة والغيب)) .

ولننتقل إلى المسيحيين الموحّدين اليوم والذين كثروا بشكل مُلفت للنظر منذ القرن السادس عشر . والمسيحيون الموحّدون هم المنكرون للتثليث . ولازالت كنائسهم موجودة في أوربا وأمريكا إلى الآن بل ومزدهرة ، بل لقد تفرّق بعضهم بين الكنائس الرسمية .

ونفضل هنا أن ننقل نقلا كاملاً بحثا عن هذا الموضوع نُشر في دوريّة محكّمة أي راجع مقالاتها أساتذة متخصّصون وتأكدوا من صحة مصادرها وسلامة وثائقها .

والمهم أن غالب المراجع التي رجع إليها كاتب المقال الذي سنورده بنصه هي مراجع كتبها- في الأساس - مسيحيون ، كما أورد مؤلف المقال بعض النصوص بلغتها الانجليزية ولم يكتف بترجمتها . ولقد نُشر هذا المبحث في سنة 1987 وقُدّم للدورية في سنة 1986 ، واستغرق تأليفه عاما كاملا أي سنة 1985 ، وكانت فكرته والاهتمام بموضوعه تراود المؤلف منذ سني السبعين من القرن الماضي . فهو إذن مبحث أكاديمي خالص لا يقصد به مؤلفه أي غرض وإن كان نشره مرة أخرى الآن يهدف لتأكيد الأفكار التي عرضناها في هذه الدراسة :

❊ ❊ ❊

الحركة الأوروبية المناهضة للتثليث: حركة إصلاح ديني أوروبية لم تلق الاهتمام الكافي (*)

اتهم الكاثوليك لوثر ورفاقه بالخروج على المسيحية واتهم البروتستنت الكاثوليك بأنهم ليسوا على المسيحية الصحيحة ، ولكن الطرفين - الكاثوليك والبروتستانت - تعاونا معا في إحراق جماعة أخرى واضطهادها ، هي الجماعة المناهضة للتثليث . وهي تشكل حركة بكل معاني الكلمة في التاريخ الأوروبي ، وتشير لها مراجع التاريخ الأوروبي العام ، وتاريخ الأديان التي كتبها أوروبيون تحت عنوان شامل ، هو الهراطقة والهرطقة . وتشير الكتب العربية التي تناولت التاريخ الأوروبي إلى هذه الحركة بالتسمية نفسها التي تسميها بها المراجع الأوروبية ، وهذا خطأ واضح . وقد اعتمد في هذا البحث على وثائق منشورة ومصادر أصلية . ولعل هذا البحث يكون فاتحة لبحوث أخرى عن هذه الحركة المجهولة ، مكتوبة من وجهة نظر عربية إسلامية .

مقدمـــــة :

المعروف أن القرن السادس عشر في أوروبا قد شهد حركة شهيرة عرفت بحركة الإصلاح الديني ، نتج عنها مذهب جديد ، عُرف بالمذهب البروتستنتي ، مُنشقًا عن كنيسة روما الكاثوليكية . وكان الكاثوليك وكنيستهم يسمون هؤلاء المعترضين البروتستنت هراطقة أو مبتدعين . وقد شغل هذا الصراع بين البروتستنت والكاثوليك مساحة كبيرة في كتب التاريخ الأوروبي ، وهو جدير بهذه المساحة وأكثر . فقد شارك هذا الصراع في صياغة خريطة أوروبا المعاصرة . فالصراع بين الكاثوليك والبروتستنت كان أحد أسسُ ثورة الأراضي المنخفضة التي نتج عنها قيام كيانين : هولندا فبلجيكا . وهذا الصراع نفسه هو الذي

(*) هذا البحث الذي ننقله هنا كاملاً من تأليف د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ مترجم هذا الكتاب وقد نشر في مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالرياض ، مجلد 14 (2) ص ص563-588 (سنة 1407هـ / 1987 م)

أصّل وعمق استقلال سويسرا ، مما أدى إلى اعتراف مجتمع الدول الأوروبية بها في النهاية كدولة مستقلة سنة 1648م في صلح وستقاليا . وهذا الصراع نفسه هو الذي صاغ تاريخ إنجلترا (بريطانيا فيما بعد) ، فلا أحد إذن يُقلل من أهمية حركة الإصلاح الديني التي تزعمها لوثر أولا وتلاه زونجلي فكلفن . تلك العصبة التي أطلق عليها الكاثوليك اسم الهراطقة أو المبتدعين .

وهذه الحركة الإصلاحية التي تزعمها لوثر ، فزونجلي وكلفن بعده اختلطت فيها العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية ، فقد أزكاها رغبة الأمراء الألمان في الاستيلاء على أملاك الكنيسة الكاثوليكية في مقاطعاتهم ، كما أزكاها رغبة الامبراطور في عدم تدخل البابا في شئونه . كما أن رغبة الملك الإنجليزي هنري الثامن في طلاق زوجته ، كانت أحد العوامل في تبنيه منهجاً إصلاحياً وخروجه على البابا . لكن الباحثين في التاريخ الأوروبي يُغفلون أو يُشيرون على استحياء إلى حركة إصلاحية دينية من نوع آخر زامنت وواكبت حركة مارتن لوثر ، تلك هي حركة الموحدين Unitarians أو المناهضين للتثليث . ولقد حظي هؤلاء الموحدون باتهامات من الكاثوليك والبروتستنت معا . وحركة الموحدين الأوروبيين تلك حركة دينية خالصة ، وإصلاح ديني خالص لم تختلط فيها الأطماع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . بدليل أن هذه الحركة اتخذت شكل المناظرات والناقشات الفكرية في الغالب الأعم ، ولم يلجأ القائمون عليها إلى عقد محالفات مع أمراء أوروبا ، أو لم ينجحوا في ذلك . كما أنهم اتخذوا إنشاء المدارس والكليات طريقا لبث دعوتهم ، كما سيتضح من ثنايا هذا البحث . كما أن عدداً كبيراً من المنخرطين في سلك هذه الدعوة كانوا من العلماء الأفذاذ في مختلف المجالات . وتلك الحركة هي موضوع هذا البحث الذي أرجو أن يكون بداية تعقبها بحوث أخرى .

إرازم والبداية:

كانت بداية إثارة الأفكار المناهضة للتثليث في التاريخ الأوروبي الحديث على يد أحد رواد الحركة الإنسانية في القرن السادس عشر، ونعني به إرازم Erasmus لقد أقدم إرازم على الرجوع إلى نسخ عديدة من الإنجيل باللغة اليونانية، ولم يكتف بالرجوع إلى الترجمات اللاتينية المتاحة. وشرع يُترجم من اليونانية مباشرة إلى اللاتينية. وقرر إرازم أنه وجد في النص الإنجيلي الشائع على أيامه كثيراً من الأخطاء الواضحة. والأهم من هذا أنه عندما أصدر الإنجيل الذي ترجمه، والإنجيل اليوناني الذي حققه من نسخ عديدة سنة 1516م أسقط منه العبارات المتعلقة بالتثليث أو على حد تعبير «دائرة معارف الدين والأخلاق» "His omission of the famous Trinitarian verse" Encyc lopedia of Religion and Ethics. ولم يكن من الممكن للرأي العام المسيحي وقتها أن يعتبر هذا خطأ غير مقصود أو سهوا أو خللا طباعيًا، خاصة وأن من جملة الأفكار الأساسية التي كان يرددها الإنسانيون، ومن بينهم إرازم في ذلك الوقت أنه ينبغي أن ينفض العالم المسيحي كل ما يُظن أنه دخيل على المسيحية. وأنه من الضروري الرجوع للأصول الأولى قدر الممكن. كما كان من الآراء التي يرددها إرازم أن الإنجيل (العهد الجديد) الشائع على أيامه زاخر بالأخطاء اللغوية والأخطاء في المعاني الناتجة عن عدم فهم فيلولوجية اللغتين اليونانية واللاتينية. ورغم أن إرازم قد خاطب البابا ليو العاشر بشأن التناقض في الترجمة الإنجيلية المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية Vulgate's discrepancies برقة وأدب شديدين، إلا أن هذا لم يُقلل من خطورة ما أقدم عليه بنشر نص يوناني للإنجيل يختلف في بعض معانيه مع النص اللاتيني المعتمد. ورغم أن إرازم لم يهاجم عقيدة التثليث، إلا أن نشره لنص إنجيلي خال من

الإشارة إليها جعل الأعمال التي راحت تُنكر فكرة التثليث بشكل مباشر تتوالى تباعا ، حتى اتخذت شكل حركة بكل معاني الكلمة ، تفاعلت بها أوروبا كلها ، حتى أنها في تأثيرها الديني لم تكن تقل خطراً وأهمية عن حركة مارتن لوثر ورفاقه وإن كانت آثارها السياسية أقل قيمة .

لقد كتب مارتن سيلاريوس Martin Cellarius (1499 - 1564م) الذي كان تلميذا ليوحنا رخلن Reuchlin ، وكان أيضاً تابعاً وصديقاً لمارتن لوثر ، مهاجما فكرة التثليث وفي 1527م أيد آراءه هذه بكتاب نشره في ستراسبورج Strasbourg أسماء De Operibus Dei .

ظهور سيرفيتوس وإحراقه:

على أن المفكر الأكثر أهمية وشهرة ووضوحاً في هذه الحركة المناهضة للتثليث هو سيرفيتوس Servetus (1511 - 1553م) الذي أصدر كتابه الشهير : «خرافة التثليث De Trinitaris Erroribus سنة 1531م . وعلى إثر ذلك بدأ هياج ولغط كبير بين المعلمين ورجال الدين والمحامين وعلماء الطبيعة والرياضيات ورجال العلم والأدب . . . لقد أصيب الجميع بحالة عدم توازن فكري were all astire لقد رحلوا من مكان إلى مكان بحثاً عن الحقيقة وانخرطوا في مناقشات صاخبة . وذهبت أفكارهم كل مذهب . ففي نابلي Naples كان الشاب الإسباني يوحنا فالدز Johan Voides قد كون جماعة دينية ضم إليها النبيلات لدراسة الكتاب المقدس وإعادة النظر فيه . وظلت الجمعية قائمة حتى وفاته سنة 1541م» . وفي 1539م وجد ميلانشتون Melanch-thon أنه من الضروري أن يحذر من انتشار أفكار سيرفيتوس على نطاق واسع في شمال إيطاليا . ثم ظهر برنارد أوشينو Bernard Ochino (1487 - 1565م) الذي عبر سويسرا واتجه إلى لندن ، وكان يحارب فكرة التثليث بكل قواه . وفي 1539م تم إحراق كاترين فوجيل Catherine

Vogel وكانت زوجة جواهري ، وكانت في الثمانين من عمرها ، وذلك لاعتقادها كما جاء في قرار الاتهام «بوجود إله واحد لا شريك له ، خالق كل شيء ، ما نراه وما لانراه ولا يمكن للعقل البشري أن يحيط به» .

ولما كان سيرفيتوس Migel Servetus أكثر أفراد الحركة المناهضة للتثليث صخبا في هذه الفترة ، وكان له من الثقل العلمي ما يجعله جديراً بالاهتمام ، لذلك لابد أن نتوقف لاستعراض ظروفه وأهم أفكاره خاصة وأن كتب تاريخ الهرطقة قد أفردت له فصولا مستقلة . ورغم أن مؤلف كتاب «حق الهرطقة» يصفه بأنه شخص لم يكن على قدر فائق من الذكاء وأنه كان مضطرب الشخصية سيء التنظيم ، إلا أنه يعود فيقول عنه : إنه كان ذا عقل قوي . ويزعم مؤلف كتاب «حق الهرطقة» أن سيرفيتوس لم يتفوق في علم من العلوم مع أنه درسها جميعا . فقد درس الفلسفة والطب واللاهوت إلاّ أن المؤلف يعود فيقول إن له ملاحظات واكتشافات طبية رائدة .

لقد كان سيرفيتوس يعتقد أن لوثر وكلفن وزونجلي لم يكونوا حاسمين بما فيه الكفاية فيما يتعلق بعقيدة التثليث the dogma of the trinity كما أنهم لم يُطهروا الإنجيل cleansing على حد قوله من هذه الفكرة الخاطئة . بل لقد أعلن سيرفيتوس أن مجمع نيقية Council of Nicaea قد قرر عقيدة التثليث على نحو خاطىء . وقد أكد سيرفيتوس إنكاره لفكرة التثليث في عدة كتب أصدرها تباعا ، وترجمت للإنجليزية حاملة العناوين التالية :

- Seven Rooks on the Errors of the Trinity (153).
- Two Dialogues on the trinity (1532).
- The Restorantion of Chrismarity (1535).

لقد تملكت الأفكار المناهضة للتثليث عقل سيرفيتوس وقلبه فلم يكتف بدعوة الناس العادين لها ، وإنما راح بجراءة يزور كل رجال الدين ليقدم لهم براهينه . كما راح يزور كل علماء عصره لهذا الغرض . ففي ستراسبورج Strasbourg زار كلاً من رجال الدين المشهورين : مارتن بوسر Bucer وكابيتو Capito . . .الخ ، وفي بازل Basle زار أوكلامباديوس Oecolampadius ليحثُه على إصدار بيان أو كتاب عن تهافت عقيدة التثليث وخطئها وأنها مُقْحمة على المسيحية الحقة . وكان رد فعل رجال الدين المسيحي من الكاثوليك والبروتستنت على السواء عنيفا ضد سيرڤيتوس ووصفوه جميعًا بأنه (مبعوث الشيطان) ويذكر تسفايج Zweig مؤلف كتاب حق الهرطقة أن أوكلامباديوس Oecolampadius قد طرد سيرڤيتوس على نحو ما «يُطْرد كلب أجرب» وقد قرر أوكلامباديوس بأن سيرڤيتوس ماهو إلا «يهودي أو تركي . وهو كافر يجدف على الله .» وحذر زونجلي أتباعه من أفكار سيرڤيتوس ذاكراً أن أتباعه سيخسرون عقيدتهم المسيحية . أما بوسر Bucer فقد أعلن أن سيرڤيتوس هو «ظل الشيطان .» ولما يئس سيرڤيتوس من إقناع الخاصة من رجال الدين توجه بدعوته إلى الجماهير فأصدر كتابه الذي سبق أن أشير إليه وهو «خرافة التثليث» بعد أن أنفق كل ما يملك لطبعه . وأعلن سيرڤيتوس بوضوح أن الكاثوليكية والبروتستنتية كلاهما هراء . وظن سيرڤيتوس أنه سيجد خيرا عند كالڤن فراح يراسله مراسلات ضافية زاخرة بالمسائل اللاهوتية . ولكن كالڤن حقد عليه حقداً شديداً ، لا لأسباب دينية فحسب ، وإنما لأسباب شخصية أيضا . فلم يكن سيرڤيتوس يخاطبه على أنه زعيم ديني كبير . كما أنه وجه نقداً لكتابات كالڤن واصفا إياها بأنها كموضوعات الإنشاء التي يكتبها الصبية . وفي آخر خطاب من سيرڤيتوس لكالڤن ذكر له ما نصه : «أأنا شيطان؟ أنا اقترح ألا تكون بيننا مكاتبات بعد الآن . أعد إلي مخطوطاتي وكل مالي

طرفك ، ولكن إذا كنت تعتقد بصدق أن البابا ليس مسيحياً حقيقياً ، فيجب أن تعرف أيضًا أن التثليث وتعميد الأطفال هراء . . . إنها عقائد فاسدة» .

ورغم أن سيرڤيتوس ظل هادئا بعد ذلك لبضع سنوات إلا أن حقد كالڤن عليه لم ينته وراح يُدبر لاستدراجه لجنيف ذاكراً أنه لو دخلها فلن يخرج منها حياً . وراسل كالڤن البروتستنتي بعض الكاثوليك في فرنسا حيث كان يقيم سيرڤيتوس مذكرا إياهم بهرطقته ، وتآمر رجال الدين في ليون مع رجال الدين البروتستنت في جنيف على هذا «الطبيب المجدف» على حد تعبيرهم . وقد تم سجن سيرڤيتوس في فرنسا ، ولكنه فر من سجنه متوجها إلى جنيف وكأنه يسعى إلى حتفه بنفسه . ودخلها في 13 أغسطس 1553م . وتوجه إلى كاتدرائية سانت بيير St. Pierre فأصدر كالڤن أمره بالقبض عليه . وسُجن سيرڤيتوس ولاقى في سجنه كل أنواع العنت ، ويبدو أن آراء سيرڤيتوس كانت قد بدأت تنتشر مما أفزع كالڤن لدرجة أنه كان في حاجة إلى مراسلات يُرسلها في كل اتجاه ليحصل على دَمغ لآراء سيرڤيتوس قبل إحراقه . وفي 26 أكتوبر 1553 م قرر مجلس مدينة جنيف بالإجماع وبتحريض من كالڤن إحراق سيرڤيتوس حياً . وتقدم بعض أصدقائه منه وهو على المحرقة طالبا منه العدول عن آرائه في رفض التثليث ، ولكنه أبى . وهكذا تناقض البروتستنت مع أنفسهم . ووقعت الحركة الإصلاحية في الأخطاء نفسها التي وقع فيها أعداؤهم الكاثوليك . لقد كان الإصلاحيون البروتستنت ينظرون للمسألة الدينية من وجهة نظرٍ أساسية وهي أن العلاقة بين الإنسان وربه يجب أن تكون حرة ومباشرة إذ «يجب أن يكون الإنسان حراً ومسؤولاً مسئولية مباشرة أمام ربه وحده ودون وساطة من بشر» إلا أنهم بإحراقهم الجماعات المناهضة للتثليث يكونون قد تدخلوا بين الإنسان وربه .

ورغم أن الحركة الإصلاحية البروتستنتية كانت تعيب على الكنيسة الكاثوليكية عدم تسامحها وإجبارها الناس على معتقدات لا يريدونها واتخاذها أساليب العنف والإحراق ضد مخالفيها ، إلا أن البروتستنت أنفسهم كما رأينا سرعان ما اتخذوا الأساليب نفسها التي كانوا يمُجونها من قبل خاصة ضد الموحدين أو المناهضين للتثليث .

وقد لاحظ بعض الباحثين في مقارنة الأديان أن «نظرة الإسلام السني تشبه على نحو ما نظرة أتباع الحركة المناهضة للتثليث Unitari-anism .» ورغم أن سيرفيتوس كان واحداً من كثيرين قالوا بعدم التثليث ، إذ أن القائلين بهذه الأفكار كانوا يشكلون حركة - إلا أن شهرته واحتفاء المراجع به ترجع إلى أن الرجل لم يكن نكرة في عالم الدين والعلم . فهو عالم وطبيب ولاهوتي من أصل إسباني ودارس متعمق للقانون . لقد كان قمة من قمم العلم في القرن السادس عشر . ولا يخلو كتاب من كتب تاريخ العلوم من الإشارة إليه ، فقد ترجم كتاب الجغرافيا لبطليموس Ptolemy's Geography وهو أحد المكتشفين الكبار لتركيب الدم وحركة الدم في الرئة . the pulmonary circulation of the blood كما كان عالماً في مجال التشريح ووظائف الأعضاء ، ورغم إحراق سيرفيتوس فإن أفكاره لم تمت . فسرعان ما دافع عن أفكاره صديقه عالم النبات ليوناردفكس Leonard Fucks ولعل كون سيرفيتوس من أصل إسباني ، بالإضافة لإتهام أعدائه له بأنه تركي أو متأثراً بالترك ، لا يجعلنا نستبعد تأثيرات إسلامية على تفكيره كما لا نستبعد بالقدر نفسه أن تكون أفكاره هذه مستقاة من أصول إنجيلية صحيحة ، خاصة وأن وجهة النظر الإسلامية تشير من خلال القرآن الكريم إلى أن المسيحية في بدايتها كانت من أديان التوحيد الخالص .

والواقع أنه عندما أحرق أهل جنيف سيرفيتوس أحرقوا معه كل طبعات كتبه فيما عدا نسخا قليلة وتكفّلت محاكم التفتيش بإحراق النسخ التي كان بعض الناس يحتفظون بها لأنفسهم ، لهذا وجدنا المراجع تختلف اختلافاً شديداً فيما ذهب إليه سيرفيتوس .

ففي حين نجد بعض الباحثين يذكرون أن سيرفيتوس لم يجعل المسيح (عليه السلام) إلها ، وأنه قد وضعه في مرتبة أقل مما يضعه سائر المسيحيين ، نجد مراجع أخرى تذكر غير ذلك . إذ نجد أن مور Moore يذكر أن سيرفيتوس كان يعتقد أن المسيح نفسه هو الله ، ثم يعود الكاتب نفسه فيورد نصاً لاتينياً يستخلص منه أن سيرفيتوس قد وضع المسيح (عليه السلام) في مرتبة أقل ، ويذكر باحث آخر أن سيرفيتوس كان باختصار يُنكر قدسية المسيح .

ولسنا نجد تفسيراً لموقف الذين قالوا إن سيرفيتوس ذكر أن المسيح نفسه هو الله ، إلا أنهم بعد إحراق الرجل أرادوا أن يخففوا التهمة الموجهة إليه ، على اعتبار أن إنكار ألوهية المسيح ، هو أقصى درجات الكفر بالنسبة للمجتمع المسيحي ، سواء كان كاثوليكيا أم برتستنتيا . ولما كان سيرفيتوس أحد علماء عصره ، ومخافة أن يتأثر بأفكاره الدينية قوم آخرون ، لذا جرى تشويه هذه الآراء وتلك مسألة معروفة في التاريخ الكنسي خاصة ، وتاريخ الفكر عامة ، ولانعدم شبيها لهذا في تاريخ الفكر الإسلامي إذ كثيراً ما شوه أعداء الإسلام أفكار بعض مفكريه بعد مماتهم . على كل حال ، لقد كان ميلانشتون ، ساعد مارتن لوثر الأيمن ، قد كتب إلى كالفن ذاكرا أن سيرفيتوس يستحق كل عقاب ، وأنه - أي ميلانشتون - يوافق على أي عقاب ينزل به . والواقع أن كالفن لم يكن يُطيق المختلفين معه في الرأي ، فقد أجبر على سبيل المثال لاهوتيا آخر على مغادرة جنيف وهو كاستليو Sebastian Castellio فتركها له سنة

1544م . ومهما يكن من أمر فقد رفضت الكنائس الأوروبية اعتبار المناهضين للتثليث مسيحيين بينما اعتبروا هم أنفسهم المسيحيين الحقيقيين ، ورأى عدد كبير من المسيحيين وهو عدد ليس بالقليل أن المسيح مجرد شخص مميز ورفضت الكنائس الأوروبية الرسمية ذلك .

تبلور حركة المناداة بالتسامح الديني نتيجة اضطهاد المناهضين للتثليث :

يجمع الباحثون في تاريخ الأديان من الأوروبيين أن الاضطهاد الذي لاقاه المناهضون للتثليث من قبل الكاثوليك والبروتستنت على السواء هو الذي بلور المناداة بالتسامح الديني toleration ففي سنة 1551 م أعلن كاستيلو Sebastian Castellio أنه لا ينبغي أن تُرتكب الجرائم لفرض عقيدة ما فيجب أن تكون حرية الاعتقاد مكفولة لقد اهتز الضمير الأوروبي نتيجة إحراق سيرفيتوس ، وإحراق مسيحيين آخرين لا يدخلون تحت حصر بتهمة الهرطقة التي كانت تعني في المقام الأول إنكار التثليث . فرغم كلمات لوثر التي تنص على أنه : «لا يجب استخدام العنف ضد الهراطقة وإنما علينا أن نهديهم بكلمات الله ، فالهرطقة مسألة معنوية روحية لا يمكن أن نغسلها بنار الأرض ومائها» ورغم هذه الكلمات فقد تم إحراق مالا يقل عن عشرة آلاف مسيحي في قرن واحد تحت شعار العقيدة الحقة . رغم أن لوثر نفسه كان قد اتهم بالهرطقة . ورغم هذا فإن البروتستنت لم يأخذوا العبرة من ذلك فشاركوا في إحراق كثيرين من بينهم نساء بل وأسر كاملة حيث كان يساق للحرق كل من الزوج والزوجة والأبناء ، وأبدى بعض المحرقين تمسكا وشجاعة فقد ذهبت امرأة للمحرقة كأنما هي «ذاهبة لعرسها» وأحضروا زوجة رجل وأولاده بالقرب منه قبيل احتراقه ليعود عن معتقده فرفض حتى ولو جعلوا له «ملء الأرض ذهبا» على حد قوله .

وصرخ رجل وهو يحترق قائلا : «لقد أخفيتم حقيقة الإنجيل فترة طويلة» . وقد أورد براندت تفاصيل مُذهلة عن حفلات النار هذه استغرقت من كتابه ذي القطع الكبير حوالي 40 صفحة ، وكان يدخل من ضمن الهراطقة الذين أحرقوا أولئك الذين يعارضون «سلطة البابا والمناهضون لتعميد الأطفال» .

أوشيسنو :

ومن أقطاب الحركة المناهضة للتثليث برنارد أوشينو Bernard Ochino الذي حارب عقيدة التثليث بكل قواه على أساس أنه لم يجد لها سندا في الأصول الإنجيلية ، ومن الأمور التي قال إنه لم يجد لها في الأصول الإنجيلية سندا مسألة تحريم تعدد الزوجات . إذ قال : إنه مباح وإن العبارات الإنجيلية التي فهم خطأ منها المنع ، يجب أن تحمل على سبيل المجاز . وأن من فهم أن تعدد الزوجات ممنوع لا يفهم اللغتين اليونانية واللاتينية . ولقد اعتمد اوشينو في تفسيراته تلك على ترجمة كازيليو Casellio الإيطالية للإنجيل والتي رفضها كالفن .

وبطبيعة الحال فقد حارب كل من الكاثوليك والبروتستنت آراء أوشينو عن تعدد الزوجات كما حاربوا إنكاره لفكرة التثليث .

ولم يكن برنارد أوشينو شخصاً عادياً بعيداً عن علوم الدين المسيحي . وإنما كان من أكثر رجال الدين شهرة في عصره مشهوداً له «بطاقاته الروحية وبركاته» على حد قول مؤلف كتاب : «الإصلاح الكاثوليكي» بيير جانيل . وقد ترقى في السلك الكنسي إلى رتبة كاردينال سنة 1538م ولكنه سرعان ما فُتن بالبروتستنتيه فأعتنقها وظل فترة حائراً «بين العقيدة الصحيحة والهرطقة» . وكان له اتصالات بالحركة الإصلاحية الدينية في إنجلترا .

أما دافيد جوريس David Joris (1501 - 1556م) فقد ذكر في كتابه الموسوم باسم Wonder Book والصادر سنة 1542 م أنه لا يوجد إلا «إله واحد أحد Sole لا يُرى . وأنه لمن الحُمق أن نتصوره في ثلاثة أشخاص أو ثلاثة ذوات أو نتصوره على هيئة ثلاثية» .

لقد هاجر آلاف من معتنقي فكرة الإله الواحد من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا هروبا بعقيدتهم إلى إنجلترا خلال حكم هنري الثامن ، وكونوا كنائس أسموها كنائس الغرباء . وبهذه الهجرة دخلت الحركة في مرحلة أخرى ، إذ بدأت أفكارهم تتفاعل في شمال أوروبا وزاد من قوة الحركة دخول قسس معترف بهم من عامة المسيحيين فيها .

ففي 28 ديسمبر 1548 م طلع علينا القس الإنجليزي جون اشيتون John Assheton بقوله : «إن الروح القدس ليس هو الله وإنما هو قوة أسلها الله وإن عيسى المسيح الذي تلقته مريم العذراء هو نبي مرسل مبارك . ولكنه أبدا لا يمكن أن يكون الإله الحي» .

ولكن حظ المناهضين للتثليث في إنجلترا لم يكن أفضل من حظهم في سواها ، ففي إبريل 1548 م عينت لجنة لبحث أمور الهراطقة ، وقد مثل كثيرون من التجار وأصحاب الحرف أمام هذه الهيئة في شهر مايو من العام نفسه . وكانت التهمة الموجهة إليهم هي أنهم يقولون ولا تثليث وأن المسيح نبي وليس إلهًا البتة . وأن كل ما قدمه لنا المسيح هو أنه علمنا الطريق إلى السماء» وقد نفذت فيهم أحكام قضائية تصل إلى السجن مدى الحياة .

الحركة السوسينية :

ثم تمركز المناهضون للتثليث في بولندا خاصة منذ عام 1579م حيث كان لاستقرار سوسينوس Faustus Socinus الذي تحلق حوله الأتباع وعرف تفكيرهم في أوروبا بالتفكير السوسيني . وهو يعود في الأصل

إلى أسرة إيطالية هي أسرة Sozini . وقد ذكر سوسيني في كتبه التي نشرها أن المسيح لا يمكن أن يكون إلها على الحقيقة . وقد حوربت السوسينية بضراوة وتم إغلاق كليتهم التي افتتحوها في بولندا وأجبرهم الكاثوليك على الرحيل فتشتتوا . وفي إنجلترا كان يُحرم من الكنيسة كل من يعتنق هذه الأفكار كما صدر قرار بمنع جلب الكتب التي تحمل هذه الأفكار أو طبعها أو نشرها . هذا هو الموقف الرسمي من هذه الحركة في كل أنحاء أوروبا طوال القرن السادس عشر . وفي مطلع القرن السابع عشر للميلاد . وقد حاول سوسينوس التوفيق بين الفرق المتنازعة داخل الحركة المناهضة للتثليث ، وأهم أعمال سوسينوس والتي توضح فكرة ، كتابه : The Racovian Catechism الذي نشر سنة 1605م . وكانت راكو Rakow في بولندا هي مركز الحركة التي انتشرت انتشاراً كبيراً ، وأسس أصحابها مدرسة لهم ضمت في وقت من الأوقات ألف طالب ، كما أسسوا مطبعة وأنشأوا مجمعا كنسيا يحضره السوسينيون في بولندا وترنسلفانيا يُعقد سنوياً وفي القرن السابع عشر كان للحركة أتباع في ألمانيا نفسها ، وكانت جامعة ألتدروف Altdrof University مركزا لنشاطهم العلمي . ولكن منذ 1632 م نشط الكاثوليك في بولندا وأصبح لهم اليد العليا ، خاصة بعد أن تولى الحكم الملك جون كازيمير John Casimir سنة 1648 م ، وهو كاثوليكي يسوعي وكان كاردينالا في الوقت نفسه فأجهز على السوسينيين وألغى مؤسساتهم ، فهربوا إلى الأراضي المنخفضة وبروسيا . وفي سنة 1648م صدر تشريع برلماني في إنجلترا باعتبار أفكار السوسينيين جريمة كبرى ولم يعتبر مؤرخو الكنيسة الإنجليزية كنائس الحركات المناهضة للتثليث ضمن الكنائس الإنجليزية ولا حتى الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الإنجليزية . أي أنهم لم يعتبروهم مسيحيين على الإطلاق .

ويرجع بعض الباحثين أصول هذه الحركة للنهضة في إيطاليا ممثلة في إحياء التراث والعودة إلى المصادر والمنابع الأولى . ويوجز واحد من الباحثين في تاريخ الأديان الخطوط العامة لتفكير السوسينيين فيقول : إنهم يعتقدون أن المسيح (عليه السلام) إنسان مميز وغير عادي أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وهو نبي قدم لنا المعاني الحقيقية للتشريع والحياة الموعودة ، وهم يؤمنون بمبدأ حرية الإرادة البشرية .

ورغم انحسار المد السوسيني نتيجة التشريعات المناهضة لهم ، وحل مؤسساتهم إلا أن بعض الباحثين يذكر أنهم كانوا يعقدون اجتماعات على نحو سري ، والتحق عدد منهم بالكنائس الكلفنية وراحوا يبثون عقائدهم سراً وبحذر شديد .

ورغم قمع هذه الحركة فقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية تخشى من انتشار أفكارها ، لذلك بدأ النص على فكرة التثليث بعد ذلك في أسماء التجمعات الكنسية وركزت الجهود الكنسية نشاطها بين المسيحيين التابعين للدولة العثمانية . وظل هذا واضحا حتى القرن الثامن عشر ، بل والقرن التاسع عشر . ففي سنة 1807م تم إنشاء كاتدرائية الثالوث الأقدس Holy Trimity Catbedral وكان فونتو Baitista Fonto Giovanni يتخذ من اسطنبول مقراً دائماً ويعمل بحرية شبه كاملة بين كاثوليك الدولة العثمانية .

ورغم كل هذه الاحتياطات التي اتخذتها كنائس أوروبا ضد الأفكار السوسينية ، فإنها لم تندثر ، فقد اعتنق المفكرون الإنجليز : جون بدل (1616 - 1662 م) وجون لوك (1632 - 1704م) وبرستلي (1733 - 1804م) وبلشام (1750- 1829م)(64) أفكاراً لا تبتعد كثيراً عن أفكار السوسينية .

وإذا كانت حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر ورفاقه في القرن السادس عشر ، كانت فيما يرى لامبرت امتداداً لما كان يسمى بحركات الهرطقة في العصور الوسطى ، فهل يمكننا القول إن الحركة المناهضة للتثليث ستتمخض عن حركة إصلاح جديدة في المسيحية؟ هذا ما ستبديه الأيام .

لقد كان القرن السادس عشر هو قرن تفجّر الصراعات الدينية في أوروبا ، لذا كان من الطبيعي أن تظهر الحركة المناهضة للتثليث بمثل هذه القوة في هذا القرن بالذات ، رغم وجود جذور لها في المسيحية . فالإسلام يقدم المسيحية من خلال القرآن الكريم على أنها ديانة توحيد ، وأن ما اعتراها من فساد كان نتيجة الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليبتغوا به ثمنا قليلا . كما شهد تاريخ المسيحية الباكر خلافات مذهبية حادة حول طبيعة المسيح عليه السلام ، لا تزال أصداؤها حتى اليوم ، ولعل أشهر هذه الخلافات الأولى تلك التي كانت بين آريوس وأثناسيوس ، لكننا بصدد بحث تاريخي في المقام الأول . كما أن تفاصيل ما حدث في القرون الأولى للمسيحية تخرج عن نطاق هذا البحث .

فإذا ما عدنا للتحليل الاجتماعي للبيئة الأوروبية لمعرفة مبررات ظهور هذه الحركة المناهضة للتثليث ، بمثل هذا التجلي والوضوح في هذا القرن بالذات ، فإننا نجد عدة عوامل قد تقدم لنا بعض التفسير لذلك :

أولاً : أن النهضة الأوروبية كانت – في كثير من جوانبها – مراجعة للأفكار التي كانت مألوفة وسائدة في مختلف مجالات الحياة ، فقد تأكد الأوروبيون على سبيل المثال من كروية الأرض بعد تمام رحلة ماجلان 1522م . وكانت هذه الفكرة تحاربها الكنيسة الكاثوليكية ، وثبت

أن الأرض هي التي تدور حول نفسها فينشأ عن دورانها الليل والنهار ، وما هكذا كانت تقول الكنيسة . كل هذا ومثله كثير جعل الأوروبيين يُعيدون التفكير في أمور كانت تبدو في وقت من الأوقات في حكم المسلمات . ولم يكن الإنجيل استثناء من هذه القاعدة ، فقد وجدنا إرازم كما أشرنا في هذا البحث يعود للنسخ الإنجيلية القديمة غير مكتف بالنسخة التي اعتمدتها الكنيسة ، ووجدنا ترجمات جديدة للإنجيل كثر عددها وفهم منها مارتن لوثر على سبيل المثال في مرحلة من مراحل تفكيره تحريم الربا ، وفهم منها أوشينو جواز تعدد الزوجات . فلم يكن بدعا إذن أن يظهر من يفهموا منها خرافة التثليث : وقد أفاضت الكتب الأجنبية والعربية التي تناولت تاريخ أوروبا الحديث منذ عصر النهضة في الحديث عن التحرر الفكري وانتشار مبدأ «أفكر لأعتقد» ، وليس العكس بمعنى أعتقد لأفكر ، وظهور حركة إحياء العلوم وتطور الروح الفردية وما إلى ذلك . كل هذا وغيره هيأ ومهد لظهور حركات إصلاحية دينية . وإذا كان الأوروبيون ينظرون لحركة لوثر كحركة إصلاح ديني ، وإلى الحركة المناهضة للتثليث كحركة دينية يصفونها بالكفر والهرطقة ويضعونها في مكان أقل أهمية من الناحية الدينية فمن السخرية أن ننظر نحن المسلمين لهذه الحركة نظرتهم نفسها إليها .

ثانيًا : أنه منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، والقارة الأوروبية كلها عُرضة لتأثيرات إسلامية واضحة ، في مختلف المجالات لم تحظ بدراسة كافية ، فقد وجدنا لورد أكتون يقرر بوضوح أن التاريخ الأوروبي الحديث يبدأ تحت مطارق العثمانيين . وقد أظهرت الوثائق الأوروبية التي راجع الكثير منها بعض الباحثين الأوروبيين أن كثيراً من المناطق الأوروبية كانت تستنجد بالعثمانيين . إذ كان يطلب أهلها بأنفسهم الفتح العثماني تخلصنا من حكم مسيحيين يخالفونهم في

المذهب ، أو مسيحيين يسومونهم سوء العذاب ، فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أهل كريت توسلوا إلى العثمانيين لفتح ديارهم ، كما يؤكد ذلك الباحث الغربي كولز . كما نظر أهل المورة للعثمانيين كمخلصين ، بعد أن سئموا سيطرة البنادقة الكاثوليك . وقد كان وصول العثمانيين لساحل دلماشيا واستقرارهم فيه منذ القرن الخامس عشر ، حدثا جللا أثر على سائر أنحاء أوروبا .

وكانت أوروبا كلها منذ منتصف القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السابع عشر ، وربما بعد ذلك تتابع الصراع بين المسلمين والكاثوليك ، في البحر المتوسط خاصة ، مع اختلاف وجهات نظرهم إزاء هذا الصراع بطبيعة الحال . فبينما كان عدد من البروتستنت (بعد ظهور البروتستنتنية) يرى في إسبانيا الكاثوليكية حامية للمسيحية بمذاهبها المختلفة ، أو على الأقل لا يتمنى هزيمتها أمام العثمانيين ، ومجاهدي البحر المتوسط . كان هناك عدد آخر من البروتستنت يرى في الصراع بين المسلمين والكاثوليك الإسبان ، صراعا بين شيطانين ، ويتمنى أن يذهب كلاهما - المسلمون والكاثوليك - إلى حيث لا عودة وفي وقت من الأوقات كان البروتستنت يجدون في مناطق أوروبا الشرقية الخاضعة للعثمانيين ملجأ وملاذا لهم هروبا من الاضطهاد الديني .

فإذا ما تركنا شرق أوروبا وانتقلنا إلى غربها ، وجدنا حقائق أخرى مذهلة ، أثبتتها الوثائق التي كشف عنها الباحثون الغربيون ، وهي أن الشعب الإسباني كان معارضا لإخراج المسلمين بعد سقوط غرناطة ، وأن أصحاب الأراضي والأعمال ظلوا متمسكين بالعاملين المسلمين لديهم ، حتى مطلع القرن السابع عشر ، وأن طرد المسلمين كان عملا كنسياً خالصاً ، وأن الشعب الإسباني كان متعاطفا فقط مع إخراج اليهود لاشتغالهم بالربا وامتصاصهم دماء الشعب الإسباني . ويهمنا في

هذا الصدد أن عدداً كبيراً من المسلمين الإسبان قد خرجوا عبر البرانس إلى الأراضي الفرنسية ولاقوا في سفرهم هذا نصبا ، وقد تمركزوا في سواحل فرنسا الجنوبية حيث رحلوا بعد ذلك إلى الشمال الإفريقي ، وانضم عدد كبير منهم إلى حركة مجاهدي البحر المتوسط .

أبقي بعد هذا شك في أن أوروبا في مطلع العصور الحديثة لابد أن تكون قد تأثرت بالفكر الإسلامي ، أو على الأقل اطلعت عليه ، بشكل أكثر وضوحا؟ فقد غدا الإسلام بالنسبة لأوروبا بعد سقوط القسطنطينية وتمركز المسلمين في شرق أوروبا ، أقرب إليها من حبل الوريد ، كما أن طبيعة العصر أتاحت لأكبر عدد ممكن من الباحثين والمثقفين ، بل والناس العاديين ، معرفة أمور عن الإسلام ، ما كانت لتتاح لهم معرفتها قبل ذلك . كل هذا يجعلنا لا نستبعد وجود تأثيرات إسلامية على الحركات الإصلاحية الدينية الأوروبية عامة ، والحركة الأوروبية المناهضة للتثليث خاصة .

بقي القول أن أحد الباحثين العرب المتخصصين في تاريخ أوروبا الحديث ، قد أشار إلى وجوب أن يكتب التاريخ الأوروبي الحديث من وجهة نظر إسلامية عربية تماما كما يكتب الأوروبيون تاريخنا الإسلامي من وجهة نظرهم . فمن غير المنطقي أن نسمي بالهرطقة ما يسمونه هرطقة ففي هذا تبعية ، وبُعد عن الأصالة . ولو أخذنا بهذا المنطق ، لباركنا حركة الاستعمار لأنهم يباركونها ، ولأسمينا المسلمين الأوروبيين كفرة لأنهم يسمونهم كذلك ، فهذا البحث رغم تواضعه دعوة للأصالة في كتابة التاريخ)) .

❊ ❊ ❊

والآن إذا كان المسيحيون المناهضون للتثليث بهذه الكثرة فلم لا يكون واحد منهم هو المقصود بإنسان الخطية الذي أشارت له النبوءات

في العهدين القديم الجديد فيما تقول تفسيرات بـوش؟ لـم محمـد ﷺ دون كل هـؤلاء؟ إن مسيحيين كثيرين لا يؤمنون بألوهية المسيح أيها الموقّر بوش ، بل إن مـواطنك العظيم ول ديوارانت مـؤلف قـصـة الحضـارة يقول في المجلد الذي يتناول فيه (عـصـر نابليـون) بأن فكرة التثليث «غير راسخة» في الضمير الأوربي بل وبدأت تهتز «منذ فترة طويلة» لماذا لا يكون واحد من هؤلاء هو المقصود «بإنسان الخطية» لمـاذا محمـد ﷺ بالـذات؟ ألم يذكـر ابـن بلدك ول ديورانت إن الفرنسيين وضعوا شعارا لهم «حرية ، إخاء مساواة» ليحل محل عبارة التثليث «الآب والابن والروح القـدس» ليصبح ثالوثهم الجديد «حرية وإخـاء ومساواة»؟ ألم يذكر أنهم حرفوا الأناجيل وبالوا عليها إمعانـا في انكـار التثليث؟ فلم لا يكون واحد منهم هو ابن الخطيّـة؟ لم وضع البعض عينيه على محمد ﷺ مع أنه لم يهاجم التثليث عشر معشار ما هاجمه المسيـحيـون؟ ولولا الخوف من أن تطول هـذه الدراسة أكثر من اللازم لأوردتُ لك نقولا كثيرة عن قصة الحضارة (عصر نابليون) لكنني متأكد من الذين تابعوا أخبار الكتب التي تحـويها مكتبـة چورج بوش الابن الرئيس الحالي للولايات المتحدة أن من بينها كتاب ول ديورانت . ومن بينهـا الكتاب الذي نترجمه الآن ، لذا فلا داعي لكثرة النقول فليرجع الرئيس بنفسه إلى كتاب قصة الحضارة (عـصـر نابليـون) أما بالنسبة للقارئ العربي فإني أذكر له أن عصر نابليون وهو المجلدات الأخيرة من قصة الحضارة لول ديورانت قد ترجم إلى اللغة العربية مؤخراً ونشره المجمع الثقافي بأبي ظبي ، وهو أحد منائرنا الثقافية .(*)

لستَ إذن إنسان الخطية يا حبيبي يا رسول الله صلى الله عليك وسلّم .

❊ ❊ ❊

(*) قام بترجمة هذا الكتاب الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ .

النسخ في القرآن الكريم، هل هو دليل على الادعاء وتذبذب الشريعة الاسلامية؟

يقول بوش إن فكرة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم خيرُ دليل على الادّعاء وتغيير الأحكام على وفق الأهواء . والواقع أن النبيﷺ لم يْحذف الآية المنسوخة ولا الآية الناسخة وإنما بقيت الآيتان ، ولو كُنّا إزاء مدّعٍ لحذف الآية المنسوخة . فالآيات كلها موجودة لم يحذفها ، ولم يحذفها خلفاؤه . وإني لأعجب من إنكار فكرة الناسخ والمنسوخ خاصّة إذا كان ناقدها من المؤمنين بالمنظور التطوّري للحضارة والتاريخ .

لقد منعتُ أحد أولادي من الخروج من المنزل للذهاب إلى مكان بعيد وهو في المرحلة الابتدائية ، ثم سمحت له بذلك شيئًا ما وهو في المرحلة الاعدادية . . وأبحت له حرية الحركة تماما عندما أصبح في الجامعة . وأظنه سيكون سفيها لو قال لي إنني غيرّت الأحكام وأنني متذبذب مدّع .

ومنعني الطبيب من تناول أطعمة بعينها عندما كنت مريضاً ، ثم إنني راجعته فقال لي أنه يمكنني تناولها الآن . أظنني سأكون سفيها إن قلتُ له إنه يُغير أحكامه تعنّتا ، وأنه «ينسخ» مرةً ما أقره قبل ذلك .

ولم يكتف القرآن الكريم بنسخ أحكام أثبتها في آياته مع الإبقاء على الآيتين الناسخة والمنسوخة ، وإنما نسخ كثيراً من أحكام التوراة والانجيل كما سيرى القارئ في الصفحات التالية ، كما نسخت التوراة كثيراً من أحكامها ، ونسخ الانجيل كثيراً من أحكام التوراة كما سيرى القارئ في الصفحات التالية .

وفي الأحاديث النبوية أيضا ناسخ ومنسوخ ، لذا فليس من الضروري أن يتشبّث أنصاف المتعلمين بحديث واحد ليُفتي بحكم

شرعي ، فربما كانت هناك أحاديث أخرى نسخته فهناك أحاديث نبوية كثيرة تحرّم لبس الذهب على الرجال والنساء ، وهناك أحاديث أخرى تحرِّم لبس الذهب على الرجال دون النساء ، وقد ذهب الفقهاء إلى أن مجموعة الأحادبث الأخيرة نسخت مجموعة الأحاديث الأولى . ولا شك عندي أن الأحاديث التي تحث على النظافة وتجعلها من الإيمان قد نسخت أحاديث أخرى - إن صحت نسبتها لرسول الله ﷺ - متعلقة بالذباب والبراغيث . . .الخ .

نكتفي بهذا الاستطراد عن الناسخ والمنسوخ لنعود إلى سياق بحثنا المرتبط بكتابنا هذا لنورد هنا نصوصا منقولة نقلا حرفيا من العهدين القديم والجديد تؤكد وجود النسخ فيهما ، وقد أوردنا قرين كل فقرة نقلناها رقمها في الطبعة التي أعتمدنا عليها سواء في سفر الشريعة (اللاويين) أو في انجيل متى أو في غيرهما :

- في انجيل متّى « . . .إن مات أحدٌ وليس له أولاد يتزوّج أخوه بامرأته ويقيم نسلاً لأخيه» الاصحاح 22/ الفقرة 24 . هل العلم يقول هذا؟ أم أن الاخوة المسيحيين علموا أن هذا باطل فنسخوه بأنفسهم ، وهل يمكننا القول أن العقلاء منهم علموا بالتوجيه القرآني الذي أكد أن «أدعياءنا» ليسوا أبناءنا ، فامتثلوا للنسخ القرآني لما ورد في انجيل متى . هل يلتزم أي بوش من البوشات بهذه الفقرة في انجيل متى .إن هذا النسخ يجعلني أهتف : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله .

- ولنرجع إلى سفر اللاّويين وهو سفر الشريعة في العهد القديم لنرى هل فيه نسخ أم لا . التقرب لله بتقديم الأضحيات من البهائم من البقر والغنم بذبحها ورش دمها على المذبح ، ثم تقطع البهيمة ثم يوقد الكاهن ناراً ويحرق به اللحم سروراً للرب . لم يُبطل الإسلام الأضاحي لكنه نسخ حرقها ، وأمر بتوزيع لحومها على الفقراء والمساكين بل

وجعل أصحابها يأكلون منها . وقد أخذ السيد بوش ونسله ونسل نسله بهذا النسخ الإسلامي . أليس من الأفضل تقديم فائض اللحوم إعانة للدول الفقيرة أم ترى أن حرقه ليتشمم الرب رائحته أجدى ، مع العلم أن الله سبحانه في غنى عن لحومكم وما يتصاعد منها؟! وعلى كل حال فإن الدول المسيحية الثرية تحرق اللحوم أحياناً بل وتلقى الحبوب والبن في البحر أحياناً أخرى حتى لا يتدنّى سعرها في السوق ، وهي إذ تفعل ذلك تحتسبه قربانًا للرب . إن القوم أحيانا يبررون جشعهم وفجرهم بشريعة الرّب! إن هذا النسخ يجعلني أسبّح الله وأصلي وأسلم على محمد ﷺ .

- حتى القرابين إن كانت من قمح أو حبوب أخرى أو دقيق أو مخبوز أو فطير ، فإن الكاهن يحرقها ويوقد على المذبح ليكون رائحة سرور للرب (سفر اللاويين الاصحاح الثاني) ، وقد نسخ الإسلام هذا بأن جعل زكاة للفطر من الحبوب أو من غالب طعام البلد الذي تقدم الزكاة فيه وجعل زكاة للمال يجد القارئ تفاصيلها في كتب الفقه ، لتقدم للفقراء والمساكين والمحتاجين إليها وهم إذ يقدمونها لهم إنما يقدمونها لله ، فالله غير محتاج لحرقها «رائحة سرور» له . ما أروع هذا النسخ . إني أشهد أن هذا النسخ لا ينزل إلاّ من عادل رحيم .

- ولحوم الأرانب محرمه في سفر الشريعة في العهد القديم لأن لحومها نجسه ، وكذلك الخنازير (11/ 6) لكن المسيحيين يأكلونها ، فمن الذي نسخ لهم هذا الحكم .

- والربيان (الجنبري) وكل ما ليس له زعانف وحَرْشَف محرّم لكنني أعلم أن كل المسيحيين يأكلون الجنبري ، وأرى المسيحيين يشترون سمك القرموط مع أنه ليس له حَرْشف . فمن الذي نسخ ذلك لهم؟! (11/ 9-10) .

- وفي سفر الشريعة في العهد القديم نقرأ أيضاً : «إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام . . ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها . ولا تمس كلّ شيء مُقدّس ولا تجيء إلى المقدس حتى تكمل أيام تطهيرها . وإن ولدت أنثى تكون نجسه أسبوعين . . ثم تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها . .» (12/1-7) . وربما كان اليهود يأخذون بهذا إلى اليوم ، لكن من الذي نسخ هذا وعدّله للمسيحيين الذين لا يفرقون بين من ولدت ذكرا ومن ولدت أنثى .

- وسفر التكوين نفسه فيه نسخ أحكام فهو يحدثنا في الاصحاح 19 عن علاقة جنسية بين لوط وابنتيه وفي السفر 18 يحدثنا عن حرمة العلاقة الجنسية بين الابنة وأبيها ويضيف محرّمات أخرى أكّدها القرآن الكريم بعد ذلك ، ولنورد النصين :

النص الأول عن علاقة ابنتي لوط الجنسية بأبيهما :

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه . فنحبي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحبي من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي . وهو أبوبني عمون إلى اليوم» .

والنص منقول عن طبعة الكتاب المقدس ، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط . وقد كتب على صفحة العنوان «قد ترجم عن اللغات الأصلية» .

أما النص الثاني الناسخ للنص الأول والذي يحرم هذه العلاقة ففي سفر الشريعة (اللاويين) 6 – 30 :

«لا يقارب إنسان جسد من هو من لحمه ودمه ليعاشره . أنا الرب لا تتزوج فتاة أباها . ولا ابن أمه إنها أمك فلا تكشف عورتها لا تتزوج امرأة أبيك لأنها زوجة أبيك . لا تتزوج أختك بنت أبيك ، أو بنت أمك ، سواء ولدت في البيت أم بعيداً عنه ولا تكشف عورتها . لا تتزوج ابنة ابنك أو ابنة ابنتك ، ولا تكشف عورتها لأنها عورتك لا تتزوج بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك ، ولا تكشف عورتها لأنها أختك . لا تتزوج أخت أبيك . إنها عمتك . لا تتزوج أخت أمك . إنها خالتك . لا تتزوج فتاة عمها ، ولا تعاشر زوجة عمك . إنها عمتك لا تتزوج كنتك فإنها امرأة ابنك ، ولا تكشف عورتها . لا تتزوج امرأة أخيك . فإنها عورة أخيك . لا تتزوج امرأة وابنتها ، ولا تتزوج معها ابنة أبيها أو ابنة بنتها ، لأنهما قريبتاها ، وإن فعلت ترتكب رذيلة . لا تتزوج امرأة على أختها لتكون ضرة معها في أثناء حياة زوجتك . لا تعاشر امرأة وهي في نجاسة حيضها ، ولا تقارب امرأة صاحبك فتعاشرها وتتنجس بها لا تجز أحد أبنائك في النار قربانا للوثن مولك . لئلا تدنس اسم إلهك أنا الرب لا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة إنها رجاسة ، ولا تعاشر بهيمة فتتنجس بها ، ولا تقف امرأة أمام بهيمة ذكر لتضاجعها إنه فاحشة» .

وقد نقلنا النص من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس وكتب على صفحة عنوانه : «ترجم إلى العربية بلغة معاصرة» .

«لا تـزرع حـقلك صنفين» ١٩/ ١٩ أي لا تزرع خـيـارا وطـمـاطـم فـي جـبـل واحـد أو شعـيـرا وأعنابا . . . الخ . هل المسـيـحـيـون الآن يلتزمون بهذا؟ من نسخ لهم الحكم .

يكفي هذا لـلدلالة على أن النسخ مـوجـود في الأديان كلهـا وليس مـقتصرا على الإسـلام ، أكـان يريد بوش أن يحـرّم الإسلامُ الخمر دفـعـةً واحـدة عند بداية ظهـوره في وسط قـوم طالما تغنّوا بالمدام أم أن الحكمـة تقتضي أن يتم ذلك على مراحل . وهناك من يـقول إن محـمداً ﷺ تزوّج السيـدة خديجة على وفق الشـرع المسيحي بدليـل أن القس ورقة بن نوفل قـريب خـديجة رضي الله عـنهـا كـان هو شـاهد العـقـد ، لذا لـم يتـزوج الرسـول ﷺ زوجة غيـرها طوال حيـاتهـا على وفق النص الانجيلي الذي يحـرّم تعـدد الزوجـات ، وأنه ﷺ لم يُعـدد الزوجـات إلاّ بعـد أن بُعـث نبـيـاً ، وبذلـك نسـخ عـمليـا ما ورد في المسيـحـيـة من تحـريم لتـعـدّد الزوجـات . وليس هناك في هذه الرواية أية إسـاءة لنبـينا عليـه الصـلاة والسـلام فأن يتزوج السيـدة خديجة رضي الله عـنها قـبل ظهور الإسـلام على وفق تقاليـد أهل الكتاب أكرم وأكـثر مدعاة للـفـخر مما لو تزوّج على عـادة عبّاد اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى وبمباركـة أحد سـدنتهـا . وكـونه التزم بالشـرع الذي عـقد زواجـه على وفق مـقـتضاه فـإن هذا دليل على صدقه والتزامه بالعهد ، وكونُه عدد الزوجـات بعد ذلك ، فهذا لأن الدين الجـديد (الإسلام) نسخ مـا سبق . وقـد تناولت كـتب كـثيـرة مسـألة زوجـات النبي وأفـاضت في أن الرسـول عـدّد زوجاته لا لمجـرد الاسـتمـتـاع وإنما لأسـبـاب أخرى كـثيـرة ، فليرجع إلى هذا الكـتب من يشـاء ، كـما أن الإسـلام قـيّـد التعـدد بإمكانيـة العـدل بينهن مؤكـدا في الوقـت نفسه عـدم استطاعـة المرء العـدل بين النسـاء حـتى لو أراد . هذه مـسـائل سـبـقني في

الكتابة فيها كثيرون فلا داعي لتكراره هنا . المهم أن النسخ في القرآن الكريم يزيد إيماني بأنه لا إله إلاّ الله وأن محمدّا رسول الله .

وكما أن القرآن الكريم نسخ أحكاما سبقت في الكتب السابقة عليه ، فقد اتّفق معها في الكثير ، بل ان ما اتفق معها فيه أكثر مما اختلف ، ولا غرو فالقرآن يصف التوراة والانجيل بأنَّ فيهما هدى ونور ، ونورد في الفقرات التالية ما يؤكد هذا ، وهو اتفاق يؤكد إسلامنا ولا يزعزعه تماما كما أن النسخ يؤكد إيماننا ولا يزعزعه إننا في الحالتين نهتف من الأعماق : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله :

- «خمرا ومسكرا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع . . .» 10/ 8
- «تكون المرأة في أيام طمث علتها نجسه» 12/ 1

وقد عبر القرآن عن هذا تعبيرا أكثر كياسة ودماثة«ولا تقربوا النساء في المحيض» .

- «ولا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة» 18/ 22
- «لا تلتفتوا إلى الجان . . فتتنجسوا» 19/ 31

والقرآن الكريم أيضا يأمرنا ألا نعوذ بالجن فيزيدوننا رهقا .

- «وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه . . لا ترتكبوا جورا في القضاء ولا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل . . .» 19/ 33 - 37 .
- «لا تصنعوا لكم أصناما ولا تقيموا لكم تماثيل منحوته أو أنصابا مقدّسة ولا ترفعوا حجرا مصورّا في أرضكم لتسجدوا له ، لأني أنا الرب إلهكم» 26/ 1 .

وغير هذا كثير جداً ، لكننا نكتفي بهذا حتى لا تطول هذه المقدمة (الدراسة) أكثر مما هو مقدّر لها .

❊ ❊ ❊

النبـي المحـارب

نفهم من سياق هذا الكتاب أن الله سبحانه وتعالى أرسل موسى عليه السلام بالبيّنات والمعجزات الباهرة . ومع هذا ضلّ الناس عن الدين الصحيح ، فأرسل لهم يسوع المسيح برسالة عظيمة ، أساءت الكنائس الشرقية بل والكاثوليكية فهمها وانحرفت بها عن سواء السبيل وانغمس رجال هذه الكنائس - على حد تعبير بوش - في المفاسد والضلال ، فأراد الله سبحانه أن يؤدّبها بإغراقها في الضلال ، وتلك إحدى طرق الله في العقاب على حد تعبير بوش ، الذي يؤمن - حسب طريقته - بالقضاء والقدر خيره وشرّه من الله سبحانه ، فأرسل لهم نبيا أو رسولا محاربا ليؤدبهم بسيفه وحربته وخَيْله ورجْله ، وأي تأديب! وهو يعني بهذا النبي المحارب الذي يجده مكتوبا عنده في التوراة والانجيل سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، لقد سمح الله بظهور هذا النبي بل إنه هو الذي أرسله لكن باعتباره شرا ابتلى به الكنائس المسيحية الضالة ، أليس القضاء والقدر خيره وشره من الله . محمد - إذن - شر أو أداة عقاب أرسله الله لتفيق الكنائس الضالة ، فإذا ما أفاقت - فيما يرى بوش - انحسر الإسلام وعاد الجميع إلى حضن كنيسة المسيح على المذهب الصحيح . الذي هو مذهبه . فالمؤلف عندما يصف النبي ﷺ في كتابه بأنه دَعي وأن وحيه مُدَّعى ، يقصد - مع هذا - أنه تحقيق لإرادة الله سبحانه الذي يزيد الضالين ضلالا ويعذّبهم بأيدي بشر أرسلهم لتحقيق هذا الغرض ، فالكنائس الشرقية والكاثوليكية تستحق هذا .

ويفيض المؤلف فيما وصلت إليه الكنائس المسيحية من فساد قبل ظهور الإسلام مما لا مجال لتكراره هنا ، ومما تزخر به كتب التاريخ الأوربي خاصة .

هذا ما ذكره المؤلف عن نبينا . لكن الحقيقة أن كلّ غزوات النبي كانت دفاعيّة أو ثأرية ، لقد اضطر النبي لترك بلده مكّة المكرمة بعد أن تآمر عليه مشركوها فكانت غزوة بدر لتعويض ما فقده المسلمون ، أما غزوة أحد فقد كانت جيوش المشركين هي المهاجمة ، والحال نفسه في غزوة الخندق التي تسمى بغزوة الأحزاب ، ولم يفتح الرسول مكة المكرمة فتح منتقم مُتشفٍ قاتل . . كل هذا معروف مطروق يجده كل متصفح لكتب السيرة النبوية ولا نجد له وجه مقارنة مع ما فعلته جيوش اليهود ضد الكنعانيين . أما فيما يتعلق بتحول مسيحيي شبه الجزيرة العربية والشام والعراق إلى الإسلام فلم يكن هذا أبداً بحدالسيف ، وإنما هم الذين رحبوا بالفتح الإسلامي ، ولنترك هنا الحديث لكاتب مسيحي يحدّثنا عن المسيحيين أو النصارى وخلفية اعتناقهم الإسلام . إنه الباحث ج .م .في Fiey الذي كتب مقالا عن النصارى في دائرة المعارف الإسلامية :

«النصارى» أو «النصْران» جمع نصراني إلاّ أنّ الأخيرة «نصران» تُعد من قبيل الجمع النادر ، وقد وردت كلمة نصارى - وهي الكلمة التي يُشار بها في العالم العربي للمسيحيين . . في القرآن الكريم خمسة عشرة مرّة ، ويرى معظم المفسِّرين والجغرافيين والمعجميين العرب أنّ الكلمةَ اسم منسوب لمدينة النَّاصرة Nazareth ، وممن تعرَّضوا لأصل الكلمة المستشرق جفري J.Jeffery في كتابه عن الكلمات الأجنبية في القرآن الكريم The foreign Vocabulary of the Quran (بارودا Baroda 1938 ، ترجم 280 - 281) .

وترجع هذه الكلمة (النصارى) إلى الاسم الذي أطلقه اليهود على المسيح عليه السلام وهو يسوع الناصري ، ومن ثمَّ سمَّي اليهودُ أيضا العقيدة التي يدعو إليها بالعقيدة الناصرية ، وهذا واضح من الفقرة رقم

5 من الاصحاح رقم 24 من أعمال الرسل (. . فإننا إذ وجدنا هذا الرجل مُفسدا ومهيِّج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقْدام شيعه الناصريِّين ، وقد شرع أن يُنجس الهيكل . . .) وقد وُصف القَديس بول في السياق نفسه بأنه مقدام (أي قائد) الناصرين (المسيحيين) . فاسم النصارى أو الناصرين - إذن - هو أقدم اسم أطلق على المسيحيين ، ويشهد بصحة هذا أن اللغة الآرمنية القديمة مازالت محتفظة به ، ومازال هذا الاسم مُستخدما في لهجة المالايالم Malayalam مع تحريف قليل ، فالكلمة الدالة على المسيحيين في هذه اللهجة هي Nrzrmnikal وقد أطلقت على القديس توما الذي بَشَّر في جنوب الهند .

وقد حافظ القرآن (الكريم) على هذا المصطلح الأصلي (نصارى) والذي يسبق مصطلح (المسيحيين) الذي ظهر - للمرة الأولى - في أنطاكية في حوالي سنة 50 بعد الميلاد كما هو واضح من الإصحاح الحادي عشر من أعمال الرسل ، فقرة 26 (. . ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا) . حقيقة إننا نجد في المصادر اللاحقة للفترة التي يُطلق عليها في التاريخ المسيحي فترة ما بعد الرسل Apostolic era (قبل الإسلام) قد جرى التفرقة بين مصطلحي (النصارى) و(المسيحين) إذ أن لفظ النصارى كان يُطلق - فقط - على اليهود الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام ولكنهم مع ذلك ظلوا متمسكين بمختلف الشرائع اليهودية ، وظلوا متمسكين بجوانب العقيدة اليهودية الأخرى . وذلك فيما يقول تيودور بارقوني Theodore bar Kuni في فترة متأخرة في حوالي سنة 800 بعد الميلاد .

وتؤكد المصادر الايرانية هذا التمييز بين مصطلح (النصارى) و(المسيحين) كما هو واضح في نقش كارتير Kartir في بخش رستم الذي يعود لحوالي سنة 286م . وأكدت - أيضًا - المصادر اليونانية ذلك

(انظر على سبيل المثال ما كتبه ماجنن J.M. Magnin في دورية Preche Orient Chre'tien ، القدس ، 1973 - 1978) ، ولاتنكر المصادر السريانية هذا التمييز .

لكن المصطلح «نصارى» لم يرتبط في القرآن الكريم - فيما يبدو - بطائفة اليهود المتنصرين الآنف ذكرهم Judaeco - christians ، وإنما المسألة لا تعدو استخداما للفظ قديم ظل حيا على ألسن اليهود الذين كانوا يُطلقون على المسيح عليه السلام اسم الناصري ، وكان اليهود أكثر عددا من المسيحيين في منطقة مكة (المكرمة) والمدينة (المنوّرة) (انظر الموسوعة اليهودية Encyclpedia judaica ، القدس ، الطبعة الرابعة ، 1978 ، جزء 12 ، عمود 1521) وقد حدث أن استُخدم لفظ «النصارى» للعن المسيحيين في الصلوات الرسمية التي يؤديها اليهود في معابدهم (التفلا Tephilla) وقد عَدّل جمليل الثاني Gamaliel في صيغ هذه اللعنات في نهاية القرن الأول للميلاد J.Bonsirven, Le judaism pales- tinien au temps de Jesu christ, 11, Beauchesne, 1935, 146 .

ولقد أدَّى تأثير بعض الجماعات التي تُوصف بأنها «نصارى» (على حياة محمد ﷺ) إلى القول بأن القرآن (الكريم) دعوة نصرانية ، وأخيراً ظهر (القرآن دعوة نصرانية) هو عنوان لكتاب ألفه الأستاذ حداد ونشر سنة 1969 لكن أيّا من النتائج التي وصل إليها لا يمكن الخروج بها من الاستخدام القرآني لكلمة نصارى ، فالكلمة في القرآن الكريم تعني المسيحيين بشكل عام الموصوفين في كتب الملل والنحل باعتبارهم أقساما ثلاثة : النساطرة والملكانية واليعاقبة .

وبالنسبة لكلمة مسيحي (وجمعها مسيحيون) فهي نسبة إلى المسيح (عليه السلام) وهي ترجمة لكلمة يونانية منسوبة - أيضًا - للمسيح ، ويذكر السمعاني في كتابه الأنساب أن هذه الكلمة لم تستخدم إلا في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد ، وكان

استخدامها قصراً على المسيحيين أنفسهم ، وقد تسمّى المسلمون باسم المسيح أو عبد المسيح أو نسبة إليه «مسيحي» في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، ومن ذلك أبو علي محمد بن زكريا المسيحي البغدادي ، كما تسمت أسرة نسطورية في بغداد أيضاً بالاسم نفسه «مسيحي» وعلى أية حال فحتى الكتاب المسيحيون يستخدمون كلمتي «النصارى» و«النصراني» ويقصدون «المسيحيين» و«المسيحي» ويبدو أن سليمان الغزي (القرن السادس للهجرة/ أواخر القرن الحادي عشر للميلاد) هو الكاتب الوحيد - حتى هذه الفترة - الذي استخدم كلمتي «النصرانية» و«المسيحية» ككلمتين مترادفتين .

مصطلحان آخران هما (الروم) للدلالة على المسيحيين البيزنطيين ، والمصطلح الآخر هو «الإفرنج» وقد شاع بعد الحروب الصليبية للدلالة على المسيحيين الغربيين (في مقابل المسيحيين الشرقيين أو البيزنطيين) .

وفيما يتعلق بنظرة المسلمين للنصارى كما وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف - بشكل عام - يمكن مراجعة مادة أهل الكتاب . أما فيما يتعلق بمسلك المسلمين إزاء غير المسلمين سواء في الحياة اليومية أو من حيث موقف مؤسسات الدولة الإسلامية فيمكن مراجعة مادة أهل الذمّة ، ولمزيد من الاحاطة بعناصر الموضوع المختلفة يمكن مراجعة مادتي القبط ، والملكانيين ومادة الروم ، كما تعرضت بعض المقالات الأخرى لموضوع المسيحيين في الدول الإسلامية مثل مادتي : الفاطميون والحاكم .

لكل هذا فستقتصر مقالتنا هذه على تناول أوضاع الجماعات التي لازالت باقية من السريان الذين ينقسمون - كما هو معروف - إلى قسمين : السريان الغربيون أو اليعاقبة المنادون بالطبيعة الواحدة (Mcrophysitism) والتابعون لبطراكية أنطاكية ، وكانوا يتمركزون

بشكل أساسي في الشام الرومانية ثم البيزنطية فيما بعد وإن كان وجودهم قد امتد على نحو ما في مناطق كانت تابعة لما كان يُعرف بالامبراطورية الفارسية . أما بالنسبة للسريان الشرقيين أو النساطرة أو النسطوريين فهم كاثوليكوس Catholicos (المترجم غير الكاثوليك المعروفين) أو جاثليق وكان مركزهم المدائن (طيسقون) وكان انتشارهم بشكل أساسي فيما كان يعرف بالامبراطورية الفارسية (العراق وإيران الحاليتين) ، وكانوا أيضا في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية بل وفي آسيا الوسطى ووجدت أعداد منهم في الهند والصين والتبت .

مسيحيو شبه الجزيرة العربية والخليج:

ظهرت مراجع حديثة تتناول هذا الموضوع ، وإن كان هذا لا يمنع من أن المراجع التي سنوردها فيما يلي لازال لها قيمة غير منكورة :

J. Ryckmans, Le christiauistue en Arabic du Sud pre sianqu in L'oriente christianc nella Storia, Acad, Linccei, quaderm no 62 (Rome, 1964) 413-453)

C. Hechaime, Louis Cheikho et San Livre "le Christianisme daus La Litte'rature chretienne en Arabic avant L'Islam" in Recherches, Lnstitut de Lettres orientales de Beyrout, 2nd Sevies, XXXVill (Beirut 1967).

J. Spencer Triminghain, Christianty Clmong the Arabs in preislam times, Beirnt, 1973.

(وهو كتاب توثيقي لهم ، وإن كان يجب النظر بتحفظ لتفسيراته)

Irfciu Shahid in South Arabia, in Dum- وعرفان شاهد Byzautur barton Oatres papers, XXXII, 1979, 25- 94.

وللمؤلف نفسه بحث آخر بعنوان :

Byzantium and the Arabc in the fourth Century, Washingtc, D.C., 1984.

J. Beaucamp and Chr. Robin Le Christiauisme dane La Peninsule arabique d'apret L Epiqiaplrie et L'archeeleju in Traveaux

et Memeires,

VIII. (Paris, 1918) 45 -61

G.Fiaccaclori, Yemen Nesier in Studi in Onore di Edde Bres-Ciani, Pisa, 1985, 195 - 212.

إلا أنه يمكننا أن نُحدد منطقتين عُرفت فيهما المسيحية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أشار إليهما كل من بوكمب وروبن في كتابيهما الآنف ذكره . أولى هاتين المنطقتين في الركن الجنوبي الغربي حيث المرتفعات اليمنية التي كانت في ذلك الوقت تابعة لحِمْير (بكسر الحاء وتسكين الميم) وكان يقطنها فلاحون مستقرون يتحدثون لغة سامية مختلفة عن عربية جنوب شبه الجزيرة العربية بينما كان بقية قاطني شبه الجزيرة العربية على البداوة ويشكلون قبائل ترتبط فيما بينها بروابط التحالف التي قد تتغيّر بين الحين والحين .

لقد عرفت نجران ومأرب وحضرموت المسيحية خاصة بعد الغزو الأثيوبي البيزنطي للمنطقة في القرن السادس للميلاد . وفي سنة 518 - أي قبل الإسلام - تعرّض هؤلاء النصارى لاضطهاد عنيف (انظر مواد أصحاب الأخدود ، ذو نواس ، نجران ، وانظر أيضًا دراسات عرفان شاهد) ، وبالنسبة لمناطق شمال الحجاز والسواحل الغربية للخليج ، وعمان وجزيرة سوقطرة فقد وصلتها الدعوة للمسيحية من الشمال حيث الحيرة التي أوْكَلَ الفُرس حكمها للعرب ، وكان مسيحيو هذه المنطقة تابعين لأبرشية (أسقفية) فارس . وقد كوّنوا منذ القرن الخامس للميلاد عددا من الأسقفيات (مَشّمهيج ، ودَيْرين ، ومَازُون في عمان) ، وهَجَر ، واليمامة ، وهتّه «الخط» وسوقطرة) وغالباً ما كانت هذه الأسقفيات المحلية ذوات نزعات انفصالية ، لا تتفق مع رؤية الكرسي الأسقفي النسطوري في المدائن . انظر في هذا :

J.M. Fiey, Dioceses Syriaques Orientaux du Golfe persique, Memorial Mgr G. Khouri في

Sarkis, Louvain, 1969, 177- zig

وأعيد طبع هذا المبحث في :

Communauates syriaques en Iran et Irak, Des Originesa` 1552. Variorum Reqrinto, London, 1979.

ومن الصَّعب أن نوجز الوضع المتغير لمجتمعات الساحل الشرقي ، فقد تحول عدد كبير من أهل هذا الساحل للدين الإسلامي وكان ذلك - إلى حد ما - بسبب إثقال كاهلهم بالضرائب التي قدرت بنصف ممتلكاتهم فيما يقول البلاذري ، وكما يتضح من رسائل البطريارك إيسوعياب ، وكان هذا أكثر ما يكون وضوحًا في البحرين وعمان (المترجم : راجعنا فتوح البلدان للبلاذري فلم نجد ما ذكره مؤلف المقال دقيقا ، ومن المعروف أن المسلمين لم يحصّلوا من أهل الكتاب سوى الجزية وهي مقابل الحماية وإعفائهم من الخدمة في الجيش الإسلامي) (أشار المستشرق فيي Fiey لأفكار المؤلف نفسها في مبحث بعنوان Isho Yow le Grand في دورية المسيحية الشرقية Orientalia Chrisliana periodica ، XXXVI ، 2 ، باريس ، 1970 صص 31-41) .

وظلت الإشارات إلى أساقفة هذه الأسقفيات حتى ما بعد سنة 676م ، وعلى أية حال فهناك ما يدل على وجود مسيحيين في اليمامة والبحرين بين سنتي 893م و 899م عندما حكم أبو سعيد القرمطي لفترة وجيزة ، وقد حظي المسيحيون في ظلّه بمعاملة حسنة . وحتى سنة 900م كان لأسقفية مَشْمهيج (سماهِجْ) اسقُفها المعروف انظر في هذا :

J. Beaucamp & Chr. Robin. Levecr de Mashmahielj dans L'ar-

chipel de Bahrayn (ve - IXe Siecles) in Diinun (Berlin 1983) 171 - 96)

ويشير نص سرياني بتاريخ 1007 أن التنظيم الإكليريكي (الكنسي) لبلاد فارس ظل حتى هذا التاريخ مكونا من عشر أسقفيات فرعية ، إلاّ أن النص - لسوء الحظ - لم يذكر أسماءها سوى آخر أسقفية نسطورية في سوقطرة ورد ذكرها سنة 1283م .

وكان مسيحيو صنعاء ومناطق أخرى باليمن لازالوا يتلقون الخدمات الكنسية من الأسقف فيما بين عامي 837 و850 (Thonias of Marga, Livre dis Sugerieurs ، جـ 4 ، الفصل 20) .

وفيما يتعلق بالمسيحيين في القبائل العربية المحيطة بهذه المراكز الأسقفية راجع المواد التالية : بحيراْ ، بُصرى ، غسان ، الحيرة .

مسيحيو العراق في قرون الإسلام الأولى:

شهدت الأعوام التي سبقت - مباشرة - الفتح الإسلامي للعراق تغيرات مهمة في أوضاع المسيحيين ، فمنذ سنة 486م كانت كنيسة أرض فارس قد أصبحت - من الناحية الرسمية - أسطورية . وعلى أية حال فإن بعض المنشقّين أعادوا إحياء مذاهبهم وبلورتها ونظموا أنفسهم في تنظيمات هيراركيّة كنسية أسوة بدعاة الطبيعة الواحدة ، إلاّ أن نجاح هرقل في الاستيلاء على كل شمال العراق سنة 628- 629 أدى إلى حدوث تغيرات راديكالية في الموقف ، ففي ظل القوة العسكرية البيزنطية وتحت سطوة الوالي البيزنطي المتمركز في تكريت ، استطاع السّريان الغربيون تأسيس مؤسسة دينية سُميت بعد ذلك مفريان Maph-rian في تكريت نفسها ، وثماني أسقفيات (أصبحت بعد ذلك عشرا) تغطي خدماتها كل القطاع الذي فتحه هرقل . ورغم أن هرقل كان - في بلاده - متعاطفا مع الملكانيين مضطهداً لليعاقبة ، إلاّ أنه في المناطق

المفتوحة (التابعة) كان يتبع سياسة مغايرة إذ كان يشجع اليعاقبة ويتعاطف معهم ضد الكنيسة النسطورية المحلية التي احتفظت بصلاتها بالسَّاسانيين . ومن هنا تمتع اليعاقبة بمزايا جديدة بينما فقد النساطرة ما كان لهم من تميُّز . وفي سنة 635 رحب النساطرة واليعاقبة - على سواء - بالفتح الإسلامي ، وراح كل فريق منهما يسعى للحصول على تأييد المسلمين (راجع ما كتبه فيي Fiey في بحوث المؤتمر العلمي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، 1987 ، ص . ص 96 - 103) .

وراحت الفرقتان المسيحيتان المتنافستان تتهم كل منهما الأخرى بتحالفها مع السلطة الإسلامية ، وثمة روايات قليلة عن إجبار بعض المسيحيين للتحول للإسلام ، فالحقيقة أن فرض الجزية كان هو السبب الرئيسي لترك عدد كبير منهم لمسيحيتهم ودخولهم في الإسلام ، وكان عددهم كبيراً لدرجة أن الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يحكم العراق باسم الأمويين كان مضطراً لمنع النبط السريان في منطقة كسكر - واسط من الدخول في الإسلام ، بل واستغل أحاديث موضوعة لتحقيق هذا الغرض (انظر Fiey, Les Nabat de Kasker- Wasit dans les pre miers Siecles de L'Islam, in MUSJ 51, 1990, pp. 51 - 87) .

(المترجم : راجع ما كتبه مستشرق آخر هو ب . كرون في مبحثه عن الوالي المنشور في هذه الدائرة . إذ ينكر تماماً وبأسلوب تحليلي رصين - دعاوي كاتب هذا المقال ، فالحقيقة أن الحجاج وغيره من عمال بني أمية كانوا يقاومون هجرة الفلاحين من أراضيهم لما في ذلك من ضرر يحيق باقتصاد الدولة ، واعتبروا الفلاح الذي يهجر أرضه هارباً ، ولم يعفوه من دفع خراج الأرض حتى لو هجرها ، ويؤكد المستشرق نفسه أن التحول للاسلام لم يكن في الأساس هروباً من الجزية وإنما

لأسباب أخرى بعضها اجتماعي ، وبعضها متعلق بوضوح الدين الجديد وبساطته) .

ونتيجة المنافسات بين الطائفتين المسيحيتين آنفتي الذكر ، وكذلك نتيجة وساطة الطبيب سرجونا - تدخلت السلطات الإسلامية لتأييد الدَّعِي يوحنا المجذوم ضد البطريرك النسطوري حنا نيشوع (700-685) ففقدت الأسقفية زعيمها الروحي طوال أربعة عشر عاما (انظر في هذا كتاب ماري . أخبار بطارقة المشرق ، ص ص 63-64 ، ولصليبة كتاب يحمل العنوان نفسه ، ص 59) .

ومن ناحية أخرى وجدنا الوالي خليل بن عبد الله القسري (وكان أبوه مسيحياً) يؤيد البطريرك بثيون Pethion (731 - 740) (انظر ما كتبه ماري في الكتاب آنف الذكر ، ص 66) .

وترسم لنا حوليات السريان الغربيين صورة أكثر قتامة لأحوال الفلاحين في الشام (مسيحيين وغير مسيحيين) في ظل خلفاء بني أمية حيث تتردّد - بشكل مستمر - الكلمة السريانية (Ceusus) الدالة على فرض ضرائب جديدة لبناء القصور الضخام التي لا ينعم بها إلاّ الأمراء أو شق القنوات لري حدائقهم ، ويصبح الحال أسوأ ، عندما يموت الخليفة ولما يكتمل مشروعه ، أما الحوليات المسيحية فهي تروي الأحداث من وجهة نظر الشعب - على عكس الحوليات الإسلامية - لذا فهي لا تقدم لنا الصورة وردية دائما (انظر : Fiey, The Umayyads in Syriac sources المنشور في سجل أبحاث فوتمر ، تاريخ بلاد الشام ، عمان 1989 ، جـ2 ، ص . ص 11-25) .

في ظل العباسيين:

لم يكن تقلّص عدد المسيحيين في ظل الدولة العباسية - ناتجاً - في الأساس - عن أعباء مالية مفروضة عليهم، وإنما انتشر في الأساس بين المتعلمين من أطباء وكتاب بسبب بعض الضغوط الاجتماعية فقد كان المسيحيون يشغلون وظائف هامشية ولا يمكنهم الإندماج في المجتمع بشكل كامل، إلاّ إذا تحولوا للإسلام وكان هذا أمراً ضرورياً للاحتفاظ بالمنصب أو للوصول إلى مراتب عليا، وكان المسلمون ينظرون بعين الشك إلى أولئك الذين دفعتهم مصالحهم إلى اعتناق الإسلام كحنين بن اسحق (المتوفي 260هـ / 873م) الطبيب الفيلسوف، وكان نسطوريا، وابن كمونه اليهودي وكان كحالا (طبيب عيون) وفيلسوفا (توفى 683هـ / 1284م) (انظر : Fiey, Conversions des Juifs et de chretiens a L'Islam Sous les Abbassides, dans les Sources arabes et Syriaques في سجل أبحاث المؤتمر الدولي السابع عشر للعلوم التاريخية مدريد، 1990) وكان الخليفة المأمون نفسه يشك في إسلام عدد من هؤلاء الذين دفعتهم مصالحهم لاعتناق الدين الجديد، ومهما يكن من أمر - فإن نسل هؤلاء المسلمين الجدد تابع الإيمان بالعقيدة الإسلامية واندمجوا في النهاية في المجتمع الإسلامي .

وفي بعض الأحيان كان العامة يحطمون بعض الكنائس أو ينهبونها نتيجة إشاعات مغرضة أو تقارير كاذبة عن قيام البيزنطيين بذبح الأسرى المسلمين أو عن انتصارات بيزنطية على المسلمين أو عن ممارسات قام بها - فيما بعد - الصليبيون، ومع كل هذا لا يمكن أن نزعم أن المسلمين قاموا بأية مذابح للمسيحيين .

وعلى أية حال فقد بدأت أعداد المسيحيين تقل شيئًا فشيئًا وإن كان يجب التنبيه على أن أيّ دراسة ذات بُعد احصائي تعتمد على التمييز بين

المسلم والمسيحي ، وفقًا للأسماء تعتبر غير مجدية في هذه الفترة ، فأسماء علي وحسن وحسين كانت أسماء إسلامية ومسيحية على سواء (انظر : Names, وحبيب زيات Habib Zayyat forenames and sur- names of Christian in Islam – أسماء المسيحيين وألقابهم في الإسلام نشر في دورية الخزانة الشرقية جـ 1 ، بيروت ، 1952 ، ص ص 1-22) .

❊ ❊ ❊

نخلص من هذا إلى أن المسيحيين العرب في شبه الجزيرة العربية خلا مسيحيي نجران وبادية الشام والعراق وما وراءه لم يكونوا ليجدوا صعوبة كبيرة في الانتقال من أفكارهم الدينية المسيحية إلى الأفكار الدينية الإسلامية ، ولم تكن هناك حاجة – في الأساس لاستخدام العنف ضدهم . أما مسلموا نجران فرغم عدم دخولهم الإسلام فلم يحاربهم أحد ، بل وسمح النبي لوفدهم بالصلاة في مسجده وقت زيارتهم له . ولم يستخدم أيضًا العنف لإجبار اليهود على الدخول في الإسلام . وإنما لأسباب أخرى كثيرة يطالعها القارئ في كتب السيرة ، ويطالع آراء متضاربة فيها في كتب التاريخ العام ، وفي هذا الكتاب الذي بين أيدينا . لقد أوردنا مقال فيي كاملا رغم ما به من بعض الآراء التي قد لا يقبلها القارىء المسلم للاستفادة مما به من مصادر ومعلومات .

❊ ❊ ❊

كلمة أخيرة عن التمثُّل الأمريكي

لمفردات التاريخ الصهيوني أو مفردات العهد القديم. وعن حروب الاسترداد ما كان منها وما سيكون

بعد أن اكتشف كولومبس القارة الأمريكية ، شرعت جماعات أوربية مسلّحة تتجه نحو القارة تاركة أوربا أو «خارجة» من أوربا وكان عدد كبير منهم من بسطاء المسيحيين ، فأقْنعوا أنفسهم أو أقنعهم القسس الذين رافقوهم أنهم «خرجوا» من أوربا كما خَرَجَ العبرانيون من مصر ،

وبالتالي ينطبق عليهم ما ورد في «سفر الخروج» وهو أحد أسفار العهد القديم . ووجد هؤلاء المهاجرون أو النازحون أو المحاربون الأوربيون في أمريكا أرضا شاسعة عامرة بالزروع والحيوانات البرية والحيوانات التي يمكن استئناسها فاعتبروها «الأرض التي تفيض لبنا وعسلا» التي ورد ذكرها في التوراة ، والتي وجدها العبرانيون بعد خروجهم من مصر (أي أرض كنعان أو فلسطين) . وأكد لهم القُسس هذا الشبه تشجيعا لهم على عمران الأرض الجديدة والاستقرار فيها وتملكها . لكن هؤلاء الأوربيين وجدوا في أمريكا شعوبا وقبائلا تصدّت لهم بأسلحة بدائية ، فأطلقوا على هذه القبائل الهنود الحمر ، ومن المفهوم أنهم «حمر» لأن لونهم أحمر ، فلماذا هم هنود؟ ذلك لأن كولومبس عندما اكتشف أمريكا ظنّ أنه وصل للهند فأطلق على سكانها اسم الهنود الحمر ، وهو ما صحّحه بعد ذلك أمريكو لذلك سمّيت أمريكا على اسمه . المهم أن هؤلاء الأوربيين الجدد الذين وصلوا لأمريكا أطلقوا على الهنود الحمر اسم «الكنعانيين» تشبيها لهم بالشعب الذي وجده العبرانيون عندما خرجوا من مصر إلى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا ، وهي أرض كنعان أو فلسطين .

وأكد لهم قُسُسهم هذا التشبيه ، والمعنى أن هذه الأرض الأمريكية الجديدة هي أرضهم هم ولا حق للهنود الحمر فيها ، تماما كما أن أرض كنعان أصبحت «حقا» للعبرانين ولا حق للكنعانيين فيها ، بعد الخروج من مصر .

هذه هي اللغة الدينية التي استخدمها المستعمرون الجدد عند «خروجهم» من أوربا وعند وصولهم لأرض «اللبن والعسل» وعند إبادتهم للكنعانيين «الهنود الحمر»[*] .

(*) ننصح القارئ بالإطلاع على الكتاب الوثائقي المهم الذي أعده الباحث «منير العكش» بعنوان «حق التضحية بالآخر ، أمريكا والإبادة الجماعية» نشر دار رياض الريس ، بيروت 2002 ، وفيه ما يفيد أن عدد الهنود الحمر حين غزاها جماعات الأنجلو ساكسون الأوروبيين لبلادهم ، كان (112) مليون ، لم يبق=

هذه المصطلحات الدينية نفسها ، أو لنقل هذه اللغة الدينية نفسها استخدمها الهولنديون بالذات عند نزوحهم إلى جنوب أفريقيا فهم «خرجوا» من هولندا الضيقة ووصلوا إلى الأرض التي تفيض «لبنا وعسلا» وهي هذه المرة جنوب أفريقيا ، فواجهوا قبائل أفريقية بدائية ذوات أسلحة بدائية فرأوا فيهم الكنعانيين واعتبروا أن إبادتهم واضطهادهم والاستيلاء على أراضيهم حق لهم .

لكن هناك مصطلحاً دينياً آخر استخدمه الأوربيون النازحون إلى أمريكا ولم يستخدمه الأوربيون النازحون إلى جنوب أفريقيا ، وهو «شعب الله المختار» . لقد حدث أن ازدهرت أمريكا وتفوّقت ووصلت في مجال العلم والقوة العسكرية إلى ما لم تصل إليه دولة من قبل ، وهنا تنامى لدى الأمريكيين فكرة أنهم شعب الله المختار أو أنهم الشعب الذي أختاره الله لهداية العالم إلى الديمقراطية والحكم الصحيح ، وفي مرحلة لاحقة لهدايته إلى الدين الصحيح . هنا أكتملت حلقات المصطلحات الدينية التي استخدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لتتطابق مع المصطلحات الدينية الواردة في التاريخ العبراني أو اليهودي أو الإسرائيلي .

وبذا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية محاولة الإندماج في اسرائيل وليس العكس ، فإسرائيل هي «شعب الله المختار» على حد التعبيرات - التي فُهمت خطأ - في الكتاب المقدس المسيحي ، والشعب الأمريكي اعتبر نفسه هو «شعب الله المختار» لكن دون نص توراتي أو انجيلي يُشير إليه ، وليكتسب الأمريكان شرعية دينية إنْ صحّ التعبير ، كان لابد أن يذوب في اسرائيل ، هذه هي الحقيقة التي تدعو للسخرية دولة عظمى كبيرة تحاول أن تذوب في دولة مصطنعة صغيرة . فالدولة الصغيرة هي شعب الله المختار «بالجسد» وبنص توراتي ، والدولة

=منهم حسب إحصاء أول القرن العشرين سوى ربع مليون ، انظر ص 11 (الناشر) .

العظمى الكبيرة هي شعب الله المختار «بالروح» أو لنقل بالاجتهاد أو لنقل بحكم ما وصلت إليه من قوة وسلطان .

ليس من العلم في شيء أن نقول إن هذه هي نظرة كل المجتمع الأمريكي أو كل مذاهبه الدينية أو كل توجهاته السياسية الآن ، لكنه على أية حال اتجاه موجود وقوي ونه ثمله الديني والسياسي .

يبقى سؤال : هل يوافق شعب الله المختار الذي هو بالجسد ، وبالنص الكتابي المزعوم (اسرائيل) على أنه شريك في هذه الصفة مع شعب الله المختار الذي هو بالروح والذي لم يرد بشأنه نص كتابي (الولايات المتحدة)؟

الإجابة بوضوح كامل هي : لا وألف لا . ولكن مادامت الولايات المتحدة قوية الآن ، فلا بأس أن تستخدمها اسرائيل في تحقيق أغراضها ، لكن شعب الولايات المتحدة يبقى في اليقين الديني الاسرائيلي مثل غيره من الشعوب من «الأغيار» الذين لا يمكن أن يرقوا إلى مستوى الشعب الاسرائيلي أو اليهودي ، حتى وإن استخدم بعض المسيحيين كلمة «الأغيار» للدلالة على غير المسيحيين ومؤلفنا جورج بوش يستخدم كلمة «الأغيار» ليعني بها غير المسيحيين ، لكن هل يوافق اليهود على هذا الاستخدام؟ بالتأكيد لا وألف لا .

نحن إزاء يهود ماهرين في التلاعب بالأفكار الدينية يبثون أفكارهم عبر أجيال وقرون ليجعلوا من أعتى قوة في العالم خادما لمصالحهم وطوعا لإرادتهم؟ ليس من المستبعد إذن أن يكون هناك رئيس أمريكي يهودي ليجتمع «المختار» بالجسد مع المختار «بالروح» . إلى هذا الحد يجرى التلاعب باللاهوت ، لكن هل يدوم هذا؟ هل تدوم قوةُ القوى ، وهل يدوم تضليل الآفاق؟ أمّا قوة القوى فيمكن وقفها - تدريجيا - إذا اتحد بقية العالم أو تحالف ضد هذا الجبروت وأظن أن هذا يحدث الآن . أما تضليل الآفاق فيمكن إحباطه بالبحث الديني المتنوّر في أصول

العقائد والكشف عما بها من تضليل . وبالنسبة لنا نحن المسلمين لابد من إعادة النظر في كتب التراث لكشف ما بها من أمور مكذوبة مدسوسة تُعرقل تقدمنا ، ولابد من التوجه للعلوم البحتة والتطبيقية ما وَسعنا التوجه إليها .

نحاول في هذه المقدمة أو الدراسة أن نزاوج بين طريقتين في التناول ؛ طريقة تمكنٍ القارئ العام من المتابعة والفهم أي دون إغراق في الحواشي والتعليقات الأكاديمية غير المجدية ، وطريقة لا يقدر عليها سوى المتخصصين ، لذا فإن حديثي في السطور التالية عن حروب الاسترداد سأعمد فيه أن يكون مبسّطا إلى حدّ ما مع الإشارة للمصادر الأصلية لمن أراد المتابعة الأكاديمية .

بعد سقوط غرناطة في 2 يناير 1492 اعتبر الأسبان أنهم «استردوا» أرضهم وأن هذا «الاسترداد» لابد أن يستمر للاستيلاء على العالم الإسلامي كله وإعادته للمسيحية كما كان ، وكان استيلاؤهم على سَبْته على الساحل المغربي هو بداية التاريخ الحديث على وفق تقسيمات مؤرخيهم . لاحظ مدى الإصرار على إبقاء سبتة في أيديهم إلى اليوم ، لكن مشروع استعادة العالم الإسلامي لم يتم على يد الأسبان ، فحملت البرتغال مهمة الاسترداد على عاتقها (لاحظ أن التحالفات التي جرت مؤخرا للهجمة على العالم الإسلامي ضمّت أسبانيا) وتعمد المتحالفون عقد بعض اجتماعاتهم في جزر الأزور البرتغالية . انه إحياء لرموز تاريخية . واستسمح القارئ المهتم بإحالته إلى «السجل الكامل لأعمال افونسو دلبوكيرك» الذي نشره المجمع الثقافي في (أبو ظبي) بترجمة كاتب هذه السطور ليعرف عمليات الإبادة الجماعية التي شنها البرتغاليون على المسلمين في أيّ مكان وجدوهم ؛ في شرق افريقيا ، وفي الجنوب العربي ، وفي الخليج العربي وفي سواحل الهند الغربية ، ومحاولتهم هدم الكعبة شرّفها الله . . .الخ . تماما كما نحيل القارئ إلى كتاب آخر مترجم هو «المسيحية والسيف ، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على

أيدي المسيحيين الأسبان - رواية شاهد عيان » للمطران برتولومي دي لاس كازاس والكتاب من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية في بيروت .

على كل حال ، فمن الملاحظ أن الإسلام كان ينتشر انتشاراً واسعاً عقب كل انتصار دفاعيّ قوي يحققه المسلمون ، وعقب كل ضربة انتقامية لرد عدوانٍ المعتدي . ارموا آل اسماعيل عليه السلام ، فإنّ أباكم كان راميا .

وعلى الله قصد السبيل .

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ

توطئة المؤلف

P.5 أزعم أن كتابي هذا يتناول شخصية ليس هناك من هو أهم منها . وهذه حقيقة تنطبق بالضرورة على أيّ كتاب يتناول في يومنا هذا الموضوعَ نفسه . فكلّ الحقائق المتاحة عن حياة النبي العربي وأحواله قد جرى تقديمها للعالم منذ مدَّة طويلة ، وقامت عليها نظريات وتأمّلات في المجالين الأخلاقي والفلسفي ، كثير منها يسترعي الانتباه ، وكان - تباعا- موضوع تأمل وتفكير ، لكنه لم يُضف شيئا إلى كَمٍّ ما لدينا من معلومات إيجابية ، أو لنقل أنه لم يضف لنا إلاّ القليل . وعلى هذا فكل ما يمكن أن نتوقّعه الآن هو تناول تاريخ هذا الدَّعي(*) من خلال انتقاء المفردات المهمة الدَّالة وترتيبها والخلوص منها بالنتائج بشكل صحيح ومركَّز ، لتقديمها للقارئ الإنجليزي ، فهذه المعلومات متناثرة في عدد كبير من الكتب النادرة (غير المتاحة) بالإضافة إلى أنها مكتوبة بعَّدة لغات مختلفة .

إنَّ مثل هذا البحث الذي تم إعداده بتحفظ وحكمة سيُحقق رغبة ملحَّة بظهوره باللغة الإنجليزية - هذا إذا لم نكن قد أخطأنا التقدير ، فالحاجة إليه أصبحت ملحَّة أكثر من أيِّ وقت مضى ، فإلى أيِّ مدى سيسدُّ كتابنا الموجز هذا الحاجة؟

P.6 هذا متروك للقارئ ، وليس للمؤلف أن يقف موقف الحكم في هذه المسألة .

فالمؤلف بذل قُصارى جهده في استخلاص صورة عادلة - من خلال المصادر المُتاحة له - لشخصية مؤسس الإسلام . فمن ناحية فإن المؤلف قد يغامر

(*) ننبه القارئ أننا أبقينا علي نص المؤلف كما هو - مع اختلافنا بطبيعة الحال معه - ، وما الإبقاء عليها إلا لمحاولة الكشف عنها ، وليس المقصود بالضرورة الموافقة عليها- معاذ الله- وضالتنا في ذلك أن ناقل الكفر ليس بكافر ، وقد تصدى الأستاذ الدكتور المترجم للرد على دعاوي المؤلف وتزلفه على ديننا والرسول ﷺ . (الناشر)

بالتأكيد للقارئ على أنه سيجد السياق متتاليا في صفحات الكتاب وأن سور القرآن الكريم وآياته ستكون مرتبطة بمجريات الأحداث (**التاريخية**) . وربما سيجد القارئ التاريخ موضَّحا لدرجة لم يكن يتوقعها في هذا المصدر (**يقصد القرآن الكريم**) ، وهذا النهج يساعد في توثيق الحقائق المتصلة بالموضوع توثيقاً كبيراً ، بالإضافة إلى أنه يُعطي مذاقا أو نكهة محبَّبة لطريقة التناول قلما يتوقّعها المرء في موضوع كهذا .

ولكي نحافظ على استمرارية القصة دون أن نقطعها بذكر المصادر ، فإنني أقدم هنا المصادر الرئيسية التي رجعت إليها في كتابة السيرة الحالية : ترجمة سيل للقرآن (**الكريم**) في مجلدين ، تاريخ العالم (سلسلة مود) . مجلد رقم 1 ، كتاب جيبون عن سقوط الإمبراطورية الرومانية ، مجلد 3 ، كتاب بريدو عن حياة محمد ﷺ ، وكتاب يحمل العنوان نفسه ألفه بولينفيلير ، وكتاب آخر يحمل العنوان نفسه في سلسلة مكتبة المعلومات المفيدة ، رقم 45 ، وقاموس بايل التاريخي ، مادة محمد ، وتاريخ الشرقيين لهوتنجر ، وتاريخ الأسرات الحاكمة لأبي الفراجي ، بترجمة بوكوك ، وكتاب مرجان : شرح الإسلام في مجلدين ، وكشف حقيقة الإسلام لفوستر ، في مجلدين ، والمكتبة الشرقية لدير بلوت ، وكتاب رايكوت : الوضع الحالي للامبراطورية العثمانية ، **P.7** وكتاب تاريخ العرب والمسلمين (السرسرية)(*) لأوكلي ، في مجلدين ، ومجموعة محاضرات هُويت . . وترجمة لي Lee لكتابات الموقر هـ . مارتين المثيرة للجدل ، وكتاب هويتيكر عن أصول الآريوسية ، وكتاب فيبر عن النبوة والنبوءات في ثلاثة مجلدات ، ورحلات بكنجهام وكيبل وبوركهارت ومادن في بلاد الشرق .

وفيما يتعلق بالأعلام العربية التي كثيرا ما ترد في هذا الكتاب ، سيكون من المفيد أنْ نذكر للقارئ الإنجليزي أنّ الـ AL هي أداة التعريف العربية ، وهي تقابل

(*) هذا التعبير استعمله المؤلف في عنوان كتابه : (Sracens) وهي كلمة كان يُعبر عنها «بالسارزان» التي شاعت أثناء الحروب الصليبية . وهي إزدراء للمسلمين وقد ترجمها المترجم بلفظ «السرسرية» وهو معنى عامي دارج يعني نفس المعنى . (الناشر) .

في الانجليـزية The ، وعلى هذا فكلمة القرآن مكوَّنة من أداة التعـريف والكلمـة قـرآن ، أي أنهـا تقابـل بالإنجليـزية The Koran . ومرة أخرى فإن كلمـة ابن تعني بالإنجليـزية Son وبنت تعني بالإنجليـزية daughter ، وتوضع الـ بعـدها في حـالة الاستخدام العربي ابن الـ ، وأبو تعني بالإنجليزية Father . فابن الأثير تعني أن أباه اسمـه الأثير وأبو العباس تعني أن ابنه هو العبـاس ، وكلمة عبد تعني بالإنجليـزية Servant ، والله يقابلها في الإنجليـزية God . ومن هنا فعبد الله تعني خادم الله ، وعبد شمس تعني خادم الشمس . . . وهكذا .

أما عن اختيار طريقة كتابة اسم النبي ، فمسألة تحتاج إلى ترو لأنها مسألة مربكة ، فعند مراجعة كتب المؤرخين البيزنطيين نجد الارتباك نفسه الذي نعانيه الآن ، كان سائداً طوال سبعة قرون ، فبعضهم يكتبه هكذا ماميتس Maometis ومن هذا الاسم أخذنا نحن ماهومت Mahomet وهو شكل الاسم الأكثر شيوعا لدي الإنجليز والأكثر ألفة لآذانهم ، ونجد اسم النبي العربي في مراجع بيزنطية أخرى هكذا : ما شومد Machomed ، وكانت هناك اختلافات أخرى في كتابة اسم محمد عند الكتاب القدماء بلاشك .

لكننا سنلاحظ أن غالب الكتاب الذين تعرَّفوا على اللسان العربي والذين استقوا معلوماتهم من المصادر الأصلية مباشرة ، وكذلك معظم الرحالة المُحدثين الذين زاروا بلاد الشرق يُجمعون على كتابة اسمه (ﷺ) على النحو الذي كتبناه على صفحة عنوان كتابنا هذا Mohammed (محمدّ) . وإذا كان الاستخدام العربي (أو طريقة الكتابة العربية وكذلك طريقة النطق) هي – في الحقيقة – التي يجب الأخذ بها ، فلنترك إذن الأشكال التالية للاسم

Mahommed , Mahomed , Mahomet

وفيما يلي قائمة بالأسماء والمصطلحات التي ترد في سياق كتابنا هذا ، والمرتبطة بالشرق ، وقد أوردنا قرين كلٍ منها أصلها اللغوي ومضامينها :

P.9 - **محمد** Mohammed ، وأحمد : من الفعل حمد والاسم (محمد) تعني من حاز الحمد والثناء .

- **مسلم وإسلام** ، من الأصل اللغوي أسلم وتعني إسلام الأمر كله للدين .

- **القرآن** ، من الفعل قرأ .

- **خليفة** Caliph تعني من يخلف (النبي)أو الخليفة السابق ، وهي من العبرية خَلَف Chalaph .

- **سلطان** ، من الكلدانية Soltan ، وتعني - أي الكلمة الكلدانية - سلطة أو حكومة ، سيادة مِلكية تامة ، إمارة ، ولاية .

- **وزير** Vizier ، مساعد الحاكم .

- **حج** ، والحاج هو الذي يؤدي فريضة الحج إلى مكة .

- **ساراسين** Saracens (سرسري) : أصلها اللغوي مشكوك فيه ، وربما كانت من الفعل سرق ، وتعني كلمة الساراسين اللصوص والسرّاقين والنهّابين .

- **هجرة** Hejra or Hejira ، يقصد بها انتقال محمد ﷺ من مكة إلى المدينة .

- **المفتي** ، هو رأس الدين الإسلامي (المحمدي) وهو الذي يصدر الفتوى في أمور المسائل المشكلة في الشريعة ، وهو يحظى بمكانة كبيرة في الامبراطورية العثمانية . . .

- **الإمام** ، شخص مرتبط بالمسجد ، واجبه أن يتلو القرآن **الكريم** في المناسبات ، وعادة ما يشغل وظيفة مربحة في الوقت نفسه .

P.10 - **المُلاّ** ، والجمع ملالي ، والكلمة شكل من أشكال الكلمة العربية عُلما أو علماء ، وهم (الملالي) خبراء في العقيدة والشريعة ، يوثق بهم في حراسة تطبيق الشريعة في الامبراطورية **العثمانية** ، ويتم اختيار المفتي من بينهم .

- **أمير** Emir ، من سلالة النبي نفسه ، ويتميز بأنه يضع فوق رأسه عمامة ذات لون أخضر داكن deep- Sea- green ، وهو اللون المرتبط بكل جنس محمد (**يقصد العرب أو المسلمين**) ، وهم - أي الأمراء - يتمتعون - بسبب نسبهم - باستثناءات كثيرة ، ويحمل واحد منهم علم النبي (شارة النبي) عندما يظهر السلطان في احتفال عام .

- **باشا** ، رتبة تُمنح لولاة الولايات ، والباشا بالنسبة للولاية كالسلطان بالنسبة للسلطنة (الامبراطورية) ، إلاّ أن السلطة القضائية -دائما- في أيدي القضاة . ويحمل الباشا ذيولا Tails (تدل على رتبته) ولا يسمح له بحمل سواها ، والباشا الذي يحمل ثلاثة ذيول (أطواخ) يحمل ثلاث شارات (أعلام) ، وهذا يعطيه السلطة أثناء حياته والتكريم عند مماته .

- **ريس أفندي** ، يمكن أن نطلق عليه المستشار الأعلى للامبراطورية العثمانية ، فهو على رأس طبقة الوكلاء التي تضم في أيامنا هذه أفضل علماء الأمة (العثمانية) .

- **سيراجليو** ، مشتقة من الكلمة سراي Serai وهي كلمة ذات أصل فارسي ، وتعني القصر . ومع هذا فالكلمة تستخدم استخداماً خاطئاً لتدل على جناح الحريم ، والسيراجليو تعني إذا جرى نطقها دون عبارات شارحة المكان الذي تجتمع فيه حاشية السلطان ، لكن يحدث أيضا أن يضم هذا المبنى في القسطنطينية (**المقصود استانبول**) جناح الحريم .

- **الهلال** Crescent ، هو شعار الأتراك (المقصود : المسلمون) وهو يعلو قباب المساجد ومآذنها ، كما يعلو الصليب الكنائس الكاثوليكية في البلاد المسيحية . ويرجع هذا فيما يُقال إلى أن القمر الجديد كان قد وُلد وقت هجرة محمد ﷺ من مكة إلى المدينة ، لذا فإن الهلال يُحيي هذه الذكرى .

- **الباب العالي** ، يطلق تباعا على البلاط أو مجلس الوزراء أو الجهاز التنفيذي في الامبراطورية العثمانية ، ويعني هذا المصطلح البوّابة العظيمة المَقنطرة البهيّة البناء التي تكوّن مدخل القصر (السيراجليو) . والباب العالي عبارة مساوية لعبارة «بلاط القديس يعقوب» و «بلاط القديس كلود» .

P.12 ولما كان أحد الأهداف الكبيرة التي قصد إليها جامع هذا الكتاب هو تقديم النبي العربي بوصفه أداة مهمة في يد الله سبحانه ، ووضع نظام دينه المدّعى كلّه بأسبابه ونتائجه وما اقترن به في سياق تسيير الله سبحانه للكون ، فمن المأمول ألاّ يهمل القارئ ما أوردناه في الملاحق عن النبوءات الدينية بهذا الشأن ، فقد بحثنا في هذه الملاحق هذه النبوءات (رؤيا دانيال ورؤيا يوحنا) ، فالكاتب ركز تركيزاً خاصاً - ربما بدون سبب معقول - على هذا القسم من الكتاب (المقصود الملحق الأول) مع أنه - أي الكاتب - لا يزعم أن تفسيره لهذه النبوءات هو تفسير معصوم لا يحتمل الخطأ ، لكنني آمل أنني بمقالي هذا عن النبوءات أكون قد خطوت خطوات نحو التفسير الصحيح ، وأكون بهذا قد أوحيت بمزيد من الاهتمام العام بهذه الجوانب النبوئية في الكتاب المقدس المسيحي تمهيداً للتخلص من الأخطاء التي وردت في تفسيري والتي وردت في التفاسير السابقة على تفسيري .

لا أحد ممّن يعرف حقيقة الوحي يمكن أن يُلم بالأمر إلاّ إذا تعرّف على الأحداث والوقائع التي تحكمّ الله في مجراها ليُحدث الثورات (**والاضطرابات**) في جزء كبير من العالم المسيحي المتحضر ، فهذا أمر مهم جداً لدرجة لا يمكن إغفالها في النبوءات المستقبلية ، وإن وضعنا هذا في اعتبارنا وجدنا أن هذه النبوءات جديرة بالشرح ، وإلاّ نكون قد تركنا - بشكل نستحق عليه اللوم - أحد أهم الأسانيد الرئيسية ، لصالح الحقيقة ولصالح قداسة الوحي .

PREFACE.

THE present work lays claim to no higher character than that of a compilation. This indeed must necessarily be the character of *any* work attempted, at this day, upon the same subject. All the accessible facts in the life and fortunes of the Arabian prophet have long since been given to the world. New theories and speculations, moral and philosophical, founded upon these facts, and many of them richly deserving attention, are frequently propounded to the reflecting, but they add little or nothing to the amount of our positive information. All therefore that can now be expected is such a selection and arrangement and investment of the leading particulars of the Impostor's history, as shall convey to the English reader, in a correct and concentrated form, those details which are otherwise diffused through a great number of rare books, and couched in several different languages. Such a work, discreetly prepared, would supply, if we mistake not, a very considerable desideratum in our language—one which is beginning to be more sensibly felt than ever, and which the spirit of the age loudly requires to have supplied. How

far the present sketch may go towards meeting the demand, it becomes others than the writer to judge. He has aimed to make the most judicious use of the materials before him, and from the whole mass to elicit a candid moral estimate of the character of the Founder of Islam. In one respect he may venture to assure the reader he will find the plan of the ensuing pages an improvement upon preceding Memoirs; and that is, in the careful collation of the chapters of the Koran with the events of the narrative. He will probably find the history illustrated to an unexpected extent from this source—a circumstance, which, while it serves greatly to *authenticate* the facts related, imparts a zest also to the tenor of the narrative scarcely to be expected from the nature of the theme.

In order to preserve the continuity of the story from being broken by incessant reference to authorities, the following catalogue is submitted, which will present at one view the principal works consulted and employed in preparing the present Life:—Sale's Koran, 2 vols.; Universal History, Mod. Series, vol. i.; Gibbon's Decline and Fall of the Roman Empire, vol. iii.; Prideaux's Life of Mahomet; Boulainvillier's do.; do. in Library of Useful Knowledge, No. 45; Bayle's Historical Dictionary, Art. Mahomet; Hottinger's Historia Orientalis: Abul-Faragii Historia Dynastarum, Pocock's Transl.; Morgan's Mahometism Explained, 2 vols.; Forster's Mahometanism Unveiled, 2 vols.; D'Herbelot's Bibliotheque Orien-

tale; Rycaut's Present State of the Ottoman Empire; Ockley's History of the Saracens, 2 vols.; White's Bampton Lectures; Lee's Translation of the Rev. H. Martyn's Controversial Tracts; Whitaker's Origin of Arianism; Faber's Sacred Calendar of Prophecy, 3 vols.; Buckingham's, Keppel's, Burckhardt's, and Madden's Travels in the East.

On the subject of the Arabic proper names so frequently occurring in this work, it may be useful to the English reader to be informed, that *Al* is a particle equivalent to our definite article *The.* Thus, *Alcoran* is composed of two distinct words signifying *The Koran*, of which the last only ought to be retained in English. Again, *Ebn* is the Arabic word for *son*, as is *Bint* or *Binta* for *daughter*, and with the particle *Al* after it, according to the Arabic usage, *Ebno'l* is, *the son.* So *Abu*, *father*, with the article after it, *Abu'l*, *the father.* Thus, *Said Ebn Obeidah Abu Omri*, is, *Said*, *the son of Obeidah father of Omri*; it being usual with the Arabs to take their names of distinction from their sons as well as their fathers. In like manner, *Ebno'l Athir*, is, *the son of Athir*; *Abu'l Abbas*, *the father of Abbas*: and as *Abd* signifies *servant*, and *Allah*, *God*; *Abdo'lah* or *Abdallah* is, *servant of God*; *Abdo'l Shems*, *servant of the sun*, *&c.*

The deciding between the different modes in which the prophet's name is, or ought to be, writ-

ten, and the adoption of the most eligible, has been a matter of perplexing deliberation. Upon consulting the Greek Byzantine historians, it appears that the same diversity of appellation which now prevails, has obtained for seven centuries. In some of them we meet with *Maometis*, from which comes our *Mahomet*, the most popular and familiar title to the English ear; and in others, *Machomed*. Other varieties among ancient authors might doubtless be specified. But it will be observed, for the most part, that writers acquainted with the Arabic tongue and who have drawn their materials directly from the original fountains, as well as the great body of recent Oriental travellers, are very unanimous in adopting the orthography of the name which appears in our title page. If the Arabic usage be in fact the proper standard, as will probably be admitted, *Mohammed*, instead of either *Mahomet*, *Mahomed*, or *Mahommed*, is the genuine form of the name, and the mode in which it should be uniformly written and pronounced. The fact, that the example of most Oriental scholars of the present day has given currency to this form, and the probability that it will finally supplant all others, has induced us, on the whole, to adopt it, though with considerable hesitation.

The following list of names and titles frequently occurring in connexion with the affairs of the East, together with their etymological import, will not be deemed inappropriate to the object of the present work.

MOHAMMED, AHMED. } From HAMAD; *praised, highly celebrated, illustrious, glorious.*

MOSLEM, MUSSULMAN, ISLAM, ISLAMISM. } All from the same root, ASLAM; signifying *to yield up, dedicate, consecrate entirely to the service of religion.*

KORAN.—From KARA, *to read; the reading, legend,* or *that which ought to be read.*

CALIPH.—*A successor;* from the Hebrew CHALAPH; *to be changed, to succeed, to pass round in a revolution.*

SULTAN.—Originally from the Chaldaic SOLTAN; signifying *authority, dominion, principality.*

VIZIER.—*An assistant.*

HADJ.—*Pilgrimage;* HADJI; *one who makes the pilgrimage to Mecca.*

SARACEN.—Etymology doubtful; supposed to be from SARAK, *to steal; a plunderer, a robber.*

HEJIRA, or HEJRA. } *The Flight;* applied emphatically to Mohammed's flight from Mecca to Medina. See page 106.

MUFTI.—The principal head of the Mohammedan religion, and the resolver of all doubtful points of the law.—An office of great dignity in the Turkish empire.

IMAM.—A kind of priest attached to the mosques, whose duty it is occasionally to expound

a passage of the Koran. They, at the same time, usually follow some more lucra tive employment.

MOOLLAH.—The Moollahs form what is called the Ulema, or body of doctors in theology and jurisprudence, who are entrusted with the guardianship of the laws of the empire, and from whose number the Mufti is chosen.

EMIR.—Lineal descendants of the Prophet himself, distinguished by wearing turbans of deep sea-green, the colour peculiar to all the race of Mohammed. They have special immunities on the score of their descent, and one of them carries the green standard of the Prophet when the Grand Seignior appears in any public solemnity.

PASHA.—The title given to the provincial governors. A Pasha is to a province or pashalic, what the Sultan is to the empire, except that the judicial power is in the hands of the cadis, the provincial magistrates. The *tails* of a Pasha are the standards which he is allowed to carry; one of three tails is one of three standards, which number gives the power of life and death.

REIS EFFENDI.—This officer may be termed the High Chancellor of the Ottoman empire. He is at the head of a class of attorneys

which at this time contains the best informed men of the nation.

SERAGLIO.—This word is derived from *Serai*, a term of Persian origin, signifying *a palace*. It is therefore improperly used as synony mous with *Harem*, the apartments of the women. The Seraglio is, in strictness of speech, the place where the court of the Grand Seignior is held; but it so happens that at Constantinople this building includes the imperial Harem within its walls.

CRESCENT.—The national ensign of the Turks, surmounting the domes and minarets attached to their mosques, as the Cross does the churches of the Roman Catholics in Christian countries. This peculiar and universal use of the Crescent is said to have owed its origin to the fact, that at the time of Mohammed's flight from Mecca to Medina *the moon was new*. Hence the half moon is commemorative of that event.

SUBLIME PORTE.—This title, which is frequently applied to the court, cabinet, or executive department of the Ottoman empire, is derived, as the words import, from a lofty arched gateway of splendid construction, forming the principal entrance to the Seraglio or palace. It is a phrase equivalent to "Court of St. James," "Court of St. Cloud," &c.

As one grand object continually aimed at by the compiler of the ensuing pages has been to exhibit the Arabian prophet as a signal instrument in the hands of Providence, and to put the whole system of his imposture, with its causes, accompaniments, and effects, where it properly belongs, into the great scheme of the Divine administration of the world, it is hoped that the prophetic investigations of this subject in the Appendix will not be overlooked. The writer is disposed to lay a peculiar, perhaps an unreasonable, stress of estimation upon this portion of the work. Not that he deems the interpretation proposed as infallible, but he is in hopes that this essay towards a right explication may contribute somewhat to inspire a more general interest in this province of scriptural elucidation, and thus to pave the way for the eventual correction of the errors of this and every preceding exposition. No one who admits the truth of revelation but will acknowledge that events, which are so overruled in the providence of God as to revolutionize a great portion of the civilized and Christian world, are important enough to claim a place in the prophetic developements of futurity; and if predicted, these predictions, when accomplished, are worthy of being explained. Otherwise, we willingly and culpably forego one of the main arguments in favour of the truth and divinity of the inspired oracles.

P.17 باستثناء التأثير الذي أحدثه دين الإنجيل ، فلم يشهد تاريخ العالم ثورة قد أحدثت تغيرات كبرى في العالم المتحضر ، أكثر مما أحدثه الدين المحمدي (الإسلامي) منذ ظهوره ومروراً بتقدمه وهيمنته . لذا فتاريخ هذا الدين الإسلامي وطبيعته أصبحا موضوعاً مثيراً للاهتمام لكل العقول المتنوِّرة . فهذا الدين جزء مهم شائق من تاريخ الجنس البشري العام بصرف النظر عن كونه ديناً صحيحاً .

لكن عندما ننظر لهذا الدين بوصفه حلقة من سلسلة كبيرة من الأحداث المقررة من لدن الله سبحانه والتي جرى التنبؤ بها ، والتي قُصد بها أن تقع بشكل مباشر على رأس الكنيسة المسيحية طوال كل الفترة المشئومة التي هيمن فيها .

إن هذا لابد أن يدفعنا للاهتمام بهذا الأمر ، اهتماماً جديداً أقوى من ذي قبل . إن كثيرين من الكتاب المتميزين الذين درسوا - بعمق - أصول هذا الدين ، وعبقريته وتاريخه فينظرون إليه بوصفه هرطقة مسيحية أو نتاجا لهرطقات قال بها بعض المسيحيين ، أكثر من وصفهم له بأنه خرافة وثنية(*) .

(*) ومن هنا يقول ميد ، وهو مثقف يُحتذى به : «كثيراً ما كان الدين الإسلامي يعتبر هرطقة مسيحية (المقصود مذهب مسيحي غير صحيح) ولأن أصول هذا الدين موجودة في المسيحية لذا فهو في انتظار المسيح (المقصود مجيء المسيح)» ، فعلى وفق العقيدة الإسلامية سينزل المسيح إلى الأرض ليعلن إيمانه بدين محمد وليقتل أعداء المسيح وليحكم العالم مع حوارييه» ويُؤكد المصدر نفسه «أن المسلمين أقرب للمسيحية من كثير من الهرطقات القديمة مثل الكيرنثيّة الغنوسطية (معتقد العرفان) والمانوية» . (المؤلف)

ومن هنا فقد كان قدر هذا الدين أن يرتبط بكل العقائد الفاسدة التي أفسدت الانجيل . وبقدر ما نفضح هذه النبوّة ونكشفها أو بقدر ما نكشف الادّعاء الحالي الموجود على ظهر الأرض ، **كلما عجّلنا بسقوط الخداع ، وكلما عجلنا بتأثيل الحق ، وكلما زاد اهتمامنا - بعمق - بهذه المناطق التي طالت فيها سيادة هذا الدين .**

وبقدر اهتمامنا بموضوع الإسلام بشكل عام ، يكون اهتمامنا بحياة مؤسسه وشخصيته وأعماله . هذا الشخص الغامض الذي خرج من قبائل شبه الجزيرة العربية الرحَّل ، ولم يكن ذا مكانة تسمو على مكانة تاجر في قافلة ، ولم يكن يتمتع بمزايا عقلية خاصة ، ولم يكن يتميز بامتلاكه قوّة أو نفوذاً ، ومع هذا فقد تمكن رغم العقبات العديدة من تأسيس مثل هذه الامبراطورية الشاسعة التي تضم ملايين من البشر ، والتي استمرت أكثر من ألف سنة ومائتي سنة .

إن هذا يشكل ظاهرة مدهشة وتزداد دهشتنا كلما أمعنا النظر فيها متأملين متفكِّرين إننا سنعرض في الصفحات التالية الأحداث البارزة في حياة **P.19** هذا الرجل المميز غير العادي . وبطبيعة الحال فإن أحداً لا يتوقع بعد مُضي هذا الزمن الطويل . وفي هذه المنطقة النائية التي ظهر فيها النبي - أن يعلم العالم بكل الحقائق أو بتعبير آخر بكل ما جرى من وقائع ، ولا أحد يتوقع أن نأتي بمعلومات جديدة . كل ما في الأمر أننا سنستخدم - بحكمة وتعقل - المادة المتاحة أو سنحاول ذلك .

ومع هذا فنحن لم نفقد الأمل ، فكتابنا هذا يمتاز بميزة واحدة على الأقل ، فهو يقدم الموضوع مرتّباً شائقاً متمسكاً بالحداثة ، ونعني بذلك أننا ربطنا السياق بالمسيحية . فالمسيحي المتنوّر الذي يقدّر نبي الجزيرة العربية ودينه قلما كان له وجود - فيما نعتقد - وهذا راجع ببساطة إلى أن الموضوع قلما عولج بطريقة تؤدّي لهذا .

لذا فإن عرضاً موجزاً لحالة المسيحية وقت ظهور محمد خاصة في المنطقة التي شهدت ظهور دعواه ، ربما تلفت انتباه القارئ في هذه المقدمة ، هذا سيظهر بوضوح أكثر لماذا حكم الله بأن ينقضّ التضليل الإسلامي على كنيسة المسيح . وبدون فهم أحوال الكنيسة وقت ظهور الإسلام لاستحال الحكم الصحيح تماما على الإسلام .

حالة المسيحية في القرن السادس للميلاد، خاصة في الكنائس الشرقية:

كما انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى قسمين كبيرين ؛ إمبراطورية رومانية شرقية ، وامبراطورية رومانية غربية ، كذلك انقسمت الكنائس إلى شرقية وغربية ، وضمت الامبراطورية الشرقية مناطق آسيا أو بلاد الشرق التي كانت خاضعة للجيوش الرومانية ، وضمت الامبراطورية الغربية المناطق الأوربية التي نطلق عليها اسم «الغرب» . ولقد أصبحت الفروق بينهما تزداد منذ أيام قسطنطين الذي نقل حاضرة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطينية ، رغم أن الانفصال النهائي بين الكنيسة البيزنطية Greek والكنيسة اللاتينية لم يأخذ شكله النهائي والكامل إلاّ قبيل القرن السابع للميلاد .

لقد كان الدين المسيحي الذي انتشر منذ وقت باكر في الجزء الأكبر من الإمبراطورية الرومانية قد ظل طوال قرنين أو ثلاثة محتفظا - إلى حد كبير - ببساطته الأولى ونقائه . وأسس الرّسل (**المعنى أقرب ما يكون إلى الدعاة ، مع أن الرسل هي الكلمة المستخدمة في المصادر المسيحية**) أنفسهم كنائس ازدهرت في مناطق مختلفة من آسيا الصغرى وعلى طول الحدود الشرقية لأوربا ، ومن هذه المناطق خرجت كلمات الرب مدوّية في المناطق المجاورة بقوّة مضاعفة حتّى أنّ مملكة المخلّص (**المقصود المسيح**) استمرت في الاتساع والانتشار لمدة طويلة بعد الدعاة الأوائل .

لكن التحلّل التدريجي طال الكنيسة فلم تعد مزدهرة كازدهارها الأوّل .

P.21 فخلال القرن الرابع نجد أن «سرّ السؤال» الذي كان يُمارس منذ زمن بعيدا سرا أو في الخفاء أصبح يكشف عن نفسه بشكل أكثر وضوحاً ، ورغم أن المسيحيين - على وفق قوانين الامبراطورية - لم يعودوا يتعرَّضون للاضطهاد ، إلاّ أنه منذ هذا الوقت فصاعدا (أي منذ توقّف اضطهادهم) زاد انحرافهم وارتدادهم . وكان يمكن تتبّع هذا خلال كل حقبة لاحقة ، حتى وافاهم أخيرا إنسان الخطيّة في القرن السابع ، وعلى وفق نبوءات الكتابات المقدسة ، «هذا الأثيم يعظّم نفسه ويرتفع على كل ما يدعي إلها أو معبوداً . . ويجلس في هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله» (**رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي 2/ 4**) . لقد استشرت هذه الردّة المرعبة وبلغت ذروتها في حوالي الفترة التي ظهر فيها محمد ﷺ ، وبلغ الآثمون تمام أمرهم - لقد تخلت الكنيسة التي لم تُصبح جديرة باسمها عن عقائد الكتاب المقدس (المسيحي) وأخلاقياته واساق العبادة الواردة ، فأصبحت على وشك التخلّي عن المسيحية .

لقد دخلت التحريفات القبيحة والخرافات في الكنيسة وبلغت مبلغاً كبيراً حتى انفصل لوثر وغيره من الإصلاحيين عما أسموه مجتمعاً معادياً للمسيح .

في هذه الفترة ساد توقير القديسيين والشهداء ، وبذا ازدهرت العبادة الوثنية ممثلة في عبادة الصور والبقايا الأثرية المقدسة ، كما ساد توقير العذراء مريم توقيراً عبادياً ، وساد الاعتقاد في الأعراف وعبادة الصليب ، وأصبح كل هذا راسخاً مؤثلا ، وبذا اختفى رونق الانجيل وقلّ بهاؤه وعانى من كسوف مظلم وضاع جوهر المسيحية في خضم الطقوس التافهة والخرافية .

P.22 وفي الأجزاء الشرقية من الامبراطورية الرومانية - خاصة في الشام والمناطق المتاخمةلشبه الجزيرة العربية ، بالإضافة لمناطق داخل شبه الجزيرة العربية نفسها تفاقمت هذه الشرور بسبب سيادة العديد من المذاهب والهرطقات ،

وبسبب الخلافات المستمرة بينها . لقد تمزقت الكنيسة إرباً بسبب النزاعات الضارية بين الآريوسيّين والسابليان والنساطرة والكوليرديان واليوتيشيان ، وقد أدّت نزاعاتهم هذه إلى إرباك العقائد المسيحية العظيمة وإغراقها في دقائق ميتافيزيقية ومصطلحات مدرسية ، فلم تعد - أي المسيحية - نهج حياة ، ولم يعد يُنظر لها بوصفها طريقا وحيداً للخلاص .

فدين الإنجيل ، المصدر المبارك للحب والسلام والوحدة بين البشر ، أصبح بسبب الخلافات المذهبية وما بها من انحراف - جمرة تحرق ، وعُقد مجمع إثْر مجمع ، وصدرت قرارات مجمعية إثْر قرارات . لقد شتّت الأساقفة البلاد في كلّ اتجاه وسعت كل طائفة لتحقيق أغراضها والعمل على دعم عقائدها وإدانة المخالفين لها في الرأي وقمعهم وبلغ النزاع في الكنائس الأسقفية البروتستنطية مبلغاً كبيراً ، خاصة في الغرب لدرجة أن الفرق المتناحرة لجأت مراراً إلى العنف وفي مناسبة لا تُنسى تلطّخت كنيسة مسيحية من الداخل بدماء عدد من أتباع أسقف منافس سقطوا ضحايا نزاع عنيف .

ليس هناك إذن ما يدعو لكثير من العجب أن تشهد هذه الأماكن (الكنائس) صراعاً مريراً للوصول إلى المناصب (الدينية) المربحة طمعًا ، من أناس فسدت نفوسهم ، خاصة إذا علمنا أن هذه المناصب الدينية كانت تفتح الطريق للثراء والرفاهية والنفوذ الكنسي . P.23

لقد قدم لنا المؤرخون القدماء أساقفة تلك الأيام بوصفهم أثروا بسبب الهدايا التي قدمها لهم الأثرياء ، وقدموهم لنا مغرورين متكبرين يركبون العربات التي تجرها الخيول ويحملون في المحفّات ويبالغون في ولائمهم وينعمون بسخاء الأمراء ، وفي الوقت نفسه كان أشد أنواع الجهل يسود بين أمم المملكة المسيحية ، ولم يكن الإكليريكيون مستثنين من هذا الجهل .

وكان من بين الأساقفة عدد من الوعاظ التقليديين والمدافعين عن الكنيسة غير قادرين على إلقاء المحاضرات أو كتابة الموضوعات التي يُحتِّم عليهم عملهم إنجازها ، بل وكان منهم غير القادرين على المشاركة في مناقشة القرارات المجمعية التي يُقرونها في مجامعهم . وكانت نسبة قليلة من التعليم الدّارج مقتصرة أساساً على النسّاك والرهبان ، لكنهم بدلاً من غرس العلوم أو نشر أي معارف مفيدة راحوا يُضيِّعون أوقاتهم في دراسة الأساطير الخرافية المتعلقة بالقديسين المدّعين والشهداء غير الحقيقيين ، أو راحوا يؤلفون التواريخ التي لا تقل خرافة عن الأساطير الآنف ذكرها .

هذا الفساد المحزن في عقائد رجال الدين وأخلاقهم أعقبه - كما هو متوقّع - فساد عام بين الجمهور ، ورغم أننا لا يمكن أن نفترض أن الله قد ترك نفسه تماما وليس من شاهد عليه في هذه الحقبة المظلمة ، فقد كان هناك عدد من المؤمنين الصادقين قد تضاءلوا حتى أصبحوا أشبه ما يكونون بمجرد بقايا ، وبدا أن الردة عن الدين الصحيح قد انتشرت انتشاراً واسعاً ، وبدا أن هذا الأمر في حاجة إلى حُكم يأتي من السماء بالنظر لهذه الحال البائسة التي وصلت إليها المسيحية في **P.24** الفترة التي سبقت ظهور محمد ﷺ ، فإننا نكون مهيّئين لقبول حُكم الله بالسماح لهذا البلاء الكئيب بالظهور (**يقصد الإسلام**) أثناء هذه الأزمة التي ألّمت بالعالم .

يقول بريدو «أخيراً فقد الله صبره(*) فقد طالت معاناته ، فبعث الحرب والمسلمين (السرسرّية) ليكونوا أداة سخطة ليعاقبهم لهذا ، فانتهز المسلمون فرصة ضعفهم والتهائهم بالمجامع الكنسية التي سبّبت انقسامهم ، فاجتاحوهم وألحقوا بهم تدميراً مرعباً واستولوا على كل الولايات الشرقية للإمبراطورية

(*) هكذا في الأصل ، ونعوذ بالله من هذا اللفظ ، فهو الحليم . وهو الصابر ، جل جلاله سبحانه وتعالى ، وهو المتحكم في مصائر الكون ، وفي مآل خلقه ، ولهذا أعز الله هذا الدين وجعله خاتمة للأديان ، لحكمة يراها سبحانه وحده . (المترجم)

الرومانية ، وثبّتوا حكمهم الطاغي في هذه الولايات وحوّلوا كنائسهم في كل مكان إلى مساجد ، وحولوا طقوس عباداتهم إلى خرافة بشعبة كريهة ، وفرضوا عليهم الإدّعاء المحمدي البغيض بدلا من هذا الدين المقدّس (الإلهي) الذي شوّهوه .

وبذا أطلق الله على هذه الكنائس عقاباً لها لضعفها أسوأ الأعداء فأهانوها ودمروها واحتقروها ، لقد اجتاحوها اجتياحا مرعبا وأوصلوها إلى هذه الحال المنحطة البائسة ، ومن يومها وهذه الكنائس ترزح وتئن متوجعة تحت هذا الطغيان . لقد رأى الله بحكمته الكلية أن يظلوا حتى يومنا هذا يئنون تحت الاضطهاد المحمّدي ، لا لشيء إلاّ ليكونوا عبرة للمسيحيين الآخرين فلا يضعفوا ولا ينقسموا ولا ينفصل بعضهم عن بعضهم الآخر» .

INTRODUCTION.

No revolution recorded in history, if we except that effected by the religion of the Gospel, has introduced greater changes into the state of the civilized world, than that which has grown out of the rise, progress, and permanence of Mohammedanism. The history and character, therefore, of this religion becomes an object of laudable curiosity with every enlightened mind. Considered merely as a department of the general annals of the world, apart from any connexion with the true religion, it furnishes some of the most interesting records of the human race. But when viewed as a part of the great chain of providential and predicted events, designed to have a direct bearing upon the state of the Christian church, through the whole period of its disastrous prevalence, it urges a new and stronger claim upon our attention. By many distinguished writers, who have deeply studied its origin, genius, and history, the religion of the Koran is confidently regarded rather as a *Christian heresy*, or the product of a Christian

heresy, than as a heathen superstition.* Consequently, its fate is involved in that of all false doctrines which have corrupted the Gospel; and as far as the disclosures of prophecy, or the present posture of the nations of the earth, hold out a hope of the speedy downfall of delusion, and of the establishment of the truth, the eye is naturally turned with deepening interest and anxiety to those regions of the globe where this religion has so long prevailed.

But in proportion to the interest inspired in the general subject of Mohammedanism, is that which is felt in the life, character, and actions of its founder. That an obscure individual, sprung from the roving tribes of Arabia, following no higher occupation than that of a caravan-trader, possessing no peculiar advantages of mental culture, nor distinguished in the outset by any pre-eminence of power or authority, should yet have been enabled, in spite of numerous obstacles, to found such an extensive empire over the minds, as well as persons, of millions of the human race, and that this dominion should have been continued for more than twelve hundred years, presents a phenomenon which increases our wonder the more steadily it is contemplated.

* "Hence,' says the learned and exemplary Mede, "Mahometanism has frequently been accounted a *Christian heresy*; and as it had its origin in Christianity, so to Christ it looks in the end. For, according to the creed of the Mahometans, Jesus is expected to descend to earth, to embrace the religion of Mahomet, to slay Antichrist, and to reign with his saints." The same authority affirms, "that the Mahometans are nearer to Christianity than many of the ancient heretics; the Cerinthians, Gnostics, and Manichees."

It is proposed in the ensuing pages to exhibit the prominent events of the life and fortunes of this remarkable man. It will not, of course, be expected that, at this distance of time and remoteness of place, a mass of facts entirely new should be communicated to the world. The discreet use of the materials already extant is all that can now be reasonably required or attempted. Yet we are not without hope, that in one aspect, at least, our theme may present itself arrayed in a character of novelty and of unwonted interest; we mean, in its connexions with Christianity. An enlightened Christian estimate of the prophet of Arabia and his religion is, we believe, seldom formed, simply because the subject has seldom been so presented as to afford the means of such an estimate. A brief sketch, therefore, of the state of Christianity at the time of Mohammed's appearance, especially in that region of the world in which his imposture took its rise, will properly invite the reader's attention at the outset of the work. This will show more clearly the intended providential bearings of the entire fabric of Mohammedan delusion upon the church of Christ; and, apart from this particular view of it, we are persuaded that an entirely correct or adequate judgment of Islamism cannot be formed.

State of Christianity in the Sixth Century, particularly in the Eastern Churches.

The distinction of Eastern and Western churches, in ecclesiastical history, is founded upon a similar geographical division of the Roman empire under the emperors, into two great departments; the one including the countries of Asia or the East, which had been subjected to the Roman arms, and the other those of Europe, more properly denominated the West. This distinction became still more common from the days of Constantine, who removed the seat of the empire from Rome to Constantinople, though the final and complete rupture between the Greek and Latin churches did not occur till the seventh century.

Over the largest portion of the Roman empire the Christian religion was early propagated, and for two or three centuries subsisted in a great degree of its original simplicity and purity. Flourishing churches were planted by the Apostles themselves in the different provinces of Asia Minor, and along the eastern limits of Europe; from which "the word sounded out" to the adjacent territories with a multiplying power, so that the cause and kingdom of the Redeemer continued to spread long after its first propagators had entered into their rest. But a gradual degeneracy supervened upon the primitive prosperity of the church. During the fourth century "the mystery of iniquity," which had been long before working in secret,

began to discover itself more openly, and though the Christians, by the laws of the empire, were exempted from persecution, yet from this time forward a growing declension and defection among them is to be traced through every subsequent period, till at length, in the seventh century, "the man of sin" became fully revealed, and, according to the predictions of holy writ, took his seat "as God in the temple of God, opposing and exalting himself above all that is called God, or is worshipped." It was about the period at which Mohammed arose that this fearful apostacy had attained its height—that "the transgressors had come to the full"—and the degree to which the nominal church had departed from the standard of faith, morals, and worship contained in the Scriptures, well nigh surpasses belief. Then it was that those foul corruptions and superstitions were introduced into the church, which finally grew to such a pitch of enormity as to occasion the separation of Luther and the other reformers from what they deemed and denominated the communion of Antichrist. At this period it was, that the veneration for departed saints and martyrs—the idolatrous worship of images and relics—the rendering divine honours to the Virgin Mary—the doctrine of purgatory—and the adoration of the Cross, had become firmly established; and thus the lustre of the Gospel suffered a dark eclipse, and the essence of Christianity was lost under a load of idle and superstitious ceremonies.

In the eastern parts of the empire, especially

Syria and the countries bordering upon Arabia, as well as in some parts of Arabia itself, these evils were aggravated by the numerous sects and heresies that prevailed, and by the incessant controversial wars which they waged with each other. The church was torn to pieces by the furious disputes of the Arians, Sabellians, Nestorians, Eutychians, and Collyridians, by whom the great doctrines of Christianity were so confounded with metaphysical subtleties and the jargon of schools, that they ceased, in great measure, to be regarded as a rule of life, or as pointing out the only way of salvation. The religion of the Gospel, the blessed source of peace, love, and unity among men, became, by the perverseness of sectaries, a firebrand of burning contention. Council after council was called—canon after canon was enacted—prelates were traversing the country in every direction in the prosecution of party purposes, resorting to every base art, to obtain the authoritative establishment of their own peculiar tenets, and the condemnation and suppression of those of their adversaries. The contests also for the episcopal office ran so high, particularly in the West, that the opposing parties repeatedly had recourse to violence, and, in one memorable instance, the interior of a Christian church was stained by the blood of a number of the adherents of the rival bishops, who fell victims to their fierce contentions. Yet it is little to be wondered at that these places of preferment should have been so greedily sought after by men of corrupt minds, when we learn,

that they opened the direct road to wealth, luxury, and priestly power. Ancient historians represent the bishops of that day, as enriched by the presents of the opulent, as riding abroad in pompous state in chariots and sedans, and surpassing, in the extravagance of their feasts, the sumptuousness of princes; while, at the same time, the most barbarous ignorance was fast overspreading the nations of Christendom, the ecclesiastical orders themselves not excepted. Among the bishops, the legitimate instructers and defenders of the church, numbers were to be found incapable of composing the poor discourses which their office required them to deliver to the people, or of subscribing the decrees which they passed in their councils. The little learning in vogue was chiefly confined to the monks. But they, instead of cultivating science, or diffusing any kind of useful knowledge, squandered their time in the study of the fabulous legends of pretended saints and martyrs, or in composing histories equally fabulous.

This woful corruption of doctrine and morals in the clergy was followed, as might be expected, by a very general depravity of the common people; and though we cannot suppose that God left himself altogether without witnesses in this dark period, yet the number of the truly faithful had dwindled down to a mere remnant, and the wide-spreading defection seemed to call aloud for the judgments of heaven. In view of this deplorable state of Christianity, anterior to the appearance of Mohammed, we are prepared to admit at once the

justness of the following remarks upon the moral ends designed to be accomplished by Providence in permitting this desolating scourge to arise at this particular crisis of the world.

"At length," says Prideaux, "having wearied the patience and long-suffering of God, he raised up the Saracens to be the instruments of his wrath to punish them for it; who, taking advantage of the weakness of their power, and the distraction of counsels which their divisions had caused among them, overran, with a terrible devastation, all the eastern provinces of the Roman empire. And having fixed that tyranny over them which hath ever since afflicted those parts of the world, turned every where their churches into mosques, and their worship into a horrid superstition; and instead of that holy religion which they had abused, forced on them the abominable imposture of Mahomet.—Thus those once glorious and most flourishing churches, for a punishment of their wickedness, being given up to the insult, ravage, and scorn of the worst of enemies, were on a sudden overwhelmed with so terrible a destruction as hath reduced them to that low and miserable condition under which they have ever since groaned; the all-wise providence of God seeming to continue them thus unto this day under the pride and persecution of Mahometan tyranny, for no other end but to be an example and warning unto others against the wickedness of separation and division."



أصل العرب - إثبات أنهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم

P.25 عندما نعود بأصول الأمة إلى مؤسسيها الأوائل ، فإن سفر التكوين في العهد القديم يعد وثيقة لا تقدّر بثمن ، فهؤلاء الذين لا يترددون في قبول ما ورد في سفر التكوين وغيره من أسفار الكتاب المقدس باعتبارها مستندات جازمة لإقرار الحقائق التاريخية ، لن يترددوا في اعتبار العرب من نسل إسماعيل ابن ابراهيم . وعلى أية حال فإن عدداً من المؤلفين المتشككين تشككوا كثيراً في هذا - أي في كون العرب من نسل إسماعيل (عليه السلام) نذكر منهم المؤرخ الشهير مؤلف كتاب تحلل الإمبراطورية الرومانية وسقوطها . لقد هاجم ببراعته المعتادة موثوقية الكتاب المقدس في القضايا التاريخية ، كما هاجم في الوقت نفسه المرويات العربية فيما يتعلق بشجرة نسب هذا الشعب المهم .

بل أنه لا يعمد إلى دحض هذه الحقيقة التي يعطيها روح القصة ، بطريقة نمطية . وعلى أية حال فربما كان التعمق في دراسة الأصل الإسماعيلي للعرب P.26 لا يمثل مقدمة مناسبة للكتاب الذي بين يدي القارئ ، والذي يتناول حياة فرد أو شخصيته ، ذلك الفرد الذي فعل الكثير في تشكيل مسلكيات هذا الجنس الشهير (العرب) .

مما قاله موسى نعلم نسب إسماعيل ومولده ، ونعلم استقراره في شبه الجزيرة العربية ، وليس هذا فحسب بل إننا نعلم أيضًا العهد الذي عقده إبراهيم باسمه ، على نحو استثنائي والشبيه بالوعد النبوئي المتعلق بأبناء اسحق المفضلين .

«وقال إبراهيم للّه ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : بل سارّة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبديا لنسله من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثّره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك ساره . هذا الوقت في السنة الآتية» (سفر التكوين 17 / 18-2) وعلى النحو نفسه سيُكثّر من بني اسرائيل من نسل أبناء يعقوب الاثنى عشر ، وسيقسم بني إسرائيل إلى اثنتي عشرة قبيلة .

وفي القسم الثاني من أقوال موسى نجد الانجاز الأولى لهذه النبوءة فيما يتعلق بنسل إسماعيل : «وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة ، لابراهيم . وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم . نَبايوت بكْر اسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ومِبْسام ومِشْماع ودومه ومسًّا ، وحدار ، وتيماَ ، ويطور ، ونافيش وقدْمه .

P.27 هؤلاء هم بنو إسماعيل ، وهذه أَسماؤهم بديارهم وحصونهم : اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم» (سفر التكوين 13-16) (النص الإنجليزي : حسب أممهم nations) .

أما عن مقار إقامتهم أو توزيعهم الجغرافي فواضح في الفقرة التالية :

«وسكنوا من حويله إلى شور التي أمام مصر حين تجيء نحو أشور . أمام جميع إخوته نزل» (25 / 18) (النص الإنجليزي أوضح : التي أمام مصر وأنت متجه إلى آشور) وحويله وشور باتفاق أفضل جغرافيي الكتاب المقدس تكوّن

جزءاً من المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأحمر ، ويطلق عليها اسم شبه الجزيرة العربية أو بلاد العرب(*) (أرابيا) .

ولأسباب لا نعرفها الآن يبدو أن قبائل نَبايوتِ (المقصود الخارجة من صلبه) وقبائل قيدار قد علت فوق القبائل الأخرى ، لذا فإن المنطقة كلها كانت تنسب مرة لقبائل نبايوت ومرة أخرى لقبائل قيدار تماما ، كما أن كل بني اسرائيل يطلق عليهم أحيانا يهوذا نظرًا لتفوق قبيلة يهوذا عددا وقوةً ونفوذا . ونجد أيضا عند المؤرخين القدماء ممّن تعوزهم الخبرة قبيلتي : النبط (أو النبطيين) والقيداريين ، يستخدمان على التتابع للدلالة على القبائل الرحّل في صحاري بلاد العرب .

ويؤكد ما قلناه تأكيداً مباشراً ما ذكره يوسيفوس ، فبعد أن ذكر أسماء أولاد إسماعيل الاثنى عشر أضاف قائلا : «وهم يسكنون كل المنطقة الممتدة من نهر الفرات إلى البحر الأحمر ، وهم يطلقون عليها اسم بلاد النبط (أو بلاد النبطيين) .

هذا هو الاسم الذي أطلق على جنس العرب جميعا بمختلف قبائلهم»(**) وفي القرن الرابع وصف چيروم في تعليقه الشارح على سفر إرميا ، واصفا قيدار بأنها منطقة الصحراء العربية التي يسكنها الإسماعيليون (المقصود P.28 نسل إسماعيل عليه السلام) والذين أطلق عليهم في ذلك الوقت الساراسين (السرسريّة) . ويتحدث الأب نفسه في شرحه لسفر أشعياء مرة أخرى عن قيدار بوصفها منطقة السراسين (السرسريّة) الذين يُقال لهم في العهد القديم الإسماعيليين أو أبناء إسماعيل ، ولاحظ أن نبايوت الذي كان واحداً من أبناء إسماعيل قد أطلق اسمه على صحراء بلاد العرب» يقصد أن اسمها أصبح بلاد نبايوت أو نبايوط أو بلاد النبط .

وثمة دليل آخر نسوقه للتدليل على أصل العرب وهو أنهم يمارسون منذ زمن قديم غير محدد طقس الختان . وقد ذكر يوسيفوس فقرة مهمة جدا فيما

(*) Well's Sac. Geog. Vol.I p.341 .

(**) Well's Sac. Geog. Vol.I p.341 .

يتعلق بأصل هذه الشعيرة (الختان) بين اليهود والعرب فذكر في البداية ختان اسحق، ثم ختان اسماعيل، ويقرر يوسيفوس أن اليهود والعرب مشهورون بهذه العادة منذ زمن قديم لا نستطيع تحديد بداياته، ويمارس اليهود والعرب هذا الأمر بقسوة اقتداء بأسلافهم الموقرين وهاك ما قاله: «الآن عندما بلغت سارة التسعين وبلغ ابراهيم المائة انجبا اسحق، فختناه في اليوم الثامن من ميلاده، ومن هنا أخذ اليهود عادة ختن أولادهم في اليوم الثامن من ميلادهم.

ولكن العرب يمارسون الختان في سن الثالثة عشر، لأن اسماعيل مؤسس أمتهم، وهو ابن إبراهيم من جاريته قد اختتن في هذا العمر»(*) وهناك شهادة شبيهة عن أصل العرب كُتبت في القرن الثالث للميلاد. يقول الكاتب: أهل يهوذا يَخْتتنون بشكل عام أنجالهم في اليوم الثامن من ميلادهم، أما نسل إسماعيل في بلاد العرب فيمارسون الختان في سن الثالثة عشر»(**) وقد عاش هذا الكاتب - مثله مثل يوسيفوس - قريبا من المنطقة وكان لديه أفضل الفرص للحصول على المعلومات الصحيحة عن العرب.

P.29 وعلى هذا فمن الواضح أن نسبة العرب إلى اسماعيل بن إبراهيم في الفترة التي كتب فيها، كانت تاريخية مؤكَّدة وليست مجرد مرويّات.

هذا الشاهد المباشر على أصل العرب الإسماعيلي الذي أكده أقدم سفر من أسفار العهدين (المقصود سفر التكوين) وأكّدته - كما رأينا مصادر أجنبية - يتّفق بشكل مدهش مع ما أكده الأنبياء بعد ذلك، وما أكّده الكتاب الملهمون (المقصود أصحاب الرؤى) ومن خلال المسيرة الطويلة لتاريخ الكتابات الدينية والنبوآت نلتقي مراراً وتكراراً بإشارات إلى قبائل تعيش في بلاد العرب (أرابيا) منحدرة من اسماعيل (**عليه السلام**) حاملة أسماء أبنائه وأبرزهم نبايوت (أو نبايوط) وقيدار.

(*) Ant.Jud. b.i. ch 12.

(**) Ant.Jud. b.i. ch 10 x 5. (ليس في المصادر الإسلامية ما يُعوّل على هذا المنطق، فالأطفال من أبناء المسلمين يتم ختانهم في أغلب الأحوال - الآن - بعد ولادتهم مباشرة، وليس هناك من زمن محدد لذلك) (المترجم).

وعلى هذا فالنبي أشعياء عندما تنبأ بمستقبل تحوّل الأغيار ذكر «كبش نابويات» أو نابوياط بن إسماعيل الأكبر وكل «قطعان قيدار» ثاني أبناء إسماعيل .

وهذا يعني العرب المنحدرين من صلب كل منهما . وهذه الفقرة في سفر أشعياء لا نستخدمها لخدمة سياقنا هذا عن أصل العرب ، وإنما هي تعني أيضا إشارة إلى تحوّل الأمم الإسلامية في المستقبل إلى المسيحية ، لتنضم جميعا إلى الكنيسة المسيحية . ويذكر هذا النبي نفسه (أشعياء) في جزء آخر من نبوءته إشارة إلى «مدن البريّة والقرى التي يسكنها آل قيدار» مرة أخرى نجد أشعياء عندما يذكر النكبة الوشيكة التي ستحيق ببلاد العرب (شبه الجزيرة العربية) يذكر لنا متنبئا أن «عظمة قيدار ستنهار) ، وهو يستخدم هذا الاسم الدال على قبيلة واحدة (قيدار) بوصفه مرادفاً لشبه الجزيرة العربية كلها .

وفي هذا السياق يحق لنا أن نذكر الكلمات التالية من المزامير : «وَيْلي لغُربتي في ماشك لسكنى في خيام قيدار» المزامير (120 / 5) . ويفترض بعض الشرّاح اليهود أن داود هو كاتب هذه الكلمات بتأثير الإلهام نبوءةً منه لما ستعانيه الكنيسة المسيحية من نير محمد ﷺ . وفي سفر إرميا نجد أيضًا ذكرًا لقيدار . إن إرميا يتحدث أيضا عن قيدار : «إنهم أمة ثرية تعيش بلا اهتمام فليس لديهم بوابات أو حواجز فهم يسكنون وحدهم» ويحدثنا حزقيال متنبئاً «بتوحدّ بلاد العرب (أرابيا) وكل أُمراء قيدار «العرب وكل رؤساء قيدار هم تجّار يدك بالخرفان والكباش والأعندة . في هذه كانوا تجارك» (حزقيال 27 / 21) . والإشارة إلى تيما - الابن التاسع لإسماعيل - بوصفه اسما للشعب المحارب في شبه جزيرة العرب ورد منذ وقت باكر في سفر أيوب «نظرت قوافل تيماء . سيّارةُ سبأ رجوها» وأخيراً فإن القبائل التي ترجع في أصلها إلى يطور (ابن إسماعيل العاشر) ونافيش ابن إسماعيل الحادي عشر نجدها مذكورة في سفر أخبار الأيام

الأول ، ويطلق عليها في هذا السفر اسم الهاجريين نسبة إلى هاجر أم إسماعيل والذين أسر منهم مائة ألف .

بالإضافة إلى هذا الكم من البراهين المستقاة من الكتاب المقدس المسيحي على انحدار العرب من إسماعيل ، فإننا نضيف هنا مقارنة معترفا بها تبين التشابه بين طبيعة العرب في كل العصور وطبيعة جدهم الأعلى (إسماعيل) : «سيكون إنساناً وحشياً ؛ يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه» (تكوين 16 :7 / 16) والحقيقة أن الأصل الإسماعيلي للعرب ظل دائماً تراثاً لا يتغير لهذه الأمة نفسها (العرب) .

من المؤكّد أن هناك علامات قليلة دالة في التاريخ أكثر دواما من أسماء البلاد كما أطلقها عليها سكانها الأصليون أو كما تم استخلاصها منهم ، وقد يمكننا أن نسأل على النحو نفسه عن انتساب أهل المجر إلى الهان ، وأهل فرنسا إلى الفرنجة ، وأهل تركيا إلى الجنس التركي ، وأهل يهوذا إلى يهوذا ، واليهود الموجودون في عدة مناطق في شبه الجزيرة العربية (أرابيا) إلى بعض أبناء إسماعيل (*) .

(*) Orig. Op. tom II , p.16. ed. Bene .

راجع ما أوردناه في الملحق عن فوستر في كتابه «كشف حقيقة الدين المحمدي» (الإسلامي) .

LIFE OF MOHAMMED.

CHAPTER I.

National Descent of the Arabs—Proved to be from Ishmael, son of Abraham

In tracing the genealogy of nations to their primitive founders, the book of Genesis is a document of inestimable value. With those who do not hesitate to receive this and the other inspired books of the Scriptures as authentic vouchers for historical facts, the national descent of the Arabs from Ishmael, the son of Abraham, is a point which will not admit of dispute. The fact of this derivation, however, has been seriously brought into question by several skeptical writers, particularly by the celebrated historian of the Decline and Fall of the Roman Empire. With his usual dexterity of insinuation, he assails the united authority of Scripture history and Arabian tradition, respecting the pedigree of this remarkable people. Yet in no case does he undertake, in a formal manner, to *disprove* the fact to which he still labours to give the air of a fiction.* A succinct view, therefore, of the testimonies which go to establish the Ishmaelitish origin of the Arabs

* Decline and Fall, ch 1

may form no unsuitable introduction to the present work, detailing the life and character of the individual who has done so much towards rendering the race illustrious.

From the narrative of Moses we learn not only the parentage, birth, and settlement of Ishmael in Arabia, but the fact also of a covenant made with Abraham in his behalf, accompanied with a prophecy respecting his descendants, singularly analogous to the prophetic promise concerning the more favoured seed of Isaac. "And Abraham said unto God, O that Ishmael might live before thee! And God said, Sarah, thy wife, shall bear thee a son indeed; and thou shalt call his name Isaac: and I will establish my covenant with him for an everlasting covenant, and with his seed after him. And as for Ishmael, I have heard thee: Behold, I have blessed him, and will make him fruitful, and will multiply him exceedingly; twelve princes shall he beget, and I will make him a great nation."* In like manner, it will be recollected, the nation of Israel sprung from the twelve sons of Jacob, and was divided into twelve tribes. In a subsequent part of the Mosaic records we find the notice of the incipient fulfilment of this prediction concerning the posterity of Ishmael "And these are the names of the sons of Ishmael, by their names, according to their generations: The first-born of Ishmael, Nebajoth, and Kedar, and Adbeel, and Mibsam, and Mishma, and Dumah, and Massah, Hadar, and Tema, Jetur,

* Genesis, xvii. 18—20.

Naphish, and Kedemah. These are the sons of Ishmael, and these are their names, by their towns, and by their castles: twelve princes according to their nations."* Their geographical residence is clearly ascertained in a subsequent verse. "And they dwelt from Havilah unto Shur, that is before Egypt as thou goest towards Assyria."† Havilah and Shur, by the consent of the best sacred geographers, are allowed to have composed part of the region between the Euphrates and the Red Sea, denominated Arabia.‡ From causes now unknown, the tribes of Nebajoth and Kedar appear to have acquired an ascendency over the rest, so that the whole country is sometimes designated from one, sometimes from the other of them, just as the entire nation of Israel is sometimes called Judah from the superior numbers, power, or influence of that tribe. Among the ancient profane historians also we find the names of *Nabitheans* and *Kedarenes* frequently employed as an appellation of the roving inhabitants of the Arabian deserts. This testimony is directly confirmed by that of Josephus. After reciting the names of the twelve sons of Ishmael, he adds:—"These inhabit all the country extending from the Euphrates to the Red Sea, giving it the name of the *Nabatenean* region. These are they who have given names to the whole race of the Arabs with their tribes."§ In the fourth century, Jerome, in his commentary on Jeremiah, de-

* Genesis, xxv. 13—16.
† Ver. 18.
‡ Wells's Sac. Geogr. vol. i. p. 341.
§ Ant. Jud. b. i. ch. 12, § 4.

scribes Kedar as a country of the Arabian desert, inhabited by the Ishmaelites, who were then termed Saracens. The same father, in his commentary on Isaiah, again speaks of Kedar as the country of the Saracens, who in Scripture are called Ishmaelites; and observes of Nebajoth, that he was one of the sons of Ishmael, after whose names the Arabian desert is called.

Another source of evidence in relation to the national descent of the Arabs, is their having practised, from time immemorial, the rite of circumcision. Josephus has a very remarkable passage touching the origin of this rite among the Jews and Arabs, in which he first makes mention of the circumcision of Isaac; then introduces that of Ishmael; and states concerning each, as matter of universal and immemorial notoriety, that the Jews and the Arabians severally practised the rite, conformably with the precedents given them, in the persons of their respective fathers. His words are these:—"Now when Sarah had completed her ninetieth, and Abraham his hundredth year, a son (Isaac) is born unto them: whom they forthwith circumcise on the eighth day; and from him the Jews derive their custom of circumcising children after the same interval. But the Arabians administer circumcision at the close of the thirteenth year: for Ishmael, the founder of their nation, the son of Abraham by his concubine, was circumcised at that time of life."* Similar to this is the testimony of Origen, who wrote in the third

* Ant. Jud. b. i. ch. 10, § 5.

century of the Christian era. "The natives of Judea," says he, "generally circumcise their children on the eighth day; but the Ishmaelites who inhabit Arabia universally practise circumcision in the thirteenth year. For this history tells us concerning them."* This writer, like Josephus, lived near the spot, and had the best opportunities of obtaining correct information respecting the Arabians. It is evident, therefore, beyond contradiction, from his words, that the fact of their derivation from Abraham through Ishmael was an established point of historical record, and not of mere traditionary fame, at the period at which he wrote.

The direct testimony to the Ishmaelitish extraction of the Arabs furnished by the earliest records of the Bible, and confirmed as we see by foreign authorities, is strikingly corroborated by repeated references, bearing upon the same point, in later inspired writers, particularly the prophets. Through the long course of sacred history and prophecy, we meet with reiterated allusions to existing tribes of Arabia, descending from Ishmael, and bearing the names of his several sons, among which those of Nebajoth and Kedar usually predominate. Thus the Prophet Isaiah, in foretelling the future conversion of the Gentiles, makes mention of the "rams of *Nebajoth*," the eldest, and "all the flocks of *Kedar*," the second of the sons of Ishmael; that is, of the Arab tribes descending from these brothers; a passage which not only affords strong

* Orig. Op. tom. ii. p. 16, ed. Bened.

proof of our main position, but conveys also an intimation of the future in-gathering of the Mohammedan nations into the Christian Church. The same Prophet, in another part of his predictions, notices "the *cities of the wilderness*, the villages that *Kedar* doth inhabit." And again, when denouncing impending calamity upon the land of Arabia, he foretells how "all the glory of *Kedar* shall fail;" he employs the name of this single tribe as synonymous with that of the entire peninsula. In this connexion the words of the Psalmist may be cited:—"Wo is me that I sojourn in Mesech, that I dwell in *the tents of Kedar*." These words are supposed by some of the Jewish commentators to have been written by David, under the influence of inspiration, as the prophetic plaint of the Christian Church, labouring and groaning, as it has sometimes done, under the yoke of Mohammedan oppression. In Jeremiah, also, we find mention of Kedar. He speaks of it as "the wealthy nation that dwelleth without care, which have neither gates nor bars, which dwell alone." Ezekiel, moreover, prophesies conjointly of "Arabia and all the princes of *Kedar*." An allusion to Tema, the ninth son of Ishmael, as the name of a warlike people of Arabia, occurs as early as in the book of Job: "The troops of Tema looked, the companies of Sheba waited for them." Lastly, the tribes sprung from *Jetur* and *Naphish*, the tenth and eleventh sons of Ishmael, are commemorated in the first book of Chronicles, who are there called *Hagarites*, from Hagar, the mother of Ishmael, and

of whom a hundred thousand males were taken captives.

When to this mass of Scripture evidence of the descent of the Arabs from Ishmael we add the acknowledged coincidence between the national character of this people in every age, and the predicted personal character of their progenitor—"And he will be a wild man; his hand will be against every man, and every man's hand against him"—and the fact, that the Ishmaelitish origin of the Arabs has ever been the constant and unvarying tradition of that people themselves, the subject scarcely admits of a more irrefragable proof. There are certainly few landmarks of history more universal or more permanent than the names of countries affixed by original settlers, or flowing from them, and we may as justly question the derivation of Hungary from the Huns, France from the Franks, Turkey from the Turks, or Judea from Judah and the Jews, as those of the several districts of Arabia from the respective sons of Ishmael.*

* The argument in this chapter is condensed from a more ample discussion of the subject in the Appendix to "Forster's Mahometanism Unveiled."



الفصل الثاني

مولد محمد ﷺ ورعايته - فقده لوالديه في طفولته الباكرة - عمه أبو طالب يكفله - ذهابه للشام في قافلة تجارية مع عمه وهو في الثالثة عشر من عمره - دخوله في خدمة خديجة وهي أرملة من أهل مكة - زواجه من خديجة (رضي الله عنها) .

P.32 محمد ﷺ الذي وُلد بمكة في سنة 569م(*) ، أصبح بعد ذلك مشرّعا لبلاد العرب ومؤسساً للدين الإسلامي أو الدين المحمدي فشرَّف نفسه - وشرفه اتباعه - بالقول بأنه نبي الله ورسوله . ورغم هذا فإن كثيرين من المؤلفين المسيحيين الأوائل وصفوه بأنه وضيع غير نبيل العترة والسلالة ، وذلك لانحيازهم ضد هذا النبي ودينه ، إلاّ أن الحقيقة أنه شريف أصيل النسب أو لنقل أنه على الأقل شريف أصيل على وفق المعايير المعمول بها في قومه .

وكان العرب القدماء وقد تفرعوا من شجرة إسماعيل عليه السلام وورثوا عادات أجدادهم البدوية ، قد انقسموا منذ زمن قديم لا نستطيع تحديد بداياته إلى قبائل منفصلة مستقلة تجوب المناطق الصحراوية الشاسعة ، إلاّ أن عدة آلاف منهم تجمعت في مدن - هنا وهناك - واشتغلت بالتجارة . وكانت بعض هذه القبائل - لأسباب مختلفة - أكثر عدداً وقوة وشهرة من القبائل الأخرى . وكانت قبيلة قريش التي ينحدر محمد ﷺ من صلب مؤسّسها ، تعد منذ فترة طويلة أنبل القبائل العربية على الإطلاق ، وكان أجداده لعدّة أجيال من بين أمراء مكة وسدنة الكعبة الحاملين لمفاتيحها(**) واسم أبيه هو عبد الله ، وكان - أي

(*) بعض المصادر الأخرى تجعل مولده في سنة 571 ، ونحن لا نستطيع حسم هذه المسألة .

(**) عن الكعبة انظر ملاحق الكتاب .

أبوه- واحداً من أبناء عبد المطلب البالغ عددهم ثلاثة عشر إبنا ، وكان جده عبد المطلب زعيمًا من زعماء قريش ورث عن أبيه هاشم مكاناً بارزاً في حكم مكة وخلفه في رعاية أمور الكعبة . وهاشم هذا هو الجد الأعلى لمحمد ﷺ وكان أكثر الرجال تميزاً في سلسلة نسب محمد ، فإليه ينسب محمد ورهطه . فيقال لهم بنو هاشم أو الهاشميون ، وليس هذا فحسب فحتى هذا اليوم يطلق على أمير مكة وأمير المدينة ، (وكلاهما لابد أن يكونا من سلالة النبي) ، لقب أمير الهاشميين .

وكان اسم أم محمد ﷺ آمنة التي يمكن تتبع سلسلة نسبها في أسرة مميّزة في القبيلة نفسها . وعندما تزوجت ابن عبد المطلب فائق الوسامة حتى ليقال أنه خلب ألباب مئات من عذارى بلاد العرب - كانت موضع حسد منهن ، فبزواجه من آمنة حطّم آمالهم في الزواج من إحداهن ، فقد كن به شديدات الولع .

ورغم أن عبد الله بن عبد المطلب كان ابنا لأب ثري ذي مكانة إلاّ أنه لم يكن يمتلك إلاّ القليل من الثروة ، ولأنه مات وابنه (محمد ﷺ) لا زال طفلا **P.34** - أو على حد أقوال أخرى لم يكن قد وُلد بعد - فمن المحتمل أن تكون هذه الثروة الصغيرة قد تم سلبها ، فالسلب خاصية من خصائص العرب(*) ، أو باشتراك أخوة عبد الله الاثنى عشر في هذه الثروة القليلة - أعمام محمد ﷺ الأقوياء .

ورغم أن شريعة القرآن فيما يتعلق بالمواريث ، كما دعا إليها محمد ﷺ نفسه ، تتسم أكثر بروح الرأفة والإنصاف ، إلاّ أن العرب الوثنيين قبل بعثة محمد كانوا - كما نعلم من الكتاب الشرقيين - نزّاعين لمعاملة الأرامل والأيتام بطريقة غير عادلة ، فكثيراً ما كانوا ينكرون عليهم مشاركتهم في ميراث آبائهم وأزواجهم ، بدعوى أن هذا الميراث يجب ألاّ يوزَّع إلاّ على القادرين على حمل

(*) هذه الأوصاف التي يخلعها المؤلف على العرب ، سوف تتردد كثيرًا في كتابه هذا ، وهذا منحى عنصري متقدم في هذا الفكر ، يتم إحيائه على نحو ما هذه الأيام ، وللقارئ أن يطالع كتاب المؤلف «وادي الرؤيا» لمترجم هذا الكتاب (المترجم) .

السلاح ، بل وكانوا يرتبون لاعتبار الأرملة جزءاً من ممتلكات زوجها الراحل ، حتى لو كان هذا بغير رضاها (المقصود أنها تورّث كما تورّث بقية الممتلكات) .

وعلى هذا فقد سرى على محمد ﷺ ماسرى على أهل بلاده ، فعند توزيع ميراث أبيه لم يكن نصيبه ليزيد عن خمسة جمال وجارية حبشية .

وراح المؤلفون المسلمون يربطون ميلاده بسلسلة من المعجزات المدهشة رغبة منهم بجعل ميلاد نبيهم الّدعى مماثلا في إعجازه بميلاد موسى وعيسى (عليهما السلام) ، وهما النبيان اللذان سبقاه **(لاحظ أن المؤلف يطلق على عيسى عليه السلام كلمة رسول messenger وهذا ما يقوله الإسلام بالضبط)** .

وإذا صدق القارئ ماذكروه فعليه أن يعترف أنه في اللحظة الذي خرج فيها الطفل المصطفى إلى العالم ، انبثق معه فيض من نور فاض على كل بقعة في الشام وغاضت مياه بحيرة ساوا لكي تُقام مدينة في قاعها ، وأسقط زلزال أربعة عشر برجاً من أبراج قصر كسرى فانطفأت نيران الفرس المقدسة ، وطردت الأرواح الشريرة التي تسكن القمر والنجوم من مساكنها السماوية ، ومُنعوا بعد ميلاده من الوسوسة في الأرض ومن تشجيع عبادة الأوثان .

وتنبأ الطفل أيضًا - إن جاز لنا أن نصدق هؤلاء المؤلفين - بتنبوءات عجيبة غاية في العجب ، فما أن وُلد حتى خرّ ساجداً مسبحاً خالقه قائلا : الله أكبر لا إله إلاّ الله وإني لرسول الله . بمثل هذه الخوارق وغيرها كثير ، وكلها مثيرة للدهشة ، ارتبط ميلاد النبي .

وإلى بعض هذه الخوارق يُعزى - حقيقة - أن بعض المسيحيين الأوائل صدّقوه . وعلى أية حال فقد كان هناك فرق بين معتقدهم المسيحي ومعتقدات أتباعه (أي أتباع محمد) فبينما أتباع محمد يعزون هذه المعجزات مباشرة دون تردد ليد الله ، معطين بهذه الطريقة برهانا لبقا للطبيعة النبوية لعبده محمد ، فإن المسيحيين الذين صدّقوا حدوث هذه الخوارق يعزونها مباشرة للشيطان الذي قد يفترض - كما يظنون - أنه يجرى بعض العجائب الخاصة (المعجزات) في هذه المناسبة .

إن هذه المعجزات والعجائب المرتبطة بميلاد محمد ﷺ ترد منسوبة إلى فترة ليس لدينا عنها أية معلومات موثّقة ، كما أنه ليس لدينا أية معلومات موثقة عن الحدث موضوع الدراسة وأعني به ميلاد محمد ﷺ . وحتى تثبت هذه الأمور بشهادات تاريخية كافية ، لايكاد يكون من الضروري أن نعزوها إلى **P. 36** إرادة إلهية أو شيطانية ، فمن الأسهل أن نتصور أن الرواة الأوائل كانوا عُرضة لهذا الادعاء أو الخداع ، أو أن نتصور أن كل هذه الغرائب أو المعجزات مجرد ادّعاء من أنصار محمد ﷺ ومشايعيه ، فهذا هو الأقرب للعقل من أن نصدق اختلال الطبيعة وخروجها عن نواميسها لهذه الأزمة (المقصود ميلاد محمد ﷺ) .

وكُتَّاب مسيرة النبي يخبروننا بما هو أكثر من هذا فهم يقولون أن جدّه عبد المطلب أقام وليمة في اليوم السابع لميلاده دعا إليها سادات قريش الذين طلبوا منه بعد انتهائهم من تناول الطعام ، أن يسمّى الطفل ، فأجاب أبو طالب على الفور : إني أسمّيه محمداً ، فعبر سادات قريش عن استغرابهم لأنه لم يسمّ حفيده - كما هو معتاد - على اسم واحد من أفراد عشيرته family لكن أبا طالب أصر على هذا الاسم قائلا : عسى الله أن يحمده في السماء كما خلقه في الأرض ، مشيراً في هذا إلى أن الاسم محمد يعني المحمود أو الممدوح .

فقد محمد أباه وهو ابن سنتين ، وبعد ذلك بأربع سنوات فقد أمه . لقد أصبح اليتيم الآن في كفالة أقاربه فجرى نقله إلى منزل جده ، وظل به لعامين حتى وافت المنية عبد المطلب - هذا الموقّر ، فانتقلت كفالته إلى أبي طالب ، ذلك المخلص الودود ، الذي خلف عبد المطلب في سلطته ونفوذه ، وهو أكبر أبناء عبد المطلب . وقال له عبد المطلب :

يا أعز الأبناء ، إنني أعهد إليك بمحمد ابن أخيك اليتيم الذي اختار الله أباه فتوفاه حتى نتبنى هذا الطفل العزيز ، ويجب أن يكون عندنا أعز بكثير من مجرد ابن نتبناه . خذه عندك إذا متّ وارعه كما كنتُ أرعاه بحب مخلص واكرمه كما كنت أكرمه . أكرمه وأحببه ودلّله مثلما كنت أفعل أو أكثر فهو وثيق الصلة بك ومن لحمك ودمك وستجازي على كل صنيع حسن تفعله معه ثلاثة أضعافه .

احرص على معاملته فسيعودُ ذلك عليك بالفائدة . فضِّله على أولادك فهو يفوقهم ويفوق كل البشر امتيازاً وكمالاً .

وضع في اعتبارك أنه إذا ما دعاك ، ألاّ تجيبه بوصفه طفلا وإنما أجبه كما تجيب أكثر الأشخاص وقاراً وأكبرهم سناً . لا تجلس إلى الطعام - مهما كان هذا الطعام - إلاّ بعد أن يجلس محمد ابن أخيك فهو جدير بهذا الاحترام ، ولا تتذوق أي نوع من الطعام أو حتى تمدَّن يدك نحوه إلاّ بعد أن يكون محمد قد أكل منه ، إن **P. 38** راعيت تعليماتي هذه سيزداد الخير بين يديك ، وإن عصيت قلَّ الخير عندك(*) .

وليس لدينا معلومات عما إذا كان أبو طالب قد وعى الوصية بمضامينها الجليلة التي بثها أبوه في كلماته ، لكن الأدلة تشير بشكل جيد إلى أنه كان بالنسبة لابن أخيه صديقاً وحامياً ، إذْ علّمه تعليما لا يقل على التعليم الذي اعتاد عليه الناس في هذه الأنحاء . أنه قدر قليل من التعليم - حقيقة - ولكنه لا يقل عن التعليم الذي أُتيح لغيره .

حقيقة إن أتباع محمد رغبة منهم في المبالغة في مواهب نبيهم وعَزْوها إلى قوى خارقة ، ورغبةً منهم في إضفاء مزيد من الإعجاز على القرآن (الكريم) ، فإنهم يؤكدون عموما على أن محمداً كان يجهل القراءة والكتابة تماماً . حقيقة إن هذا الادعاء أكّده محمد نفسه فهو يقول : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (العنكبوت : 48) ، وفي السورة السابقة

(*) Morgan's Mahometanism explained vel.1. p.50 هذا ما نقله المؤلف عن مرجان في كتابه شرح الإسلام ، لكننا لم نجد ذلك في السيرة المعروفة بسيرة ابن هشام . وهناك ما ورد فيها : كان رسول الله مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له . فكان رسول الله يأتي وهو غلام فيجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب : دعوا ابني فوالله إن له لشأنا ، ثم يُجلسه معه على الفراش . . ويسره ما يراه يصنع . وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب به ذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ، وأبا طالب أخوان لأب وأم . أمهما فاطمة بنت عمرو . . بن مخزوم . . السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق محمد بيومي ، المنصورة ، مكتبة الإيمان ، ص . ص 107 ، 114 . (المترجم) .

أيضا آية 158 (الأعراف) نقرأ : ﴿... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨)﴾

لكن آخر ما نتوقعه من القرآن - وهو ادّعاء بكل ما في الكلمة من معنى - أن يكون صادقاً دالاً على الحقيقة . فهناك أدلّة كثيرة من هذا الوحي الزائف نفسه تدلنا على أن الكتابة كانت شائعة بين العرب في تلك الأيام . فالوصية التالية التي وردت في القرآن (الكريم) تؤكد ذلك : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله** ... (٢٨٢)﴾ (البقرة :282) . **P. 39**

نحن نعلم أيضا أنّ عليا بن أبي طالب وهو ابن عم محمد ﷺ الذي تربّى مع محمد ﷺ أصبح بعد ذلك أحد الذين كتبوا له (**المقصود أحد كتاب الوحي**) ، وقد اختار منهم محمد عددا لعمل نسخ من القرآن (الكريم) مرتبة على حسب تعاقب نزولها .

كيف يُعقل إذن أن أبا طالب علّم ابنه الكتابة ولم يعلّم ابن أخيه؟ وأكثر من هذا فقد كانت مكة ملتقى حركة تجارية ، ولابد أن التجار كانا يُحسّون - كل ساعة - بحاجتهم إلى تسجيل صفقاتهم ومعاملاتهم المالية ، ونعلم أن محمداً ﷺ ظل لعدة سنوات يعمل في التجارة قبل أن يبدأ دعوته إلى الدين الجديد فمن غير المحتمل ألا يكون عارفاً باستخدام الحروف .

لم تصلنا تفاصيل موثّقة عن طفولة نبي المستقبل ولا عن شبابه . لكن هذا الفراغ ملأه أتباع النبي بحكايات خرافية تنقصها المصداقية تماما . لقد راح عمه يُعده للعمل في التجارة فبعثه مع قافلة له إلى الشام وهو في الثالثة عشر من عمره .

وقد وضع اتباعه سلسلة من المبشّرات الخرافية الدالة على عظمته مستقبلا ، ومن ذلك أن المؤرخين المسلمين ذكروا أن محمداً ﷺ عند وصوله إلى بُصرى بالشام أتاه راهب نسطوري اسمه بحيْرا وهو الراهب الذي يظن بريدو أنه هو نفسه سيرجيوس ، وتقدم خلال الجموع المتجمعة في السوق وأمسك يده وقال

«سيكون لهذا الغلام شأن فقد كانت هناك سحابة تظلله وهو يقترب» .

ويُقال أيضا أن الأشجار الجافة التي جلس تحتها في أي مكان سرعان ما كستها الأوراق الخضراء لتحميه من الشمس كما قال أن خاتم النبوة كان مطبوعاً بين كتفيه على شكل زائدة واضحة .

وعلى وفق ما قاله آخرون كانت العلامة التي تعرَّف بها بحيْرا عليه هي نور النبوّة الذي كان يتألق في وجهه ، وليس السحابة البيضاء . هذا النور الإعجازي - على وفق روايات المسلمين - كان موجودا في البداية في آدم (عليه السلام) ثم راح يتحدّر منه إلى كل نبي من ذريّته ، وأخيراً استقر النور على رأس إبراهيم ومن ثم انقسم هذا النور إلى نورين ؛ النور الأعظم والأوضح هبط على اسحق وذريته والنور الباهت الأقل درجة استقر عند اسماعيل وذريته ، فالنور الذي P. 41 انصرف إلى اسحق تمثل في استمراريته في سلسلة طويلة من الرسل والأنبياء من بني اسرائيل . أما النور في بني اسماعيل فيقال إنه قد ادُّخر طوال العصور حتى أتى محمد الذي تم فيه إحياء الرمز المقدس ، والآن يجبَ الإشارة إلى بحيْرا الذي كان من قَدَره أن يتجلّى فيه (**أي يتجلّى في محمد ﷺ**) .

وعلى أية حال فإن هذه الأسطورة قد ترجع إلى الإشارات في المصادر القديمة جداً إلى أصل الهالة النورانية التي تظهر في معظم الرسوم والأعمال الفنية المحفورة تحيط بجبين المخلّص المقدس (**المقصود المسيح عليه السلام**) .

وعندما كان أبو طالب على وشك الرجوع بقافلته إلى مكة ، يُقال إن بحيْرا ، اعتراه - مرة أخرى - هاجسه إزاء محمد ، فأظهر مرة أخرى اهتمامه بهذا الشاب غير العادي (**أي محمد ﷺ**) : «اهتم بهذا الطفل واحذر عليه من اليهود فابن أخيك هذا سيصبح يوماً ما ذا شأن كبير» .

والكتاب المسيحيون الأوائل يقولون كثيراً على هذا اللقاء بين محمد ﷺ وهذا الراهب الشامي ، بوصفه مفتاحا يفتحون به مغاليق الأصل الحقيقي للقرآن (الكريم) ومدى موثوقيته . فعلى وفق ما يقولون فإن بحيرا هذا أو سرجيوس

كان مرتداً عن اليهودية أو المسيحية ، وهو الذي درّس لمحمد ﷺ تاريخ الكتاب المقدس (اليهودي والمسيحي) وما به من عقائد وهو - أي بحيْرا أو سرجيوس - واضع خطة الدين الجديد الذي هو مزاج متنافر من اليهودية والمسيحية ، والذي قُدّر له أن يظهر بعد ذلك بعشرين عاما ، وبالتالي فإن بحيْرا

P. 42 (سرجيوس) هو المسئول أكثر من محمد عن معظم السور المهمة في القرآن (الكريم) ، وهناك كتاب آخرون يعتقدون أن هذا الشاب ابن الثلاث عشرة سنة لابد أن تلقى فكرة مفصّلة عن تكوين دين جديد وكيفية الدعوة إليه من بحيْرا (سرجيوس) في وقت لاحق من حياته عندما اقترب من العشرين من عمره ، أثناء رحلته الثانية إلى الشام(*) .

وهو رأي لا يُصدّق . لكننا - كما سنرى بعد - لا ندري كيف ساعد آخرون محمد ﷺ في تدبيج القرآن (الكريم) . إننا لا نستطيع أن نصل إلى حقيقة هذا الأمر - بشكل مُرض - في أيامنا هذه إننا لا نستطيع أن نحل هذه المشكلة أو بتعبير آخر لا نستطيع أنً نصل فيها إلى نتيجة مُرضية .

والحادثة الأخرى المهمة في حياة محمد ﷺ هي ظهوره في شخصية المحارب ، فعندما كان في الثالثة عشر من عمره ، أو عندما قارب العشرين فيما يقول آخرون ، انضم لعمه في تجريدة عسكرية قامت بها قريش ضد قبيلتي كنانة Kenan وهوازن المناوئتين .

وعادا (محمد وعمه) منتصرين وأدى هذا بطبيعة الحال إلى أن زاد إخلاص قريش لأبي طالب وابن أخيه ، وحقق محمد ﷺ بهذا الانتصار شهرة مَكنته من استثمارها بعد ذلك .

ومنذ هذا الوقت حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره يبدو أنه استمر في العمل في التجارة مع عمه . وهناك من الأسباب ما يكفي ليجعلنا نعتقد أنه كلما

(*) نلفت نظر القارئ إلى أن المترجم قد تصدى للرّد على هذه المزاعم الزائغة في مقدمته ،وفي تعليقه على ملاحق الكتاب ، فليرجع إليها القارئ .(الناشر)

تقدم في العمر زادت مواهبه الشخصية صقلا إذ كان بلاشك يتحلّى بانضباط فائق وذكاء قوي بين أهل بلاده ، ودقة ملاحظة وبديهة حاضرة P. 43 وحُسن خطاب جعله محبوباً وبارزاً بين رفاقه .

هذا - على الأقل - ما يشهد به كل كتّاب سيرته ، وليس لدينا أية وسائل تمكننا من نقض ما يقولون . وعلى أية حال فمِن الطبيعي أن نفترض أن تُنسب صفات فائقة لكل من يدعي أنه رسول الله أُرسل ليعيد الدين الحق للعالم ، ولابد أن يصف أتباع النبي نبيهم بكل صفات الكمال الظاهري . وفي حوالي هذه الفترة دخل - بمساعدة عمه - في خدمة خديجة ﵂ وهي أرملة مكّية ثرية كانت قد تزوجت مرتين .

وقام محمد ﷺ برحلته الثانية إلى دمشق والمناطق المجاورة للشام بوصفه وكيلا لأعمال خديجة ﵂ ؛ فخدمها بنشاط وإخلاص وراعي الأمانة الموكولة له حتى أنه حاز رضاها فما أن عاد حتى كافأته - لإخلاصه - بنفسها وثروتها . ويمكننا أن نتصوّر أن هذا الارتباط ربما كان بتأثير العلاقات الأسرية وجاذبية محمد ﷺ .

ومهما كانت الدوافع لهذا الارتباط ، فقد كان له تأثير مهم على حياة الزوجين . فلم ينسى محمد ﷺ أبدا أن خديجة أحسنت إليه فلم P. 44 يسيء إليها ولم يبدد أموالها . ورغم أن خديجة عندما تزوجته كانت في الأربعين من عمرها وأن محمد ﷺ لم يكن يزيد عن الثامنة والعشرين من عمره إلاّ أنه لم يتزوج أخرى إلى أن ماتت في الرابعة والستين من عمرها رغم أن تعدد الزوجات كان مسموحًا به وشائعاً .

وقد أنجب محمد منها ثمانية أطفال لم يبق على قيد الحياة منهم سوى فاطمة . وظل محمد ﷺ وفياً لذكرى زوجته خديجة ﵂ فكان يُعدها - بعد وفاتها - من بين الأربع نسوة الكاملات .

CHAPTER II.

Birth and Parentage of Mohammed—Loses his Parents in early Childhood—Is placed under the care of his uncle Abu Taleb—Goes into Syria on a trading expedition with his uncle at the age of thirteen—Enters the service of Cadijah, a widow of Mecca, whom he afterward marries.

MOHAMMED, the Legislator of Arabia, the Founder of the Moslem or Mohammedan religion, and thence dignified by himself and by his followers with the title of Prophet and Apostle of God, was born at Mecca, a city of Arabia, A. D. 569.* His lineage, notwithstanding that many of the earlier Christian writers, under the influence of inveterate prejudice against the prophet and his religion, have represented his origin as base and ignoble, is clearly shown to have been honourable and illustrious; at least, when rated by the common standard of distinction among his countrymen. The ancient Arabians, deriving their pedigree from Ishmael, and inheriting the nomadic habits of their ancestor, had from time immemorial been divided into a number of separate independent tribes, roving at large over the immense sandy regions of which their country is composed, except where here and there a few thousands of them were gathered into cities, and engaged in merchandise. Some of these tribes,

* Other authorities place his birth in A. D. 571. The precise year cannot be determined with certainty.

from various causes, were more numerous, powerful, and renowned than others. That of Koreish, from the founder of which Mohammed was in a direct line descended, had long been accounted the most noble of them all, and his ancestors, for several generations, had ranked among the princes of Mecca, and the keepers of the keys of the Caaba,* its sacred temple. His father's name was Abdallah, one of the thirteen sons of Abdol Motalleb, the chief personage in his day among the Koreish, and inheriting from his father Hashem the principal place in the government of Mecca, and succeeding him in the custody of the Caaba. This Hashem, the great-grandfather of Mohammed, was the most distinguished name in all the line of his predecessors, and from him not only is the appellation of Hashemites bestowed upon the kindred of the prophet, but even to this day, the chief magistrate, both at Mecca and Medina, who must always be of the race of Mohammed, is invariably styled "The Prince of the Hashemites." The name of Mohammed's mother was Amina, whose parentage was traceable also to a distinguished family of the same tribe. Her lot was envied in gaining the hand of the son of Abdol Motalleb, as the surpassing beauty of his person is said to have ravished the hearts of a hundred maidens of Arabia, who were left, by his choice of Amina, to sigh over the wreck of their fondest hopes.

Abdallah, though the son of a rich and princely

* See Appendix B

father, was possessed of but little wealth, and as he died while his son was an infant, or, as some say, before he was born, it is probable that that little was seized with the characteristic rapacity of the Arabs, and shared among his twelve surviving brothers, the powerful uncles of Mohammed. Although the laws of the Koran, in respect to inheritances, promulgated by the prophet himself, breathe more of the spirit of equity and kindness; yet the pagan Arabs, previous to his time, as we learn from Eastern writers, were wont to treat widows and orphans with great injustice, frequently denying them any share in the inheritances of their fathers and husbands, under the pretence that it ought to be distributed among those only who were able to bear arms, and disposing of widows, even against their own consent, as a part of their husband's possessions. The fatherless Mohammed, accordingly, faring like the rest of his countrymen, received, in the distribution of the patrimony, no more than five camels and an Ethiopian female slave.

The Moslem writers, in order to represent the birth of their pretended prophet as equally marvellous with that of Moses or of Christ, the ancient messengers of God who preceded him, have reported a tissue of astonishing prodigies said to have occurred in connexion with that event. If the reader will receive their statements with the same implicit faith with which they seem to be delivered, he must acknowledge, that at the moment when the favoured infant was ushered into the world, a flood of light burst forth with him and illuminated every

part of Syria; that the waters of the Lake Sawa were entirely dried up, so that a city was built upon its bottom; that an earthquake threw down fourteen towers of the king of Persia's palace; that the sacred fire of the Persians was extinguished, and all the evil spirits which had inhabited the moon and stars were expelled together from their celestial abodes, nor could they ever after animate idols or deliver oracles on earth. The child also, if we may trust to the same authorities, discovered the most wonderful presages. He was no sooner born than he fell prostrate, in a posture of humble adoration, praying devoutly to his Creator, and saying, "God is great! There is no God but God, and I am his prophet!" By these and many other supernatural signs, equally astounding, is the prophet's nativity said to have been marked. To some of them it would indeed appear that the earlier Christians gave an honest credence; with this difference, however, between their belief and that of his followers, that while the latter ascribed them without hesitation to the hand of God, giving in this manner a gracious attestation to the prophetic character of his servant, the former referred them directly to the agency of the devil, who might naturally be supposed, they thought, to work some special wonders on the present occasion. Upon the narrative of these miraculous phenomena the reader will form his own judgment. They are mentioned in the absence of all authentic information touching the period and the event in question. Until the facts alleged are proved, by competent historical testi-

mony, to have taken place, it is scarcely necessary to call in the aid of divine or diabolical agency to account for them; as it is much easier to imagine that an imposition or illusion may have been practised upon the first reporters, or that the whole catalogue of wonders is a mere fabrication of interested partisans, than that the ordinary course of nature should have been disturbed at this crisis.

The Arabic biographers of the prophet, moreover, inform us that Abdol Motalleb, his grandfather, the seventh day after the birth of the child, gave a great entertainment, to which he invited the principal men of the Koreish, who, after the repast was over, desired him to give the infant a name. Abdol Motalleb immediately replied—"I name this child Mohammed." The Koreish grandees at once expressed their surprise that he did not call his grandson, according to custom, by a name which had belonged to some one of the family. But he persisted in the selection he had made, saying, "May the Most High glorify in Heaven him whom he has created on earth!" alluding to the name Mohammed, which signifies *praised* or *glorified*.

At the early age of two years Mohammed lost his father; and four years after, his mother. The helpless orphan, now cast upon the kindness of his relations, was taken into the house and family of his grandfather, under whose guardian care he remained but two years, when the venerable Motalleb himself was also called to pay the debt of nature. In a dying charge, he confided this tender plant of

the ancient stock of the Koreish to the faithful hands of Abu Taleb, the eldest of his sons and the successor of his authority. "My dearest, best beloved son"—thus history or tradition reports the tenor of his instructions—"to thy charge I leave Mohammed, the son of thine own brother, strictly recommended, whose natural father the Lord hath been pleased to take to himself, with the intent that this dear child should become ours by adoption; and much dearer ought he to be unto us than merely an adopted son. Receive him, therefore, at my dying hands, with the same sincere love and tender bowels with which I deliver him to thy care. Honour, love, and cherish him as much, or even more than if he had sprung from thine own loins; for all the honour thou showest unto him shall be trebled unto thee. Be more than ordinarily careful in thy treatment towards him, for it will be repaid thee with interest. Give him the preference before thine own children, for he exceedeth them and all mankind in excellency and perfection. Take notice, that whensoever he calleth upon thee, thou answer him not as an infant, as his tender age may require, but as thou wouldst reply to the most aged and venerable person when he asketh thee any question. Sit not down to thy repasts of any sort soever, either alone or in company, till thy worthy nephew Mohammed is seated at the table before thee; neither do thou ever offer to taste of any kind of viands, or even to stretch forth thine hand towards the same, until he hath tasted thereof. If thou observest these my injunctions, thy goods

shall always increase, and in nowise be diminished."*

Whether Abu Taleb recognised in the deposite thus solemnly committed to his trust an object of such high destiny and such profound veneration as his father's language would imply, we are not informed; but there is good evidence that he acted towards his nephew the part of a kind friend and protector, giving him an education, scanty indeed, but equal to that usually received by his country men. His followers, it is true, in order to magnify their prophet's supernatural gifts, and render the composition of the Koran a greater miracle, generally affirm that he was wholly illiterate, neither able to read or write. In this, indeed, they are authorized by the pretensions of Mohammed himself, who says, "Thus have we sent down the book of the Koran unto thee.—Thou couldst not read any book before this; neither couldst thou write it with thy right hand: then had the gainsayers justly doubted of the divine original thereof."†—"Believe, therefore, in God and his apostle, the illiterate prophet."‡ But in the Koran, a complete fabric of imposture, the last thing we are to expect is an honest adherence to truth. There is abundant evidence, from the pages of this spurious revelation itself, that writing was an art in common use among the Arabs at that time. The following precept concerning bonds puts it beyond question.

* Morgan's Mahometanism Explained, vol. i. p. 50
† Koran, ch. xxix. ‡ Ch. vii.

"O, true believers, when ye bind yourselves one to the other in a debt for a certain time, write it down; and let a writer write between you according to justice, and let not the writer refuse writing according to what God hath taught him." We learn also that Ali Taleb, the son of Abu Taleb, and cousin of Mohammed, with whom the prophet passed his childhood, afterward became one of his scribes, of whom he had a number employed in making copies of the Koran as its successive portions were revealed to him. How did it happen that Abu Taleb should have had his son instructed in writing, and not his nephew? The city of Mecca, moreover, being a place of traffic, the merchants must have hourly felt the want of some mode of recording their transactions; and as we are informed that Mohammed himself was for several years engaged in mercantile pursuits before he commenced the propagation of a new religion, it is scarcely supposable that he was unacquainted with the use of letters.

Of the infancy, childhood, and youth of the future prophet no authentic details have reached us. The blank has indeed been copiously supplied by the fabulous legends of his votaries, but as they are utterly void of authority, they will not repay the trouble of transcription. Being destined by his uncle to the profession of a merchant, he was taken, as some affirm, at the age of thirteen, into Syria with Abu Taleb's trading caravan, in order to his being perfected in the business of his intended vocation. Upon the simple circumstance of this journey, the

superstition of his followers has grafted a series of miraculous omens all portending his future greatness. Among other things, it is said by his historians, that upon his arriving at Bozrah, a certain man named Boheira, a Nestorian monk, who is thought by Prideaux to be otherwise called Sergius, advanced through the crowd collected in the market-place, and, seizing him by the hand, exclaimed, "There will be something wonderful in this boy; for when he approached he appeared covered with a cloud." He is said to have affirmed also, that the dry trees under which he sat were every where instantly covered with green leaves, which served him for a shade, and that the mystic seal of prophecy was impressed between his shoulders, in the form of a small luminous excrescence. According to others, instead of a bright cloud being the criterion by which his subsequent divine mission was indicated, the mark by which Boheira knew him was the *prophetic light* which shone upon his face. This miraculous light, according to the traditions of the Mohammedans, was first placed upon Adam, and from him transmitted to each individual in the line of his descendants, who sustained the character of a true prophet. The hallowed radiance at length rested upon the head of Abraham, from whom it was divided into a twofold emanation, the greater or clearer descending upon Isaac and his seed, the less or obscurer to Ishmael and his posterity. The light in the family of Isaac is represented as having been perpetuated in a constant glow through a long line of inspired messengers and prophets,

among the children of Israel; but that in the family of Ishmael is said to have been suppressed, and to have lain hidden through the whole tract of ages, from Ishmael down to the coming of Mohammed, in whom the sacred symbol was again revived, and now pointed out to Boheira the high destiny of him on whose person it appeared. However intrinsically vain and visionary this legend may be deemed, it may, nevertheless, be worth adverting to, as affording perhaps, in its remoter sources, a hint of the origin of the *halo*, which in most of the paintings or engravings of the Saviour is made to encircle his sacred brows.

When Abu Taleb was about to return with his caravan to Mecca, Boheira, it is said, again repeated his solemn premonition, coupled with a charge, respecting the extraordinary youth. "Depart with this child, and take great care that he does not fall into the hands of the Jews; for your nephew will one day become a very wonderful person."

The early Christian writers have laid hold of the narrative of this interview with the Syrian monk, as affording a clew to the true origin and authorship of the Koran. According to them, this Boheira, alias Sergius, who, they say, was an apostate Jew or Christian, instructed Mohammed in the histories and doctrines of the Bible, and that they in concert laid a plan for creating a new religion, a motley compound of Judaism and Christianity, to be carried into execution twenty years afterward; and that accordingly the monk, rather than Mo-

hammed, is entitled to the credit of the most important parts of the Koran. Others again, deeming it altogether incredible that a youth of thirteen should have conceived the vast idea of forming and propagating a new religion, place this correspondence with Sergius at a later period of his life; that is to say, when he was not far from twenty years of age, at which time he is alleged to have taken a second journey into Syria. But, as we shall see hereafter, the question how far Mohammed was assisted by others in the composition of the Koran is not susceptible at the present day of a satisfactory solution.

The next remarkable event in the life of Mohammed is his appearance in the character of a soldier. At the age of fourteen, or, as others say, nearer the age of twenty, he served under his uncle, who commanded the troops of his tribe, the Koreish, in their wars against the rival tribes of the Kenan and the Hawazan. They returned from the expedition victorious, and this circumstance doubtless tended to render the people of the tribe still more devoted to the uncle and the nephew, and to acquire for Mohammed a notoriety which he was afterward enabled to turn essentially to his account.

From this time to the age of twenty-five he appears to have continued in the employ of Abu Taleb, engaged in mercantile pursuits. As he advanced in years there is reason to believe that his personal endowments, which were doubtless of a superior order, together with strong native powers

of intellect, an acute observation, a ready wit, and pleasing address combined to render him both popular and prominent among his associates. Such, at least, is the concurrent testimony of all his biographers, and we have no means of invalidating their statements. It is, however, natural to suppose, that a strong colouring would be put upon every superior quality of a pretended messenger of God, sent to restore the true religion to the world, and that he, who was by character a prophet, should be represented by his adherents as a paragon of all external perfections. About this period, by the assistance of his uncle, he was entered into the service of a rich trading widow of his native city, who had been twice married, and whose name was CADIJAH. In the capacity of factor or agent to this his wealthy employer, he took a second journey of three years into Damascus and the neighbouring regions of Syria, in which he devoted himself so assiduously to the interests of Cadijah, and managed the trust committed to him so entirely to her satisfaction, that upon his return she rewarded his fidelity with the gift of her hand and her fortune. It may be imagined, that in entering into this alliance, she was probably influenced by the family connexions and the personal attractions of her suitor. But whatever were her motives, the union subsequently appears to have been one of genuine affection on both sides; Mohammed never forgot the favours he had received from his benefactress, and never made her repent of having placed her person and her for-

tune at his absolute disposal. Although Cadijah, at the time of her marriage, was forty, and Mohammed not more than twenty-eight, yet till the age of sixty-four, when she died, she enjoyed the undivided affection of her husband; and that too in a country where polygamy was allowed, and very frequently practised. By her he had eight children, of whom Fatima alone, his eldest daughter, survived him. And such was the prophet's respect to the memory of his wife, that after her death he placed her in the rank of the four perfect women.

الفصل الثالث

محمد ﷺ - محمد يخطط لنشر دين جديد في العالم - صعوبات تواجهه- اقتراحات - لجوؤه إلى غار حراء - إخباره خديجة بنزول جبريل عليه بآيات من القرآن الكريم - تحول خديجة للإسلام - قلّة عدد متّبعيه - تزامنات غريبة .

P.45 بعد أن ارتفع شأن محمد ﷺ الآن بزواجه من خديجة ﵂ ، إلى مصاف الطبقة الأولى من أهل مكة ، تمكن من قضاء الاثني عشرة عاما التالية من عمره في رخاء ويُسر ، وحتى بلغ الأربعين لا نجد شيئاً يستحق الإشارة في حياة نبي المستقبل .

وربما ظل في هذه الأثناء يمارس التجارة كسائر العرب كأجداده من نسل اسماعيل المولعين بالأعمال التجارية . وعلى أية حال فخلال هذه الفترة الانتقالية كان مستغرقاً في التفكير يدرس بتأن خطته الجسورة لنشر دين جديد في العالم .

لذا فهذه الفترة الانتقالية - من حيث نتائجها - هي أهم مرحلة في حياته كلها . ومما يؤسف له كثيراً أن سياسة الدَّعي(*) **(يقصد محمداً عليه الصلاة والسلام)** ، وما ألمَّ بعصره من خراب هي كل المصادر المتاحة لنا ، والتي قد تُقدم لنا مفتاحا لهذه الخطة الأصلية . ما هي الظروف التي جعلت هذه الفكرة تفرض نفسها عليه؟ ما هي سلسلة التفكير التي ألّمت به : والتي جعلته يُحبِّذ هذا الاتجاه؟ ما هي الوسائل التي توصَّل إلى أنه بها يمكن تحقيق ما يُريد تحقيقه؟ وعلى من سيعتمد ليمضي قُدما في مشروعه؟ كل هذه أمور مستغلقة على الفهم وتحيط بها الأسرار ، وهذه المسائل هي في الوقت نفسه ما يريد كل ذي عقل محب للمعرفة متابعتها في مصادرها الأولية . وفي أيامنا هذه من المستحيل أن نقرر ما إذا كان محمد ﷺ قد بدأ مشروعه بوصفه متحمساً مخادعًا ، أم بوصفه مدَّعيا مخطّطا .

(*) يلاحظ القراء أن المؤلف ، تعمد ترديد كثير من هذه البذاءات ، التي لم تفلح في النيل من شأن هذا الدين العظيم ، ولا نبي هذه الأمة التي تتسع رقعتها على هذه الأرض وتزداد أعدادهم منذ فجر هذه الدعوة ، حتى يوم يُبعثون . (المترجم) .

وقد انقسم في الرأي كل أولئك الذين درسوا الدين المحمدي **(الإسلام)** بعمق من حيث نشأته وتقدمه ونتائجه وتأثيراته .

فمن ناحية افترض بعضهم أن محمداً ﷺ كان دائماً منهمكاً في تأملات دينية ، ذلك أن مزاجه المرتبط بمزاج قومه كان مشوبا بالطابع الحماسي الشديد ، وربما كان محمد ﷺ في الأصل مبرّأً من أية دوافع شريرة متأصّلة في شخصيته . وأكثر من هذا فربما كان - نتيجة لتأملاته - مخلصا - كما يُقال - بوازع من نفسه ونتيجة إيمانه بأن الله واحد لاشريك له ، ونتيجة إيمانه بأن بقية العالم قد أفسد هذا التوحيد (**أشرك مع الله آخرين**) . فعمل على تخليص قومه والعرب جميعا من عبودية هذا الخطأ (الشرك بالله) أمّا وقد كان هذا دافعه في البداية ، مصحوبا بخيال خصب وحماسة حارة ، فربما وصل به الأمر في النهاية إلى تأكدّه الجازم واقتناعه اليقيني بمهمته بوصفه مكلّفًا من الله سبحانه ليكون أداة لإصلاح عظيم رائع ، وكان من الطبيعي أن تؤدي به ظروف تنسكه (**اعتزاله للعبادة**) إلى ترسيخ هذه المعاني بشكل أعمق في عقله ونفسه . ومن المفترض أنه - **P.47** بهذه الطريقة - بدأ مهمته ، لكنه وقد وجد نفسه قد حقق نجاحا فاق ما كان يتوقعه وزادت شعبيته وقوته طغى أخيراً حبه لنفسه على أمانته وفاق طموحه إخلاصه وتقواه ، وراحت خططه تتسع وتزداد كلما حقق نجاحا . لقد بدأ مشروعه بدافع التقوى فأصبح في خاتمة المطاف مدّعيا عنيداً ، وحاكماً (امبراطورا) بلا مبادئ منغمسًا في الملذّات(*) .

ومن ناحية أخرى فإننا نظن أنه من المحتمل أن سلوكه كان منذ البداية يحمل علامات دالة على وجود خطة عميقة منظمة ، ورغم أنه قد لا يكون قد توقع كل النتائج التي كلّلت جهوده إلاّ أنه في كل خطوة خطاها أثناء تقدمه عمل بدهاء ووعي واحتراس مما أدى إلى عدم استمتاعه - إلاّ بقدر قليل - بأحلام الحماسة ، فراح يتظاهر بأن الـمَلَكَ (**بفتح الميم والكاف**) يأتيه تباعا ، كما راح يُظهر بين

(*) لم يعرف تاريخ الإنسانية ، إنسانًا كان في مرتبة التقشف والزهد كما كان عليه ﷺ ، وهو الذي كان يملك طوع يديه حياة الرفاه والملذات . لكن هذه فرْيَة زائفة لا تستحق حتى مجرد الرد عليها . (الناشر)

الحين والحين سورا من القرآن (**الكريم**) باعتبارها وحيا إلهيا ، ولم يكن هذا كله إلاّ متضاربا مع فكرة كونه مجرد متعصب مخادع ، وتغطيه على عدم قدرته على الإتيان بالمعجزات التي هي الشاهد الكبير الدال على الرسول المبعوث من الله ، وكان لابد أن يكون هذا كافيا لإبعاد الرغبة في الخداع عن عقله ونفسه .

ويُقال ما هو أكثر من هذا فإن ظروفاً كثيرة قد تكون زامنت جهوده فساعدت على ترسيخ هذا الادعاء الكبير .

1- كانت عبقرية محمد ﷺ واضحة وملهمة ، فقد كانت أسرته (عشيرته) **P.48** قد وصلت قبل بعثته إلى مرتبة عالية شرفًا وقوة في مكة ، وكان فقده لوالده في طفولته مجرد سوء حظ ، فكونه أصبح يتيما هو الذي منعه من الوصول إلى المنزلة نفسها التي وصل إليها أبوه من قبل .

كان مما يتمشى مع الطبيعة البشرية إذن أن يدبّر محمد ﷺ الأمر إذا أمكنه ذلك ليكون زواجه (من خديجة) الذي أتاح له النفوذ والثروة خطوة يحقق بها لنفسه المزيد من الشرف والمكانة ليصل ببيته إلى الدرجة التي كان عليها من رفعة وسؤدد .

2- لقد ارتحل محمد ﷺ كثيراً داخل بلاد العرب وخارجها ، مما أتاح له التعرف على عقائد مذاهب الأديان المختلفة في العالم ، خاصة ما يتعلق منها باليهودية والمسيحية وهما الدنيان السائدان آنئذ ، وإن كانت المسيحية قد اعتراها الكثير من التحريف والانقسام إلى مذاهب عديدة نتيجة الخلافات الداخلية (أي داخل المسيحيه نفسها) ، ولأن محمد ﷺ كان مراقباً حصيفاً للناس فإنه لم يفشل في إدراك الإرتباك الموجود في الأديان القائمة مما جعل بلاد الشرق في وضع ملائم تماماً للدعوة إلي نظام جديد . لقد كانت شبه الجزيرة العربية في غالبها غارقة في الوثنية ، وإن كان فيها بقايا من عقائد أنقى من زمن الآباء الأوائل (**يقصد دين إبراهيم الذي عُرف أتباعه بالحنفاء**) لدرجة أن محمداً ﷺ راح يأمل في إحياء هذه العقائد .

3- وكانت الأحوال السياسية في ذلك الزمان تُساعدمشروعه على النجاح ، فمن ناحية كانت الامبراطورية الرومانية قد دخلت في مرحلة الانهيار

P.49 منذ مدة طويلة ، وكذلك كان الحال بالنسبة للعرش الفارسي . لقد كانت نهايتهما الآن تقترب أو لنقل أزف حينها . بينما كان العرب – على العكس من ذلك – إذ كانوا أمة قوية مزدهرة ، تزداد عددا وصلابة . وكان انقسام العرب إلى قبائل كل منها مستقلة عن الأخرى ، من بين العوامل التي ساعدت أيضا على نشر عقيدة جديدة لم يكن ليكون لها وجود لو أنهم كانوا متضامنين في ظل حكومة واحدة ، فطالما أن محمدا كانت لديه الفرص المواتية لتقديم نفسه لهذه الامبراطوريات (المقصود القبائل) بوصفه شخصا مميّزاً ، وطالما كان لديه المقدرة على ملاحظة طبيعة البشر ومراتب الناس ، وطالما كان قادراً على تسخير كل ظرف لخدمة أغراضه ، طالما كانت الأمور تجري بتخطيطه على هذا النحو فإن مشروعه كان ثمرة سياسته أكثر من كونه ثمرة تقواه ، وبدلاً من أن يصبح هذا النبي الزائف موضع شفقة لتضليله وخداعه ، وجدناه موضع استنكار وشجب لتلفيقه .

وبرغم كل شيء فليس من المستبعد أن الحكمة اللانهائية (المقصود إرادة الله سبحانه) قد قضت بهذا أي بضرورة أن تجثم هذه الظلمة غير المفهومة على دوافع الدَّعى (**المقصود محمد ﷺ**) كي يتحقق هذا التدبير الخاص في ظهور هذا الضلال الكبير ورسوخ قمه في عالمنا .

ففي غياب أسباب بشرية كافية لتفسير هذه الظاهرة لابد أن نعترف بأن الله أراد هذا أو بتعبير آخر لابد أن نعترف بأن الله تدخّل ليتم هذا الأمر (**انتشار الإسلام**) . فالعقل والوحي ، كلاهما ، يُعلّماننا أن نعترف بيد الله سبحانه تحرك الأحداث لعقاب المذنبين ، بصرف النظر عن القائمين على هذه الأحداث الذين لم يتحركوا إلا بأمر الله ، والذين كانوا بمثابة يده الفاعلة ، وبصرف النظر عن الدوافع التي حركتهم .

P.50 «يقول الرب ، أهناك شر في المدينة وأكون أنا لست فاعله؟ !» والشر في هذه الآية (**العبارة**) يعني المعاناة وليس الخطيئة .

لا يمكننا أن نشك في حقيقة أن ظهور الدين المحمدي (**الإسلام**) نتج عنه بلاء بكنائس الشرق المرتدّة (**عن الدين المسيحي الصحيح**) . لقد كان سوطا مرعبا هوى عليها ، بل وهوى على أجزاء أخرى من المملكة المسيحية (**المقصود العالم المسيحي**) ، فإذا لم نستبعد إرادة الله وتدخله - على وفق إرادته - في شئون خلقه ، لم يجانبنا الصواب ، فالبشر وكلاء عنه سبحانه وكالة معنوية في تحقيق إرادته في تأدية العصاه (**المقصود بالعصاة هنا الكنائس الشرقية على نحوٍ خاص كما يفيد السياق**) .

إن حياة محمد ﷺ وأفعاله ودعوته إلى دين القرآن ليست سوى حلقة في سلسلة الثورات السياسية إلا أنها في حجمها وأهميتها لا تقل عن الثورات العظمى التي شهدها التاريخ ، فالثورات يظهر فيها بوضوح العقوق وعدم التقوى لدرجة أنها تستبعد كل فكرة عن قضاء الله وقدره أو بتعبير آخر تستبعد ما قضى الله به .

وعلى هذا فإننا إذا اعترفنا بتدخل إلهي خاص في هذا النجاح المدهش الذي حققته جيوش المسلمين (العرب أو السرسرّية) بعد موت محمد ﷺ ، فلابد أن نعترف أيضا أن هذا النجاح يرجع إلى أن هذا الدين هو الذي وحّد العرب وجعلهم تحت قيادة «رأس» واحدة أو زعيم واحد ، وأن هذا الدين هو الذي ألهمهم مثل هذه السلسلة من الفتوحات السريعة الباهرة .

لقد راح النبي الدَّعي يُنضِج خططه ويتدبرها لفترة طويلة قبل أن يضعها موضع التنفيذ بالتدريج وبحذر شديد .

لقد اعتاد الاعتكاف يومياً في كهف بالقرب من مكة يقال له غار حراء لغرض مزعوم هو التنسّك بالصيام والصلاة والتأمل . لقد وصلنا **P.51** معه الآن للحدث المهم . لقد بدأ يُفضي لزوجته عند عودته لبيته مساء برؤى وأصوات اختُصّ بها في مُعتزله (غار حراء) ، فتشككت خديجة في بداية الأمر .

وربما يكون تشككها هذا متوقَّعا . لقد فسّرت هذه الرؤى التي رآها بوصفها أحلام خيال مضطرب أو بوصفها إضْلالا من الشيطان(*) ، لكن محمدﷺ أصر على تأكيده لها أن ما رآه كان حقَيقياً وزاد من طلبه لها بتصديقه وأخيراً ردد فقرات (من القرآن الكريم) مؤكداً أنها جزء مما تلقاه أخيراً من وحي بواسطة الملك جبريل . وهذه الليلة التي تلقى فيها محمد ﷺ الوحي تسمّى ليلة القدر أو ليلة القرار الإلهي ، وهي ليلة يُحتفى بها كثيراً باعتبارها الليلة التي نزل فيها القرآن كله من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، ليسلّمه جبريل إلى محمدﷺ على وفق ما تقتضيه الظروف ، أي أن جبريل **عليه السلام** سلّمه له مفرقا وبشكل متوال . وفي القرآن سورة كاملة عن ليلة القدر تسمى سورة القدر ، وهي كالتالي :

P.52 ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)** ﴾ (سورة القدر :1-5)

ففي هذه الليلة المباركة بين 23 و 24 رمضان على وفق ما قاله النبي ، ظهر له الملك (بفتح الميم واللام) في هيئة مهيبة ليبلغه أنه نبي . وإن كان لنا أن نصدّق فإن جبريل كان ينبعث منه نور لا تتحمله عيون البشر ، فلم يستطع - أي محمدﷺ - أن ينظر إليه إلاّ بعد أن اتّخذ صورة بشرية . قال له جبريل بصوت عال : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . وواصل جبريل قائلا : اقرأ ، فقال النبي : ما أنا بقارئ فقال جبريل : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ (العلق :1-5) . هذا النبي الذي اعترف أنه حتى الآن لم يكن يعرف القراءة والكتابة أصبح الآن يقرأ الأنباء السارة المتعلقة بمهمته بين البشر ، وبعد أن أكمل الملك مهمته صعد

(*) هذا ما ذكره بريدو ، إلاّ أن سيل - على أية حال - يقول : «لا أعلم كاتبا شرقيا ذكر أن خديجة قد كذّبت زوجها في أي وقت من الأوقات أو شكت في ادعائه (المقصود نبوته) .

مهيباً إلى السماء واختفى عن ناظري محمد ﷺ ، وعندما قص هذا اللقاء العجيب مع جبريل (الزائر القادم من السماء) على خديجة تلاشى كل أثر لشكها - فيما تقول المرويات ، وأعلنت وهي في حالة نشوة إيمانية : «أبشر يا ابن عم وأثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة»(*) وفي ذروة سعادتها نقلت ما سمعته إلى ورقة (بن نوفل) ابن عمها الذي كان قد تحول للمسيحية سراً - فيما يُقال - وكان عارفاً بالكتابة بالحروف العبرية . كما كان ملماً بالكتب المقدسة اليهودية والمسيحية .

وقد اتفق معها ورقة دون تردد على أن زوجها قد اختاره الله للرسالة ، بل وأكد أن محمداً ﷺ ليس سوى النبي العظيم الذي تنبأ به موسى بن عمران . وفي القرآن الكريم ما يفيد أن النبي محمداً ودينه الزائف يجدهما أهل الكتاب عندهم - في كتبهم المقدسة في العهد القديم : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (الشعراء(**) : 191-197) .

وبعد أن نجح محمد ﷺ في إقناع زوجه خديجة واصل حياة العزلة والتقشف ليكتسب شهرة في مجال التقوى والورع ، وقبل ذلك ضمَّ خادمه زيداً بن حارثة إلى قائمة المهتدين ، وكافأه على ذلك بأن أعتقه وأصبح **P.54** من القواعد المقررة بعد ذلك أن يُصبح العبد إذا ما اعتنق الإسلام حراً .

وكان علي بن أبي طالب ابن عم الرسول هو ثالث من أسلم ، لكنه اعتبر نفسه أول المسلمين لأن هذا الشاب المندفع اعتبر من سبقاه إلى الإسلام (خديجة

(*) نقلنا النص من سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص 150 بتحقيق الشيخ محمد بيومي . مكتبة الإيمان بالمنصورة . (المترجم) .

(**) أشار المؤلف إلى أن هذه الآيات في سورة المؤمنين وهو غير صحيح ، وربما كان الخطأ خطأ الترجمة الانجليزية التي رجع إليها .(المترجم) .

وزيد بن حارثة) قليليْ الشأن(*) . وكان رابع من تحوّل للإسلام . وهو الأكثر أهمية - هو أبو بكر ، وهو رجل قوي من أهل مكة دخل في الإسلام على يديه عدد من ذوي المكانة والنفوذ ونعني بهم : عثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن وأبو عُبيدة الذين أصبحوا فيما بعد القادة الرئيسيين في جيوشه والأدوات الأساسية التي استخدمها في ترسيخ ادعائه (المقصود دينه) وامبراطوريته (المقصود دولته) .

لقد مضى أربع سنوات قضاها في جهد جهيد ليضم إلى دينه هؤلاء التِّسعة ، وكان بعضهم من رجال مكة المهمين . هؤلاء هم كل المؤمنين به قبل أن يجهر بدعوته . لقد بلغ من العمر الآن أربعة وأربعين عاما .

ويلاحظ أن هناك تزامناً غريباً يدعو للدهشة بين فترة اعتكاف محمد في غار حراء لتدبير أمر نشر دينه الدّعى (المفبرك) ، وفترة ادّعاء بونيفاس بابا روما بمساندة من الطاغية فوكاس لقب البابا العالمي أو الراعي الكنسي لكل أمور العالم أو بعبارة أخرى (اليونيفيرسال بوستر) زاعماً إشرافه الروحي على كنيسة المسيح وظل أخلافه يدعون هذا لأنفسهم . يقول بريدو «ومنذ ذلك الوقت» عمل الاثنان (بابا روما ومحمد) على أن يكوّن كل منهما لنفسه امبراطورية من الادعاء ، وعمل اتباعهما منذ ذاك الوقت ، متخذين الوسائل نفسها المتمثلة في النار والسيف ، لنشر دعوتهم بين البشر حتى بدت الحركة المعادية للمسيح في ذاك الوقت تطأ بقدمها على العالم المسيحي في وقت واحد ، أحد فرعي الحركة في الشرق ، والفرع الآخر في الغرب .

لقد داسا كنيسة المسيح فعانت منهما كثيراً في العصور التالية» . إن اتفاق التواريخ (تاريخ اعتكاف محمد في غار حراء ، وتاريخ دعوة بابا روما -

(*) لقد كان رضي الله عنه أول المؤمنين من الصبية ، وليس كما ذهب إليه المؤلف في محاولته للنيل من أي رمز مُهم من رموز الإسلام (المترجم) .

بونيفاس - إشرافه العالمي على كنيسة المسيح) أمر يستحق الالتفات ، فكلا الحديثين جريا في السنوات الست أو الثمان الأولى من القرن السابع للميلاد ، لكننا لا نملك برهانا يقنعنا باعتبار محمداً ﷺ يستحق أن نطلق عليه لقب عدو المسيح أو المناهض له . وعلى أية حال فمن رأى كثيرين من المفسّرين البروتستنط للنبوءات أن هذا اللقب «عدو المسيح» ربما كان ينطبق على هذا النظام من السيطرة الكنسية (الاكليريكية) الذي مارسته هيراركية روما طويلا والذي حدّدته النبوءة على وفق مصطلحها بألف عام ومائتين وستين عاما (1260 سنة) وعلى هذا فإذا انطبقت هذه الفترة النبوئية (التي جرى التنبؤ بها) على فترة حكم روما المعادية للمسيح والتي تبدأ من حوالي بداية القرن السابع للميلاد ، فإننا لا نكون بعيدين جداً عن فترة حدوث تغيرات أخلاقية ومعنوية كبرى في العالم ، وهناك من الأسباب ما يجعلنا نشير لهذا على التوالي في فصول هذا الكتاب مما يؤدي بنا إلى الاعتقاد بأن مهمة الإسلام تجرى متوازية مع مهمة باباويّة روما ، لأنهما بدأ معاً في فترة مشتركة ، ومن المقدّر أيضا أن يسقطا معاً (أي في فترة متزامنة) .

CHAPTER III.

Mohammed forms the design of palming a new Religion upon the world—Difficult to account for this determination—Considerations suggested—Retires to the Cave of Hera—Announces to Cadijah the Visits of Gabriel with a portion of the Koran—She becomes a Convert—His slow progress in gaining Proselytes—Curious Coincidence.

Being now raised by his marriage to an equality with the first citizens of Mecca, Mohammed was enabled to pass the next twelve years of his life in comparative affluence and ease; and, until the age of forty, nothing remarkable distinguished the history of the future prophet. It is probable that he still followed the occupation of a merchant, as the Arabian nation, like their ancestors the Ishmaelites, have always been greatly addicted to commerce. It was during this interval, however, that he meditated and matured the bold design of palming a new religion upon the world. This therefore becomes, in its results, the most important period in his whole life; and it is greatly to be regretted, that the policy of the impostor, and the ravages of time, have deprived us of all sources of information, which might afford a satisfactory clew to the real origin of this design. The circumstances which first suggested it, the peculiar train of reflection which went to cherish it, the ends which he proposed to accomplish by it, together with the real agencies employed in bringing it forward, are

all matters wrapped in impenetrable mystery; yet these are the very points on which the inquiring mind, intent upon tracing great events to their primary sources, is most eager for information. At the present day, it is impossible to determine whether Mohammed commenced his career as a deluded enthusiast or a designing impostor. Those who have most profoundly considered the whole subject of Mohammedanism in its rise, progress, genius, and effects, are, on this point, divided in their opinion.

On the one hand, it is supposed by some, that Mohammed was constitutionally addicted to religious contemplation—that his native temperament was strongly tinged with enthusiasm—and that he might originally have been free from any sinister motive in giving scope to the innate propensities of his character. As the result of his retired speculations he might, moreover, it is said, have been sincerely persuaded in his own mind of the grand article of his faith, the unity of God, which in his opinion was violated by all the rest of the world, and, therefore, might have deemed it a meritorious work to endeavour to liberate his countrymen and his race from the bondage of error. Impelled by this motive in the outset, and being aided by a warm imagination, he might at length have come, it is affirmed, as enthusiasts have often done, to the firm conviction, that he was destined by Providence to be the instrument of a great and glorious reformation; and the circumstance of his being accustomed to solitary retirement would na-

turally cause this persuasion to take a deeper root in his mind. In this manner, it is supposed, his career might have commenced; but finding himself to have succeeded beyond his expectations, and the force of temptation growing with the increase of his popularity and power, his self-love at last overpowered his honesty, ambition took the place of devotion, his designs expanded with his success, and he who had entered upon a pious enterprise as a well-meaning reformer degenerated in the end into a wilful impostor, a gross debauchee, and an unprincipled despot.

On the other hand, it is maintained, and we think with more of an air of probability, that his conduct from the very first bears the marks of a deep-laid and systematic design; that although he might not have anticipated all the results which crowned the undertaking, yet in every step of his progress he acted with a shrewdness and circumspection very little savouring of the dreams of enthusiasm; that the pretended visits of an angel, and his publishing, from time to time, the chapters of the Koran, as a divine revelation, are wholly inconsistent with the idea of his being merely a deluded fanatic; and that, at any rate, the discovery of his inability to work a miracle, the grand voucher of a divine messenger, must have been sufficient to dispel the fond illusion from his mind.

Many circumstances, moreover, it is said, may be adduced, which might have concurred to prompt and favour the design of this arch imposture 1. Mohammed's genius was bold and aspiring

His family had formerly held the ascendency in rank and power in the city of Mecca, and it was merely his misfortune in having lost his father in infancy, and being left an orphan, that prevented him from succeeding to the same distinction. It was therefore the dictate of a very obvious principle of human nature, that he should contrive, if possible, to make the fortune and influence acquired by his marriage a step to still higher honours, and to raise himself to the ancient dignity of his house. 2. He had travelled much in his own and foreign countries. His journeys would of course bring him acquainted with the tenets of the different sects of the religious world, particularly the Jewish and the Christian, which were then predominant, and the latter greatly corrupted and torn to pieces with internal dissensions. Being a sagacious observer of men, he could not fail to perceive that the distracted state of the existing religions had put the Eastern world into a posture extremely favourable to the propagation of a new system. His own countrymen, the people of Arabia, were, indeed, for the most part sunk in idolatry, but the vestiges of a purer faith, derived from patriarchal times, were still lingering among them, to a degree that afforded him the hope of recovering them to a sounder creed. 3. The political state of things at that time was such as signally to favour his project. The Roman empire, on the one hand, and the Persian monarchy on the other, had both become exceedingly enfeebled in the process of a long decline, towards

the last stages of which they were now rapidly approaching. The Arabs, on the contrary, were a strong and flourishing people, abounding in numbers, and inured to hardships. Their being divided into independent tribes presented also advantages for the spread of a new faith which would not have existed had they been consolidated into one government. As Mohammed had considerable opportunities to acquaint himself with the peculiar situation of these empires; as he had carefully noted the genius and disposition of the people which composed them; and as he possessed a capacity to render every circumstance subservient to his purpose, it is contended, that his scheme was much more legitimately the fruit of policy than of piety, and that the pseudo-prophet, instead of being pitied for his delusion, is rather to be reprobated for his base fabrication.

After all, it is not improbable that Infinite Wisdom has so ordered it, that a veil of unpenetrated darkness should rest on the motives of the impostor, in order that a special providence may be recognised in the rise and establishment of this arch-delusion in the world. In the absence of sufficient human causes to account for the phenomena, we are more readily induced to acknowledge a divine interposition. In the production of events which are overruled in the government of God to operate as penal evils for the punishment of the guilty, reason and revelation both teach us reverently to acknowledge the visitation of the Divine Hand, whoever or whatever may have been the subordi-

nate agents, or their motives. "Is there evil in the city, saith the Lord, and I have not done it?" i. e. the evil of *suffering*, not of *sin*. It cannot be doubted that, as a matter of fact, the rise and reign of Mohammedanism has resulted in the infliction of a most terrible scourge upon the apostate churches in the East, and in other portions of Christendom; and, unless we exclude the Judge of the world from the exercise of his judicial prerogatives in dealing with his creatures, we cannot err, provided we do not infringe upon man's moral agency, in referring the organ of chastisement to the will of the Most High. The life and actions of Mohammed himself, and his first broaching the religion of the Koran, are but the incipient links in a chain of political revolutions, equal in magnitude and importance to any which appear on the page of history—revolutions, from which it would be downright impiety to remove all idea of providential ordainment. If then we acknowledge a peculiar providence in the astonishing success of the Saracen arms subsequent to the death of Mohammed, we must acknowledge it also in the origination of that system of religion which brought them under one head, and inspired them to the achievement of such a rapid and splendid series of conquests.

The pretended prophet, having at length, after years of deliberation, ripened all his plans, proceeded in the most gradual and cautious manner to put them in execution. He had been, it seems, for some time in the habit of retiring daily to a certain cave in the vicinity of Mecca, called the cave of

Hera, for the ostensible purpose of spending his time in fasting, prayer, and holy meditation. The important crisis having now arrived, he began to break to his wife, on his return home in the evening, the solemn intelligence of supernatural visions and voices with which he was favoured in his retirement. Cadijah, as might be expected, was at first incredulous. She treated his visions as the dreams of a disturbed imagination, or as the delusions of the devil.* Mohammed, however, persisted in assuring her of the reality of these communications, and rising still higher in his demands upon her credulity, at length repeated a passage which he affirmed to be a part of a divine revelation, recently conveyed to him by the ministry of the angel Gabriel. The memorable night on which this visit was made by the heavenly messenger is called the "night of Al Kadr," or the night of the *divine decree*, and is greatly celebrated, as it was the same night on which the entire KORAN descended from the seventh to the lowest heaven, to be thence revealed by Gabriel in successive portions as occasion might require. The Koran has a whole chapter devoted to the commemoration of this event, entitled *Al Kadr.* It is as follows: "In the name of the most merciful God. Verily, we sent down the Koran in the night of Al Kadr. And what shall make thee understand how excellent the night of Al Kadr is? This night is better than a thousand months. Therein do the angels

* This is the account given by Prideaux. Sale, however, says, "I do not remember to have read in any Eastern author, that Cadijah ever rejected her husband's pretences as delusions, or suspected him of any imposture."—*Prelim. Disc. p.* 58, *note.*

descend, and the spirit Gabriel also, by the permission of their Lord, with his decrees concerning every matter. It is peace until the rising of the morn."* On this favoured night, between the 23d and 24th of *Ramadan*, according to the prophet, the angel appeared to him, in glorious form, to communicate the happy tidings of his mission. The light issuing from his body, if the apostle-elect may be believed, was too dazzling for mortal eyes to behold; he fainted under the splendour; nor was it till Gabriel had assumed a human form, that he could venture to approach or look upon him. The angel then cried aloud, "O MOHAMMED, THOU ART THE APOSTLE OF GOD, AND I AM THE ANGEL GABRIEL!" "Read!" continued the angel; the prophet declared that he was unable to read. "Read!" Gabriel again exclaimed, "read, in the name of thy Lord, who hath created all things; who hath created man of congealed blood. Read, by thy most beneficent Lord, who hath taught the use of the pen; who teacheth man that which he knoweth not."† The prophet, who professed hitherto to have been illiterate, then read the joyful tidings respecting his ministry on earth, when the angel, having accomplished his mission, majestically ascended to heaven, and disappeared from his view. When the story of this surprising interview with a celestial visitant was related to Cadijah in connexion with the passage repeated, her unbelief, as tradition avers, was wholly overcome, and not only so, but she was wrought by it into a kind of ecstasy, declaring, "By Him in whose

* Koran. ch. xcvii. † Ch. xcviii

hands her soul was, that she trusted her husband would indeed one day become the prophet of his nation." In the height of her joy she immediately imparted what she had heard to one Waraka, her cousin, who is supposed by some to have been in the secret, and who, being a Christian, had learned to write in the Hebrew character, and was tolerably well versed in the Jewish and Christian Scriptures. He unhesitatingly assented to her opinion respecting the divine designation of her husband, and even affirmed, that Mohammed was no other than the great prophet foretold by Moses, the son of Amram. This belief that both the prophet and his spurious religion were subjects of inspired prediction in the Old Testament Scriptures, is studiously inculcated in the Koran. "Thy Lord is the mighty, the merciful. This book is certainly a revelation from the Lord of all creatures, which the faithful spirit (Gabriel) hath caused to descend upon thy heart, that thou mightest be a preacher to thy people in the perspicuous Arabic tongue; and it is borne witness to in the Scriptures of former ages. Was it not a sign unto them that the wise men among the children of Israel knew it?"*

Having succeeded in gaining over his wife, he persevered in that retired and austere kind of life which tends to beget the reputation of pre-eminent sanctity, and ere long had his servant, Zeid Ebn Hareth, added to the list of proselytes. He rewarded the faith of Zeid by manumitting him from

* Koran, ch. xxiii.

servitude, and it has hence become a standing rule among his followers always to grant their freedom to such of their slaves as embrace the religion of the prophet. Ali, the son of Abu Taleb, Mohammed's cousin, was his next convert, but the impetuous youth, disregarding the other two as persons of comparatively little note, used to style himself the first of believers. His fourth and most important convert was Abubeker, a powerful citizen of Mecca, by whose influence a number of persons possessed of rank and authority were induced to profess the religion of Islam. These were Othman, Zobair, Saad, Abdorrahman, and Abu Obeidah, who afterward became the principal leaders in his armies, and his main instruments in the establishment both of his imposture and of his empire. Four years were spent in the arduous task of winning over these nine individuals to the faith, some of whom were the principal men of the city, and who composed the whole party of his proselytes previously to his beginning to proclaim his mission in public. He was now forty-four years of age.

It has been remarked, as somewhat of a striking coincidence, that the period of Mohammed's retiring to the cave of Hera for the purpose of fabricating his imposture corresponds very nearly with the time in which Boniface, bishop of Rome, by virtue of a grant from the tyrant Phocas, first assumed the title of Universal Pastor, and began to lay claim to that spiritual supremacy over the church of Christ, which has ever since been arrogated to themselves by his successors. "And from this

time," says Prideaux, "both he (the bishop of Rome) and Mohammed having conspired to found themselves an empire in imposture, their followers have been ever since endeavouring by the same methods, that is, those of fire and sword, to propagate it among mankind; so that Antichrist seems at this time to have set both his feet upon Christendom together; the one in the East, the other in the West, and how much each hath trampled upon the church of Christ, all succeeding ages have abundantly experienced." The agreement of dates here adverted to may be worth noticing; both events having occurred within the first six or eight years of the seventh century; but we have as yet met with no evidence to convince us of the propriety of applying the epithet Antichrist to Mohammed. It is, however, the opinion of many Protestant expositors of prophecy, that this appellation is properly attributable to that system of ecclesiastical domination so long exercised by the Romish hierarchy, and the continuance of which, it is maintained, is limited by the prophetic term of 1260 years. If, therefore, this predicted period, assigned to the reign of the Roman Antichrist, be dated from near the commencement of the seventh century, we are not very far from the era of great moral changes in the state of the world; and there are reasons to be adduced in a subsequent part of this work, which lead us to believe, that the career of Mohammedanism runs parallel to that of Popery, and that, taking their rise from nearly a common era, they are destined also to synchronise in their fall.

النبي يعلن دعوته بين قريش - يُواجه برفض فظ - الجهر بالدعوة - العقائد الأساسية التي دعا إليها - تفاخره بالقرآن الكريم - رفض أهل مكة لدعوته - تحذيراته لهم .

P.56 حتى الآن كانت دعوة محمد ﷺ محصورة في النطاق الشخصي فلم يتعد المؤمنون به دائرة أصدقائه وأقربائه المقرّبين . لكن حان الآن وقت جهره بالدعوة بناء على أمر ربه ، وأن يبدأ بدعوة قريش : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ (المدثر :1-3) ، وفي سورة (الشعراء آية 214) ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ۝﴾ .

ولتحقيق هذه الغاية وجَّه عليا بن أبي طالب لإقامة وليمة سخيّة ودعا إليها أبناء عبد المطلب وذراريهم ، وعندما اجتمعوا جميعاً أفضى إليهم بالسر الجليل ، ألا وهو أنّه رسول الله . فأثار أبو لهب بعض الاضطراب مما أدى إلى انفضاض الجمع قبل أن يُتاح لمحمد ﷺ تحقيق غرضه مما اضطره إلى توجيه دعوة أخرى لهم في اليوم التالي فاجتمع حوالي أربعين منهم فقام النبي وخاطب ضيوفه الذين **P.57** أصابتهم الدهشة : «ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه ، ولكن علياً نهض وهو مايزال صبياً دون الحُلم وقال : «أنا يا رسول الله عونك . أنا حرب على من حاربت» فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين»(*) . لقد قال علي في هذه المناسبة :

(*) نقلنا النص من كتاب هيكل عن حياة محمد ص 142 ، لكن هيكلا لم يخرّج النص - أي لم يذكر مصدره . (نشر مكتبة النهضة المصرية) 1968 (المترجم) .

أنا يا نبي الله سأكون وزيرك ، وكل من يجرؤ على معارضتك سأهشم أسنانه ، وأخرج عينيه من محاجرهما وسأبقر بطنه وأقطع ساقيه . فأمسك الرسول بذراعي المسلم الشاب وأعلن أن علياً هو «أخي ووكيلي وخليفتي ، فأطيعوه»(*) وإزاء هذا الأمر المُبالغ فيه انفجر الجمع الجميع ضاحكين وقالوا لأبي طالب ساخرين يجب الآن أن تطيع لابنك وتخضع له ! لكن الدهشة أفسحت المكان للسخط ، فقد أثار النبي بجديته وادعائه سخط قريش ، فانفض الإجتماع ولم يعد لدى الرسول المتحمس سوى أمل ضئيل في نجاحه بين عشيرته وقبيلته وراح محمد ﷺ يدعو لدينه - أكثر وأكثر - علناً أهل مكة بعد أن أصيب بالإحباط في أول محاولة علنية لنشر دينه . **P.58**

لقد أعلن لأهل مكة أنه رسول أرسله الله جلّ جلاله لأهل الأرض ليؤكد لهم أن الله واحد لاشريك له وليعلن بطلان عبادة الأصنام (النص : الصّور) وليدعو الناس للدين الحق الذي لا دين حق سواه ، ويعد المؤمنين بالجنة ، ويهدد الصُّم غير المؤمنين بانتقام الله الشديد .

والعقائد الأساسية التي يدعو لها محمد ﷺ والتي تكوّن المحتوى الرئيسي للقرآن (الكريم) هي لا إله إلاّ الله ولا معبود سواه ، وأن عبادة الأوثان شيء غبي بغيض ويجب الكف عنها تماما .

والسورة رقم 112 في القرآن الكريم عنوانها إعلان وحدانية الله (المقصود سورة الإخلاص) ، وهي تحظي بتوقير شديد من المسلمين وعلى وفق ما يروى عن النبي ﷺ فهي تعدل ثلث القرآن ، ويُقال إن الله أوحى بها إجابة على سؤال قريش عن صفات الله الذي يدعوهم محمد لعبادته . وهي - أي سورة الإخلاص تتكوّن من جملة واحدة : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ وتتردد هذه العقيدة تباعا في سور القرآن وآياته والمؤلف (يقصد واضع القرآن) لا يهدف بهذا التكرار مجرد خطأ تعدد الآلهة

(*) لم يثبت لدينا في أي مصدر موثوق (المترجم) .

والوثنية اللتين كانتا شائقين آنئذ بين أمم الشرق وإنما هو يوجه أيضا ضربة قاضية للعقيدة المسيحية القائلة بأن المسيح هو ابن الله «الابن الوحيد للّه» .

إن محمداً ﷺ مثله في ذلك مثل آخرين في عصور أخرى ، لم يستطع أن يتصوّر عقيدة المسيحيين في نسبة المسيح إلى الله أو بتعبير آخر لم يستطع أن يفهم بنوّة المسيح لله أو تحدّره منه مع أن هذه الفكرة لا تؤثر بشكل مباشر في حقيقة أن **P.59** الله جل جلاله واحد أو بتعبير آخر مع أن هذه الفكرة لا تؤثر مباشرة في التوحيد الأساسي للذات العليا .

وفيما يرى محمد ﷺ أنّ أكبر السخافات هو التأكيد على أن المسيح هو ابن الله أو أنه مساو للآب (الله) في الندية والأزلية . وعلى هذا فإعلانات العهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) فيما يتعلق بشخص المسيح وطبيعته هاجمها واضع القرآن الكريم بلا هوادة لأنه لم يكن لديه الصدق والموضوعية أو القدرة على فهم الفرق بين عقيدة الثالوث الأقدس (كون الآب والابن والروح القدس إلها واحدا) وعقيدة التثليث التي تعني وجود ثلاثة آلهة منفصلين (أي الفرق بين عقيدة الترينيتي وعقيدة التريثزم) لنقرأ في القرآن الكريم :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) ﴾ (النساء :171) ومن المفهوم أن الفقرة الأولى في الآية تعني ألا تغلو في دينكم برفض المسيح ، كما فعل اليهود أو برفعه لدرجة مساوية لله كما فعل المسيحيون .

وفي القرآن الكريم أيضا في سورة (المائدة) الآية رقم 17 : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وفي الآيتين 72 ، 73 من السورة نفسها (المائدة) نقرأ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾(*) .

P.60 وفي الآية 75 من السورة نفسها : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾ . وفي القرآن الكريم نجد أيضا في السورة التاسعة (التوبة) : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ . (آية 3) .

بهذا المبدأ الأساسي في العقيدة الإسلامية ، ربط محمد وجوده واعتبر نفسه نبي الله الحقيقي والوحيد منذ موسى وعيسى ، ففي القرآن الكريم (سورة الجاثية الآيتان 16 و17) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ﴾ .

وفي الآية التالية من السورة نفسها نقرأ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) ﴾ .

وأكد محمد ﷺ أن هدف رسالته ليس إدخال نظام ديني جديد تماماً وإنما إعادة دين الآباء والأنبياء القدامى من آدم حتى المسيح ، فهو الدين الوحيد الصحيح . ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) ﴾ (الشورى : 7) .

P.61 وفي سورة (البقرة آية 136) وما بعدها ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن

(*) من الآيات التي يحتملها النص الانجليزي أيضا : ﴿ ...وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ (الكهف : 110) . ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) ﴾ (الطور : 43) . (المترجم)

رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ (البقرة :136 ، 137) .

لقد راح محمد يدعو إلى إحياء العقيدة الصحيحة القديمة ليرسّخها من جديد . وذلك بالدعوة لتطهيرها من وثنية العرب وتحريفات اليهود والنصارى . لقد قدم محمد - لفترة - حقيقة أن كتابيْ العهد القديم (التوراة وملاحقها) والعهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) كانت في الأصل وحياً من الله إلاّ أنها حُرّفت - ويا للخجل .- بعد ذلك ، وأن النّسخ الموجودة الآن غير جديرة بالتصديق أبداً ، وبالتالي فهو قلما يقتبس منهما في القرآن ، ونورد فيما يلي قبساً يبين للقارئ إلى أيّ مدي كان مُعيد العقيدة الأولى الصحيحة (يقصد محمداً ﷺ) ، يصب توبيخاته على رؤوس أولئك الذين زيفوا الكتب السابقة وشوهوها[*] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) ... وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)﴾ (آل عمران :71-72 و 78) .

وفي القرآن الكريم أيضا : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ... يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾ (المائدة :13 و19) . P.62

(*) سيلاحظ القارئ أنه رغم تأكيد محمد وتشديده على وحدانية الله المطلقة وشجبه للذين يشركون معه إلاّ أنه عادة فعادة ما يتحدث الله (سبحانه) في القرآن الكريم عن نفسه بصيغة الجمع in the plural number (المؤلف)

وفي سبيل تنفيذه (أي تنفيذ محمد ﷺ) لهذا الأمر السامي أعلن نفسه معيّنا لنشر هذا الوحي الجديد (المقصود القرآن الكريم) الذي ينزل عليه تباعا ، فإذا ما اكتمل وتجمع أصبح إنجيلا أو بشارة لأتباعه .

والنص القرآني الأصلي - فيما قال - موجود في اللوح المحفوظ وهذا يعني أنه مسجل في سجلات أو أرشيفات السماء ، بالقرب من عرش الله ، ومن اللوح المحفوظ يتم نسخ السور التي يوصلها جبريل إليه (أي إلى محمد ﷺ) .

وكان هذه الطريقة التدريجية في نزول الوحي ، بالتأكيد ، ضربة شديدة ، فنحن نقرأ في القرآن الكريم ، سورة (الفرقان) : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴿٣٢﴾ ﴾ (الفرقان : 32) .

فلو أن القرآن الكريم ظهر جملة واحدة لأدّى التمعّن في محتوياته ومقارنة سوره وآياته بعضها ببعضها الآخر إلي اكتشاف عدم اتّساقه ولربما صَعُب عليه (أي على محمد ﷺ) أن يجد إجابة لما يواجهه من أسئلة بهذا الشأن ولاستحال عليه أن يكون مقنعاً .

P.63 لكن بتظاهره أنه يتلقّى الوحي مفرّقا (كل جزء منفصل عن الآخر) في أزمنة مختلفة على وفق ما تمليه الضرورة أو على وفق ما يطلب أتباعه ، فإنه بذلك يكون قد أوجد لنفسه طريقاً لإسكات كل الاعتراضات ولتخليص نفسه من كل الصعاب ، فلا شيء يمنع تعديل ما نزل من وحي اليوم أو حتى نسخه (إبطاله) غداً .

وبهذه الطريقة مضى ثلاث وعشرون سنة قبل أن تكتمل سلسلة الوحي رغم أن النبي أخبر صحابته أنه تعزَّى برؤية القرآن كاملا مجلّداً بالحرير ومحلّى بذهب الجنة وجواهرها ، مرَّة كل عام ، إلاّ أنه رآه مرتين (المقصود في الرؤيا) في آخر عام من حياته .

وقد كان جزء من هذا الوحي الزائف في مكة ، أما الباقي ففي المدينة المنوّرة . ويقال إن الطريقة الخاصة بتدوين الوحي كانت كالتالي : عندما تنزل سورة على النبي يشرع في إذاعتها لصالح العالم فيمليها أولا على سكرتيره (المقصود كاتب

الوحي) وبعدها يسلم الورقة المكتوبة لأصحابه ليقرأوا ما فيها ويكرروه حتى يرسخ تماماً في ذاكرتهم، ومن ثم يعيدون الورقة للنبي الذي يحفظها بعناية في صندوق (خزانة) يسميها خزانة الوحي.

والإشارة إلى هذا الصندوق المقدّس مماثلة بلا شك لتابوت العهد عند اليهود وهو الصندوق المقدس الذي يوضع في الخيمة اليهودية النقّالة (الهيكل النقّال) ويحفظون فيه نسخة معتمدة من الشريعة.

وكان محمد قد ترك هذا الصندوق في رعاية إحدى زوجاته قبل مماته. ومن محتوى هذا الصندوق تم جمع القرآن بعد ذلك. وكان أول جمع وترتيب **P.64** لهذه الآثار النبوية (المقصود النصوص القرآنية) على يد أبي بكر، لكن النص كله روجع ونسّق بواسطة عثمان فكان المصحف الذي لايزال موجوداً بين أيدينا الآن.

لم يكن استقبال أهل مكة لدعوة محمد بأفضل من استقبال قبيلته. لقد واجهوا رسالته الإلهية المزعومة بالسخط والسخرية واللوم، خاصة عندما حملت هذه الرسالة لهجة التوبيخ والتأنيب لوثنيتهم وعنادهم وانحرافهم. لقد وصفه بعضهم بأنه ساحر دجّال، وقال آخرون أنه غبي يردد أساطير الأولين بل ووصفه بعضهم مباشرة بأنه كذّاب دَعي. وسيتسلّى القارئ بذكر قليل من كثير، مما يشتمل عليه القرآن الكريم فيما يتعلق بالمعاملة الذريّة التي لقيها النبي في ذلك الوقت: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ۝٨ ﴾ (الأنعام: 8).

وفي سورة الزخرف آية 31: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ ﴾ وفي سورة (الأنبياء) نقرأ: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ (الأنبياء: 5).

P.65 وفي سورة (الفرقان) نقرأ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ .

وفي سورة (الأحقاف) نقرأ : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا P.66 كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

لكن الوثنيين غلاظ الرقاب عُلّموا بوضوح أنهم بهذا لن يُفلتوا من العقوبة بهجومهم على رسول الله فالله سبحانه أقسم بصدق نبيه : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحاقة : 38-50) .

ونقرأ في سورة المدثر : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ... كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ P.67 ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ... ﴿٣١﴾ ﴾ (المدثر : 11-31) .

ونقرأ في سورة (هود) آية 106 : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (هود : 106) .

وفي سورة (النساء) نقرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (النساء : 56) .

CHAPTER IV.

The Prophet announces his Mission among his kindred of the Koreish —Meets with a harsh repulse—Begins to declare it in public—View of his fundamental Doctrines—His pretensions respecting the Koran.—The disdainful Rejection of his Message by his fellow-citizens —His consequent Denunciations against them.

THE mission of Mohammed had hitherto been conducted in private. The proselytes he had thus far gained had been won over from among the circle of his immediate friends and connexions. The time had now come, he affirmed, when the Lord commanded him to make his message publicly known, beginning with his kindred of the tribe of Koreish. "O thou covered, arise and preach, and magnify thy Lord."* "And admonish thy more near relations."† To this end he directed Ali to prepare a generous entertainment, and invite to it the sons and descendants of Abdol Motalleb, where, when they were all convened, he would formally divulge to them the solemn fact of his apostolic commission. Some disturbance, occasioned by Abu Laheb, caused the company to break up before he had an opportunity of effecting his purpose, which induced him to give them a second invitation on the ensuing day. About forty of them accordingly assembled around his board, when the prophet arose, and thus addressed his

* Koran, ch. lxxiv † Ch. xxvi.

wondering guests :—" I know no man in the whole peninsula of the Arabs who can propose any thing more excellent to his relations than what I now do to you; I offer you happiness both in this life and in that which is to come; God Almighty hath commanded me to call you unto him; who therefore among you will be my vizier (assistant), and will become my brother and vicegerent?" General astonishment kept the assembly silent; none offered to accept the proffered office till the fiery Ali burst forth and declared that he would be the brother and assistant of the prophet. "I," said he, "O prophet of God, will be thy vizier; I myself will beat out the teeth, pull out the eyes, rip open the bellies, and cut off the legs, of all those who shall dare to oppose thee." The prophet caught the young proselyte in his arms, exclaiming, "This is my brother, my deputy, my successor; show yourselves obedient unto him." At this apparently extravagant command, the whole company burst into laughter, telling Abu Taleb that he must now pay obedience and submission to his own son! As words were multiplied, surprise began to give way to indignation, the serious pretensions of the prophet were seriously resented, and in the issue the assembly broke up in confusion, affording the ardent apostle but slender prospects of success among his kinsmen.

Undeterred by the failure of his first public attempt, Mohammed began to preach still more openly before the people of Mecca. He announced to them that he was commissioned by the

Almighty to be his prophet on the earth; to assert the unity of the Divine Being; to denounce the worship of images; to recall the people to the true and only religion; to bear the tidings of paradise to the believing; and to threaten the deaf and unbelieving with the terrible vengeance of the Lord. His main doctrine, and that which constitutes the distinguishing character of the Koran is, that there is but one God; that he only is to be worshipped; and that all idolatry is a foul abomination, to be utterly abolished. The 112th ch. of the Koran, entitled "The Declaration of God's Unity," is held in the most profound veneration by the Mohammedans, and declared, by a tradition of the prophet, to be equal in value to a third part of the whole Koran. It is said to have been revealed in answer to the Koreish, who inquired of the apostle concerning the distinguishing attributes of the God whom he invited them to worship. It consists of a single sentence. "In the name of the most merciful God. Say, God is one God; the eternal God; he begetteth not, neither is he begotten: and there is not any one like unto him." In the incessant repetition of this doctrine in the pages of the Koran, the author is aiming not only at the grosser errors of polytheism and idolatry, then common among the Eastern nations, but is levelling a blow also at the fundamental tenet of Christianity, that Jesus Christ is the son of God, "the only begotten of the Father." Like others in other ages, Mohammed could conceive of no mode of understanding the doctrine of the filia-

tion of Christ, as held by Christians, which did not directly militate with the truth of the essential unity of the Most High; and in his view the first-born of absurdities was, to affirm in the same breath that Christ was the son of God, and yet coequal and coeternal with the Father. The New Testament declarations, therefore, respecting the person and character of the Messiah find no mercy at the hands of the author of the Koran, who either had not the candour or the capacity to discriminate beween the doctrine of the Trinity and that of Tritheism. "O ye who have received the Scriptures, exceed not the just bounds in your religion, neither say of God any other than the truth."—i. e. either by rejecting Jesus as the Jews do, or by raising him to an equality with God as do the Christians. "Verily, Christ Jesus, the son of Mary, is the apostle of God, and his word, which he conveyed into Mary, and a spirit proceeding from him. Believe, therefore, in God and his apostles, and say not there are three Gods; forbear this; it will be better for you. God is but one God. Far be it from him that he should have a son! Unto him belongeth whatsoever is in heaven and on earth; and he is sufficient unto himself."* "They are certainly infidels who say, Verily, God is Christ the son of Mary. Whoever shall give a companion unto God, God shall exclude him from paradise, and his habitation shall be hell-fire. They are certainly infidels who say God is the third of three: for there is no God be

* Koran, ch. iv.

sides one God. Christ, the son of Mary, is no more than an apostle; and his mother was a woman of veracity: they both ate food."* "There is no God but he: the curse be on those whom they associate with him in his worship."†

With this fundamental article of the Moslem creed, Mohammed connected that of his being, since Moses and Jesus, the only true prophet of God. "We gave unto the children of Israel the book of the law, and wisdom, and prophecy; and we fed them with good things, and preferred them above all nations: and we gave them plain ordinances concerning the business of religion. Afterward we appointed thee, O Mohammed, to promulgate a law concerning the business of religion: wherefore follow the same, and follow not the desires of those who are ignorant."‡ The object of his mission, he affirmed, was not so much to deliver to the world an entirely new scheme of religion, as to restore and replant the only true and ancient faith professed by the patriarchs and prophets, from Adam down to Christ. "Thus have we revealed unto thee an Arabic Koran, that thou mayest warn the metropolis of Mecca, and the Arabs who dwell round about it. He hath ordained you the religion which he commanded Noah, and which we have revealed unto thee, O Mohammed, and which we commanded Abraham, and Moses, and Jesus; saying, Observe this religion, and be not divided therein. Wherefore, invite them to receive the sure faith, and be urgent with them as thou hast been

* Koran, ch. v. † Ch. ix. ‡ Ch. xlv.

commanded." This revival and re-establishment of the ancient faith, he taught, was to be effected by purging it of the idolatrous notions of the Arabs, and of the corruptions of the Jews and Christians. For while he admits the fact that the books of the Old and New Testaments were originally written by inspiration, he at the same time maintains, that they have been since so shamefully corrupted by their respective disciples, that the present copies of both are utterly unworthy of credit; and therefore, he seldom quotes them in the Koran according to the received text. From the following extracts, the reader will perceive how unsparingly the restorer of the primitive faith deals forth his rebukes upon those who had wilfully adulterated and disfigured it. "O ye who have received the Scriptures, why do ye clothe truth with vanity, and knowingly hide the truth?——And there are certainly some of them who read the Scriptures perversely, that ye may think what they read to be really in the Scrip tures, yet it is not in the Scriptures; and they say, this is from God; but it is not from God; and they speak that which is false concerning God, against their own knowledge."* "Wherefore, because they have broken their covenant, we† have cursed them, and hardened their hearts; they dislocate the words of the Pentateuch from their places, and have forgotten part of what they were admonished;

* Koran, ch. iii.

† The reader will notice that notwithstanding Mohammed's strenuous assertion of God's absolute unity, and his execrations of those who ascribe to him "associates," yet when he introduces him speaking in the Koran it is usually in the plural number.

and wilt thou not cease to discover the deceitful practices among them, except a few of them?" "O ye who have received the Scriptures, now is our apostle come unto you, to make manifest unto you many things which ye have concealed in the Scriptures."*

In the execution of his high behest, he declared himself appointed to promulge a new revelation in successive portions, the aggregate of which was to constitute the Bible of his followers. The original or archetype of the Koran,† he taught, was laid up from everlasting in the archives of Heaven, being written on what he termed the *preserved table*, near to the throne of God, from which the series of chapters communicated by Gabriel were a transcript. This pretended gradual mode of revelation was certainly a master stroke of policy in the impostor. "The unbelievers say, unless the Koran be sent down to him entire at once, we will not believe. But in this manner have we revealed it that we might confirm thy heart thereby, and we have dictated it gradually by distinct parcels."‡ Had the whole volume been published at once, so that a rigid examination could have been instituted into its contents as a whole, and the different parts brought into comparison with each other, glaring inconsistencies would have been easily detected, and objections urged which he would probably have found it impossible to answer. But by pretending to receive his oracles in separate portions, at dif-

* Koran, ch. v. † See Appendix C. ‡ Koran, ch xxv.

ferent times, according as his own exigences or those of his followers required, he had a ready way of silencing all cavils, and extricating himself with credit from every difficulty, as nothing forbade the message or mandate of to-day being modified or abrogated by that of to-morrow. In this manner, twenty-three years elapsed before the whole chain of revelations was completed, though the prophet informed his disciples that he had the consolation of seeing the entire Koran, bound in silk and adorned with gold and gems of Paradise, once a year, till, in the last year of his life, he was favoured with the vision twice. A part of these spurious oracles were published at Mecca before his flight, the remainder at Medina after it. The particular mode of publication is said to have been this: When a new chapter had been communicated to the prophet, and was about to be promulgated for the benefit of the world, he first dictated it to his secretary, and then delivered the written paper to his followers, to be read and repeated till it had become firmly imprinted upon their memories, when the paper was again returned to the prophet, who carefully deposited it in a chest, called by him "the chest of his apostleship." The hint of this sacred coffer was doubtless taken from the Ark of the Covenant, the holy chest of the Jewish tabernacle, in which the authentic copy of the law was laid up and preserved. This chest Mohammed left at his death in the care of one of his wives; and from its contents the volume of the Koran was afterward compiled. The first collection and arrangement of

these prophetic relics, more precious than the scattered leaves of all the Sybils, was made by Abubeker, but the whole was afterward revised and new-modelled by Othman, who left the entire volume of the Koran in the order in which we now have it.

Mohammed's first reception by the mass of his fellow-citizens of Mecca was scarcely more hopeful than it had been among his kindred. His alleged divine messages, especially when they assumed a tone of reprehension and reproach towards his countrymen, for their idolatry, obstinacy, and perverseness, were met with indignant scoffs and railings. Some called him a magician and a sorcerer; others, a silly retailer of old fables; and others directly charged him with being a liar and an impostor. The reader will be amused and interested by the insertion of a few out of the scores of allusions, with which the Koran abounds, to the profane and contemptuous treatment shown towards the prophet at this time. "The Meccans say, O thou, to whom the admonition (the Koran) hath been sent down, thou art certainly possessed with a devil: wouldst not thou have come unto us with an attendance of angels if thou hadst spoken the truth? Answer, We send not down the angels but on a just occasion."* "Verily I have permitted these Meccans and their fathers to live in prosperity, till the truth should come unto them, and a manifest apostle: but now the truth is come

Koran, ch. vi.

unto them, they say, this is a piece of sorcery; and we believe not therein. And they say, Had this Koran been sent down unto some great man in either of the two cities, we would have received it."* "The time of giving up their account draweth nigh unto the people of Mecca. No admonition cometh unto them from their Lord, but when they hear it they turn it to sport. They say, The Koran is a confused heap of dreams: nay, he hath forged it."† "And the unbelievers say, this Koran is no other than a forgery which he hath contrived; and other people have assisted him therein: but they utter an unjust thing and a falsehood. They also say, These are fables of the ancients, which he hath caused to be written down; and they are dictated unto him morning and evening. Say, He hath revealed it who knoweth the secrets in heaven and earth. And they say, What kind of apostle is this? He eateth food, and walketh in the streets as we do. The ungodly also say, Ye follow no other than a man who is distracted."‡ "When our evident signs are rehearsed unto them, the unbelievers say of the truth, This is a manifest piece of sorcery. Will they say, Mohammed hath forged it? Answer, If I have forged it, verily, ye will not obtain for me any favour from God: he well knoweth the injurious language which ye utter concerning it.——I follow no other than what is revealed unto me; neither am I any more than a public warner."§

* Koran, ch. xliii. † Ch. xxi. ‡ Ch. xxv. § Ch. xlvi.

But these stiff-necked idolaters were plainly taught that they were not to promise themselves impunity in thus pouring contempt upon the testimony of an authorized legate of heaven. The Most High himself was brought in confirming by an oath the truth of his prophet's mission. "I swear by that which ye see and that which ye see not, that this is the discourse of an honourable apostle, and not the discourse of a poet: how little do ye believe! Neither is it the discourse of a soothsayer: how little are ye admonished! It is a revelation from the Lord of all creatures. If Mohammed had forged any part of these discourses concerning us, verily we had taken him by the right hand, and had cut in sunder the vein of his heart; neither would we have withheld any of you from chastising him. And verily, this book is an admonition unto the pious; and we well know there are some of you who charge the same with imposture; but it shall surely be an occasion of grievous sighing unto the infidels; for it is the truth of a certainty."* "Because he is an adversary to our signs, I will afflict him with grievous calamities; for he hath devised contumelious expressions to ridicule the Koran. May he be cursed! I will cast him to be burned in hell. And what shall make thee understand what hell is? It leaveth not any thing unconsumed, neither doth it suffer any thing to escape; it searcheth men's flesh; over the same are nineteen

* Koran ch. lxix

angels appointed. We have appointed none but angels to preside over hell-fire."* "Verily we have prepared for the unbelievers chains, and collars, and burning fire."† "Verily those who disbelieve our signs we will surely cast out to be broiled in hell-fire: and when their skins shall be well burned, we will give them other skins in exchange, that they may taste the sharper torment."‡

* Koran, ch. lxxiv. † Ch. xi. ‡ Ch. iv.

الفصل الخامس

المعارضة تثبط همَّة محمد - تدهور حال دعوته - وصف الفردوس - فكرة خاطئة عن موقف الإسلام من المرأة - عن جهنم - مزيد من الداخلين في الإسلام - تحديه بطلب معجزة - إجابته عن هذا - القرآن هو المعجزة الكبرى لهذا الدين - مصير الكافرين .

P.68 لكن الأذى الذي لحق به سواء كان بسيطاً أم عنيفاً ، لم يُثن النبي عن متابعة الدعوة لدينه . لم يفلح الضرر الذي ألحقوه به ولا الأذي ولا الإهانة في ان يخمد نزعته إلى الخير واهتمامه الشديد بإنقاذ أهل بلده ، ففي القرآن الكريم سورة (الشعراء) الآية 3

﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** (٣) ﴾ (الشعراء : 3) .

وفي القرآن الكريم سورة (فاطر) آية 8 :

﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** (٨) ﴾ (فاطر :8) .

ولابد أن نعترف أن ثباته في هذه المرحلة - وسط معارضة ضارية وتوبيخ مهين وسخرية قاسية - اتّسم بإخلاص شديد وإيمان راسخ بأنه على حق ، وأنه يدعو لما هو صحيح . والسور القرآنية التي أعلنها في هذه المرحلة تعطينا هذا الانطباع نفسه . **P.69** إنها - أي هذه السور - تعظ بشكل مؤثر مبيِّنة وجود الله الواحد الذي لا إله سواه ومبينة بطلان عبادة الأوثان ، ومذكّرة بالبعث والثواب والعقاب وبضرورة عمل الصالحات .

إن علامات الإدعاء أصبحت الآن أكثر وضوحاً في صفحات وحيه على شكل متوال ، ففي هذه الصفحات حدد أهدافاً خاصة ذات طابع شرير ، ولم يكتف بمجرد الدعوة علناً في الاجتماعات العامة بل راح يدعو لدينه في

الطرقات والأسواق . لقد وظف محمد ﷺ كل مهاراته في الإقناع والدعوة ، وكانت مهارات عالية حقاً ، وراح يدعو بحماس ومثابرة وصبر بطريقة ربما كانت مثلا يجب أن يحتذيه الإرساليون المسيحيون . لقد اندمج في كل الطبقات ، وكان متحرراً لطيفاً مواسياً للفقراء ، يلبي حاجاتهم ويرسّخ معارفهم ، وكان يداهن الأثرياء وذوي المكانة (النبلاء) ، وكان يتحمل إهاناتهم دون أن يسعى للانتقام منهم . وارتبطت تأثيرات هذه الترتيبات السياسية ارتباطاً كبيراً بالطبيعة الخاصة بوعوده وتهديداته التي عمل على أن تكون أداة لدعْم رسالته .

أما عن وعوده فتمثلت في الأساس في حياة سعيدة في الفردوس في الحياة الأخرى ، وكان حريصاً على أن يصف الفردوس بما يتلاءم مع خيالات هذا الجنس (العربي) الحساس والحسّي في آن واحد ، ذلك الجنس الذي P.70 قلما يتذوق اللذات المجرّدة (غير الحسية) ، فتلك سمة من سماتهم الوطنية . فالسعادة الروحية والمباهج العقلية الخالصة تختص بها الأمم الأكثر ثقافة وحضارة . فالحرارة الشديدة في هذه المناطق المدارية وتربتها القاحلة وندرة الخُضرة فيها ، كل هذا جعل من الطبيعي بالنسبة للعرب وغيرهم من أُمم الشرق أن يعتبروا الأنهار والشراب البارد والبساتين المزهرة والفواكه اللذيذة والعرائش الظليلة هي الأكثر مدعاة للبهجة .

كما أن بهاء كثير من مباني الشرق ، ومعابده وقصوره ، بالإضافة إلى ترف الملابس الشرقية وبهاء البلاطات الملكية في الشرق ، كلها تمزج ما بين روح المرح والمسرّة وتوفر الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، والشرق مشهور منذ زمن قديم لا نستطيع تحديد بدايته بكنوز من هذه المعادن النفيسة والأحجار الكريمة .

وكان محمد ﷺ واعياً بشكل جيد بأن هذه الماديات الملموسة المحسوسة ذوات جاذبية كاملة ، ولا شيء يعدلها في جذبها للمسرّة والسعادة ، فكان لا مفر من وصف ثواب الآخرة ممزوجاً بها ، فهذا يتناسب مع مزاج قومه (العرب) . وعلى هذا فقد أكد للمؤمنين بدينه أنهم سيدخلون جنات بهيجة

تنساب فيها أنهار من ماء عذب ، ومن خمر ، ومن حليب ، ومن عسل مصفّى ، وسيجدون مجار مائية حصاها ياقوت وزمرّد وقيعانها حناء ومسك وجوانبها زعفران ، وسيأكلون في الجنة أشهى الفاكهة يجدونها دانية القطوف فلا **P.71** يتطلب الأمر سوى أن يمد أحدهم يده ليقطفها وهو مستلق تحت الأشجار على الأرائك ، وسيتناولون طعامهم في أطباق من ذهب مليئة بأشهى أنواع الأطعمة ويتناولون خموراً (أو نبيذا) ذات مذاق طيب ، وفي القرآن الكريم سورة الرحمن :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) ﴾ (الرحمن : 47 -53) .

وفي سورة الكهف :

﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾ (الكهف :31) .

وفي سورة يس نقرأ :

P.72 **﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) ﴾** (يس : 55-57) .

وفي سورة (الإنسان) :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) ﴾ (الإنسان : 13-21) .

وفي سورة (المطففين) نقرأ :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) ﴾ (المطففين : 22-25) .

تلك هي جنة المحمّدي (المسلم) تتألق ماديّة شهوانية مُترفة . لكننا حقيقة لا يمكننا أن ننكر أن القرآن الكريم يشير بين الحين والحين لبعض أنواع السعادة الروحية التي ينعم الأتقياء بالإضافة إلى المباهج المادية :

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ (يونس : 10) .

لكن المؤكد أن المقوّم الأساسي للسعادة التي يترقبها المسلم ذو طابع حسّي يخاطب ما هو سفلي دَنيّ في طبيعتنا (البشرية) مما يجعل فردوس P.73 المسلم لا يختلف إلاّ قليلا عن الفردوس الذي وصفه الشعراء الوثنيون . سيجد قارئ القرآن إعلانات متكررة تدحض الرأي السوقي الدارج الذي مفاده أن دين محمد يعتبر النساء مخلوقات بلا أرواح ويستثنيهم من مباهج الفردوس .

وإذا كان بعض المسلمين الجهلاء يتخيلون هذا أو يؤكدونه ، فمن المؤكد أن محمداً نفسه كان يفكر في المرأة تفكيراً سامياً ، والآية التالية من القرآن (الكريم) شاهد على ذلك :

﴿ ومن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (١٢٤) ﴾ (النساء : 124) .

وفي سورة الرعد :

﴿ وَالَّذِين صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ (الرعد :22-24) .

وإذا كان هذا التصوير الحي للمستقبل السعيد المبارك الذي ينتظر المؤمن في الآخرة يؤتي تأثيراً قوياً في نفوس المستمعين إليه ، فإن تصوير ما ينتظر غير المؤمنين من عذاب كان له التأثير القوي نفسه . لقد ساق الداعي (أي محمد ﷺ) أبشع صور المعاناة البدنية والجوع والعطش وعذاب النار والكرب الناتج عن البرد الشديد لتحذير الشرّيرين وليدعو عبّاد الأوثان لترك هذه العبادة : P.74

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴿٨﴾ ... وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ... مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ . ﴿ ... وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء : 8 ، 10 ، 18 ، 97) .

وفي سورة (النبأ) نقرأ :

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (النبأ :21-30) .

وفي سورة (المرسلات) نقرأ :

﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المرسلات :29-33) . P.75

ونقرأ في سورة (الصافات) :

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الصافات : 62-67) .

تلك هي الأفكار الرئيسية التي تتضمنها تحذيراته ، وهو يحذر الناس من مخاطر الكفر ويحثهم بلغته البليغة الفصيحة على تجنب اللعنة بالإيمان به رسولاً من الله ، وبالإضافة لهذه البواعث القوية التي تجعل المرء يتحسب لما سيواجهه في الآخرة ، فقد أسرف أيضًا في التهديد بعقوبات مرعبة في هذه الحياة الدنيا إذا لم يُصغوا لما يقول .

ولتحقيق هذا الغرض بسط أمامهم المصائب التي حلت بأمم قبلهم رفضوا طاعة الأنبياء الذين أرسلوا إليهم :

P.76 ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنعام : ١٠، ١١) .

وفي السورة نفسها نقرأ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنعام : 42-45) .

لقد اقتبس حالات أهل العالم القديم الذين لم يسمعوا لمواعظ نوح ، وذكر أهل سدوم الذين اجتاحتهم النيران لأنهم لم يسمعوا نصائح لوط وذكر المصريين الذين دفنوا في البحر الأحمر لاستخفافهم بموسى . وكي يعطي محمدﷺ مزيدا من التحذيرات لتهديداته ، وكي يوقظ الخوف في قلوب مستمعيه راح يتظاهر بلا مبالاته الكاملة بالعمل الذي أناطه بنفسه . أنه يدعو (للإسلام) لأنه مكلّف **P.77** بذلك ، وليس لأنه يقصد كسب قلوب سامعيه فهو لا يطلب تعويضا أو مكافأة على دعوته :

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ (المؤمنون : 72- 73) .

وفي سورة (الشورى) آية 23 :

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الشورى :23) .

وعلى هذا ، فلأن النبي قد أنكر كل هدف شرير لدعوته منكراً أي هدف دنيوي له مهما كان ، لأن الله أمره ألاّ يقلق وألاّ يشغل باله . لنقرأ في القرآن الكريم :

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل :127) .

ونقرأ أيضا :

﴿ وَلا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (آل عمران : 176)(*) .

ونقرأ أيضا :

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ... ﴿٢٣﴾ ﴾ (لقمان :23) .

ليس من العجيب إذن أن تؤتي دعوة النبي المتصاعدة ثمارها ، فلابد أن شخصا - إثر شخص - راح يصغى لما يقول ويتأمل فيه ويتأثر به ويقبله ، خاصة أن النبي كان يسلك مسلكاً وقوراً تقياً في هذا الوقت بالإضافة إلى مجادلاته ومناقشاته المتسمة بالهدوء والوقار . ومادامت الحقيقة كانت على هذا النحو فإن عدد أتباعه ازدادوا بالتدريج حتى أنهم في غضون خمس سنوات من **P.78** بدء الدعوة أصبحوا أربعين بمن فيهم هو نفسه (أي النبي ﷺ) .

والذي أثر أكثر من أيّ شيء في إقلاق الدّعى (**المقصود النبي ﷺ**) هو مطالبته مرارًا وتكرارًا بإثبات صدق نبوته بالمعجزات . لقد كان المستمعون إليه

(*) نسب المؤلف هذه الآيات لسورة (النحل) وهو خطأ (المترجم) .

يقولون له : إن موسى ، وعيسى والأنبياء من قبل على وفق ما يقول دينك أتوا بالمعجزات ليثبتوا أنهم رسل الله ، والآن فإن كنت نبيًا حقا وأعظم منهم كما تدعي ، فهيا آتنا بمعجزة ، فلتحي الموتى ، ولتُنطق الأخرس ولتُسمع الأصم ، ولتخرج الماء من الأرض ، ولتُجر العيون ، ولتجعل هذا المكان بساتين مليئة بالأعناب والنخيل ، ولتجعل الأنهار تجري فيها ، ولتشيد منازل من ذهب وجواهر مليئة بالرياش والأثاث الجميل ، أو دعنا نرى كتابك (المقدس) ينزل من السماء أو دعنا نرى الملك ينزل به من السماء فنراه ، ساعتها سنؤمن برسالتك .

وفي القرآن الكريم ، هذا الطلب الطبيعي والمعقول تملّص منه محمد ﷺ بطرق شتى كما سّجل القرآن فهو يقول لهم إنه ليس إلاّ بشرا رسولا يبشر المؤمنين بالفردوس ويتوعد الكافرين بعذاب النار لنقرأ في القرآن الكريم : **P.79**

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ (الرعد : 7)

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا . . . ﴿٣١﴾ ﴾ (الرعد :31) .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرعد : 27) .

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأنعام :50) .

ومن ناحية أخرى فإن المعجزات التي قام بها الأنبياء السابقون لم يمنع وجود مكذّبين في أممهم ، لذا فإن الله سبحانه لن يقدم معجزات أخرى ، فمن شاء الله أن يؤمن آمن بدون معجزات ، أما من كُتب عليه الشقاء فلن يهتدي للإيمان مهما رأى من معجزات :

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (الأنعام :111) .

وفي الأنعام أيضا :

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾ (الأنعام : 35) .

P.80 وفي الفترة اللاحقة عندما كان في المدينة على رأس جيش كان لديه طريقا مختصراً آخر لحل كل المشاكل الناجمة عن هذا المصدر (عدم الإتيان بالمعجزات) ذلك أن عقيدته ساعتها كانت هي أن الله سبحانه أرسل موسى وعيسى مزوداً إياهما بقوة صنع المعجزات ومع هذا فإن الناس لم يؤمنوا ، لذا فإن الله أرسله (أي محمد ﷺ) بوصفه نبياً من نوع آخر ، نبي مكلّف بفرض العقيدة الصحيحة بقوة السيف . وبالتالي فقد أصبح السيف هو الأداة الحقيقية لفرض رسالته . ولقد لاحظ المؤرخ - عن حق - أن «محمداً حاملا سيف في إحدى يديه والقرآن في اليد الأخرى أقام عرشه على أطلال المسيحية وأطلال روما»(*) .

لكن بعض أتباع النبي الأكثر سذاجة عزوا إليه عدة معجزات كشق القمر ، وتقدم الأشجار للقياه ، ونبع الماء من بين أصابعه وتحيّة الأحجار له وحنين الجذع إليه وشكوى الجمل له وإخبار كتف الضأن له أنه مسموم وغير ذلك ، لكن محمداً ﷺ نفسه لم يؤكّد هذه المعجزات . كما أن الكتاب المسلمين الموثوق بهم لم يوردوها .

والمعجزة الوحيدة التي أكدها هو نفسه وأكدها أنصاره الأذكياء هو القرآن الكريم :

P.81 ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) ﴾ (البقرة : 23) .

(*) Gibbo.n هذه فرْيَة طالما رددها بعض الكتاب المغرضين من الغربيين . ودافع عنها كتاب غربيون متحرروَن غير متعصبين من أمثال «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب» . والدين الإسلامي هو من بين الأديان التي لم يقم على العصبية واشهار السيف في ذروة بداية الدعوة الإسلامية زمن النبي الإنساني ﷺ (الناشر) .

ونقرأ أيضا :

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)﴾ (الإسراء : 88) .

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13)﴾ (هود : 13) .

ولم يتردد محمد ﷺ في أن يستدل من عناد أهل مكة ورفضهم لتحذيراته على صحّة دينه وكونه من عند الله ، فقد كان أنبياء بني إسرائيل يهددون تباعا المنحرفين منهم ، أي من بني اسرائيل .

وفي سورة (فصلت) :

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾ (فصلت : 44) .

ونقرأ أيضا :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾ (البقرة : 6 - 7) .

ونقرأ أيضا :

P.82 ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (25)﴾ (الأنعام : 25) .

لازالت دعوته تسود . لقد أصبح أكثر شعبية ، وازداد انتشار عقيدته وتحلّق المهتدون حوله . ولاحظ جيبونGibbo.n «لقد رضي محمد ﷺ بمن تحلق حوله من جموع الموحّدين الذين وقّروه بوصفه نبياً وكان محمد ﷺ يزيد من طاقاتهم الروحية بما (يوحي) إليه من القرآن الكريم بين الحين والحين»(*)

(*) Dec.& Fall, ch.I.

CHAPTER V.

Mohammed not discouraged by Opposition—The burden of his Preaching—Description of Paradise—Error to suppose Women excluded—Of Hell—Gains some Followers—Challenged to work a Miracle—His Reply—The Koran the grand Miracle of his Religion—Judicial Obduracy charged upon the Unbelievers.

But no repulses, however rude or rebellious, operated to deter the prophet from prosecuting his apostolic ministry. No injuries or insults, however galling, availed to quench that glow of philanthropy, that earnest solicitude for the salvation of his countrymen, for which his divine revelations plainly give him credit. "Peradventure, thou afflictest thyself unto death lest the Meccans become not true believers."* "Verily, God will cause to err whom he pleaseth, and will direct whom he pleaseth. Let not thy soul, therefore be spent in sighs for their sakes, on account of their obstinacy; for God well knoweth that which they do."† And it must be acknowledged, that his firmness at this stage of his career, in the midst of bitter opposition, opprobrious taunts, and relentless ridicule, has very much the air of having been prompted by a sincere though enthusiastic belief in the truth and rectitude of his cause. The scope of several chapters of the Koran promulgated at this time leads to the same impression.

* Koran, ch. xxvi.

† Ch. xxxv.

They are strikingly hortatory and impassioned in their character, inculcating the being and perfections of the one only God, the vanity of idols, a future resurrection, a day of judgment, a state of rewards and punishments, and the necessity of works of righteousness. The marks of imposture are much more discernible upon the pages subsequently revealed, in which the prophet had private ends of a sinister nature to accomplish. But he contented not himself with merely preaching in public assemblies, and proclaiming in streets and market-places the solemn and awakening burden of his message. With a zeal worthy of a better cause, and with a perseverance and patience that might serve as a model to a Christian missionary, he backed his public appeals by private addresses, and put in requisition all the arts of persuasion and proselytism, in which he was so eminently skilled. He applied himself in the most insinuating manner to all classes of people; he was complaisant and liberal to the poor, cultivating their acquaintance and relieving their wants; the rich and noble he soothed by flattery; and bore affronts without seeking to avenge them. The effect of this politic management was greatly enhanced by the peculiar character of those inspired promises and threatenings which he brought to enforce his message.

His promises were chiefly of a blissful paradise in another life; and these he studiously aimed to set forth in colours best calculated to work upon the fancies of a sensitive and sensual race, whose

minds, in consequence of their national habits, were little susceptible of the images of abstract enjoyment. The notions of a purely intellectual or spiritual happiness pertain to a more cultivated people. The scorching heat of those tropical regions, the aridness of the soil, and the consequent lack of a verdant vegetation, made it natural to the Arabs, and other oriental nations, to conceive of the most exquisite scenes of pleasure under the images of rivers of water, cooling drinks, flowery gardens, shaded bowers, and luscious fruits. The magnificence also of many of the Eastern buildings, their temples and palaces, with the sumptuousness of their dresses the pomp of processions, and the splendour of courts, would all tend to mingle in their ideas of the highest state of enjoyment an abundance of gold and silver and precious stones—treasures for which the East has been famed from time immemorial. Mohammed was well aware that a plenitude of these visible and palpable attractions, to say nothing of grosser sources of pleasure, was an indispensable requisite in a heaven suited to the temperament of his countrymen. Accordingly, he assures the faithful, that they shall enter into delectable gardens, where the rivers flow, some with water, some with wine, some with milk, and some with clarified honey; that there will be fountains and purling streams whose pebbles are rubies and emeralds, their earth of camphire, their beds of musk, and their sides of saffron. In feasting upon the banquets of paradise, at one time the most delicious

fruits shall hang dependent from the branches of the trees under which their couches are spread, so that they have only to reach forth their hands to pluck them; again, they shall be served in dishes of gold filled with every variety of grateful food, and supplied with wine of ambrosial flavour. But the prophet's own glowing pictures of the joys of his promised paradise will do more justice to the subject. "They shall repose on couches, the linings whereof shall be of thick silk interwoven with gold; and the fruit of the two gardens shall be near at hand to gather. Therein shall receive them beauteous damsels, refraining their eyes from beholding any besides their spouses, having complexions like rubies and pearls. Besides these there shall be two other gardens that shall be dressed in eternal verdure. In each of them shall be two fountains pouring forth plenty of water. In each of them shall be fruits, and palm-trees, and pomegranates. Therein shall be agreeable and beauteous damsels, having fine black eyes, and kept in pavilions from public view, whom no man shall have dishonoured before their predestined spouses, nor any genius." "They shall dwell in gardens of delight, reposing on couches adorned with gold and precious stones; sitting opposite to one another thereon. Youths, which shall continue in their bloom for ever, shall go round about to attend them, with goblets and beakers, and a cup of flowing wine: their heads shall not ache by drinking the same, neither shall their reason be disturbed." "Upon them shall be

garments of fine green silk, and of brocades, and they shall be adorned with bracelets of silver, and their Lord shall give them to drink of a most pure liquor—a cup of wine mixed with the water of Zenjebil, a fountain in paradise named Salsabil." "But those who believe and do that which is right, we will bring into gardens watered by rivers, therein shall they remain for ever, and therein shall they enjoy wives free from all infirmities; and we will lead them into perpetual abodes." "For those who fear their Lord will be prepared high apartments in paradise, over which shall be other apartments built; and rivers shall run beneath them." "But for the pious is prepared a place of bliss: gardens planted with trees, and vineyards, and damsels of equal age with themselves, and a full cup."*

Such is the Mohammedan paradise, rendered alluring by its gross, carnal, and luxurious character. It cannot indeed be denied that there are occasional intimations, in the Koran, of some kind of spiritual happiness to be enjoyed by the pious in addition to their corporeal pleasures. "Their prayer therein shall be, Praise be unto thee, O God! and their salutation therein shall be, Peace! and the end of their prayer shall be, Praise be unto God, the Lord of all creatures."† But it is beyond question, that the main ingredients in the anticipated happiness of the Moslem saints are of a sensual kind, addressed to the inferior principles

* Koran, ch. iii. iv. xxxvi. xxxvii. xliii. xlvii. lxxviii. † Ch. x.

of our nature, and making their paradise to differ but little from the Elysium of the heathen poets.

The reader of the Koran will meet with repeated declarations subversive of the vulgar opinion, that the religion of Mohammed denies to women the possession of souls, and excludes them from all participation in the joys of paradise. Whatever may have been imagined or affirmed on this point by some of his more ignorant followers, it is certain that Mohammed himself thought too highly of women to inculcate any such doctrine, as the following passages will evince: "Whoso doeth evil, shall be rewarded for it; and shall not find any patron or helper besides God; but whoso doeth good works, whether he be male or female, and is a true believer, they shall be admitted into paradise, and shall not in the least be unjustly dealt with."* "The reward of these shall be paradise, gardens of eternal abode, which they shall enter, and whoever shall have acted uprightly, of their fathers, and their wives, and their posterity; and the angels shall go in unto them by every gate, saying, Peace be upon you, because ye have endured with patience; how excellent a reward is paradise!"†

If these vivid representations of the future bliss of the faithful were calculated to work strongly upon the passions of his hearers, his denunc tions of the fearful torments reserved for unbel vers,

* Koran, ch. iv. † Ch. xiii

were equally well fitted to produce the same effect. The most revolting images of bodily suffering, hunger, thirst, the torture of fire, and the anguish of piercing cold, were summoned up by the preacher to alarm the workers of evil, and to call off the worshippers of idols from their impiety. "But for the transgressors is prepared an evil receptacle, namely hell: they shall be cast into the same to be burned, and a wretched couch shall it be." "And they who believe not shall have garments of fire fitted unto them: boiling water shall be poured on their heads; their bowels shall be dissolved thereby, and also their skins; and they shall be beaten with maces of iron. So often as they shall endeavour to get out of hell, because of the anguish of their torments, they shall be dragged back into the same; and their tormentors shall say unto them, Taste ye the pain of burning."* "It shall be said unto them, Go ye into the punishment which ye denied as a falsehood: go ye into the shadow of the smoke of hell, which shall ascend in three columns, and shall not shade you from the heat, neither shall it be of service against the flame; but it shall cast forth sparks as big as towers, resembling yellow camels in colour."† "Hath the news of the overwhelming day of judgment reached thee? The countenances of some, on that day, shall be cast down; labouring and toiling; they shall be cast into a scorching fire to be broiled: they shall

* Koran, ch. xvii.

† Ch. lxxviii.

be given to drink of a boiling fountain: they shall have no food but of dry thorns and thistles; which shall not fatten neither shall they satisfy hunger." "Is this a better entertainment, or the tree of Al Zaccum? How different is the tree Al Zaccum from the abode of Eden! We have planted it for the torment of the wicked. It is a tree which issueth from the bottom of hell: the fruit thereof resembleth the heads of devils; and the damned shall eat of the same, and shall fill their bellies therewith; and there shall be given them thereon a mixture of filthy and boiling water to drink: afterward shall they return into hell."*

Such was the burden of his exhortations, while he warned the people of the danger of unbelief, and urged them by his eloquence to avoid eternal damnation by putting faith in the apostle of God. In addition to these powerful motives, drawn from another world, he was lavish in the menaces of fearful punishments in this life also, if they hearkened not to his voice. For this purpose, he set before them the calamities which had overtaken those who, in former times, had refused to listen to the prophets sent among them. "Do they not consider how many generations we have destroyed before them? Other apostles have been laughed to scorn before thee, but the judgments which they made a jest of encompassed those who laughed them to scorn. Say, Go through the earth, and behold what has been the

* Koran ch xxxvii.

end of those who accused our prophets of imposture."* "We have already sent messages unto sundry nations before thee, and we afflicted them with trouble and adversity, that they might humble themselves: yet when the affliction which we sent came upon them, they did not humble themselves; but their hearts became hardened, and Satan caused them to find charms in rebellion. And when they had forgotten that concerning which they had been admonished, we suddenly laid hold on them, and behold they were seized with despair; and the utmost part of the people which had acted wickedly was cut off: praise be unto God, the Lord of all creatures!"† He cited the case of the inhabitants of the old world, who perished in the deluge for not giving heed to the preaching of Noah; of Sodom, overwhelmed by fire for not receiving the admonition of Lot; and of the Egyptians, who were buried in the Red Sea for despising Moses. To give still greater effect to his warnings, and ingratiate himself into the favour, as well as to awaken the fears, of his auditors, he took repeated occasions to allege his entire disinterestedness in the work in which he was engaged. He preached because he was commanded to preach, and not because he intended covertly to make gain of his hearers. He therefore boldly takes them to witness that he demanded no compensation for his services. He looked to a higher source for reward. "But we

*Koran ch. vi. †Ch. vi.

have brought them their admonition; and they turn aside from their admonition. Dost thou ask of them any maintenance for thy preaching? since the maintenance of thy Lord is better; for he is the most bounteous provider."* "We have sent thee to be no other than a bearer of good tidings, and a denouncer of threats. Say, I ask not of you any reward for this my preaching, besides the conversion of him who shall desire to take the way unto his Lord."† As the prophet therefore disclaimed all sinister views in the execution of his office, as he expressly renounced the expectancy of any earthly advantage whatever, so he was commanded to divest his mind of all undue anxiety as to the result of his labours of love. "O apostle, let not them grieve thee who hasten to infidelity." "Whoso is wilfully blind, the consequence will be to himself. We have not appointed thee a keeper over them: neither art thou a guardian over them." "And be not thou grieved on account of the unbelievers, neither be thou troubled for that which they subtly devise."‡

It is not therefore to be wondered at that the rousing appeals of the prophet should have taken effect; that one after another should have listened —pondered—wavered—and yielded—especially as the gravity and sanctity of his deportment seem, at this time, to have corresponded with the solemn strain of his expostulations. Such accordingly was the fact. The number of his followers gra-

* Koran, ch xxiii † Ch. xlii. ‡ Ch. xvi.

dually increased, so that in five years from the commencement of his mission, his party, including himself, amounted to forty.

That which operated more than any thing else to disconcert the impostor was the demand repeatedly made upon him to prove the truth of his mission by working a miracle. "Moses and Jesus," said his hearers, "and the rest of the prophets, according to thine own doctrine, wrought miracles to prove themselves sent of God. Now if thou be a prophet, and greater than any that were before thee, as thou boastest, let us see a miracle from thee also. Do thou make the dead to rise, the dumb to speak, the deaf to hear; or else cause fountains to spring out of the earth, and make this place a garden adorned with vines and palm trees, and watered with rivers running through it in divers channels; or do thou make thee a house of gold beautified with jewels and costly furniture; or let us see the book which thou allegest to have come down from heaven, or the angel which thou sayest brings it unto thee, and we will believe." This natural and not unreasonable demand, he had, as we learn from the Koran, several ways of evading. At one time, he tells them he is only a man sent to preach to them the rewards of paradise and the punishments of hell. "The infidels say, unless a sign be sent unto him from his Lord, we will not believe. Thou art commissioned to be a preacher only, and not a worker of miracles."* "Answer, Signs are

* Koran, ch. xiii.

in the power of God alone; and I am no more than a public preacher. Is it not sufficient for them that we have sent down unto thee the book of the Koran, to be read unto them?"* "We sent not our messengers otherwise than bearing good tidings and denouncing threats. Say, I say not unto you, The treasures of God are in my power: neither do I say, I know the secrets of God: neither do I say unto you, Verily I am an angel: I follow only that which is revealed unto me."† At another, that their predecessors had despised the miracles of the former prophets, and for this reason God would work no more among them. Again, that those whom God had ordained to believe, should believe without miracles, while the hapless non-elect, to whom he had not decreed the gift of faith, would not believe though ever so many miracles were wrought before them. "And though we had sent down angels unto them, and the dead had spoken unto them, they would not have believed, unless God had so pleased."‡ "If their aversion to thy admonitions be grievous unto thee, if thou canst seek a den whereby thou mayest penetrate into the inward parts of the earth, or a ladder by which thou mayest ascend into heaven, that thou mayest show them a sign, do so, but thy search will be fruitless; for if God pleased he would bring them all to the true direction."§ At a later period, when he was at Medina at the head of an army, he had a more summary way of

* Koran, ch. xiii. † Ch. vi. ‡ Ibid. § Ibid.

solving all difficulties arising from this source, for his doctrine then was, that God had formerly sent Moses and Jesus with the power of working miracles, and yet men would not believe, and therefore he had now sent him, a prophet of another order, *commissioned to enforce belief by the power of the sword.* The sword accordingly was to be the true seal of his apostleship, and the remark of the historian is equally just and striking, that "Mohammed, with the sword in one hand and the Koran in the other, erected his throne on the ruins of Christianity and of Rome."*

By some of the more credulous of the prophet's followers, there are, it is true, several miracles attributed to him; as that he clave the moon asunder; that trees went forth to meet him; that water flowed from between his fingers; that the stones saluted him; that a beam groaned at him; that a camel complained to him; and that a shoulder of mutton informed him of its being poisoned, together with several others. But these miracles were never alleged by Mohammed himself, nor are they maintained by any respectable Moslem writers. The only miracle claimed either by him or his intelligent votaries is the Koran, the composition of which is the grand miracle of their religion. On this point the reader will perceive that the prophet's assumptions in the following passages are high-toned indeed. "If ye be in doubt concerning that revelation which we have sent

* Gibbon.

down unto our servant, produce a chapter like unto it, and call upon your witnesses, besides God, if ye say the truth."* "Say, Verily, if men and genii were purposely assembled, that they might produce a book like this Koran, they could not produce one like it, although the one of them assisted the other."† "Will they say, He hath forged the Koran? Bring therefore ten chapters like unto it, forged by yourselves; and call on whomsoever ye may to assist you."‡ The infatuation of the Meccans in rejecting this inestimable "admonition," stamped as it was with the evident impress of the divinity, he hesitates not to ascribe to the effect of a fearful judicial obstinacy, such as the Jewish prophets frequently threaten against the perverse nation of Israel. "If we had revealed the Koran in a foreign language, they had surely said, Unless the signs thereof be distinctly explained, we will not receive the same: Answer, It is unto those who believe a sure guide and a remedy; but unto those who believe not, it is a thickness of hearing in their ears, and it is a darkness which covereth them."§ "As for the unbelievers, it will be equal unto them whether thou admonish them or do not admonish them; they will not believe. God hath sealed up their hearts and their hearing; a dimness covereth their sight, and they shall suffer a grievous punishment."‖ "There is of them who hearkeneth unto thee when thou readest the Koran; but we have cast

* Koran, ch. ii. † Ch. xvii. ‡ Ch. xi.
§ Ch. xli. ‖ Ch. ii.

veils over their hearts, that they should not understand it, and a deafness in their ears; and though they should see all kinds of signs, they will not believe therein; and their infidelity will arrive to that height, that they will even come unto thee to dispute with thee."* Still his preaching prevailed. He became more and more popular; proselytes flocked around him; and, as Gibbon remarks, "he had the satisfaction of beholding the increase of his infant congregation of Unitarians, who revered him as a prophet, and to whom he seasonably dispensed the spiritual nourishment of the Koran."†

* Koran, ch. vi. † Dec. and Fall, ch. l.



الفصل السادس

P.83

نجاح محمد المتزايد يثير سخط قريش وينبِّهها - بداية الاضطهاد - بعض صحابة النبي يهاجرون طلبا للأمان - متحولون جدد للاسلام - قريش تكوّن عصبة ضدّه - موت أبي طالب وخديجة - ابتعاد مؤقت عن مكة - عودته ودعوته التي اتخذت طابعا أكثر حماسا - تحوّل بعض أهل المدينة (المنورة) القادمين إلى مكة لزيارة الكعبة ، إلى الاسلام .

أخيراً ثارت مخاوف زعماء قريش بسبب حماسة النبي في نشر دعوته وبسبب الزيادة المضطردة الواضحة في عدد أتباعه ، ولولا حماية عمّه له - تلك الحماية القوية - لوقع بلا شك ضحية مكر المعارضين له . لقد راح زعماء قريش يحثون أبا طالب للتخلّي عن ابن أخيه الذي أحدث في دين آبائهم بدعا خطيرة ، وهددوه (أي هددوا أبا طالب) بقطع علاقاتهم به إذا لم ينجح في جعله يكف عما يقوله ، لقد كانت ضغوط رجالات قريش على أبي طالب قوية حتى أنه حثَّ قريبه (المقصود : محمد ﷺ) على ترك دعوته مبينا له الخطر الذي سيحيق به وبصحابته إن هو أصرّ على المضي في طريقه . لكنَّ الرسول المتحمس أكَّد لعمه أنهم لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ليترك هذا الأمر ما تركه ، فلما رآه أبو طالب على هذا القدر من الإصرار تركه ولم يلح عليه بل P.84 وعده بالوقوف إلى جانبه ضد كل أعدائه ، وقد التزم أبو طالب بوعده ، هذا حتى وافته منيته ، لكن ليس هناك دليل واضح على أنه هو نفسه (أي : أبو طالب) قد تحوّل إلى الدين الجديد .

ولما رأت قريش أنها لن تصل لبُغيتها بالكلمات ولا بالمكر والدهاء ، لجأت إلى العنف . لقد بدأت قريش في اضطهاد أتباعه لدرجة أن هؤلاء الأتباع لم يعودوا أخيرا آمنين في مكة نتيجة ما يلحق بهم من أذى ، وقد سمح محمد ﷺ لبعضهم ممن لا يلزمونه في تهيئة الحماية له ، في البحث عن ملجأ يلجأون إليه في أيِّ مكان غير مكة .

وبالتالي فقد هاجر ستة عشر - كان من بينهم ابنة محمد ﷺ وزوجها - إلى الحبشة . وتبعهم بعد ذلك آخرون هاجروا في جماعات متتالية حتى وصل عددهم 83 رجلا و 18 امرأة ، وأطفالهن .

وقد عاملهم ملك الحبشة (**النجاشي**) معاملة طيبة ورفض - بشكل قاطع - تسليمهم لمبعوثي قريش الذين طالبوا بتسلّمهم . وربما يكون النبي قد أشار لهذا المنفى الاختياري في الآية التالية :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ . (النحل :41)

P.85 وفي العام السادس من بعثته كان محمد ﷺ سعيداً برؤية المجموعة التي آمنت برسالته ، وقد اشتد عودها بإسلام عمه حمزه وهو رجل يتميز بالشجاعة ، وعُمر وهو رجل لا يقل مكانة في مجتمع مكة ، وكان قد سبق له أن وقف موقفاً واضحاً ضد النبي ودعوته .

وقد زاد هذا من سخط قريش وأجَّج نيران غضبها من جديد ، فراحت تتخذ إجراءات أخطر بمزيد من اضطهاد الذين أسلموا .

لكن لأن الاضطهاد عادة ما يؤدّي إلى ازدهار القضية التي يُراد تدبيرها ، فقد أدى هذا الاضطهاد إلى انتشار الإسلام عن ذي قبل فَجُنَّت قريش وازداد تآمرها ، ودخلت في حلف جاء ضد الهاشميين خاصة أسرة عبد المطلب التي اتبع عدد كبير من أفرادها دين الدَّعى . لقد اتفقت قريش على ألا يتزوج أحد من نساء بني هاشم ولا يتزوج أحد من بني هاشم من نساء قريش ، وألا يتاجروا معهم ، ولإعطاء هذا الحلف موثوقية أكثر كتبوا هذا العهد ووضعُوه في الكعبة .

وقد انقسمت قبيلة قريش بعد هذا الحلف : بنو هاشم - ما عدا واحد من أعمام محمد - بقيادة أبي طالب في ناحية ، والآخرون أو الحزب الآخر بقيادة أبي سفيان .

وعلى أية حال فإن هذا الحلف لم يكن ذا تأثير في حياة أبي طالب . لقد دافع العم القوي الذي كان يترأس زعماء مكة (النص : حكومة مكة) عن ابن أخيه ، ضد خطط أعدائه . وأخيراً مات أبو طالب في نهاية السنة السابعة من P.86 البعثة المحمدية ، وبعد موته بأيام قلائل فقد محمد خديجة الذي خلّد ذكراها إذ يذكر أنه عبر عن أن الرجال الكاملين كثيرون ، أما النساء فلم يكمل منهم سوى زوجته خديجة وابنته فاطمة ، وآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، أخت موسى(*) .

ورغم أن النبي كان يعبر عن رعاية أبي طالب له ، ويعبر عن امتنانه له ، إلاّ أننا إذا أخذنا بتفسير بعض المفسرين للآية الآتية :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) ﴾ . (التوبة : 113)

والذي يعني - أي هذا التفسير - أنه يقصد بذلك عمه أبا طالب ، لاتضح لنا ما يعتمل في صدر النبي من إيمان شديد صارم بالدين الذي يدعو إليه . فهذه الآية فيما يقول البعض أوحى بها الله لنبيه لأنه مرّ على عمه وهو يحتضر وألحّ

(*) فيما يلي نص الأحاديث الواردة في فضل خديجة ، كما وردت في البخاري ومسلم بشرح النووي :

باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها . حدثني محمد أخبرنا عبدة عن هشام ابن عروة عن أبيه قال : سمعت عبد الله بن جعفر قال : سمعت عليًا رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : حدثني صدقة أخبرنا عبدة عن هشام عن أبيه قال : سمعت عبد الله بن جعفر عن عليّ رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث . قال كتب إليّ هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها وأمرهَ الله أن يبشرها ببيت من قصب . وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن .حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها قالت : وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قَصَب . حدثني عمر بن محمد بن حسن حدثنا أبي حدثنا حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت=

عليه أن يقول كلمة (المقصود لا إله إلاّ الله) لتكون سبباً في تبرير موقفه أمام الله لكن أبا طالب رفض ذلك رفضاً كاملاً . وعلى أية حال فإن محمداً وعده بأنه

= : ماغرت على أحد من نساء النبي ﷺ ماغرت على خديجة ، وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يُقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : انها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد . حدثنا مسدد حدثنا يحيي عن اسماعيل قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما بشر النبي ﷺ خديجة قال : نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب . حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا محمد بن فضيل عن عُمارة عن أبي زُرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وقال اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال اللهم هالة قالت فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرًا منها .

وفيما يلي ما ورد في صحيح مسلم بشرح النووي :

(باب فضائل خديجة)

قوله ﷺ : «خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد ، وأشار وكيع إلى السماء والأرض» أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير في نسائها وأن المراد به جميع نساء الأرض أي كل من بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها . وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه قال القاضي : ويحتمل أن المراد أنهما من خير نساء الأرض والصحيح الأول . قوله ﷺ : «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون» يقال كمل بفتح الميم وضمها وكسرها ثلاث لغات مشهورات الكسر ضعيف قال القاضي : هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء ونبوة آسية ومريم ، والجمهور على أنهما ليستا نبيتين بل هما صديقتان ووليتان من أولياء الله تعالى ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى قال القاضي : فإن قلنا هما نبيتان فلا شك أن غيرهما لا يلحق بهما . وإن قلنا وليتان لم يمتنع أن يشاركهما من هذه الأمة غيرهما هذا كلام القاضي ، وهذا الذي نقله من القول بنبوتهما غريب ضعيف ود نقل جماعة الاجماع على عدمها والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» قال العلماء معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق فثريد اللحم أفضل من مرقة بلا ثريد وثريد مالا لحم فيه أفضل من مرقه ، والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذبه وتيسر تناوله وتمكن الانسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله . ومن سائر الأطعمة وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد=

سيدعو له إلى أن يأمره الله بالكف عن ذلك ، والآية الآنف ذكرها تُفيد أن الله منعه عن الاستغفار له .

وهناك آخرون يقولون إن هذه الآية نزلت بمناسبة زيارة الرسول لقبر أمه – التي كانت أيضا كافرة – بعد فتحه مكة مباشرة . هنا ، بينما كان واقفا عند قبر والدته يقال إن دموعه سالت وهو يقول : «سألت ربي أن يأذن لي في زيارة قبر أم محمد فأذن لي . . .» راجع مسند أحمد بن حنبل وباب الجنائز في الترمذي(*) . لقد فقد النبي عمه وزوجته خديجة في عام واحد مما جعله يطلق بعد ذلك على هذا العام اسم عام الأحزان . P.87

لقد أصبح النبي الذي ليس من حام له عُرضه – الآن– لهجوم أعدائه الذين لم يضيِّعوا الفرصة المتاحة ، فكثفوا جهودهم لدحض الهرطقة المهلكة والآتي بها

= على غيره من الأطعمة وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة . قوله : «عن أبي هريرة قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه ادام أو طعام أو شراب . فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» هذا الحديث من مراسيل الصحابة وهو حجة عند الجماهير كما سبق وخالف فيه الأستاذ أبو إسحق الاسفرائني لأن أبا هريرة لم يدرك أيام خديجة فهو محمول على أنه سمعه من النبي ﷺ أو من صحابي ولم يذكر أبو هريرة هنا سماعه من النبي ﷺ وقوله : أولا قد أتتك معناه توجهت إليك وقوله : فإذا هي أتتك أي وصلتك فاقرأ عليها السلام أي سلم عليها وهذه فضائل ظاهرة لخديجة رضي الله عنها وقوله : ببيت من قصب قال جمهور العلماء المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف وقيل قصب من ذهب منوم بالجوهر . قال أهل اللغة القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف قالوا : ويقال لكل مجوف قصب . وقد جاء في الحديث مفسرا ببيت من لؤلؤة محياة وفسروه بمجوفة قال الخطابي : وغيره المراد بالبيت هنا القصر . وأما الصخب فبفتح الصاد والخاء وهو الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب . ويقال فيه نصب بضم النون وإسكان الصاد وبفتحهما لغتان حكاهما القاضي وغيره كالحزن والحزن والفتح أشهر وأفصح وبه جاد القرآن وقد نصب الرجل بفتح النون وكسر الصاد إذا أعيا . قوله : «عن عائشة قالت هلكت خديجة قبل أن يتزوجني بثلاث سنين» تعني قبل أن يدخل بها لا قبل العقد وإنما كان قبل العقد بنحو سنة ونصف . قوله : «يهديها إلى خلائلها» أي صدائقها جميع خليلة وهي الصديقة . قوله ﷺ : «رزقت حبها» فيها إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت .(تخريج الاحاديث أضافها المترجم)

(*) الإسناد بتحقيق (المترجم) .

والمحرّضين عليها وبعض صحابته على أمل تخليهم عن راية قائدهم ، وأدرك محمد ﷺ أن فرصة النجاة الوحيدة هي ابتعاده مؤقتاً عن مسرح الصراع ، فانسحب إلى الطائف ، وهي قرية على بعد ستين ميلا إلى الشرقِ من مكة . إذ كان له فيها عم اسمه العباس أتاح له كرمه ملجأ مؤقتا . وعلى أية حال فإن مُكثه في الطائف لم يطل وفشلت دعوته فيها ، فعاد إلى مكة ، ووقف بجسارة في حرم الكعبة بين جموع القادمين لزيارة هذا البيت العتيق ودعا بإنجيل الإسلام (أو بشارة الإسلام والمقصود القرآن الكريم) بين الجموع ، فآمن برسالته مرة أخرى عدد آخر ، كان من بينهم ستة من أهل المدينة (المنوّرة) التي كانت تسمّى في ذلك الوقت يثرب وعندما عاد أهل يثرب ممن آمنوا إلى **P.88** بلدهم بدأوا يقصّون قصة تحولهم للإسلام وبدأوا يمجّدون -بلا حد- دينهم الجديد ويمتدحون نبيهم .

وقد أدى هذا إلى أن حقق محمد شهرة بهّية في المدينة . (المنوّرة) ومهّد الطريق لسلسلة من الأحداث أدت أكثر من أي أحداث أخرى إلى تحقيقه نجاحا نهائيا في شبه الجزيرة العربية ، وفي الوقت نفسه عمل على تدعيم موقفه في مكة بزواجه من عائشة ابنة أبي بكر ، وبعدها بفترة يسيرة تزوج من سودة بنت زمعه وبذا صاهر اثنين من رجال جماعته الرئيسيين مما ضمن رعايتهما له ودفاعهما عن قضيته (المقصود دينه الذي يدعو إليه) .

CHAPTER VI.

The Koreish exasperated and alarmed by Mohammed's growing success—Commence persecution—Some of his followers seek safety in flight—New converts—The Koreish form a League against him—Abu Taleb and Cadijah die—He makes a temporary Retreat from Mecca—Returns and preaches with increased zeal—Some of the Pilgrims from Medina converted.

THE zeal of the prophet in proclaiming his doctrines, together with the visible increase of his followers, at length alarmed the fears of the head men of the tribe of Koreish; and had it not been for the powerful protection of his uncle, Mohammed would doubtless at this time have fallen a victim to the malice of his opponents. The chief men of the tribe warmly solicited Abu Taleb to abandon his nephew, remonstrating against the perilous innovations he was making in the religion of their fathers, and threatening him with an open rupture in case he did not prevail upon him to desist. Their entreaties had so much weight with Abu Taleb, that he earnestly dissuaded his relative from prosecuting his attempted reformation any farther, representing to him in strong terms the danger he would incur both for himself and his friends by persisting in his present course. But the ardent apostle, far from being intimidated by the prospect of opposition, frankly assured his uncle, "That if they should set the sun against him on his right hand, and the moon on his left,

yet he would not relinquish his enterprise." Abu Taleb, seeing him thus determined, used no farther arguments to divert him, but promised to stand by him against all his enemies; a promise which he faithfully kept till he died, though there is no clear evidence that he ever became a convert to the new religion.

The Koreish, finding that they could prevail neither by fair words nor by menaces, had recourse to violence. They began to persecute his followers; and to such a length did they proceed in their injurious treatment, that it was no longer safe for them to continue at Mecca. Mohammed therefore gave leave to such of them as had not friends to protect them, to seek refuge elsewhere. Accordingly sixteen of them, among whom was Mohammed's daughter and her husband, fled into Ethiopia. These were afterward followed by several others, who withdrew in successive companies, till their number amounted to eighty-three men, and eighteen women, with their children. These refugees were kindly entertained by the king of Ethiopia, who peremptorily refused to deliver them to the emissaries of the Koreish sent to demand them. To these voluntary exiles the prophet perhaps alludes in the following passage: "As for those who have fled from their country for the sake of God, after they had been unjustly persecuted, we will surely provide them an excellent habitation in this world, but the reward of the next life shall be greater, if they knew it." *

* Koran, ch. xvi.

In the sixth year of his mission, he had the pleasure of seeing his party strengthened by the conversion of his uncle Hamza, a man of distinguished valour, and of Omar, a person of equal note in Mecca, who had formerly made himself conspicuous by his virulent opposition to the prophet and his claims. This new accession to the rising sect exasperated the Koreish afresh, and incited them to measures of still more active persecution against the proselytes. But as persecution usually advances the cause which it labours to destroy, so in the present case Islamism made more rapid progress than ever, till the Koreish, maddened with malice, entered into a solemn league or covenant against the Hashemites, and especially the family of the Motalleb, many of whom upheld the impostor, engaging to contract no marriages with them, nor to hold any farther connexion or commerce of any kind; and, to give it the greater sanction, the compact was reduced to writing and laid up in the Caaba. Upon this the tribe became divided into two factions; the family of Hashem, except one of Mohammed's uncles, putting themselves under Abu Taleb as their head, and the other party ranging themselves under the standard of Abu Sophyan. This league, however, was of no avail during the lifetime of Abu Taleb. The power of the uncle, who presided in the government of Mecca, defended the nephew against the designs of his enemies. At length, about the close of the seventh year of the mission, Abu Taleb died; and, a few days after his death, Mo-

hammed was left a widower, by the decease of Cadijah, whose memory has been canonized by the saying of the prophet; "That among men there had been many perfect, but of women, four only had attained to perfection, viz. Cadijah, his wife; Fatima, his daughter; Asia, the wife of Pharaoh; and Mary (Miriam), the daughter of Imran and sister of Moses." As to Abu Taleb, though the prophet ever cherished a most grateful sense of the kindness of his early benefactor, yet if the following passage from the Koran has reference, as some of the commentators say, to his uncle, it shows that the dictates of nature in the nephew's breast were thoroughly brought into subjection to the stern precepts of his religion. "It is not allowed unto the prophet, nor those who are true believers, that they pray for idolaters, although they be of kin, after it is become known unto them that they are inhabitants of hell." * This passage, it is said by some, was revealed on account of Abu Taleb, who, upon his death-bed, being pressed by his nephew to speak a word which might enable him to plead his cause before God, that is, to profess Islam, absolutely refused. Mohammed, however, told him that he would not cease to pray for him till he should be forbidden by God; such a prohibition, he affirmed, was given him in the words here cited. Others suppose the occasion to have been the prophet's visiting his mother Amina's sepulchre, who also was an infidel, soon after the capture of Mecca. Here, while standing at the

* Koran, ch. ix

tomb of his parent, he is reported to have burst into tears and said, "I asked leave of God to visit my mother's tomb, and he granted it me; but when I asked leave to pray for her, it was denied me." This twofold affliction of the prophet, in the loss of his uncle and his wife on the same year, induced him ever after to call this "The Year of Mourning."

The unprotected apostle was now left completely exposed to the attacks of his enemies, and they failed not to improve their advantage. They redoubled their efforts to crush the pestilent heresy, with its author and abettors, and some of his followers and friends, seeing the symptoms of a fiercer storm of persecution gathering, forsook the standard of their leader. In this extremity Mohammed perceived, that his only chance of safety was in a temporary retreat from the scene of conflict. He accordingly withdrew to Tayef, a village situated sixty miles to the East of Mecca, where he had an uncle named Abbas, whose hospitality afforded him a seasonable shelter. Here, however, his stay was short, and his prophetic labours unavailing. He returned to Mecca, and boldly taking his stand in the precincts of the Caaba, among the crowds of pilgrims who resorted annually to this ancient shrine, he preached the gospel of Islam to the multitudinous assemblies. New proselytes again rewarded his labours; and, among the accessions now made to his party from these pilgrim hordes, were six of the inhabitants of Medina, then called Yatreb, who, on their return

home began at once to relate to their fellow-citizens the story of their conversion, and to extol, in no measured terms, their new religion and its apostle. This circumstance gave eclat to Mohammed in the city of Medina, and paved the way to a train of events which tended more than any thing else to promote his final success in Arabia. In the mean time, in order to strengthen his interest in Mecca, he married Ayesha, the daughter of Abubeker, and shortly after Sawda, the daughter of Zama. By thus becoming the son-in-law of two of the principal men of his party he secured their patronage to his person and his cause.

الفصل السابع

النبي يتظاهر بقيامه برحلة ليلية إلى السماء السابعة (المقصود المعراج) - كاتب عربي يصف رحلة المعراج - دوافعه لاختلاق هذه القصة المبالغ فيها .

P.89 آثر الله محمداً في السنة الثانية عشر لبعثته المزيفة برحلة ليلية(*) - فيما يقول هو - من مكة (المكرمة) إلى القدس ، ومن القدس إلى السماء السابعة بصحبة جبريل ، ونجد إشارة لهذا في سطلع سورة الإسراء من القرآن الكريم :

﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الآية الأولى من سورة الإسراء ، بالإضافة إلى هذه الحكاية التافهة المبالغ فيها التي لم ترد في القرآن ، وإنما تنقلها الروايات (يقصد المعراج) ربما ابتدعها المدَّعى كي يحقق لنفسه شهرة بوصفه قديسا وربما ليرفع نفسه فوق مقام موسى كليم الله فوق الجبل المقدس . وعلى أية حال فإن المسلمين يؤمنون بقصة عروج النبي إلى السماء إيمانا يقينيا ، وقد كتب واحد من المسلمين يصف كيفية حدوث هذا في تلك الليلة : « في ليلة هي أشد **P.90** الليالي ظلمة وأشدها قتامة وأشدها صمتا ، في هذه الليلة التي ما أظلمت ليلة لغياب الشمس ظلمة كظلمتها منذ خلق الله الشمس . . في ليلة لم يَصِحْ فيها ديك في الكون كله ، ولم ينبح فيها كلب ، ولم تُصدر فيها دابة صوتاً ، ولم يظهر فيها أي طير من طيور الليل ، وأكثر من هذا فقد امتنعت ذوات

(*) لا يمكن بأي حال من الأحوال - ونحن المؤمنون - بما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه من وحيه - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه - أن نضع هذا الإدعاء الزائف على محمل النقاش الذي لا محل له فيه ، فهو لا يعدو عن كونه لونًا من ألوان «الهرطقة» التي كانت سائدة في الفكر الغربي الذي تغذى وتطور على الاسرائيليات التي ما فتئت تحاول هدم دين هذه الأمة ، ولكن إنا لها هذا وقد استقر هذا الدين في أفئدة البشر في مشارق ومغارب الأرض بفضل من الله ورحمته ، وهدى سنة نبيه المطهرة وندعو القارىء إلى مراجعة مقدمة المترجم التي فنّد فيها هذه المزاعم (الناشر) .

الأربع وكل المخلوقات التي لها ريش عن صخبها المعتاد وكفّت عن الحركة ، وعلى النحو نفسه توقفت المياه عن الخرير ، والرياح لم يُسمع لها همساً ولا صريراً ، وركد الهواء ، وتوقفت الأفاعي عن الفحيح ، وتوقفت الجبال والوديان والكهوف عن رَجْع الصدى وتوقفت الأرض عن الإنتاج ، وتوقفت النباتات الطريّة عن النمو ؛ لم تعد تخرج شطْأها ، ولم تعد أعشاب الحقول خضراء ، وكفّت أمواج البحار عن الصخب والهيجان ، وكفت الأسماك والمخلوقات البحرية عن تحريك زعانفها . حقيقة أنه في هذه الليلة المدهشة كان من الضروري أن تتوقف كل المخلوقات عن حركتها المعتادة لتكون صامتة ساكنة ، لتصيخ السمع لما لا يمكنها التعبير عنه .

لم يكن أي لسان بقادر على التعبير عن عجائب هذه الليلة وأسرارها . لم يكن هناك إلاّ ظل أجرد ، فما حدث في هذه الليلة الإعجازية هو أعظم الأحداث وأكثرها إعجازاً منذ خلق الله آدم . إنه حدث لم يحدث لأي من أبناء آدم من قبل **P.91** انه حدث ليس له مثيل في أي كتاب من الكتبً المقدسة التي نزلت وليس له مثيل في أية إشارات ، وليس له مثيل مما واجهه الناس .

من أعلى السماوات أسرع الساروفيم أعظم الملائكة التي خلقها الله مكانة في الجزء الأخير من هذه الليلة المذهلة هابطا إلى العالم السفلي . هذا الساروفيم هو جبريل الذي لا نظير له . لقد هبط إلى عالمنا حاملا رسالة مدهشة لم يسمع أحد بمثلها من قبل . غمرت الأرض بالسعادة وملأت السماوات السبع ببهجة غير معتادة تفوق الوصف لأن طبيعة الرسالة التي حملها تجلب السعادة والحبور فقد زار - أي جبريل - عالمنا وهو في أبهى منظر وأجمله .

لقد كان جماله وبهاؤه يفوقان الوصف أو بتعبير آخر يعجز أي وصف عن إيفائهما حقهما . لقد كان بياضه يفوق بياض الثلج ، وكان بهاؤه يطغى على نور شمس الظهيرة .

لقد كانت عباءته مغطاة كلها مشغولة بأجمل أنواع الزهور . مشغولة شغلا سماويا وليس بشريا ، وكانت أجنحته الكثيرة ممتدة امتداداً جميلا كأجمل ما يكون الجمال ، وكانت هذه الأجنحة مزينة بالأحجار النفيسة التي لا تقدر بثمن . كان

طويلا طولا مهيباً ، وكان حضوره مهيباً فاتنا وكان مكتوبا على جبينه الواسع الوضاء سطرين من حروف نورانية باهرة : «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله»(*) .

إذا تجاوزنا هذه المقدمة ذات الطابع الشعري ذات الأسلوب الشرقي الرائع حقاً ، لندخل في حقيقة هذه القصة الصبيانية نشعر على الفور أن خيال النبي يعاني من خلل يمكن مقارنته بالخلل الذي اعترى تلميذه (المقصود P.92 **راوي الرواية الآنف ذكرها وهو مرجان)** الذي استطاع بالتأكيد أن يعطينا قصة أكثر تشويقًا عن هذه الرحلة السماوية ، من السخف البائس الذي يظهر في التلفيق الذي قدمه لنا النبي . ودون أن نخوض في التفاصيل كلها لهذه الرحلة الليلية التي رأي فيها العجائب حتى وصل للسماوات العلا ، فإن ما سنذكره في السطور التالية يبين لنا الطبيعة العامة لهذه الرحلة السماوية .

بينما كان النبي مضطجعا في سريره مع زوجته الأثيرة عائشة أيقظه الملك جبريل فجأة ووقف أمامه باسطا سبعين زوجا من الأجنحة أبيض من الثلج وأكثر شفافية من الكرستال (البلور) وأخبره الملك أنه أتى ليصحبه في رحلة للسماء ووجهه ليركب دابة كانت في انتظاره عند الباب ، وهي دابة عوان بين الحمار والبغل . وتُسمّي هذه الدابة البراق نظراً لسرعتها الفائقة . ولون البراق أبيض حليبي . وعلى أية حال ، فقد كان البراق بلا عمل منذ أيام المسيح إلى أيام محمد ﷺ ، فلم يستخدمه نبي طوال هذه الفترة ، لذا فلم يكن الآن مستقراً بل كان عنيداً شرساً فلم يستطع محمد ﷺ أن يستقر فوقه إلى أن وعده بدخول الجنة عندئذ هدأ البراق بسبب هذا الوعد فمكّن النبي من ركوبه وأخذ جبريل بالمقود (الرَّسن) في يده ووجهه إلى القدس فقطع المسافة من مكة إليها في طرفة عين ، وعندما وصل إلى القدس أقبل P.93 الأنبياء السابقون للقياه وتحيته سائلينه أن يذكرهم في صلواته عند اقترابه من عرش العظمه (المقصود عرش الله) ، وعندما خرج من المسجد (النص : المعبد temple) وجد سلّما من نور جاهزا لارتقائهم فربط البراق إلي صخرة ، وتبع جبريل صاعدا السلم حتى وصلا إلى السماء الأولى فعاجل بوّاب السماء بفتح الباب عندما أخبره جبريل أن معه محمدا ﷺ رسول الله . ويخبرنا

(*) Morgan's Mohametanism explained .

أن السماء الأولى من فضة خالصة محلاة بالنجوم المدلاة منها بسلاسل من ذهب وكل نجم منها بحجم الجبل .

وقد قابله هنا شيخ كبير علم أنه أبونا آدم الذي ابتهج كثيرا لكون محمد - هذا الرجل الممتاز - هو أحد أبنائه . ورأى محمد ﷺ أيضا في هذه السماء الأولى مالا يحصى من الملائكة ، اتخذت أشكال الطيور والبشر والبهائم ، لكن أعجبها هو الديك العملاق الذي يشمخ رأسه حتى السماء الثانية ، رغم أن المسافة بين السماء الأولى والسماء الثانية تستغرق خمسمائة يوم .

وجناحا هذا الديك ضخما الأبعاد ومكسوّان بالعقيق واللآلىء وهو يصيح صياحاً عالياً جداً إذا طلع الفجر ، فتسمع كل المخلوقات على الأرض صياحه ماعدا الإنس والجن . أما السماء الثانية فمن ذهب خالص وتضم عدداً من الملائكة يزيد بمقدار الضعف عن عدد الملائكة في السماء الأولى ، من بينهم ملك (بفتح الميم واللام) هائل الحجم حتى أن المسافة بين عينيه يستغرق قطعها سبعين ألف يوم . P.94

وفي هذه السماء الثانية قابل النبي نوحا الذي طلب منه الدعاء له . ومن ثم صعد النبي إلى السماء الثالثة فقابل إبراهيم (الخليل) الذي طلب منه الطلب نفسه ، وهنا وجد ملك الموت وأمامه منضدة هائلة راح يكتب عليها أسماء البشر عندما يولدون ويحدد الذين انتهت أيامهم فحان حينهم .

وعند دخول النبي للسماء الرابعة وهي من الزمرّد ، قابل يوسف بن يعقوب . وفي السماء الخامسة قابل سلفه الموقّر موسى . وفي السماء السادسة وهي من العقيق الأحمر قابل يوحنا المعمدان (يحيى) وفي السماء السابعة وجد نوراً إلهياً بدلا من المعادن أو الجواهر التي كان يجدها في السماوات الأخرى ، ورأى يسوع المسيح فطلب منه محمد ﷺ الدعاء له ، بينما في السماوات الأخرى كان من قابلهم هم الذين يطلبون منه الدعاء .

وفي هذه السماء السابعة كان عدد الملائكة يزداد في كل خطوة يخطوها ، وكان عدد الملائكة في هذه السماء يفوق عددهم في كل السماوات الأخرى ، وكان من بينهم ملك له سبعة آلاف رأس بها سبعة آلاف فم بها سبعة آلاف لسان ، كل لسان يسبح بها الله طوال النهار وطوال الليل .

ولما وصل الملك بالنبي إلى هذا الموضع أخبره أنّه - أي الملك - غير مسموح له بالتقدم أكثر من هذا ، لكن على النبي محمد ﷺ أنه يصعد ما بقي من مسافة P.95 بمفرده حتى يصل إلى عرش الرحمن ، ففعل النبي ذلك لكن بعد تخطي صعاب لا حد لها . إذ كان طريقه بين مياه وثلوج وعوائق أخرى هائلة تكفي لإرهاب أثبت القلوب وأعتاها .

وأخيراً وصل لنقطة سمع عندها صوتا يقول له : «يا محمد حيّ خالقك» وصعد محمد ﷺ إلى مقام أعلى فوجد مكانا وجد به امتدادا نورانيا هائلا لم تتحمله عينيه البشريتين . وفي وسط هذا النور المتألق يوجد عرش الله الباقي . وفي الجانب الأيمن منه مكتوب بحروف عربية وضّاءه «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» . وكان محمد ﷺ - فيما يقول - قد وجد هذه الكتابة على كل بوّابة من بوابات السماوات السبع التي مرّ بها . إنه الآن قاب قوسين من الحضرة الإلهية ، ويقول النبي أنه شاهد beheld الله سبحانه فوق عرشه وأمام وجهه - أي وجه الله سبحانه - سبعة آلاف حجاب ، ومد الله يده بين هذه الحجب ووضعها على النبي حتى أحس - أي النبي - ببرد أصابعه في نخاع ظهره . وعلى أية حال لم يلحق بالنبي ضرر ، ومن ثم تلطف الله سبحانه ودخل في مناقشات معروفة مع عبده (أي محمد ﷺ) ، فأفضى الله له أسرارًا كثيرة عظيمة مخبأة ووهبه فهم الشريعة وعلّمه تعليما كاملا طبيعة النّظم التي عليه أن يسلّمها (أو يعلمها) للبشر P.96 . وبالإضافة لهذا فقد شرّفه بعدّة مزايا فوق بقية جنسه (البشري) ليكون - أي محمد ﷺ - أكمل الخلق ، لذا فهو سيكون يوم الحساب على رأس المبعوثين من الموت وسيكون شفيعا في كل من آمنوا بنبوته ، وسيكون عالما بكل اللغات . وأخيراً فإن كل الأسلاب التي تم جمعها من كل من فتح بلادهم ستكون ملكا له وحده .

وبعد أن تلقّى النبي هذه التأكيدات الكريمة انسحب من الحضرة الإلهية ، وعاد ليجد الملك في انتظاره في المكان الذي تركه فيه فعاد به من الطريق نفسها إلى القدس ومن ثمّ إلى مكة (المكرمة) .

تلك هي التصوّرات أو الخيالات الصبيانية للنبي . تلك هي القصة الملحمية الغبية التي خدع بها السذّج من أتباعه بما فيها من وصف حي . وعلى أية حال فإن هذه القصة بما فيها من سخف أدت إلى تخلي عدد من أتباعه عنه . وبدا أنّ دعوته قد اقتربت من نهايتها . وأخيراً جاء دور أبي بكر ذي النفوذ الأكبر بين صحابة النبي إذ صدّق ما قاله النبي ملقيا الملامة على من لم يصدقوه ، وبذا خلّص زعيمه (يقصد النبي ﷺ) من هذه الورطة التعسه . لقد أعلن بجسارة تصديقه للنبي قائلا : إنه إن كان قد قال ذلك فقد صدق . إن هذا الحدث الملائم لم يجدد -- فحسب - الإيمان بالنبي وإنما زاده لدرجة جعلته متأكداً من قدرته على **P.97** وضع أي حكاية يريد أن يصدقها أتباعه سريعي التصديق . وهكذا وجدنا أن هذه الحكاية الرديئة عديمة المعنى التي هدّدت في البداية بدفن كل إدعاءاته في مهدها قد عملت في الحقيقة على زيادة نجاحاته لمواكبتها لبعض الظروف . وهكذا حمل أبو بكر لقب التشريف والكرامة ألا وهو الصّديق .

ونعلم من سيل الانجليزي الذي شرح القرآن الكريم أنه لايزال هناك خلاف - على نحو ما - بين العلماء المسلمين حول ما إذا كان العروج بالنبي إلى السماوات كان بالجسد أم بالروح (أي أنه رؤيا منامية) فبعضهم يرى أنه مجرد رؤيا أو حلم معتمدين على رواية معاوية (بن أبي سفيان) ، ويرى آخرون أنه أسرى به ببدنه إلى القدس . أما العروج للسماء فكان بالروح ، لكن الرأي السائد أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد ، ويرد القائلون بهذا على المعترضين بأن الله على كل شيء قدير . وليس من المحتمل أن يكون هدف محمد ﷺ مجرد إدهاش أتباعه فالمراقب اليقظ لخصائص الإسلام المميّزة له لن يفشل في اكتشاف ما لا يحصى من أوَجه الشبه بين هذا النظام (الإسلامي) والدين اليهودي الذي **P.98** أوحى به الله ، ويبدو أن المدّعى (يقصد المصطفى عليه الصلاة والسلام) يقصد التشبه بموسى على قدر ما يمكنه . ويقصد أن يدخل في دينه أكبر قدر من التفاصيل الموجودة في اليهودية دون أن يدمّر البساطة التي اتسم بها دينه (الإسلام) . وهذه الحقيقة تتمشى مع ما يمكن تأكيده بشكل عام وهو أن نسل

اسماعيل كانوا ميالين لتقليد نسل اسحاق ويعقوب الذين نالوا بركة العهد من الله (النص ياهوه أو چاهوڤاه) وانسالت بركة هذا العهد في ذراريهم .

وستظهر أدلة أكثر وضوحا نتيجة لهذا . إننا نقدم هنا هذه الملاحظة التي تقدم مفتاحا محتملا لدوافع النبي في إدعاء هذه الرحلة الليلية . لقد كان حتى الآن يفضي لأصحابه بما (نزل عليه) من القرآن الذي هو مثل كتاب سوسى ، وربما أطلق عليه - أي على القرآن ، كتاب الشريعة . إنه بتقديمه هذا الوحي (يقصد القرآن الكريم) كان قد اعترف انه مجرد مخلوق يفضي الله عن طريقه برسالته للجنس البشري . لقد كان - ببساطة - يفضي بما يوحى إليه عن طريق جبريل دون أيّ تدخل منه (أي دون أن يتدخّل محمد ﷺ فيما يوحى إليه) . وعلى هذا فعندما ضغط عليه أعداؤه باعتراضاتهم واتهاماتهم لجأ إلي التأكيد على أن القرآن الكريم ليس من عنده وإنما هو من عند الله ، لكنه - أي محمد ﷺ - هو القادر على تفسير القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً ، فهو وحده القادر على فهم معانيه الحقيقية التي يجب أن تفهم في بعض المواضع فهماً حرفياً كما يجب أن تفهم في مواضع أخرى فهما مجازيا :

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ... (٤) ﴾ . ﴿ ... هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) ﴾ (آل عمران :2-4 و7)

P.99

لكن كان معروفًا حقيقة أن اليهود لديهم بالاضافة إلى الشريعة المكتوبة التي أوحاها (أملاها) الله نفسه ، ما يسمى أيضًا بالشريعة الشفهية التي أعطاها الله لموسى في الوقت نفسه الذي أعطاه فيه الشريعة المكتوبة فوق الجبل المقدس ، وتناقلت الأجيال جيلا بعد جيل هذه الشريعة الشفهية ، وأكثر من هذا ، فقد كان من المفهوم أن هذه الشريعة الشفهية على الدرجة نفسها من الموثوقية التي عليها الشريعة المكتوبة رغم أن أصلها لا يعود إلاّ لبعض المرويات من موسى عليه

السلام التي حفظتها ذاكرة من تحدّثوا إليه ، وربما وجد النبي (محمد ﷺ) في هذا وسيلة مشابهة لدعم موثوقيته وليعطي وزناً وقيمة لأقواله هو شخصياً .

فليس من المستبعد أن يعود أصل حكاية رحلته الليلية إلى السماوات إلى تفكيره على هذا النحو . لقد كان محمد ﷺ واعيًا وعيًا كبيرًا أنه إذا ما استطاع أن ينجح مرّة في كسب تصديق أتباعه بأن الله قد تحدث إليه في حضرته التي لم يشهدها أحد ، وأنه ـ أي الله سبحانه - قد أفضى إليه بأسرار السماء العميقة ، P.100 فإنه يستطيع بعد ذلك أن يدّعي ما شاء له أن يدّعي ضامنا تصديق أتباعه سريعي التصديق . تلك كانت - على أية حال - هي النتيجة الفعلية . من الآن فصاعدا ارتبطت قداسة خاصة بكل ما صدر عن النبي من أقوال مبتذلة وكل فعل غير مهم ، في كل أمر من أمور الدين . لقد حظيت أقواله وأفعاله وتقديراته بتوقير شديد أثناء حياته وتم جمعها من الرواة بعد مماته ، وأخيراً ضمتها مجلدات كوّنت السنّة ، والمسلمون في هذا يحاكون بدقة الشريعة الشفهية عند اليهود .

وكما أن الرابيين (الحاخامات) اليهود كرّسوا أنفسهم لجمع مروياتهم القديمة واستخلاصها وشرحها لدرجة أن بعضهم أهملوا شَرع الله (كما ورد في التوراة) وركزوا على المرويات القديمة ، كذلك فعل المسلمون ، فكان منهم من كرَّس نفسه للسنّة وشرحها باعتبارها تضم قدرا من عقيدتهم (قدرا من الثيولوجيا الإسلامية) سواء في جانبها النظري أو العملي التطبيقي .

وعلى هذا فليس بلا مبرر أن المدّعى كان توّاقاً جداً لأن يؤمن الناس إيماناً راسخاً بعجائبه التي يرويها ، وأن يقدم الله سبحانه في القرآن الكريم وهو يؤكد روايته :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) ﴾ (النجم :1-12) .

CHAPTER VII.

The Prophet pretends to have had a night-journey through the Seven Heavens—Description of the memorable Night by an Arabic writer—Account of the Journey—His probable Motives in feigning such an extravagant fiction.

It was in the twelfth year of the pretended mission that Mohammed was favoured, according to his own account, with his celebrated night-journey from Mecca to Jerusalem, and from thence to the seventh heaven, under the conduct of the angel Gabriel. In allusion to this the seventeenth chapter of the Koran commences thus:—"Praise be unto him who transported his servant by night from the sacred temple of Mecca to the farther temple of Jerusalem, the circuit of which we have blessed, that we might show some of our signs; for God is he who heareth and seeth." This idle and extravagant tale, which is not related in the Koran, but handed down by tradition, was probably devised by the impostor in order to raise his reputation as a saint, and to put himself more nearly upon a level with Moses, with whom God conversed, face to face, in the holy mount. The story, however, is devoutly believed by the Mussulmans, and one of their writers has given the following highly-wrought description of the memorable night in which it occurred. "In the

darkest, most obscure, and most silent night that the sun ever caused by his absence, since that glorious planet of light was created or had its being; a night in which there was no crowing of cocks to be heard throughout the whole universe, no barkings of dogs, no howlings, roarings, or yellings of wild beasts, nor watchings of nocturnal birds; nay, and not only the feathered and four-footed creatures suspended their customary vociferations and motions, but likewise the waters ceased from their murmurings, the winds from their whistlings, the air from its breathings, the serpents from their hissings, the mountains, valleys, and caverns from their resounding echoes, the earth from its productions, the tender plants from their sproutings, the grass of the field from its verdancy, the waves of the sea from their agitations, and their inhabitants, the fishes, from plying their fins. And indeed upon a night so wonderful it was very requisite, that all the creatures of the Lord's handy-work should cease from their usual movements, and become dumb and motionless, and lend an attentive ear, that they might conceive by means of their ears what their tongues were not capable of expressing. Nor is any tongue able to express the wonders and mysteries of this night, and should any undertake so unequal a task, there could nothing be represented but the bare shadow: since what happened in this miraculous night was infinitely the greatest and most stupendous event that ever befell any of the posterity of Adam, either expressed in any of the sacred writings which

came down from above, or by signs and figures. From the sublime altitudes of heaven the most glorious seraph of all those which God ever created or produced, the incomparable Gabriel, upon the latter part of the evening of that stupendous night, took a hasty and precipitate flight, and descended to this lower world with an unheard-of and wonderful message, the which caused an universal rejoicing on earth, and filled the seven heavens with a more than ordinary gladness; and, as the nature of the message both required and inspired joy, he visited the world under the most glorious and beautiful appearance that even imagination itself is capable of figuring. His whiteness obscured that of the driven snow, and his splendour darkened the rays of the noontide sun. His garments were all covered with the richest flowers in embroidery of celestial fabric, and his many wings were most beautifully expanded, and all interspersed with inestimable precious stones. His stature was exceeding tall, and his presence exquisitely awful. Upon his beauteous capacious forehead he bore two lines written in characters of dazzling light; the uppermost consisted of these words, *La illah il' allah*—THERE IS NO GOD BUT ALLAH; and in the lowermost line was contained, *Mohammed Rasoul Allah*—MOHAMMED IS GOD'S MESSENGER."*

In passing from this poetical prelude, conceived in the true gorgeous style of oriental description, to the meagre and puerile story of the journey it-

* Morgan's Mahometanism Explained.

self, we feel at once that the prophet's fancy suffers by comparison with that of his disciple, who could certainly, from the above specimen, have given a vastly more interesting fiction of a celestial tour than the miserable tissue of absurdity which appears in the fabrication of the prophet. Without detailing all the particulars of this nocturnal expedition, in which the marvels thickened upon him till he had reached the utmost height of the empyrean, the following outline will afford the reader an idea of its general character.

While the prophet was reposing in his bed, with his beloved Ayesha at his side, he was suddenly awakened by the angel Gabriel, who stood before him with seventy pair of expanded wings, whiter than snow and clearer than crystal. The angel informed him that he had come to conduct him to heaven, and directed him to mount an animal that stood ready at the door, and which was between the nature of an ass and a mule. The name of this beast was Alborak, signifying in the Arabic tongue, "The Lightning," from his inconceivable swiftness. His colour was a milky white. As he had, however, remained inactive from the time of Christ to that of Mohammed—there having been no prophet in the interval to employ him—he now proved so restless and refractory, that Mohammed could not succeed in seating himself on his back till he had promised him a place in paradise. Pacified by this promise, he suffered the prophet quietly to mount, and Gabriel, taking the bridle in his hand, conveyed him from Mecca

to Jerusalem in the twinkling of eye. When he arrived at the latter place, the departed prophets and saints came forth to meet and to salute him, and to request an interest in his prayers when he came near to the throne of glory. Going out of the temple he found a ladder of light ready fixed for them, and tying Alborak to a rock, he followed Gabriel on the ladder till they reached the first heaven, where admittance was readily granted by the porter, when told by Gabriel that his companion was no other than Mohammed, the prophet of God. This first heaven, he tells us, was all of pure silver, adorned with stars hanging from it by chains of gold, each of them of the size of a mountain. Here he was met by a decrepid old man, whom the prophet learned to be our father Adam, and who greatly rejoiced at having so distinguished a son. He saw also in this heaven innumerable angels in the shape of birds, beasts, and men; but its crowning wonder was a gigantic cock, whose head towered up to the second heaven, though at the distance of five hundred days journey from the first! His wings were large in proportion, and were decked with carbuncles and pearls; and so loud did he crow, whenever the morning dawned, that all creatures on earth, except men and fairies, heard the tremendous din. The second heaven was of pure gold, and contained twice as many angels as the former. Among these was one of such vast dimensions, that the distance between his eyes was equal to the length of seventy thousand days

journey. Here he met Noah, who begged the favour of his prayers. Thence he proceeded to the third, where he was accosted by Abraham with the same request. Here he found the Angel of Death, with an immense table before him, on which he was writing the names of the human race as they were born, and blotting them out as their allotted number of days was completed, when they immediately died. At his entrance into the fourth heaven, which was of emerald, he was met by Joseph, the son of Jacob. In the fifth he beheld his honoured predecessor, Moses. In the sixth, which was of carbuncle, he found John the Baptist. In the seventh, made of divine light instead of metals or gems, he saw Jesus Christ, whose superior dignity it would seem that he acknowledged by requesting an interest in his prayers, whereas in every preceding case the personages mentioned solicited this favour of him. In this heaven the number of angels, which had been increasing through every step of his progress, vastly exceeded that of all the other departments, and among them was one who had seventy thousand heads, in every head seventy thousand mouths, in every mouth seventy thousand tongues, in every tongue seventy thousand voices, with which day and night he was incessantly employed praising God!

The angel having conducted him thus far, informed him, that he was not permitted to attend him any farther in the capacity of guide, but that he must ascend the remainder of the distance to the

throne of God alone. This he accordingly undertook, and finally accomplished, though with great difficulty, his way lying through waters and snows, and other formidable obstacles, sufficient to daunt the stoutest heart. At length he reached a point where he heard a voice addressing him, saying, " O Mohammed, salute thy Creator." Mounting still higher, he came to a place where he beheld a vast extension of light of such dazzling brightness, that the powers of mortal vision were unable to endure it. In the midst of the effulgence was the throne of the Eternal; on the right side of which was written in luminous Arabic characters: " There is no God but God, and Mohammed is his prophet." This inscription, he says, he found written on all the gates of the seven heavens through which he passed. Having approached to within two bow-shots of the Divine presence, he affirmed that he there beheld the Most High seated upon his throne, with a covering of seventy thousand veils before his face, from beneath which he stretched forth his hand and laid it upon the prophet, when a coldness of inconceivable intensity pierced, as he said, to " the very marrow of his back." No injury, however, ensued, and the Almighty then condescended to enter into the most familiar converse with his servant, unfolding to him a great many hidden mysteries, making him to understand the whole law, and instructing him fully in the nature of the institutions he was to deliver to mankind. In addition to this he honoured him with several distinctions above the rest of his

race; as that he should be the most perfect of all creatures; that at the day of judgment he should have the pre-eminence among the risen dead; that he should be the redeemer of all that believe in him; that he should have the knowledge of all languages; and, lastly, that the spoils of all whom he should conquer in war should belong to him alone. After receiving these gracious assurances, he retired from the presence of the Divine Majesty, and, returning, found the angel awaiting him at the place where they parted, who immediately re-conducted him back, in the same manner in which he came, to Jerusalem and Mecca.

Such were the puerile conceptions of the prophet. Such the silly rhapsody which he palmed upon the credulity of his followers as the description of a most veritable occurrence. The story, however, carried on the face of it such glaring absurdity, that several of his party forsook him at once, and his whole cause came near to being utterly ruined by it. At length Abubeker, the man of greatest influence among the prophet's friends, by professing to give credence to the tale, at once put to shame the infidelity of the rest, and extricated his leader from his unhappy dilemma. He boldly vouched for the prophet's veracity. "If Mohammed affirms it, it is undeniably true, and I will stand by him. I believe every word of it. The Lord's elected cannot lie." This seasonable incident not only retrieved the prophet's credit, but increased it to such a degree, that it made him sure of being able ever after to impose any fiction he pleased upon the

easy faith of his disciples. So that this senseless and paltry fable, which at first threatened to blast all the impostor's schemes in the bud, did in fact serve, by a peculiar combination of circumstances, materially to promote his success. Abubeker henceforth had the honorary title of "Faithful Witness" bestowed upon him.

We learn from Sale, the English commentator upon the Koran, that it is still somewhat disputed among the Mohammedan doctors, whether their prophet's night-journey was really performed by him corporeally, or whether it was only a dream or a vision. Some think it was no more than a vision, and allege an express tradition of Moawiyah, one of Mohammed's successors, to that purpose. Others suppose, that he was carried bodily to Jerusalem, but no farther; and that he thence ascended to heaven in spirit only. But the received opinion is, that it was no vision, but that he was actually transported in the body to his journey's end; and, if any impossibility be objected, they deem it a sufficient answer to say, that it might easily have been effected by an omnipotent Being.

It is by no means improbable that Mohammed had a farther design in forging this extravagant tale than merely to astonish his adherents by the relation of a miraculous adventure. The attentive observer of the distinguishing traits of Islamism will not fail to discover innumerable points of resemblance between that system and the divinely-revealed religion of the Jews; and it appears to have been an object studiously aimed at by the

impostor to assimilate himself as much as possible to Moses, and to incorporate as many peculiarities of the Jewish economy into his own fabrication as he could without destroying the simplicity of his creed. This fact is in keeping with what may be asserted in general terms, that the descendants of Ishmael, under a consciousness that the covenanted blessings of Jehovah have flowed down in the line of Isaac and Jacob, have ever shown a disposition to imitate what they could not attain. More stiking proofs of this will appear in the sequel. We adduce the observation here as affording a probable clew to the motives of the prophet in feigning this memorable night-journey. Hitherto he had only imparted to his followers the Koran, which, like the books of Moses, may be termed his *written law*. In making this revelation he had professed himself merely an organ through whom the divine counsels were to be uttered to the race of men. He simply gave forth what was communicated to him through the medium of the angelic messenger, and that without interposing any comments or expositions of his own. Accordingly, when pressed by the cavils of his adversaries, his usual refuge was to affirm that the Koran was not his book, but God's, and that he alone could give a just interpretation of its meaning, which was in some places to be understood literally, in others allegorically. "There is no God but God, the living, the self-subsisting: he hath sent down unto thee the book of the Koran with truth, confirming that which was revealed before it.——

It is he who hath sent down unto thee the book, wherein are some verses clear to be understood; they are the foundation of the book; and others are parabolical. But they whose hearts are perverse will follow that which is parabolical therein, *out of love of schism, and a desire of the interpretation thereof*; yet none knoweth the interpretation thereof except God."* But having by some means become acquainted with the fact, that the Jews, in addition to the *written law* dictated by God himself, were in possession of another, called the *oral law*, said to have been given to Moses at the same time with the former on the holy mount; and from him handed down by tradition from age to age; understanding, moreover, that this law was accounted of equal authority with the written, while it had its origin solely from certain verbal declarations or dictates of Moses which were preserved in the memories of those who conversed with him; the prophet may from this have taken the hint of a similar mode of advancing his authority, and of giving the weight and character of oracles to his private sayings. To this end it is not unlikely that he originated the fabulous legend of his nocturnal travel into the regions of the spheres. He was well aware, that could he once succeed in making it believed that he had been favoured to hold this high converse with God in the secret of his presence, and that he had been there fully instructed in the profound mysteries of heaven, he could upon this foundation erect just such

* Koran, ch. iii.

a fabric of imposture as he pleased, and impose it upon his credulous followers. Such at any rate was the actual result. From this time forth a peculiar sacredness attached to the most trivial sayings and the most inconsiderable actions of the prophet in every thing that regarded his religion. They were reverently noted during his lifetime, and devoutly collected from traditional reports after his death, and at length brought together in those volumes of traditions, which compose the *Sonnah*, answering precisely to the oral law of the Jews. And as the Jewish Rabbins employ themselves in collating, digesting, and explaining their ancient traditions, by many of which they make the law of God of none effect, so also among the Mohammedan divines, there are those who devote themselves to the business of expounding the Sonnah, as containing the sum of their theology, both speculative and practical. It was not without reason, therefore, that the impostor was extremely anxious to have this marvellous recital cordially believed, or that he should have introduced the Most High in the Koran confirming the truth of his servant's asseverations. "By the star when it setteth, your companion Mohammed erreth not, nor is he led astray: neither doth he speak of his own will. It is no other than a revelation which hath been revealed unto him. The heart of Mohammed did not falsely represent that which he saw. Will ye therefore dispute with him concerning that which he saw?"*

* Koran, ch. liii.

مبعوثون من المدينة (المنورة) للنبي - دخوله في حلف معهم - النبي يرسل مبعوثًا لأهل المدينة يعلمهم الدين الجديد - وفد آخر يعرض على النبي القدوم للمدينة - أعداؤه يجددون اضطهادهم له ولأتباعه - تدبير أمر الهجرة إلى المدينة - تحول المسيحيين في المدينة للإسلام فرض قائم يفسر دعوته للإقامة في المدينة (المنوّرة) .

P.101 امتدت شهرة محمد الآن (بعد الإسراء والمعراج) خارج مكة . لقد ازدادت شهرته وانتشر دينه سرًا في المدينة (المنوّرة) بينما كان في مكة يلقى معارضة وازدراء واستهزاء . وكانت المدينة تعرف قديمًا باسم يثرب ، وهي تقع في الطرف الشمالي للحجاز على بعد حوالي سبعين ميلا من مكة ، وكانت - أي المدينة - تتميز بدخول الآداب والفنون والعلوم إليها منذ وقت باكر ، وكان سكانها من العرب الوثنيين والمسيحيين المهرطقين (**المقصود : المسيحيون الذين ليسوا على المذهب الصحيح فيما يرى المؤلف**) واليهود ، وكان يشار لهم باسم شامل هو أهل الكتاب .

وكانت قبيلتا الأوس والخزرج هما اللتين تمتلكان المدينة الآن ، وكان بينهما عداوات ثأرية مستمرة منذ أمد طويل . وكانت النزاعات التي تنشب بين الحين والحين بسبب تنافس هاتين القبيلتين تتعزّز بالنزاعات الدينية بين الجماعات المسيحية واليهودية التي شغلت كل طبقات المدينة . لقد سبق أن لاحظنا أن عدداً **P.102** من أهل المدينة كانوا قد تحوّلوا للإسلام عندما دعاهم محمد ﷺ إليه ، وأنهم عندما عادوا إلى بلدهم لم يتوانوا في التعبير عن مشاعرهم الجديدة ، لقد كانوا مريدين مخلصين وناجحين ، وهذا يتضح من الحقيقة التي مؤدّاها أنه في هذا العام وهو العام الثاني عشر من البعثة الذي سمّي عام الوفود ، قدم إلى مكة اثنا عشر رجلا من أهل المدينة وأقسموا يمين الإخلاص لمحمدﷺ في العقبة وهي تل شمال مكة .

وكانت محصلة القسم (البيعة) هي أن يتركوا عبادة الأوثان وألا يسرقوا ولا يزنون ولا يقتلون أولادهم وهي عادة كان يلجأ إليها العرب إن أدركوا أنهم غير قادرين على إعالتهم أو بتعبير آخر خشية إملاق وألا يفترون (يشهدون الزور) ، وأن يطيعوا النبي في كل أمر معقول .

وعندما ارتبطوا بشروط القسم (البيْعة) أرسل محمد ﷺ أحد صحابته وهو مصعب بن عمير ليعلمهم مبادئ الدين الجديد وشريعته . وقد حقق مصعب مهمته بنجاح كبير . وكان من بين من دخل الإسلام أسَيْد بن هديرة وهو أحد زعماء المدينة المنوّرة وسعد بن معاذ أمير قبيلة الأوس ، وقلما كان في المدينة بيت إلا وبه واحد أو أكثر تحوّل للإسلام .

وفي العام التالي وهو العام الثالث عشر من البعثة عاد مصعب بن عمير إلى مكة مصحوبًا بثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين اعتنقوا جميعا الإسلام ، بالإضافة إلى عدد آخر لم يكونوا قد دخلوا الإسلام بعد . وكان الهدف من هذا الوفد هو تقديم الحماية أو أية مساعدة في مقدورهم للنبي نظرًا لأنهم كانوا قد **P.103** علموا أنه في حاجة إلى مساعدة لاشتداد وطأة تآمر أعدائه عليه .

لقد كان هذا الوفد في الحقيقة تجمعًا سياسيًا نفهم منه فيما يقول المؤرخ چيبون : «أنه أول شرارة أو أول نواة انطلقت منها امبراطورية المسلمين» . في هذا المؤتمر السرّي الذي عقدوه مع النبي وأقاربه (عشيرته) ومريديه (صحابته) تعهّد الفريقان بالإخلاص المتبادل وأقسموا يمين الولاء ، فقد وعد وفد المدينة نيابة عن أهلها أن يستقبلوا النبي إن أخرج من مكة وأن يطيعوه بوصفه قائداً وأن يدافعوا عنه إلى آخر نفس كما يدافعون عن أزواجهم وأطفالهم ، وسألوه عما إذا كان سيتخلى عن حلفائه الجدد إن عاد أهل مكة وقبلوه ، فأجاب النبي بأن كل شيء أصبح الآن قسمة بينهم وأن دماءهم هي دماؤه وأن ما يلحق بهم من ضرر يعد ضررا لاحقاً به وأنه وأهله وأصحابه مرتبطون بهم رباط شرف ومصلحة وأنه صديق من صادقهم وعدو من عاداهم .

فسألوه عن مصيرهم إن قتلوا في سبيل دينه ، فأجابهم الرسول الواثق بأن جزاءهم هو الجنّة . لقد أصبح الاتفاق مقررا الآن ، وافترق الفريقان بعد أن اختار محمد ﷺ منهم اثنى عشر شخصا لهم السلطة نفسها التي كانت لحواريي (النص : رسل) المسيح البالغ عددهم اثنى عشر أيضًا .

خلف أبو سفيان أبا طالب في حكومة مكة فوجد فيه محمد ﷺ عدواً لدوداً له شخصياً ولعشيرته ولدينه . فما أن دُعي لتولّي رياسة دولته (المقصود رياسة مكة) P.104 حتى صمّم على إبادة النبي وهرطقته الجديدة فتمت دعوة قريش وحلفائها لمؤتمر اتخذوا فيه قراراً بقتل المدّعى (المقصود : محمد ﷺ) وجرى اتخاذ قرار باختيار رجل من كل قبيلة من القبائل المتحالفة يحمل كل واحد منهم سيفه ويضربونه ضربة رجل واحد ليتفرّق دمه بين القبائل فلا يستطيع الهاشميون الثأر له لأنه من المفترض أنهم لن يجرؤوا على حرب القبائل المتحالفة كلها ليثأروا لمقتل ابن عشيرتهم .

وأعلن النبي أن الملك جبريل أوحى إليه بخبر هذه المؤامرة الوحشية الشريرة ، وأشار إلى ذلك في وقت لاحق ، ففي القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال :30) .

لكن مبعوث السماء (المقصود جبريل عليه السلام) لم يشر إلاّ للهجرة العاجلة هربا من هذا المصير . وحتى فرصة النجاة هذه قطعها عليه أعداؤه .

إن النبي مدين بنجاحه في الهرب للحماس الإيماني الذي تحلّى به علي (بن أبي طالب) الذي التف بعباءة النبي الخضراء ونام في سريره خادعا بذلك القتلة الذين حاصروا منزل صاحبه (المقصود منزل النبي ﷺ) . وفي هذه الأثناء كان P.105 النبي بصحبة صديقه الصدوق أبي بكر قد نجحا في الخروج بأمان من مكة ونجحا في الوصول إلى غار ثور الواقع على بعد ثلاثة أميال ، فاختبأ فيه ثلاثة أيام . وتقول رواية المسلمين أن القتلة وصلوا بالفعل إلي فتحة الغار فانخدعوا

بعش أقامته حمامة ونسيج عنكبوت عند مدخله، وكان هذا لحسن حظ محمد وصاحبه إذ استخلص القتلة من هذا أن أحدا لا يوجد داخل الغار.

لقد كانت علامات الحماية الإلهية الظاهرة في هذه المناسبة مشجعًا له فيما بعد حتى عند افتقاده الكامل للدعم البشري:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (آلتوبة :40). وغادر محمد ﷺ وصاحبه الغار بعد مغادرة أعدائهما، وأسرعا بقدر ما وسعتهما السرعة في اتجاه المدينة المنوّرة فوصلاها بعد مغادرة مكة بستة عشر يوما، وبعد أن توقفا في قباء الواقعة على بعد ميلين من المدينة المنوّرة أقبل المئات P.106 من أهلها يحيونه بترحاب وود. لقد أصبحت المدينة التي صارت بعد ذلك مقدسة بوصفها مقر عرشه تزهو بالنبي الذي دخلها راكبا جملا مستظلا بمظلة لابسا عمامة (غطاء رأس) بدلا من حمله بيرقا. انتقال نبي الإسلام من مكة إلى المدينة يسمّى بالعربية الهجرة. وقد أصبحت هذه الهجرة تاريخًا عظيما لكل الأمم الإسلامية يحتفون بها كما نحتفي في العالم المسيحي بميلاد مخلّصنا (المقصود يسوع المسيح). وقد حدثت الهجرة في سنة 622 للميلاد والنبي في الثالثة والخمسين من عمره.

لقد كان الذين ينتظرون نبي الحق هم صحابته الذين سبقوه في الهجرة إلى المدينة بمدّة قصيرة بناء على أوامره وأهل المدينة الذين آمنوا بدينه الذين لم يرهم من قبل والذين تجمعوا حوله خاضعين له. ومنذ هذا الوقت أصبح أتباعه إما مهاجرين وإما أنصارا. المهاجرون هم القادمون من مكة، والأنصار هم مسلمو المدينة.

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (آلتوبة :100).

P.107 ليس من الممكن بعد مضي هذه الفترة الطويلة أن نقرر أي طبقة في المدينة كان لها الدور الرئيسي في استقدام النبي وتدبير هذا الاستقبال له . ومن الآيات التالية التي كانت أول ما أعلنه من القرآن بعد دخوله المدينة خلص بعض الكتاب إلى أن المسيحيين اسما من أهل المدينة كانوا هم الأكثر نشاط لتقديم هذا الدَّعي (المقصود محمد ﷺ) .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (المائدة :82-84) . ولا شك أن هذه الآيات ذات أهمية بوصفها وثيقة تاريخية وإذا كان ما نستنتجه منها صحيحا فهي تقدم برهانا كئيبا

P.108 أو يدعو للحزن على تحلل الكنائس الشرقية وتفسّخا لدرجة أن أتباعها كانوا – ولابد – أول من اعتنق هذا الادعاء الغبي (يقصد الإسلام) . وإذا كانت هذه هي الحقيقة فهي برهان جلي على أن الناس إذا ما انحرفوا وحادوا عن طريق الحق ، فلا حدّ لردتهم وسقوطهم . إنه قانون الله المقدس أو بتعبير آخر إنه حكم الله العادل القاضي بأن المسيحي الذي يرتدي عباءة المسيحية دون أن يحب الحقيقة وإنما يجد سعادته في الضلال والبُعد عن جادة الصواب ، فإن الله سيزيدهم ضلالا فيجعلهم يصدقون الكذب مما يؤدّى أيضا إلى دمارهم .

CHAPTER VIII.

An Embassy sent to the Prophet from Medina—Enters into a League with them—Sends thither a Missionary—Another Deputation sent to proffer him an Asylum in that City—His Enemies renew their Persecutions—Determines to fly to Medina—Incidents on the way—Makes a Solemn Entry into the City—Apostate Christians supposed to have joined in tendering him the Invitation.

THE fame of Mohammed had now extended beyond the walls of his native town. While he was opposed, scorned, and derided at Mecca, his reputation was growing, and his doctrines secretly spreading at Medina. This city, anciently known by the name of Yatreb, and lying at the northern extremity of the province of Hejaz, about seventy miles from Mecca, had been distinguished by the early introduction of letters, arts, and science; and its inhabitants, composed of pagan Arabs, heretical Christians, and Jews, were frequently designated as the *people of the book*. The two principal tribes which now had possession of the city were the Karejites and the Awsites, between whom a hereditary feud had long subsisted, and the disturbances occasioned by the rivalry of these two tribes were enhanced by the disputes of the religious factions, Jewish and Christian, which distracted all classes of citizens. It has been already observed that several of the inhabitants, in a pilgrimage to the Caaba, had been converted by the preaching of Mohammed, and that on their re-

turn they had not been slothful in the propagation of their new sentiments. That they were both sincere and successful disciples of the prophet may be inferred from the fact, that on this year, the twelfth of the mission, called *the accepted year*, twelve men came to Mecca, and took an oath of fidelity to Mohammed at Al Akaba, a hill on the north of that city. The amount of this oath was: "That they should renounce all idolatry; that they should not steal nor commit fornication, nor kill their children, as the pagan Arabs used to do when they apprehended they should not be able to maintain them; nor forge calumnies; and that they should obey the prophet in every thing that was reasonable." When they had solemnly bound themselves to the conditions of the oath, Mohammed sent one of his disciples, named Masab Ebn Omair, to instruct these men fully in the principles and practices of the new religion. Masab's mission was eminently successful. Among the proselytes were Osaid Ebn Hodeira, a chief man of the city, and Saad Ebn Moadh, prince of the tribe of Aws; and scarce a house in the city but numbered one or more converts. If the terms may be allowed, the excitement was little short of a Mohammedan revival.

The next year, the thirteenth of the mission, Masab returned to Mecca accompanied by seventy-three men and two women who had professed Islamism, besides several who were as yet unbelievers. The object of this deputation was to proffer to the apostle an asylum or any assist-

ance in their power, as they had learned that, from the strength and malice of his adversaries, he stood in special need of auxiliaries. It was in fact a political association which was proposed to be entered into, "in which we may perceive," says Gibbon, "the first vital spark of the empire of the Saracens." In this secret conference with the prophet, his kinsmen, and his disciples, vows of fealty and of mutual fidelity were pledged by the parties. The deputies from Medina promised, in the name of the city, that if he should be banished, they would "receive him as a confederate, obey him as a leader, and defend him to the last extremity, like their wives and children." "But if you are recalled to your country," they asked, "will you not abandon your new allies?" "All things," replied Mohammed, "are now common between us; your blood is as my blood; your ruin as my ruin. We are bound to each other by the ties of honour and interest. I am your friend and the enemy of your foes." "But if we are killed in your service, what will be our reward?" "PARADISE!" replied the confident apostle. This treaty was then ratified, and they separated, Mohammed having first chosen twelve out of their number, who were to have the same authority among them as the twelve apostles of Christ had among the disciples.

Abu Sophyan succeeded Abu Taleb in the government of Mecca, in whom Mohammed found a mortal enemy to his family, his religion, and himself. No sooner was he called to the head of the

state than he determined to exterminate the apostle and his new-fangled heresy. A council of the Koreish and their allies was called, and the death of the impostor decided upon. It was agreed that a man should be chosen out of each of the confederated tribes for the execution of the project, and that each man should have a blow at him with his sword in order to divide the guilt of the deed, and to baffle the vengeance of the Hashemites; as it was supposed that with their inferior strength they would not dare, in the face of this powerful union, to attempt to avenge their kinsman's blood. The prophet declared that the angel Gabriel had revealed to him the atrocious conspiracy, to which he thus alludes some time afterwards: "And call to mind, when the unbelievers plotted against thee that they might either detain thee in bonds. or put thee to death, or expel thee the city; and they plotted against thee; but God laid a plot against them; and God is the best layer of plots."* The heavenly minister, however, who disclosed the plot, pointed out no way of defeating it but by a speedy flight. Even this chance of safety had like to have been cut off through the vigilance of his enemies. He was indebted for his escape to the devoted zeal of Ali, who wrapped himself in the green mantle of the prophet, and lying down upon his bed deceived the assassins who had besieged the house of his friend. Mohammed, in the mean time, in company with his faithful friend

* Koran. ch. viii.

Abubeker, succeeded in getting safely out of the city, and in reaching a cave three miles distant, called the cave of Thor, where the two fugitives concealed themselves three days from their pursuers. A tradition of his followers states that the assassins, having arrived at the mouth of the cave, were deceived by the nest of a pigeon made at its entrance, and by a web which a spider had fortunately woven across it. Believing this to be sufficient evidence that no human being was within, they desisted from all farther examination. The manifest tokens of divine protection vouchsafed to the prophet on this occasion, afforded him signal encouragement ever after, even in the entire destitution of human resources. "If ye assist not the prophet, verily God will assist him, as he assisted him formerly, when the unbelievers drove him out of Mecca, the second of two (i. e. having only Abubeker with him); when they were both in the cave; when he said unto his companion, Be not grieved, for God is with us. And God sent down his security upon him, and strengthened him with armies which ye saw not."* Leaving the cave after the departure of their enemies, they made their way as rapidly as the perils of their flight would permit towards the city of refuge, where they arrived sixteen days after leaving Mecca. Having halted at Koba, two miles from Medina, he was there met by five hundred of the citizens who had gone forth for the purpose, and

* Koran, ch. ix.

by whom his arrival was greeted with a cordia welcome. The prophet, having mounted a camel, with an umbrella spread over his head, and a turban unfurled instead of a banner, made his public and solemn entry into the city, which was hereafter to be sanctified as the place of his throne This flight of the apostle of Islamism, called in the Arabic tongue the HEJIRA, or more properly the HEJRA, has become the grand era of all the Mohammedan nations, being employed by them for the same purposes as the year of our Saviour's birth is throughout the nations of Christendom. It took place A. D. 622, in the fifty-third year of the prophet's age.

The waiting adherents of the messenger of truth, composed of those of his friends who had by his orders fled from Mecca a short time before him, and the proselytes of Medina whom he had never seen, now flocked obsequiously about his person, and the distinction henceforth became established among his followers, of the *Mohajerins*, or *the companions of his flight*, and the *Ansars*, or *helpers*; familiar appellations for the fugitives of Mecca, and the auxiliaries of Medina. "As for the leaders and the first of the Mohajerin and the Ansars, and those who have followed them in well doing; God is well pleased with them, and they are well pleased in him; and he hath prepared them gardens watered by rivers; they shall remain therein for ever; this shall be great felicity."*

* Koran, ch ix.

At this distance of time it is not possible to decide what class of citizens had the principal share in tendering this invitation to the prophet, and granting him such a ready reception. From the following passage, occurring in the first published chapter of the Koran after entering Medina, some writers have inferred that the nominal Christians of that city were the most active agents in introducing the impostor. "Thou shalt surely find the most violent of all men in enmity against the true believers to be the Jews and the idolaters (i. e. pagan Arabs); and thou shalt surely find those among them to be the most inclinable to entertain friendship for the true believers who say, We are Christians. This cometh to pass because there are priests among them and monks, and because they are not elated with pride: and when they hear that which hath been sent down unto the apostle read unto them, thou shalt see their eyes overflow with tears because of the truth which they perceive therein; saying, O Lord, we believe; write us down therefore with those who bear witness to the truth: and what should hinder us from believing in God, and the truth which hath come unto us, and from earnestly desiring that our Lord would introduce us into paradise with the righteous people?"* This is certainly important as a historical document, and if the inference drawn from it be correct, it affords a melancholy proof of the deep degeneracy of the eastern churches, that they

* Koran, ch. iii

should be among the first to embrace the foul imposture. If that were the fact, it furnishes palpable demonstration also, that when men have once began to swerve and deviate from the truth, no limits can be set to the degree of apostacy into which they are liable to fall. A fearful illustration is thus afforded of the law of the divine judgments, that where men, under the cloak of a Christian profession, receive not the love of the truth, but have pleasure in unrighteousness, God shall send them strong delusion that they should believe a lie, and that too to their inevitable ruin.



الفصل التاسع

P.109

أصبحت مكانة النبي الآن عالية - بناؤه مسجدا - تغير نبرة الخطاب في الوحي - بدأ المسلمون الآن يحاربون من أجل الدين الحق - أول محاولة حربية له غير ناجحة - نجاحه الحربي في معركة حربية يعوّض ما فات - عن غزوة بدر - صعوبات في تقسيم الغنائم - اغتيال كعب اليهودي - بناء على تعليمات من النبي .

أصبح محمد ﷺ ملكا بعد أن كان لاجئا ، فما أن وصل إلى المدينة (المنورة) حتى وجد نفسه على رأس جيش كل من فيه مخلص له ورهن إرادته ومؤمن إيمانا أعمى بأنه نبي الله . وبدأ يعد الترتيبات لإقامة دائمة وكان همّه بعد أن زوج ابنته فاطمة لعلي (بن أبي طالب) هو إقامة مسكن له ومسجد مجاور لمسكنه لأداء الصلوات ودعوة الناس للإسلام ، لأنه الآن قد قبض في يديه على زمام السلطتين ؛ الدنيوية أو الزمنية ، والدينية . لقد كان هو قائد الجيش والقاضي والراعي (المرشد أو الموجّه) .

ومع تغير أوضاعه الدنيوية بدأت أيضا عقائده أو أفكاره الدينية تتغيّر . فحتى الآن كان يدعو لدينه بالتي هي أحسن مستخدما الإقناع والتوسّل ، وكان كل ما حققه من نجاح قبل هجرته من مكة راجعا إلى الإقناع لا إلى القوّة : P.110

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الغاشية :21، 22) .

فحتى فترة هجرته لم يستخدم محمد ﷺ إطلاقا أيّ إجبار أو عنف في الدفاع عن دينه ، ونجد في آيات قرآنية كثيرة مما أذاعها في مكة تؤكد أنه مجرد مذكّر أو نذير وليس له أن يجبر أحداً على التحوّل للإسلام ، فالأمر لله وحده أما هو - أي محمد ﷺ - فلا يعنيه أن يؤمن الناس أم لا يؤمنوا

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) ﴾ (النحل : 123، 127) .

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... (٢٥٦) ﴾ (البقرة : 256) .

حقيقة لقد كان محمد ﷺ أبعد ما يكون عن السماح لأتباعه باللجوء إلى العنف بل ودفعهم لتحمل الأذى في سبيل دينهم ، بل إنه هو نفسه فضل أن يترك البلدة التي وُلد فيها (مكة) لاجئا إلى قرية بعيدة ، مفضلا ذلك على المقاومة .

P.111 لكن هذا الاعتدال النموذجي لم يستمر سوى لفترة اثنتي عشرة سنة كان فيها محمد وصحبه تُعوزهم القوة في مواجهة أعداء ذوي قوة ، بدليل أنه حالما تمكن - بمساعدة أهل المدينة المنورة - من مواجهة أعدائه حتى غيّر - فجأة - من لهجته معلنا أنّ الله قد سمح له ولأتباعه بالدفاع عن أنفسهم بقوة السلاح ضد الكفرة ، وكلما ازدادت قوته تظاهر بأن لديه إذنا من الله بمهاجمة أعدائه ليقضي على الوثنية ويفرض الدين الحق بحد السيف .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ (البقرة : 216) .

﴿ ... فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ (النساء : 76) .

﴿ ... وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ... (١٠٢) ﴾ (النساء : 102) .

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ... (٥) ﴾ (التوبة :5) .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ... (٤) ﴾ (محمد :4) .

P.112 ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ... (١١١) ﴾ (التوبة :111) .

هذه الروح الدموية العدوانية غير المتسامحة سنجدها تميز معظم سور القرآن التي نزلت في المدينة إذ يمكن في أحيان كثيرة أن نحكم من خلال الروح السائدة في السورة والمزاج العام فيها أن نحكم ما إذا كانت قد نزلت في المدينة أم في مكة دون الخوض في تاريخ نزولها .

لقد عمل أتباع النبي بإخلاص لتطبيق المبدأ الذي رفعته الجيوش الإسلامية «القرآن أو الموت أو دفع الجزية»(*) . وحتى أيامنا التي نعيشها يتم إجبار أصحاب أي دين أو ملة غير الإسلام يعيشون في ظل أي حكومة من حكومات الشعوب الإسلامية ، على دفع ضريبة سنوية غرامة لكفرهم وهم بالتأكيد معرضون للاضطهاد إن لم يكن الموت إن هم عارضوا أياً من عقائد النبي أو قلّلوا من شأنها لكن الحقيقة أن مجادلة الكافرين والاختلاف معهم أمر غير مستحب ، وإن لم يكن ممنوعا تماما كما نفهم من النص القرآني التالي :

﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) ﴾ (الحج :68-69) .

P.113 أصبح النبي الآن قادرا على أن يضع موضع التنفيذ نظاما إجرائيا أكثر فاعلية لتحقيق غاياته الكبرى . لقد كان قد بدأ الاحتكام للسيف بناء على تفويض إلهي وما كان ليترك الذين لا يعترفون بسلطانه . ومع ان أول مشروع قتالي أخذه الرسول المحارب على عاتقه لهزيمة قريش لم يُكلّل بالنجاح ، إذ أنه

(*) لم تكن الجزية عقابًا أو غرامة مفروضة على غير المسلمين وإنما كانت مقابلاً لعدم انضمامهم إلى الجندية أو بمعنى آخر عدم انضمامهم إلى جيوش المسلمين الغازية (الفاتحة) فإذا آثر واحد منهم الانضمام لم يدفع جزية . والجزية هي مبلغ من المال لا يزيد كثيرًا عما فُرض على المسلم من زكاة يؤديها لبيت المال ، وكان يعفى منها أهل الكتاب غير القادرين الذين كانوا يحصلون أيضًا على نصيبهم من بيت مال المسلمين وأجاز بعض الفقهاء إعطاءهم الزكاة . ومنذ نهاية الدولة العثمانية تم توحيد النظام الضرائبي ولم يعد مرتبطًا «بالملّة» (المترجم) .

علم أن قافلة تمتلكها هذه القبيلة المعادية كانت في طريقها من الشام إلى مكة فأرسل عمه حمزة على رأس ثلاثين فارسا للاستيلاء عليها ، لكن المهاجمين عندما اقتربوا من القافلة اكتشفوا أن ثلاثمائة رجل يحرسونها ، فوجدوا من الحكمة ألاَّ يهاجموها وأن يعودوا إلى مكة دون أن يشعر بهم أحد .

لكن العام التالي شهد انتصار جيش محمد ﷺ في معركة بدر ، هذا الانتصار المشهور في الحوليات الإسلامية والذي عوّض بقدر كاف ما حاق بالمسلمين من فشل سابق . كانت القافلة الثرية تتقدم إلى مكة بحراسة أبي سفيان على رأس ثلاثين رجلا أو أربعين ، فتعرضت لثأر محمد ﷺ وكانت **P.114** مثيرة لجشعه إذ أخبره جواسيسه أنها قافلة ثرية وأنها صيد ثمين ، فتقدم النبي مع أتباعه في إثرها وأحس أبو سفيان بالخطر فأرسل طالبا تعزيزات من مكة فثارت مخاوف أهل مكة على تجارتهم وبضائعهم فأعدوا تسعمائة وخمسين رجلا من بينهم عدد من سادات مكة ، فمركز النبي ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا في موقع بين هذه النجدة القادمة من مكة والقافلة ، وكان رجال النبي في معظمهم راكبين جمالا . وكان من بين رجال النبي سبعة وسبعون من المهاجرين أماالباقون فمن الأنصار . ولم يفزع محمد ﷺ من هذا التفاوت بين عدد القوات ولم يمنعه هذا التفاوت من أن يضع مصير دعوته وشهرته وربما حياته في كفة ميزان هذه المعركة . لقد حث قواته على مواجهة الأعداء الأكثر عدداً مغريا إياهم بقافلة أبي سفيان الثرية ، و النبي بدعواته وصلواته باسم الله سبحانه واعداً إياهم بنصر معين ، وأكد أيضا أنه يتلقى عونا مقدسًا من الله وكان النبي حريصا على إسقاط أية وسائل بشرية لضمان النصر فحفر خندقا صغيرا ليغطي جناح قواته وأسال مجرى مائيا خلال المنطقة التي اختارها لإقامة معسكره لإمداد جيشه بمورد مائي دائم . وعندما ظهرت قوات العدو هابطة من فوق التل رفع محمد ﷺ عقيرته بالدعاء «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعْبد»(*) وعلى أية حال فقبل أن يلتقي الجيشان تقاتل ثلاثة من طرف المسلمين مع ثلاثة من أعدائهم .

(*) حققنا النص من سيرة ابن هشام .(المترجم)

P.115 كان المسلمون هم علي والحارث وحمزة ، وانتصر المسلمون الثلاثة وكان هذا النصربشيراً للمسلمين بما ستسفر عنه المعركة ، كما كان نذيراً للطرف الآخر . وصعد النبي وأبو بكر في بداية المعركة فوق ما يشبه المنبر أو العرش وراحا يسألان الله أن يمدهم جبريل بثلاثة آلاف ملك ، ولكن عندما بدا جيش المسلمين متردداً ترك النبي مكانه وركب حصانه وقذف حفنة رمال في الهواء قائلا : «شاهت الوجوه» وحمل على العدو . فسرت الحماسة في جيش المسلمين فجعلتهم جيشًا غير قابل للهزيمة . لم تعد قوات قريش قادرة على مقاومة الهجوم الضاري الذي شنه جنوده الواثقون المؤمنون ، فاضطربت قوات قريش وولّت الأدبار بعد أن قتل منها سبعون رجلا من أشجع رجالاتهم بالاضافة إلى سبعين أسيراً وقتل (استشهد) من المسلمين أربعة عشر رجلا تداولت أسماءهم الأجيال وأدرجوا في سجل الشهداءوراح المسلمون الأتقياء يذكرونهم وينقلون سيرتهم بتوقير شديد . وتم سلب ما على جثث القتلى من قريش ومن ثم جرى إلقاؤها في البئر بطريقة وحشية وتم إعدام اثنين من أخطر الأسرى أما الأسرى الآخرون فافتدى كل واحد منهم نفسه بأربعة آلاف درهم ، وكان هذا المبلغ بمثابة تعويض تلقاه المسلمون بتدبير من أبي سفيان لتركه يعود آمنا إلى مكة بمعظم القافلة ، ولولا هذا لوقعت القافلة كلها غنيمة في أيدي المسلمين . وعلى أية حال فإن المبالغ P.116 المدفوعة لافتداء الأسرى بالإضافة لما سُلب من القافلة بلغت مبلغا كبيراً ، وكان تقسيم هذه الغنائم - كما ثبت - مشكلة للمنتصرين أنفسهم ، ذلك أن الأنصار وهم الأكثر عدداً في جيش النبي طالبوا بالنصيب الأكبر ، وطالب المهاجرون باعتبارهم الأسبق إسلاما بنصيب مماثل إن لم يكن أكبر وهكذا نشب نزاع كبير . لكن محمداً ﷺ رغبة منه في وضع حد لهذا الخلاف ، تظاهر بنزول وحي عليه يأمره بتقسيم هذه الأموال بين الفئتين (المهاجرين والأنصار) بالتساوي بعد تخصيص الخمس للنبي وللصدقة :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) ﴾ (الأنفال :١) .

وفي السورة نفسها نقرأ :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) ﴾ (الأنفال :41) .

لقد أخذ النبي في هذه المناسبة عدة آلاف من الدراهم الفضية ولم يذكر لنا التاريخ ما خصّصه للفقراء واليتامى وأبناء السبيل .

لقد أشار القرآن الكريم كثيراً لانتصار المسلمين في غزوة بدر رغم قلة عددهم بأسلوب يشيع الرضى عن النفس ويؤكد الانتصار ، P.117 ويستدل أتباع النبي على تأييد الله للنبي بهذا الانتصار المعجز الذي ما كان ليتم لولا عون الله لمحمد ﷺ :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) ﴾ (آل عمران :13) .

وبالإضافة إلى المعجزة الممثلة في أن الكفار رأوا المسلمين أكثر من الحقيقة بمقدار الضعف ، فهناك أيضا معجزتان أخريان تذكران في هذه المناسبة :

1- حفنة الرمل والحصى التي قذفها النبي في بداية المعركة وصلت بفضل الله وقوته إلى وجوه الأعداء فولوا ظهورهم مدبرين :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ﴾ (الأنفال : 17) .

2- ونعلم أيضا أن الله أرسل لرسوله عونا في البداية ألف ملك ، وبعد ذلك ثلاثة آلاف ملك رؤوسهم مغطاة بنطاقات بيض وصفر مدلاّة على أكتافهم .

لقد كان هؤلاء الملائكة عونا للنبي من السماء ، وكانوا يركبون خيولا سودا وبيضا ، وكان على رأسهم جبريل على جواده حيزوم . لقد قام هؤلاء الملائكة

بكل المهمة في هزيمة قريش رغم أن المسلمين حاربوا بشجاعة ونسبوا النصر لأنفسهم :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) ﴾ (آل عمران :123-125) .

وقد تأججت روح الحقد في نفس النبي بعد انتصاره في بدر ، وتجلى هذا في اغتيال اليهودي كعب بن الأشرف . وكان كعب بارعا في الشعر ، وكان معارضا شديد المعارضة لمحمد ﷺ إذ توجه إلى مكة بعد انتصار الرسول في بدر لتحريض قريش على الثأر وراح يرثي بقصائد مؤثرة قتلى بدر الذين قتلوا وهم يقاتلون النبي المرتد وعصابته من النهّابين السلاّبين . وعاد كعب بعد ذلك للمدينة (المنوّرة) وراح يردد قصائده فيها تلك القصائد التي يرثى فيها قتلى قريش (ويهجو فيها النبي) . وقد استثير النبي بشدة لوقاحة هذا الشاعر ، حتى أنه أعلن : من لي بابن الأشرف؟ فرد محمد بن مسلمة : «أنا لك به يا رسول الله . أنا أقتله»(*) وسرعان ما قُتل كعب بن الأشرف وهو يستضيف واحدا من أتباع محمد ﷺ .

(*) وثقنا النص من السيرة النبوية لابن هشام جـ 3 المجلد الثاني ، بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ص 321 (طبعة دار الجيل ، بيروت) .(المترجم)

CHAPTER IX.

The Prophet now raised to a high Pitch of Dignity—Builds a Mosque—A Change in the Tone of his Revelations—The Faithful now commanded to fight for the true Religion—His first war-like Attempt unsuccessful—The Failure compensated in the Second—Account of the Battle of Beder—This Victory much boasted of—Difficulties in the Division of the Spoil—Caab, a Jew, assassinated at the Instance of the Prophet.

FROM a fugitive Mohammed became a monarch. No sooner had he arrived at Medina than he found himself at the head of an army devoted to his person, obedient to his will, and blind believers in his holy office. He began at once to make arrangements for a permanent settlement, and his first business, after giving his daughter Fatima in marriage to Ali, was to erect a dwelling house for himself, and a temple or mosque, adjacent to his own residence, for a place of religious worship, in which he might publicly pray and preach before the people. For he now, in his own person, combined the temporal and the religious power; he was leader of his army, judge of his people, and pastor of his flock.

With the change of his fortunes, his doctrines began also to vary. Hitherto he had propagated his religion by the milder arts of arguments and entreaties, and his whole success before leaving Mecca is to be attributed solely to the effect of persuasion, and not of force. "Wherefore warn thy

people; for thou art a warner only: thou art not empowered to act with authority over them."* Up to the period of his flight, he had utterly disclaimed the use of any species of coercion in propagating, or of violence in defending, the principles of his holy faith. In numerous passages of the Koran, published at Mecca, he expressly declares that his business was only to preach and admonish; that he had no authority to compel any one to embrace his religion; and that whether people believed or disbelieved was no concern of his, but a matter that belonged solely to God. "We have also spoken unto thee, O Mohammed, by revelation, saying, Follow the religion of Abraham, who was orthodox, and was no idolater. Invite men unto the way of thy Lord by wisdom and mild exhortation; and dispute with them in the most condescending manner: for thy Lord well knoweth him who strayeth from his path, and he well knoweth those who are rightly directed. Wherefore do thou bear opposition with patience; but thy patience shall not be practicable unless with God's assistance. And be not thou grieved on account of the unbelievers."† "Let there be no violence in religion."‡ Indeed, so far was he from allowing his followers to resort to violence, that he exhorted them to bear with meekness the injuries offered them on account of their faith, and when persecuted himself, chose rather to quit the place of his birth, and retire to a distant village than

* Koran, ch, lxxxviii. † Ch. xvi. ‡ Ch. ii.

make any resistance. But this exemplary moderation, continued for the space of twelve years, seems to have been owing altogether to his want of power, and the ascendency of his enemies; for no sooner was he enabled, by the assistance of the men of Medina, to withstand his adversaries, than he suddenly "altered his voice," declaring that God had allowed him and his followers to defend themselves by human weapons against the infidels; and as his forces increased, he pretended to have the divine permission to act upon the offensive also, to attack his foes, to root out idolatry at all hazards, and to urge the true faith at the point of the sword. "War is enjoined you against the infidels."* "Fight, therefore, against the friends of Satan, for the stratagem of Satan is weak."† "O true believers, take your necessary precaution against your enemies, and either go forth to war in separate parties, or go forth all together in a body."‡ And when the months wherein ye shall not be allowed to attack them shall be past, kill the idolaters wherever ye shall find them, and take them prisoners, and besiege them, and lay wait for them in every convenient place."§ "When ye encounter the unbelievers, strike off their heads until ye have made a great slaughter among them; and bind them in bonds; and either give them a free dismission afterward, or exact a ransom, until the war shall have laid down its arms."‖ "Verily, God hath purchased of the true believers their

* Koran, ch. ii. † Ch. iv. ‡ Ibid.
§ Ch. ix. ‖ Ch. xlvii.

souls, and their substance, promising them the enjoyment of paradise on condition that they fight for the cause of God: whether they slay or be slain, the promise for the same is assuredly due by the law, and the gospel, and the Koran."* This fierce, intolerant, and sanguinary spirit will be found to distinguish most of the chapters revealed at Medina, so that it can frequently be determined, from the tone and temper pervading it, without consulting the date, whether the portion was revealed before or after the flight. The prophet's followers have faithfully acted up to the spirit of these precepts; and the terrific announcement attending the Moslem arms has been, "The Koran, death, or tribute!" Even to the present day, every other religious sect living under the government of Mohammedan nations is compelled to pay an annual tax as a mulct for their infidelity, and are sure to meet with persecution, if not with death, if they oppose or vilify any of the tenets of the holy prophet. Indeed, every thing like argument or controversy with the unbelievers, though not absolutely forbidden, is far from being countenanced, as we may gather from the following precept to the prophet himself. "Let them not, therefore, dispute with thee concerning this matter: but invite them unto thy Lord: for thou followest the right direction. But if they enter into debate with thee, God well knoweth that which ye do: God will judge between you on the day of resurrection concerning that wherein ye now disagree."†

* Koran, ch. ix. † Ch. xxii.

The prophet was now enabled to put in operation a more effectual system of measures to compass his great ends than he had hitherto had power to adopt. He had begun to wield the sword by divine commission, and he was not disposed to let its potency remain unproved. Yet the first warlike enterprise undertaken under the auspices of the martial apostle, an expedition designed to harrass the Koreish, was unsuccessful. Having learned that a caravan, the property of the hostile tribe, was on its way from Syria to Mecca, he despatched his uncle Hamza, with a party of thirty horse to capture it. But the nearer approach of the caravan discovering to the assailants that it was guarded by a body of three hundred men, they deemed it prudent to forbear an attack, and to return quietly to Mecca.

The shame of the prophet's failure on this occasion was more than compensated by the success of his arms at the battle of Beder, so famous in the Mohammedan annals, which took place the ensuing year. A rich caravan proceeding to Mecca, and guarded by Abu Sophyan with between thirty and forty men, tempted at once the revenge and the cupidity of Mohammed. The spies of the prophet informed him that their rich and apparently easy prey was within his grasp. He advanced with a few followers in pursuit of it; but before he could overtake the unprotected band, Abu Sophyan had despatched a messenger to his brethren of Mecca for a reinforcement. Roused by the fear of losing their merchandise and their provisions, unless they

hastened to his relief, a troop of nine hundred and fifty men, among whom were the chief persons of the city, instantly obeyed the summons. Mohammed was posted between the caravan and the approaching succour with only three hundred and thirteen soldiers, mounted, for the most part, on camels. Of these, seventy-seven were fugitives, the rest auxiliaries. Undismayed by this disparity of force Mohammed determined to try the event of a battle, and risk his fortune, his reputation, and perhaps his life, upon the issue of the contest. The troops were persuaded to engage the superior forces of the enemy, abandoning for the present the tempting prize of Abu Sophyan's wealthy caravan. The prophet animated them by his prayers, and, in the name of the Most High, promised them certain victory. But however assured he might have been of divine assistance, he was careful to omit no human means of securing success. A slight entrenchment was formed to cover the flank of his troops, and a rivulet, flowing past the spot he had chosen for his encampment, furnished his army with a constant supply of water. When the enemy appeared descending from the hill, Mohammed, alluding to his own party, exclaimed, "O God, if these are destroyed, by whom wilt thou be worshipped on earth? Courage, my children, close your ranks, discharge your arrows, and the day is your own!" Before the armies, however, could engage, three combatants, Ali, Al Hareth, and Hamza, on the side of the Moslems, and three of the Koreish, joined in single combat. The Moslem champions were vic-

torious, and thus gave to both armies a presage of the issue of the coming engagement. At the commencement of the battle, the prophet, together with Abubeker, mounted a kind of throne or pulpit, earnestly asking of God the assistance of Gabriel with three thousand angels; but when his army appeared to waver, he started from his place of prayer, threw himself upon a horse, and casting a handful of sand into the air, exclaiming, "Confusion fill their faces!" rushed upon the enemy. Fanaticism rendered his followers invincible. The forces of the Koreish were unable to break the ranks or to resist the furious charges of his confiding soldiers. They trembled and fled, leaving seventy of their bravest men dead on the field, and seventy prisoners to grace the first victory of the faithful. Of the Moslems, only fourteen were slain, whose names have been handed down to posterity, and enrolled among the list of martyrs, whose memory the pious Mussulman is taught to cherish with devout veneration. The dead bodies of the Koreish were stripped, and with a savage barbarity cast into a well; two of the most obnoxious prisoners were punished with death, and the ransom of the others fixed at four thousand drams of silver. This sum would compensate, in a measure, for the escape of the booty; for, notwithstanding the defeat, Abu Sophyan managed to effect a decent retreat, and to arrive safely at Mecca with the greater part of the caravan. The spoils however arising from the ransom of the prisoners, and the partial plunder of the caravan, amounted to a

considerable sum, the division of which had like to have proved fatal to the victors themselves. For of the two parties composing the prophet's army the Ansars, or auxiliaries, being the most numerous, laid claim to the greatest share. The Mohajerins, from being first in the faith, assumed equal, at least, if not superior, merit to that of their comrades, and a furious altercation ensued. Mohammed, in order to put an end to the contention, feigned a seasonable revelation from Heaven, in which orders were given him to divide the booty equally, after having deducted a fifth part for the uses of the prophet, and certain specified purposes of charity. "In the name of the most merciful God: They will ask thee concerning the spoils: Answer, The division of the spoils belongeth unto God and the apostle; therefore, fear God and compose the matter amicably among you; and obey God and his apostle, if ye be true believers." "Know that whenever ye gain any spoils, a fifth part thereof belongeth unto God and to the apostle, and his kindred, and the orphans, and the poor, and the traveller."* The part which the prophet adjudged to himself on this occasion, amounted to several thousand drams, or dirams, of silver; how much of this sum he allotted to "the poor, the orphans, and the traveller," history gives us no intimation.

The success of Mohammed, with his little band of devotees, at the battle of Beder, is frequently alluded to in the Koran in a style of self-satisfied

* Koran, ch. viii.

vaunting and triumph, and is often appealed to by his followers as nothing less than a miraculous attestation of God himself in favour of the prophet. "Ye have already had a miracle shown you in two armies which attacked each other: one army fought for God's true religion, but the other were infidels; they saw the faithful twice as many as themselves in their own eyesight; for God strengtheneth with his help whom he pleaseth."* Besides the miracle of the infidels seeing the Moslem army double to what it was, two others are said to have been wrought on this memorable occasion. 1. The sand or gravel which Mohammed threw into the air is said to have been carried by the power of God with such force against the faces of the enemy that they immediately turned their backs and fled. "And ye slew not those who were slain at Beder yourselves, but God slew them. Neither didst thou, O Mohammed, cast the gravel into their eyes, when thou didst seem to cast it; but God cast it."† 2. We are also taught, that God sent down to the prophet's aid, first a thousand, and afterwards three thousand angels, having their heads adorned with white and yellow sashes, the ends of which hung down between their shoulders; and that this troop of celestial auxiliaries, borne upon black and white horses, and headed by Gabriel upon his steed Hiazum, really did all the execution in the defeat of the Koreish, though Mohammed's men fought bravely, and, until better instructed, gave the credit of the victory entirely to themselves. "And

* Koran, ch. xii. † Ch. viii.

God had already given you the victory at Beder, when ye were inferior in numbers; therefore, fear God, that ye may be thankful. When thou saidst unto the faithful, Is it not enough for you, that your Lord should assist you with three thousand angels, sent down from Heaven. Verily, if ye persevere, and fear God, and your enemies come upon you suddenly, your Lord will assist you with five thousand angels, distinguished by their horses and attire."*

The vindictive spirit of the prophet was strikingly evinced not long after this event by the assassination of Caab, the son of Al-Ashraf, a Jew. This man, having a genius for poetry, and being inveterately opposed to Mohammed, went to Mecca after the battle of Beder, and with a view to excite the Koreish to revenge, deplored in touching verses the unhappy fate of those of their brethren who had fallen while valiantly resisting a renegade prophet, with his band of marauders. He afterward returned to Medina, and had the hardihood to recite his poems to the people within the walls of that city. Mohammed was so exceedingly provoked by the audacity of the poet, who must, indeed, have been possessed of the highest phrensy of his tribe to promise himself impunity in these circumstances, that he exclaimed, "Who will deliver me from the son of Al-Ashraf?" A certain namesake of the prophet, Mohammed, the son of Mosalama, a ready tool of his master, replied, "I, O prophet of God, will rid you of him." Caab was soon after murdered while entertaining one of the apostle's followers.

* Koran ch. iii.

محمد ﷺ يغير القبلة - انزعاج كثيرين من أتباعه لهذا - الصلاة - صوم رمضان .

P.119 وفي العام الثاني للهجرة غيّر محمد ﷺ القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في صلواتهم . كان من المعتاد أن يتوجه متعبدو كل الأديان أثناء صلواتهم إلى جهة الشرق . أما اليهود فكانوا يوجهون وجوههم صوب القدس أثناء صلواتهم بصرف النظر عن المكان الذي هم فيه لأنها مقر معبدهم المقدس ، أما العرب فكانوا يوجهون وجوههم نحو مكة لوجود الكعبة بها مركز عبادتهم ، أما الصابئة فكانوا يوجهون وجوههم نحو نجم الشمال ، أما الفرس فكانوا يؤلّهون النار والنور ، وكانوا يتوجهون أثناء صلواتهم نحو الشرق فمن هذا الاتجاه تشرق الشمس مصدر النور . وفي القرآن الكريم :

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ . . . ﴾ (البقرة :148) .

وعندما وصل محمد ﷺ إلى المدينة المنورة للمرة الأولى لم يحدد أي جهة يتوجه إليها المسلمون في صلواتهم لكنه ربما رغبة منه في التقرب من اليهود وجه أتباعه لاستقبال القدس عند الصلاة ، وأسماها القدس دلالة على أنها مدينة P.120 مقدسة أو مدينة الأنبياء التي اعتزم في وقت من الأوقات أن يجعلها مركزاً للعبادة الإسلامية ، ومكانا يقصده أتباعه للحج إليه . لكنه عندما وجد اليهود عنيدين وغير متجاوبين عمد بعد ستة أشهر أو سبعة إلى تغيير اتجاه القبلة إلى (الكعبة) في مكة ، وربما كان سبب تغييره للقبلة هو أن الكعبة كانت لاتزال

موقرة لدى العرب ولدى أتباعه الذين أسلموا ، لكونها ظلت لعصور طويلة مقراً للأوثان ، ووجد محمد ﷺ أن توجيه المصلين وجوههم نحو الكعبة سيؤلف بين المسلمين وغيرهم من أهل مكة وما حولها فسيساعد على تحولهم للإسلام ، ورغم أن مكة لم تكن الآن في أيدي حكام مسلمين إلاّ أنه أشار إليها إشارة مستقبلية بأنها «مدينة مقدسة» أو مدينة كرّمها الله :

﴿ ... فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾ (البقرة :44) .

ولقد كان تغيير القبلة - حقيقةً - مصدر إزعاج لكثيرين من أتباعه إذ كان يعني بالنسبة لهم تقلّبا في عقائد النبي فتخلّوا عنه ، لكن تنامي كراهيته لليهود جعله يؤكد هذا التغيير في اتجاه القبلة من القدس إلى الكعبة :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) ﴾ (البقرة :142) .

P.121 ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾ (البقرة :144) .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) ﴾ (البقرة :145) .

ويُشار إلى اتجاه الكعبة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في مساجدهم بمحراب أو بموقع الأبواب التي تؤدي إلى المآذن ، وهناك أيضًا قوائم (بالاتجاهات) يحسب بها - بسهولة - اتجاه الكعبة (القبلة) إذا لم يكن لدى المسلمين وسائل مؤكدة غيرها لتعيين الاتجاه الصحيح .

ليس هناك ما يرتبط بالعقيدة الإسلامية أكثر من ارتباط الصلاة بها ، والنبي نفسه أطلق على الصلاة اسم عماد الدين وطريق الجنة ، فلا مكان في الإسلام لتاركها .

لذا فقد حدد النبي للمسلمين خمس صلوات مفروضة في اليوم :

1- صلاة الصبح وميقاتها بين الفجر وشروق الشمس .

2- صلاة الظهر عندما تبدأ الشمس في الميل عن أوجها أو بتعبير آخر في الهاجرة أي منتصف النهار .

3- صلاة العصر ، في الساعة الوسطى بين الظهيرة (الهاجرة) وغروب الشمس .

4- صلاة المغرب بين الغروب وحلول الظلمة .

5- صلاة العشاء بعد حلول الليل بساعة ونصف ساعة .

P.122 في هذه الأوقات يرفع المؤذّنون الآذان من فوق مآذن المساجد لدعوة الناس للصلاة ، فالمسلمون لا يقرعون الأجراس للدعوة للصلاة . وكل مسلم تقي ملتزم بهذه العبادة الوقورة ، أما داخل المسجد فإنَّه يبسط منديله في أي مكان طاهر ويؤدّي صلاته . هذه القداسة الكاملة للصلاة وارتباط المسلمين بها ارتباطا وثيقا يجعل التخلي عنها أمرا غير قائم حتى لو شب حريق أو غزاهم عدو فجأة . بل إن المسلم لا يقطع صلاته إذا اعتراه السعال أو بصق أو عطس أو حك جلده بسبب حشرة آذته . والمسلمون يقومون بإشارات مختلفة ويتخذون أوضاعا مختلفة فالواحد منهم يضع يداً فوق أخرى ويركعون ويسجدون واضعين جباههم فوق الأرض ، ويحركون رؤوسهم يمنة ويسرة وغير ذلك ، ولا يمكن تمييز بعض أوضاع الصلاة عند المسلمين عن تلك التي كانت سائدة بين العرب قبل ظهور الإسلام . ولازال الرحّالة يؤكدون أنه رغم تدقيق المسلمين في هذه الفريضة (الصلاة) إلاّ أنهم يؤدونها بطريقة تتسم اتساما عميقًا بروح التباهي والتظاهر أو بتعبير آخر بطريقة شكلية (النص فريسيَّة ، والكلمة تشير إلى طائفة الفريسيين اليهود الذين كانوا قبل المسيح يركزون على الشكل لا على الروح وقد انتقدهم المسيح عليه السلام) فالمسلم يفضل أن يصلي في السوق **P.123**

وفي الشارع حتى يراه الناس فيُقال أنه من الصالحين . ويقال إن الأتراك خاصة إذا ما وجدوا جمعا أكبر من الناس خاصة إن كانوا مسيحيين - بسطوا مناديلهم في أي مكان غير ملائم (يسبب ازعاجا أو يعوق حركة المرور) وشرعوا في الصلاة ، وأهم ما في تضرعاتهم هو أنه يشيع الله النزاع والحروب والفتن بين المسيحيين وإن حدث وانتشرت إشاعات عن هذه الأحداث المفرحة هلّل المسلمون شاكرين الله في صلواتهم لاستجابته لدعائهم .

وفي العام نفسه الذي فرضت فيه الصلاة ، فرض صوم رمضان (وينطقونه أيضا رمظان) وهو الشهر التاسع في التقويم الهجري ، وقد وصف محمد الصوم بأنه بوّابة الدين كما وصف خلوف فم الصائم بأنه أطيب عند الله من ريح المسك . والصوم المقبول في العقيدة الإسلامية هو الامتناع عن الطعام ومنع كل الحواس والأعضاء من الاستمتاع بالمباهج المعتادة سوى التفكّر في الله ، وفي القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ... (١٨٥) ﴾ (البقرة :183-185) .

P.124

وعلى وفق شريعة الإسلام مطلوب من المسلمين الصيام طوال شهر رمضان أي منذ ظهور هلال هذا الشهر حتى ظهور هلال الشهر التالي . أنهم يمتنعون منذ قبيل ظهور الشمس حتى المغرب عندما يعلق أئمة المساجد المصابيح في المساجد أو يوقدونها - عن كل مباهج الطعام والتدخين وإتيان النساء أي أنهم طوال هذه الفترة لا يأكلون ولا يشربون ولا يضعون أي شيء في أفواههم طوال النهار ، وهم يعوّضون ما تركوه من مباهج نهاراً ، بما يفعلونه في الليل . إنهم يظلون

مستمتعين بهذه المباهج حتى يتبينوا الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ومن ثم يبدأ صيام اليوم التالي . ولأن معظم المسلمين يقمعون شهوتهم للطعام وغيره نهارا ، بالنوم ، فإننا نلاحظ أن صوم شهر رمضان هو إلى حد ما تحويل النهار إلى ليل وتحويل الليل إلى نهار . ولأن السنة العربية (الهجرية) P.125 سنة قمرية فإنه في غضون ثلاث وثلاثين سنة يتراوح المكان الزمني للشهر بين مختلف فصول السنة الشمسية ، لذا فعندما يكون شهر رمضان في موسم الصيف فإن الصوم عندئذ يسبب معاناة شديدة للصائم بسبب الحرارة ، خاصة بالنسبة للفقراء الذين يجدون أنفسهم مضطرين للعمل نهارا وهم ممنوعين عن تسكين آلام ظمئهم بجرعة ماء حتى لو عانوا آلام الموت .

CHAPTER X.

Mohammed alters the Kebla—Many of his Followers greatly offended thereby—Mohammedan Institution of Prayer—Appoints the Fast of Ramadan—Account of this Ordinance.

ON the second year of the Hejira, Mohammed altered the *Kebla* for his disciples, that is, the point of the compass towards which they were to direct their prayers. It was usual among the votaries of all the religions of the East to observe some particular point in the heavens towards which they turned their faces when they prayed. The Jews, in whatever part of the world they chanced to be, prayed with their faces towards Jerusalem, the seat of their sacred temple; the Arabians, towards Mecca, because there was the Caaba, the centre of their worship; the Sabians, towards the North Star; the Persians, who deified fire and light, towards the East, where the Sun, the fountain of Light, arose. "Every sect," says the Koran, "have a certain tract of heaven to which they turn themselves in prayer."* Mohammed, when he first arrived in Medina, deeming the particular point itself a matter of perfect indifference, and with a view probably to ingratiate himself with the Jews, directed his disciples to pray towards Jerusalem, which he used to call *the Holy City*, *the City of*

* Koran, ch. ii.

the Prophets, and which he, at one time, intended to have made the grand seat of his worship, and the place of pilgrimage to his followers. But finding the Jews too intractable, or that his other converts still retained a superstitious regard for the temple of Mecca, for so many ages the place of idolatrous resort, and thinking it would tend to conciliate the inhabitants of that city, if he kept up the sanctity of their temple, he, at the end of six or seven months, repealed his former law regulating the Kebla, and thenceforward required all the faithful to offer their supplications with their faces directed towards Mecca. Though not now in actual possession of that city, yet anticipating the time when it would be in the hands of Moslem masters, he fixed upon it as the future "holy city" of his followers. "From what place soever thou comest forth, turn thy face towards the holy temple; and wherever ye be, thitherward turn your faces, lest men have matter of dispute against you."* This change was indeed an offence to many of his disciples, from its indicating a singular degree of fickleness in a professed prophet, and large numbers accordingly forsook him altogether on account of it. But his growing aversion to the Jews made him steadfast in the present alteration, to which he thus alludes in the Koran: "The foolish men will say, What hath turned them from their Kebla towards which they formerly prayed? Say, Unto God belongeth the East and the West: he directeth whom he pleaseth in the right way."† "We

* Koran, ch. ii. † Ibid.

have seen thee turn about thy face towards heaven with uncertainty; but we will cause thee to turn thyself towards a Kebla that will please thee. Turn therefore thy face towards the holy temple of Mecca; and, wherever ye be, turn your faces towards that place."* "Verily, although thou shouldst show unto those to whom the Scripture hath been given all kinds of signs, yet they will not follow thy Kebla, neither shalt thou follow their Kebla; nor will one part of them follow the Kebla of the other."† The bearing or situation of Mecca, with its holy temple, from any particular region of the Mohammedan world, is pointed out within their mosques by a niche, which governs the direction of their faces; and without, by the situation of the doors which open into the galleries of the minarets. There are also tables calculated for the purpose of readily finding out their Kebla, when they have no other means of ascertaining the right direction.

No duty enjoined by the Mohammedan creed is more prominent than that of prayer. The prophet himself used to call prayer "the pillar of religion and the key of paradise," and to say that there could be no good in that religion which dispensed with it. He therefore prescribed to his followers five stated seasons in the space of twenty-four hours for the performance of their devotions. 1. In the morning, between daybreak and sunrise. 2. Just after noon, when the sun begins to decline from the meridian. 3. At the middle hour between

* Koran, ch. ii. † Ibid.

noon and sunset. 4. Between sunset and dark 5. An hour and a half after night has fully closed in. At these times, of which public notice is given by the muezzins, or criers, from the galleries of the minarets attached to the mosques—for the Mohammedans use no bells—every conscientious Moslem engages in this solemn duty, either in a mosque, or by spreading his handkerchief, and kneeling in any clean place upon the ground. Such extreme sacredness do they attach to this part of worship, and with such intensity of spirit do they hold themselves bound to attend upon it, that the most pressing emergency, the bursting out of a fire in their chamber, or the sudden irruption of an armed enemy into their gates or camps is not considered a sufficient warrant for their abruptly breaking off their prayers. Nay, the very act of coughing, spitting, sneezing, or rubbing their skin in consequence of a fly-bite, in the midst of their prayers, renders all the past null and void, and obliges them to begin their devotions anew. In the act of prayer they make use of a great variety of postures and gestures, such as putting their hands one on the other before them, bending their body, kneeling, touching the ground with their foreheads, moving the head from side to side, and several others, among which it is impossible to distinguish those enjoined by Mohammed himself from those which were common among the ancient Arab tribes before he arose. Still it is affirmed by travellers, that, notwithstanding the scrupulous preciseness of the Moslem devotions, no people

are more deeply tinctured with the pharisaical spirit of ostentation, or love better to pray in the market-places, and in the corners of the streets, that they may be seen of men, and obtain their praise. Among the Turks especially it is said that wherever they find the greatest concourse of spectators, particularly if they be Christians, there they are ever sure to spread their handkerchiefs, whatever inconveniences may attend the location, and begin their adorations. In these petitions, a very prominent object of request is, that God would grant the blessing of dissensions, wars, and tumults to be enkindled among Christians; and the rumours of such joyful events are hailed as tokens of his gracious answers to their prayers.

On the same year the prophet introduced into his religion the holy fast of *Ramadan*, or *Ramazan*, so called from its being continued through the whole of this month, which is the ninth in the order of the months of the Arabic year. Of this duty Mohammed used to say, it was "the gate of religion," and that "the odour of the mouth of him who fasted is more grateful to God than that of musk." An acceptable fast, according to the Moslem doctrine, includes abstinence from food, the restraining all the senses and members from their accustomed gratifications, and the withdrawment of the thoughts from every thing but God. The institution is thus announced in the Koran: "O true believers, a fast is ordained you, as it was ordained unto those before you, that ye may fear God. A certain number of days shall ye fast:

but he among you who shall be sick, or on a journey, shall fast an equal number of other days. And those who can keep it and do not, must redeem their neglect by maintaining of a poor man. But if ye fast, it will be better for you, if ye knew it. The month of Ramadan shall ye fast, in which the Koran was sent down from Heaven, a direction unto men."* By the law of their religion, therefore, the disciples of Islam are required to fast, while the sun is above the horizon, during the entire month of Ramadan, from the time the new moon first appears, till the appearance of the next new moon. Throughout that period they abstain wholly from the pleasures of the table, the pipe, and the harem; they neither eat, drink, nor receive any thing into their mouths during the day, till the evening lamps, hung around the minarets, are lighted by the Imam, or priest of the mosque, when they are released from the obligations of abstinence. They then give themselves, without restraint, to the pleasures of the palate, and compensate in full measure for the penance of the day by the indulgence of the night. This is continued, according to the law of the prophet, "till they can plainly distinguish a white thread from a black thread by the daybreak,"† when the season of self-denial commences again for the ensuing day. As most of the Mohammedans, however, are not too scrupulous to quell the annoyance of appetite by sleeping away the hours of the day, the observance of the

* Koran, ch. ii. † Ibid.

fast of Ramàdan is little more than turning day into night, and night into day. As the Arabic year is lunar, each month in a period of thirty-three years, falls into all the different seasons of the solar year, and consequently the observance of the fast, when the month of Ramadan occurs in summer, is rendered, by the length and heat of the days, extremely rigorous and trying; especially as the poor are still compelled to labour during the day; and yet are forbidden, upon pain of death, to assuage their thirst by a drop of water.

الفصل الحادي عشر

قريش تشن حملة جديدة ضد النبي ﷺ - غزوة أحد - الهزيمة - لغط بين أتباعه - محاولات النبي تبرير الموقف - عقيدة القضاء والقدر خيره وشره من الله - تحريم الخمر والميسر - قتل سفيان بن خالد - غزوة الخندق .

P.126 لقد أدّى استياء أبي سفيان وأهل مكة بسبب ما حاق بهم من خسارة وخزي في العام الماضي إلى استعدادهم للقيام بحملة جديدة ضد الرسول المحارب ، فجمعوا جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان وتوجهوا لمحاصرة عدوهم في المدينة المنورة ، ولأن قوات محمد ﷺ كانت أقل بكثير من قوات الجيش المهاجم ، فإنه قرر في البداية أن ينتظرهم حتى يصلوا إلى المدينة المنوّرة ويصد هجومهم داخلها . ولكن حماس رجاله الذي أزكاه نصرهم السابق في بدر لم يكن له حدود وطالبوا بالخروج لمواجهة الأعداء ، فوافقهم النبي ، ولم يكن حكيما في هذا ، بل لقد وعدهم بالنصر الأكيد دون حذر مندفعا بروح الثقة التي تلبّسته ، لقد كانت القوى النبوية للرسول محمد ﷺ على محكّ أحداث هذا اليوم . لقد كان محمد ﷺ متمتعا بدرجة كبيرة بمواهب الجنرال (القائد العسكري) .

P.127 لقد كان جيشه مكونا من حوالي ألف مقاتل متخذاً موقعاً جيداً على منحدر جبل أحد الذي يقع على بعد أربعة أميال إلى الشمال من المدينة المنوّرة ، وعقد ثلاثة ألوية ، كل لواء تقاتل تحته مجموعة قبلية منفصلة عن المجموعتين القبليتين الأخريين ، أما اللواء الأكبر فكان أمام النبي ، وفي المؤخرة تمركز خمسون رام مع أوامر حاسمة بألا يتركوا أماكنهم ولا يغادرونها إلاّ بعد أن يتلقوا من النبي نفسه أوامر بالهجوم . وتقدمت قريش على شكل هلال ، وكان خالد أشرس المقاتلين العرب يقود الجناح الأيمن للفرسان ، وكانت هند زوجة أبي

سفيان في صحبة خمسين من عقيلات مكة يضربن بالدفوف (جمع : دُف) ليحثثن جيوش قريش على القتال . بدأت العمليات الحربية بهجوم المسلمين بعد هبوطهم من فوق منحدر الجبل وتوغلهم في صفوف العدو ووعد محمد ﷺ جنوده بالفوز أو الجنة فأقبل الجنود المسلمون على القتال بحماسة لا حد لها لينالوا إحدى الحسنَيْين ، وسرعان ما تشتت صفوف العدو ، وبدا أن نصرا سهلا على وشك أن يحققه المسلمون ذوو الروح العالية العالية ، والحماسة الشديدة . وفي هذه اللحظة ترك الرماة المسلمون المتمركزون خلف الجيش مواقعهم طمعا في الأسلاب ، وهنا انتهز خالد الجسور الفرصةَ المواتية فقاد فرسانه نحو جناح جيش المسلمين ومؤخرته وأعلن بصوت عال «لقد قُتل محمد» وانقض بضراوة على صفوف المسلمين التي اضطربت ، فغير نتيجة المعركة في هذا اليوم ، وقد أثرت التقارير التي انتشرت سريعًا عن موت قائد المسلمين (المقصود محمد ﷺ) **P.128** في الروح المعنوية للمسلمين فتفرقوا في كل اتجاه . وراح محمد يناور ليجمع قواته التي تفرقت ، لكن عبثا لقد راح يقاتل بشجاعة يائسة معرضا نفسه لخطر عظيم فأصابه رمح في وجهه ، وحطّم حجر سنتين من أسنانه ، وسقط من فوق حصانه ، وكان من الممكن - على وفق كل الاحتمالات - أن يقتل ، لكن بفضل شجاعة عدد قليل من أتباعه ، تم إنقاذ القائد (المقصود محمد ﷺ) وإبعاده عن زحام المتقاتلين ، ونقله إلى مكان آمن . لقد خسر المسلمون المعركة إذ قُتل (استشهد) منهم سبعون من بينهم حمزة عم النبي وتعرّضت شهرته بوصفه نبيا ورسولا لخطر وشيك . لقد راح أتباعه يهمهمون حول النتيجة المشئومة للمعركة وحول ما إذا كان النبي قد خدعهم وأن إرادة الله لم تنكشف له (لم توح إليه) فقد تنبأ تنبؤ الواثق بالنصر بينما النتيجة كانت هي الهزيمة ، أما محمد ﷺ فقد ألقى بدوره اللوم على خطايا بعض المقاتلين معه ، فأنزل الله عليهم غضبه لتصورهم أنهم آمنون ولامتحان إخلاصهم :

﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ **P.128** عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ

الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) ﴾ (آل عمران :165- 167) .

وفي السورة نفسها :

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾ (البقرة :141- 142) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) ﴾ (آل عمران :155) .

ولكي يُخمد محمد ﷺ همهمة هؤلاء الذين اجتاحهم الحزن لفقد رفاقهم وأقاربهم ذكر لهم أن لكل أجل كتاب وأن الذين قُتلوا في المعركة ماكانوا لينجوا من الموت المقدّر عليهم لو أنهم مكثوا في بيوتهم ، وهم الآن قد ماتوا شهداء ، وتلك ميزة عظيمة لانهم سينعمون بدخول الفردوس :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) ﴾ (آل عمران : 156 ، 157) .

بهذه المراوغة تملّص من الوعد الذي سبق أن وعد به أصحابه بالنصر ، وغطّى على خزي هزيمته . وعلى أية حال فإن عقيدة القضاء والقدر P.130 خيره وشره من الله امتدت جذورها بعمق بين أتباعه (المسلمين) وحتى اليوم فإن المسلمين هم من أكثر الناس تمسكا على ظهر الأرض بعقيدة القضاء والقدر خيره وشره من الله(*) ففي القرآن الكريم :

(*) «ونجد في الوقت نفسه هذا المثال الصارخ للعبث بعقيدة القضاء والقدر خيره وشره من الله ، بين المسلمين : دار رجل حول القافلة وهو يصيح «بسم الله الرحمن الرحيم . لقد ضاع مني كوبي . لقد اختفى بينما أنا أصلي المغرب . منحني الله أداء صلاة العشاء . أطال الله عمر من أعاد لي=

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾ (الحديد : 22) .

لكن أبا سفيان لأسباب يتعذر فهمها الآن لم يواصل الحرب منتهزا المزايا التي أتيحت له ، واكتفى بمجرد تحدّي النبي بأنه سيحاربه في العام التالي مرة أخرى ، والحقيقة أنه مرّ أكثر من عام قبل أن تتجدد الأعمال العدائية الفعلية بين الطرفين .

P.131 وفي حوالي هذا الوقت أو في السنة الرابعة للهجرة حرّم محمد ﷺ على أتباعه الخمر والميسر :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)﴾ (البقرة : 219) .

ويبدو أن سبب هذا التحريم أن النبي أدرك التأثيرات السيئة للخمر والميسر على أتباعه ،

﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ

= كوبي وأدام سعادته وأنزل على رأسه البركة ، ورغم هذه المناشدة الحارة لله ورغم الدعوات الصالحة لم يجده ، فلم يظهر الكوب ، ولم يكن لكل هذه الدعوات أثر . هنا عزّى هذا الرجل نفسه بالقول «الله يعلم أين الكوب ، وما حدث مكتوب في اللوح المحفوظ منذ الأزل» .

Buckinghm's Travels in Mesopotamia, vol.1, p. 281. London, 1827.

« وبينما كان هذا يحدث كان مؤلف مأساتنا (نكبتنا ، والمقصود جنوح السفينة) يتحرك بهدوء فوق ظهر السفينة صارخا طالبا النجدة من محمد ﷺ لإنقاذنا من الخطر ، مع أن قائد سفينتنا لم يستمع للتحذيرات التي وجهها له كل من ملاّح عابر . وعندما نبهناه لغفلته كان رده بإخلاص هو أن هذا مقدّر سلفا من محمد (المقصود طبعا من الله ، لكن الراوي أساء الفهم) لقد قال : (لو شاء الله لرست السفينة ، فما جدوى عملي) .

Keppel's Journey from India to England, in 1824, p.33. (المؤلف)

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المائدة : 89-91) .

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (المائدة : 93، 94) .

وجرى العفو عما سلف من هذه الآثام بغية الإصلاح مستقبلا :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (المائدة : 93) .

وفي السورة نفسها :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ (المائدة : 92) .

والخمر المقصود هنا هو كل مُسكر ، رغم أن المسلمين الذين يعتنقون مبادئ **P.132** ليبرالية غير صارمة - وكثيرون هم - يشربون هذا المشروب المحّرم ، ولم يكتف الإسلام بتحريم شرب الخمر ، وإنما حرَّم عصر الأعناب بغرض صنع الخمر ، وحرّم بيعها وشراءها ، بل وحرَّم انفاق الأموال الناتجة عن بيعها .

وثمة واقعة دموية شوّهت سمعة محمد ﷺ في هذه المرحلة من التاريخ إذ قيل له أن سفيان بن خالد كان يجمع الناس لقتاله ، فأمر - أي محمد ﷺ - عبد الله بن أنيس بقتل هذا العدو الذي يخطط للهجوم ، فأطاع ابن أنيس أمر

النبي وقتل سفيان في وادي عرنه (النص Orsa) وعاد تواً ليخبر النبي الذي منحه عصاه رمزا لودّه له ، واعتاد ابن أنيس السير وهذه العصا (عصا النبي) معه .

وفي السنة الخامسة للهجرة وقعت غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب التي كان من الممكن - لولا ظروف معينة - أن تطيح بالنبي إطاحة كاملة . لقد كونت قريش بالتحالف مع القبائل المجاورة ، وكثير من هذه القبائل كانت على اليهودية ، جيشا من عشرة آلاف مقاتل ليقاتلوا عدوّهم الذي عادى دينهم القديم ، وتقدم هذا الجيش بالفعل ليحاصر المدينة (المنوّرة) ، وأثناء تقدمهم أمر النبي بناء على نصيحة سلمان الفارسي(*) بحفر خندق حول المدينة P.133 لحمايتها ، وظلّ النبي وجيشه محصّنين قرابة شهر ، وفي هذه الأثناء لم تحدث أعمال عدائية سوى محاولات قليلة غير مؤثرة من الجانبين لمضايقة الجانب الآخر ، كإطلاق السهام وقذف الأحجار . وفي الوقت نفسه - فيما تقول المرويات - عمد النبي للاتصال عن طريق مبعوثية ببعض القادة المؤثرين في

(*) هذا السليمان (بشد الياء) أو السليمان (بتشديد الياء وكسرها) ويقال له سليمان بوك Pauk أي الطاهر pure له قبر مشهور أقيم تخليدا لذكره بالقرب من خرائب في المداين على نهر دجلة ، وهذا القبر هو أحد الأهداف الكبيرة التي تثير فضول الرحّالة المعاصرين إلى بلاد الشرق . « ومن الخرائب ذهبنا إلى قبر سليمان بوك . الذي حلّ اسمه محل باني هذاالعمود الرائع ، فأصبح اسمه يطلق على هذه المديرية (أو القضاء) . والقبر عبارة عن بناء صغير فوقه قبة . وسُمح لنا بدخوله بعد خلع أحذيتنا ، وهو مزين بالأقواس العربية ، وتستخدم المساحة المحيطة به فندقا» انظر رحلة كيبل ، ص 82 «بعد أن عبرنا مسافة بين الأسوار يتناثر فيها الآجر والفخار وصلنا في غضون نصف ساعة إلى قبر سلمان بوك (الطاهر) الذي لا يبعد إلاّ مسافة قصيرة عن قصر كسرو Chosroes المهدّم . لقد وجدنا هنا ملجأ مربعا آمنا مريحا بين أسوار عالية . وكان ضلع هذه المساحة المربعة يبلغ حوالي مائة خطوة ، ويوجد في وسطه قبر الصحابي المشهور للنبي محمد . أنه قبر سلمان بوك (الطاهر) . وكان سلمان حلاقا فارسيا تحوّل من عبادة النار - عبادة أجداده - إلى الإسلام ، على يد نبي المدينة الكبير نفسه وقد دُفن بعد حياة حافلة خدم فيها الدين الذي اعتنقه في بلده الاصلي - المدائن . وتحظى ذكرى سلمان بتوقير شديد من كل المسلمين هنا بوصفه صحابيا جليلا . فبالإضافة إلى الاحتفال السنوي لحلاّقي بغداد في شهر ابريل الذين يزورون قبره بوصفه قديسا (وليا من أولياء الله الصالحين) حاليا للمدينة (بغداد) هناك آخرون يزورونه في كل فصول العام»

Buckingham's Travels in Mesopotamia , vol. 2,450 (المؤلف)

صفوف العدو ليعملوا لصالحه ونجح مع عديدين منهم واستخدمهم لبذر الشقاق في صفوف الباقين حتى عم الخلاف . والشقاق - أخيراً - في صفوف الأعداء فتشتت الجيش كله تقريبا ، ومن بقى منهم ، وكانوا قلّة- أصبحوا لا قوة لهم بفضل تدخّل اللهِ الغاضب عليهم . لقد ضرب أعداء النبي - لفترة - خيامهم حول المدينة (المنوّرة) فهبت عليهم ريح عاصفة لها طابع إعجازي **P.134** شلّت أطرافهم وملأت وجوههم بالتراب وأطفأت نيرانهم وقلبت خيامهم وأفزعت خيولهم . وراحت الملائكة بالإضافة لهذا تزعج أعداء النبي بترديدها بصوت عال عبارة «الله أكبر» حول معسكرهم مما أصاب أعداء النبي بالرعب حتى أنهم كانوا سعداء بالنجاة بحياتهم .

ولم يكن النبي غافلا عن ملاحظة فضل الله عليه في هذه المناسبة ، ولم يفشل في استخدامه في مناسبات لاحقة للتأليف بين أتباعه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الأحزاب :٩) .

وسواء كان انسحاب الأحزاب عن المدينة المنوّرة بتدبير بشري أو بتدبير إلهي ، فمن المؤكد أن قريشا تخلّت بعدها عن كل أمل في وضع نهاية لقوّة النبي المتنامية ، فلم يعودوا من الآن فصاعدا يرسلون الحملات العسكرية ضدّه .

CHAPTER XI.

The Koreish undertake a new Expedition against the Prophet—The Battle of Ohod—Mohammed and his Army entirely defeated—His followers murmur—The Prophet's poor devices to retrieve the disgrace incurred in this action—Resolves it mainly into the doctrine of Predestination—Wine and Games of chance forbidden—Sophyan, son of Caled, slain—War of the Ditch.

THE resentment of Abu Sophyan and the citizens of Mecca, for the loss and the disgrace sustained the preceding year, stimulated them to undertake a new expedition against the warlike apostle. The Koreish accordingly assembled an army of three thousand men under the command of Abu Sophyan, and proceeded to besiege their enemy in the city of Medina. Mohammed, being much inferior in numbers to the invading army, determined at first to await and receive their attack within the walls of the city. But the ardour of his men, enkindled by the recollection of their former success, could not brook restraint; they clamorously demanded to be led out to battle; and he unwisely yielded to their request. Impelled, also, himself, by the same spirit of rash confidence, he unwarily promised them certain victory. The prophetic powers of the apostle were to be estimated by the event. Mohammed, in every encounter, seems to have manifested, in a high degree, the talents of a general. In the present instanc his army, con-

sisting of about one thousand men, was advantageously posted on the declivity of the mountain Ohod, four miles to the north of Medina. Three standards were confided each one to a separate tribe, while the great standard was carried before the prophet, and a chosen band of fifty archers were stationed in the rear, with peremptory orders to remain there till commanded to the attack by Mohammed himself. The Koreish advanced in the form of a crescent; Caled, the fiercest of the Arabian warriors, led the right wing of the cavalry; while Hinda, the wife of Abu Sophyan, accompanied by fifteen matrons of Mecca, incessantly sounded timbrels to animate the troops to the approaching conflict. The action commenced by the Moslems charging down the hill, and breaking through the enemy's ranks. Victory or paradise was the reward promised by Mohammed to his soldiers, and they strove with frantic enthusiasm to gain the expected recompense. The line of the enemy was quickly disordered, and an easy victory seemed about to crown the spirit and valour of the Moslem troops. At this moment, the archers in the rear, impelled by the hope of plunder, deserted their station and scattered themselves over the field. The intrepid Caled, seizing the favourable opportunity, wheeled his cavalry on their flank and rear, and exclaiming aloud, "Mohammed is slain!" charged with such fury upon the disordered ranks of the Moslems, as speedily to turn the fate of the day. The flying report of the death of their leader so dispirited the faithful, that they gave way

in every direction, and the rout soon became general. Mohammed endeavoured in vain to rally his broken troops; he fought with desperate valour; exposed his person where the danger appeared greatest; was wounded in the face by a javelin; had two of his teeth shattered by a stone; was thrown from his horse; and would in all probability have been slain, but for the determined bravery of a few chosen adherents, who rescued their leader from the throng, and bore him away to a place of safety. The day was utterly lost; seventy of his soldiers were slain, among whom was his uncle Hamza; and his reputation as a prophet and apostle was in imminent peril. His followers murmured at the disastrous issue of the conflict, and had the hardihood to affirm that the prophet had deceived them; that the will of the Lord had not been revealed to him, since his confident prediction of success had been followed by a signal defeat. The prophet, on the other hand, threw the blame on the sins of the people; the anger of the Lord had fallen upon them in consequence of an overweening conceit of their security, and because he had determined to make trial of their sincerity. "After a misfortune hath befallen you at Ohod, do ye say, Whence cometh this? Answer, This is from yourselves: for God is almighty, and what happened unto you was certainly by the permission of God, that he might know the faithful and that he might know the ungodly.——And we cause these days of different success interchangeably to succeed each other among men, that God

might prove those who believe, and might destroy the infidels.—Did ye imagine that ye should enter paradise, when as yet God knew not those among you who fought strenuously in his cause; nor knew those who persevered with patience?—Verily, they among you who turned their backs on the day whereon the two armies met each other at Ohod, Satan caused them to slip for some crime which they had committed."* In order to stifle the murmurs of those who were overwhelmed with grief at the loss of their friends and relatives, he represented to them, that the time of every man's death is distinctly fixed by the divine decree, and that those who fell in battle could not have avoided their predetermined fate even if they had staid at home; whereas now they had obtained the glorious privilege of dying martyrs for the faith, and were consequently translated to the bliss of paradise. "O true believers, be not as they who believe not, and said of their brethren when they had journeyed in the land, or had been at war, If they had been with us, those had not died, nor had these been slain: whereas, what befell them was so ordained.—No soul can die unless by the permission of God, according to what is written in the book containing the determination of things.—Thou shalt in no wise reckon those who have been slain at Ohod, in the cause of God, dead: nay, they are sustained alive with their Lord, rejoicing for what God of his favour hath granted them."† With these miserable evasions did he excuse the

* Koran, ch. iii. † Ibid.

falsehood of his prediction, and salve over the ignominy of his defeat. This doctrine of fatalism however, took a deep root among his followers, and to this day the Mohammedans are the most strenuous sticklers of any people on earth for the doctrine of absolute unconditional predestination. "No accident," saith the Koran, "happeneth in the earth, nor in your persons, but the same was entered in the book of our decrees, before we created it."*

Abu Sophyan, for reasons now inexplicable, did not pursue the advantages he had gained on this occasion. He merely gave the prophet a challenge to meet him again in the field on the ensuing year, which was readily accepted, although somewhat more than a year elapsed before the actual renewal of hostilities.

* "We had at the same time the following striking instance of the frivolous appeals to the Deity among the Mohammedans. A man went round the caravan, crying with a loud voice, 'In the name of God, the just, the merciful. My cup is gone from me: it disappeared while I prayed at sunset (and may God grant my evening prayer). To whoever may find the same, may God lengthen out his life, may God augment his pleasures, and may God bring down affairs of business on his head!' This pompous appeal to Heaven, and prayers for good fortune to the finder of the missing utensil, were all powerless, however, in their effect. The lost cup was not found; and the consolation then assumed was, '*God knows where it is gone; but it was written in heaven from of old.*'"—*Buckingham's Travels in Mesopotamia*, vol. i. p. 281, *Lond.* 1827.

"While this was going on, the author of our calamity [a vessel had been run aground] was pacing the deck, the picture of terror and indecision, calling aloud on Mohammed to assist us out of the danger. His fears were not much lessened by the threats thrown out by each passing tar. 'I say, Jack,' said one of them, "we'll string you up for this;" making his observation intelligible, by pointing with one hand to the yard-arm, and with the other to the neck of his auditor, at the same time imitating the convulsive guggle of strangulation. When called to account for his obstinacy, the pilot gave us an answer in the true spirit of (Mohammedan) predestination;—'*If it is God's pleasure that the ship should go ashore, what business is it of mine?*'"—*Keppel's Journey from India to England*, *in* 1824, *p.* 33.

About this time, or in the fourth year of the Hejira (A. D. 626), Mohammed prohibited the use of wine and of games of chance to his followers. "They will ask thee of wine and lots. Answer, In both these there is great sin, and also some things of use unto men; but their sinfulness is greater than their use."* The occasion of this prohibition seems to have been the prophet's witnessing their bad effects in producing discord and broils among his disciples. "O true believers, wine and games of chance are an abomination, of the work of Satan; therefore avoid them, that ye may prosper. Satan seeketh to sow dissension and hatred among you by means of wine and lots, and to divert you from remembering God, and from prayer; will ye not, therefore, abstain from them?" The sins of the past, arising from this source, are graciously remitted on condition of future amendment. "In those who believe and do good works, it is no sin that they have tasted wine or gaming before they were forbidden; if they fear God and believe, and do good works, and shall for the future fear God and believe, and shall persevere to fear him and to do good. Obey God, and obey the apostle, and take heed to yourselves: but if ye turn back, know that the duty of our apostle is only to preach publicly."† Under wine are comprehended also all kinds of strong and inebriating liquors; and though Mussulmans of lax and libertine principles, and many such there are, will indulge themselves with the forbidden beverage, yet the

* Koran, ch. ii. † Ch. v.

more conscientious scrupulously avoid it, and not only hold it criminal to taste of wine, but also to press grapes for the making of it, to buy or to sell it, or even to maintain themselves with the money arising from the sale of it.

Another act of blood stains the fame of Mohammed in this part of his history. Being informed that Sophyan, the son of Caled, was collecting men for the purpose of attacking him, he ordered Abdallah, the son of Onaïs, surnamed Dhul-Malldhrat, that is, *a man ready to undertake any thing*, to assassinate his designing foe. Abdallah obeyed the prophet's command, and mur dered Sophyan in the valley of Orsa. He imme diately returned to Mohammed, who, upon hear ing the success of the enterprise, gave him as a token of his friendship the cane with which he usu ally walked.

In the fifth year of the Hejira occurred *the war of the ditch*, or, as it is otherwise termed, *the war of the nations;* which, but for peculiar circum stances, would probably have resulted in the entire overthrow of the impostor. The Koreish, in con junction with a number of the neighbouring tribes or *nations*, many of whom were Jews, assembled an army of ten thousand men, and making common cause against the grand adversary of their ancient religion, advanced to the siege of Medina. On their approach, Mohammed, by the advice of Soliman, or Salman, the Persian,* ordered a deep

* This Soliman, otherwise called Suleiman Pauk (i.e. the Pure), has a celebrated tomb erected to his memory near the ruins of the ancient

ditch, or intrenchment, to be dug around the city for its security, behind which he remained fortified for near a month. During this period, no other acts of hostility occurred than a few ineffectual attempts to annoy each other by shooting arrows and slinging stones. In the mean time, tradition says, the prophet was busily employed by his arts and emissaries, in corrupting and bringing over to his interest the leading men among the enemy. Having succeeded with several, he employed them in sowing dissensions among the rest; so that at length the camp of the confederates was torn to pieces with divisions, and one party breaking off after another, nearly the whole army was finally dissipated, and the little remnant that remained thrown into confusion and made powerless by the direct visitation of an angry God. For while they

Ctesiphon, on the Tigris. It is among the prominent objects of curiosity to modern travellers to the East. "From the ruins we went to the tomb of Suleiman Pauk, whose name has superseded that of the builder of this magnificent pile, in giving a name to the district. The tomb is a small building with a dome; the interior, to which they allowed us access, on our pulling off our shoes, was ornamented with arabesque arches, and the surrounding enclosure was used as a caravanserai."—*Keppel's Journey, p.* 82.

"After traversing a space within the walls strewed with fragments of burnt brick and pottery, we came in about half an hour to the tomb of Selman Pauk, which is within a short distance of the ruined palace of Chosroes. We found here a very comfortable and secure retreat, within a high-walled enclosure of about a hundred paces square, in the centre of which rose the tomb of the celebrated favourite of Mohammed. This Selman Pauk, or Selman the Pure, was a Persian barber, who, from the fire-worship of his ancestors, became a convert to Islam, under the persuasive eloquence of the great prophet of Medina himself; and after a life of fidelity to the cause he had embraced, was buried here in his native city of Modain (Ctesiphon). The memory of this beloved companion of the great head of their faith is held in great respect by all the Mohammedans of the country; for, besides the annual feast of the barbers of Bagdad, who, in the month of April visit his tomb as that of a patron saint, there are others who come to it on pilgrimage at all seasons of the year."—*Buckingham's Travels in Mesopotamia, vol.* 2, 450.

lay encamped about the city, a remarkable tempest, supernaturally excited, benumbed the limbs of the besiegers, blew dust in their faces, extinguished their fires, overturned their tents, and put their horses in disorder. The angels, moreover, co-operated with the elements in discomfiting the enemy, and by crying "ALLAH ACBAR!" (*God is great!*) as their invisible legions surrounded the camp, struck them with such a panic, that they were glad to escape with their lives.

The prophet was not insensible to the marks of the divine favour vouchsafed him in these illustrious prodigies, nor did he fail to hold them up to the consolation of his followers on subsequent occasions. "O true believers, remember the favour of God towards you, when armies of infidels came against you, and we sent against them a wind, and hosts of angels which ye saw not."* But, to whatever it were owing, whether to human or heavenly agency, it is certain that from this time the Koreish gave up all hopes of putting an end to the growing power and spreading conquests of Mohammed. They henceforth undertook no more expeditions against him.

* Koran, ch. xxxiii.

الفصل الثاني عشر

اليهود ، هدف خاص لعداوة محمد ﷺ - عدة قبائل من اليهود تخضع له - قيامه بالحج - هدنة مع أهل مكة لمدة عشر سنوات - ازدياد قوته ونفوذه لدرجة كبيرة - إقامة منبر في المسجد - حربه ضد خيبر ، مدينة اليهود العرب - حصاره خيبر واستيلائه عليها - امرأة شابة تحاول قتله بالسم - لازال قادراً على مواصلة انتصارات .

P.135 لقد أدّى عناد اليهود إلى تحوّل اتجاه محمد ﷺ إلى كراهية شديدة ، وظل إلى آخر لحظة في حياته يحث على اضطهاد هؤلاء البائسين اضطهادا لم يضطهده المسلمون لأي شعب آخر ، هذا مع أن النبي وقّر في البداية مدينة القدس ، وأبدى روح الصداقة نحو اليهود الذين يجمعهم مع أبناء اسماعيل انتماء إلى أب واحد هو ابراهيم ، يدعى كل من الفريقين انتسابهم إليه . لقد عاقب محمد ﷺ قبائل بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير التي كانت تقيم بالقرب من المدينة (المنوّرة) فوقعوا فريسة سهلة في يد جيوشه فتعرضوا للسلب والنهب والموت على وفق درجة رفضهم لنبوته وتصدّيهم لقواته .

إن أهدافنا المحدّدة لن تسمح بتناول كل الغزوات التي خاضها محمد ﷺ **P.136** طوال السنوات الخمس التالية . فيكفي أن نقول على وفق ما ذكره بعض كتاب سيرته أن المسلمين خاضوا ما لا يقل عن سبع وعشرين غزوة كان من بينها ما قاده محمد ﷺ بنفسه ، وكان من بينها تسع معارك ضارية . إن القلب يأس أن يجد النبي رسول الله ينتقل من مشهد دموي إلى مشهد دموي آخر ، ومن مذبحة إلى أخرى جاعلا دعاوي الدين عباءة يغطي بها طموحاته التي لا حد لها ومباهجه الحسّية التافهة . إن المرء المتأمل هنا يدرك المعنى العميق

لطهارة دين يسوع المسيح وجنوحه للمسالمة(*) ، فهذا المعنى يزداد تألقًا إذا ما قارناه ببريق الانتصارات (الحربية) التي حققها النبي الغازي ، تلك الانتصارات التي تفتقد الهدف الديني . إن الشخص الذي يشعر بقوة المبادئ المسيحية لن يرتاح - أو يعجب - بهذه المعارك الضارية التي انتصر فيها مؤسس الإسلام) وأمثاله من الغزاة بحصارهم الناجح ولا بالمدن التي نهبوها أو أخضعوها ، وإن فاق المسلمون غيرهم في هذا .

وعلى أية حال فهناك معركة أو معركتين بعد هذا من الأهمية في تاريخ النبي بحيث لا يمكن تجاوزهما . في العام السادس للهجرة قاد ألفًا وأربعمائة من رجاله بقصد الحج إلى الكعبة ، وأعلن أنه يريد أن يتم حجه ومن معه بشكل سلمي . لكن أهل مكة كانوا حذرين متشككين في نواياه . وبينما كان معسكرا لعدة أيام في الحديبية أرسل مبعوثًا ليعلن هدفه (أي القيام بالحج بشكل سلمي) فأتوه وهم مصممون على رفض طلبه منذرينه بأنهم سيمنعونه بحد السيف عندئذ جمع الحاج المقاتل (المقصود النبي ﷺ) رجاله وقرروا مهاجمة مكة . وفي **P.137** الوقت نفسه كان أهل مكة يقوّمون قوتهم بدقة ويتدارسون سياساتهم بعد أن أبدا محمد شيئًا من الرحمة بالعفو عن ثمانين أسيرا من أهل مكة وأطلق سراحهم ممن كان قد أسرهم ، فغيروا عزمهم على المقاومة وأرسلوا له مبعوثا للاتفاق معه على شروط السلام . واعترى المسلمون بعض الريبة نظرًا للسهولة التي تخلّى بها قائدهم (أي محمد ﷺ) عن لقبه أي «رسول الله»(**) لكن نتيجة المفاوضات بين الطرفين

(*) يظهر هنا بجلاء هوى المؤلف وغيّه وغلّه ، وإيثاره للنعرّات الدينية وافتعال الخلاف فيما بين الأديان في مسألة السلم والحرب ، وإلا فالاديان التي نزلت بها كتب سماوية من عند الله تحث على إيثار السلم والرَأفة بالأسرى والنساء والأطفال والإسلام يحث صراحة على المبادءة بالسلم وتحقيقه ، «فإن جنحوا للسلم فاجنح لها» . وليس من بين قادة الجيوش والمحاربين في تاريخ الإنسانية من هو أكثر رأفة من نبينا الكريم ﷺ . (المترجم)

(**) عند صياغة المعاهدة أمر النبي عليا رضي الله عنه أن يكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فطلب أحد أهل مكة أن يكتب باسمك اللهم فكان لهم ما أرادوا ، وعندما كتب هذا ما عاهد عليه =

هي عقد هدنة لعشر سنوات يسمح فيها للنبي وأتباعه دخول مكة والحرم دون أن يحملوا سلاحاً، وإنما يأتون بوصفهم حجاجا عاديين، على ألا يزيد مقامهم في مكة عن ثلاثة أيام، ويشير النبي إلى وقائع هذه الحملة في السورة رقم 48 وعنوانها الفتح(*):

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (٢٤) ﴾ (الفتح :22-24).

P.138 لقد أدّى هذا الحدث إلى ترسيخ قوة محمد ﷺ وتأثيلها فلم يمض وقت طويل حتى مدّ سلطانه بوصفه ملكا مستعينا بصحابته. لقد أصبح محمد ملكا متوجا على أتباعه كما أصبح مسئولهم الديني (حَبْرهم)، وقد ازداد اتباعه زيادة كبيرة. لقد زادت مكانة محمد زيادة كبيرة عند أتباعه فقد رأى بعض الوافدين إلى المدينة أن محمداً ﷺ « لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقا إلاّ ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه والنجاشي في ملكه وقيصر في ملكه، واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه، وقد رأيتُ قوما لا يسلمونه لشيء أبداً . . .»(**).

وبالإضافة لهذه السلطة الاسمّية بدأ النبي يعزز مكانته مميزاً نفسه، فبعد بناء P.139 مسجد المدينة الذي كان النبي نفسه يؤم المصلين فيه لم يكن يتخذ

= محمد رسول الله، اعترض سهيل قائلا: لو علمنا أنك رسول الله ما عارضناك، فأمر النبي عليا أن يكتب كما طلب سهيل: هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله . . . إلخ. انظر ترجمة سيل للقرآن الكريم، مجلد 2، ص 384، حاشية. (المؤلف)

(*) دأب المؤلف على نسبة التنزيل الحكيم إلى الرسول ﷺ، وفقاً لعقيدته وفكره الضال، مما لا يوافق عليه عاقل أو باحث متجرد، فضلاً عن مئات المسلمين والمسيحيين المتجردين والموحدين بدين الله وألوهيته (المترجم)

(**) نقلنا النص من سيرة ابن هشام ج 4، ص 281، طبعة دار الجيل (المترجم).

سوى جزع نخلة مثبت عموديا ليستند عليه عند مخاطبته الناس ، لكن هذا الجزع لم يعد الآن يليق بمقامه فأمر بإقامة منبر بناء على مشورة إحدى زوجاته . منبر له منبسط يمكن الوصول إليه بارتقاء درجتين . لكن جزع النخلة الذي كان النبي يستند إليه حزن لأنه فقد شرف استناد النبي إليه ، وقال الذين يروون العجائب من أتباع محمد ﷺ أنّه - أي هذا الجزع - أصدر أنينا مسموعا حزنا لمفارقة الرسول إياه .

وعندما أصبح عثمان بن عفّان خليفة كساه بنسيج مطرز ، أما معاوية (بن أبي سفيان) فرفعه بإضافة ست درجات أخرى - زمن خلافته - ليجعله - بلا شك - تقليداً لعرش سليمان العاجي ، وظل المنبر - فيما يقال - محفوظًا بوصفه أثر مقدساً في المسجد النبوي .

وفي هذا العام قاد جيشه ضد خيبر وهي مدينة يسكنها العرب اليهود ، فقاوموه مقاومة باسلة ففرض عليها حصاراً واجتاحها ، ويقال إن معجزة كبيرة حدثت هنا على يد علي (بن أبي طالب) الذي لقّب بأسد الله . لقد كانت هناك بوّابة هائلة ثقيلة جدا عجز ثمانية رجال بعد ذلك عن رفعها من فوق الأرض ، لكن عليا كان قد استطاع اقتلاعها من مفاصلها واستخدمها ترسا يصد به الهجوم(*) .

P.140 وعندما دخل محمد ﷺ خيبر جعل مقر قيادته في منزل الحارث . وهنا استقبلوه استقبالا أدّي أخيرا إلى نهايته ، فبينما كانت زينب بنت الحارث تعد وجبة للغازي ومن معه دسّت السم في كتف الضأن الذي قدمته له . وما كاد بشر صاحب الرسول يأكل منها حتى تشنج ومات في مكانه ، أما محمد ﷺ فقد لَفظ الجزء الأكبر مما مضغه لذا فقد نجا من الموت ، لكن آثار السم ظلت في بدنه واستعصت على العلاج حتى مات بعد ثلاث سنوات ، وإذا كان لنا أن نؤيد

(*) أكد أبو رافع أنه شاهد بنفسه ما فعله علي . «لكن من الذي يشهد أن أبا رافع صادق» جيبون .

الذين يتحدثون عن معجزات محمد ﷺ فإن الكتف أخبرته أنها مسمومة ولا شك أن هذه المعلومة وصلته متأخرة ، لقد راحت بذور الموت تنخر فيه منذ هذا الوقت «وعندما سئلت زينب عما فعلته اعترفت وقالت : بلغت من قومي مالم يخف عليك ، فقلتُ إن كان ملكا استرحتُ منه ، وإن كان نبيا فسيُخبر» ولم يتفق المؤرخون المسلمون حول مصير زينب فبعضهم يؤكد أن النبي عفا عنها وبعضهم يقول أنه قتلها .

P.141 لم يكن تدهور صحة النبي تدريجيا ليثنيه عن مواصلة فتوحه الناجحة . وكان اليهود هم الهدف الدائم لانتقامه وكانوا إغراء أغراه باستخدام سيفه . لقد تقدم مرة أخرى إلى الوَطيح والسُّلالم فضمها إليه وسمح لأهلها بالاحتفاظ بممتلكاتهم على أن يدفعوا نصف ما تنتجه نخيلهم من تمور كل عام وظلوا هكذا آمنين في مدنهم وقراهم طوال حياة محمد ﷺ حتى حكم عمر (بن الخطاب) الذي ادّعى أن محمدا قال له وهو في مرضه الأخير ألا يسمح باجتماع دينين في شبه الجزيرة العربية وبذا تم طردهم جميعًا من قراهم ومدنهم القديمة .

CHAPTER XII.

The Jews the special objects of Mohammed's Enmity—Several Tribes of them reduced to Subjection—Undertakes a Pilgrimage to Mecca—The Meccans conclude a Truce with him of ten years—His Power and Authority greatly increased—Has a Pulpit constructed for his Mosque—Goes against Chaibar, a City of the Arab Jews—Besieges and takes the City, but is poisoned at an Entertainment by a young Woman—Is still able to prosecute his Victories.

WHATEVER might have been the prophet's early reverence for the city of Jerusalem, and his friendship towards the Jews, who, together with the sons of Ishmael, claimed in Abraham a common father, their obstinacy converted his favour into implacable hatred; and to the last moment of his life he pursued that unfortunate people with a rigour of persecution unparalleled in his treatment of other nations. The Jewish tribes of Kainoka, Koraidha, and the Nadhirites, lying in the vicinity of Medina, were singled out as the next objects of his warlike attempts; and as they fell an easy prey to the power of his arms, spoliation, banishment, and death were the several punishments to which he adjudged them, according to the grade of their crime in rejecting a prophet or opposing a conqueror.

Our intended limits will not permit us to enumerate the various battles fought by Mohammed during the five succeeding years. Suffice it to

say, that, according to the computation of some of his biographers, no less than twenty-seven expeditions were undertaken, in which he commanded personally, and in which nine pitched battles were fought. The heart sickens in following a professed messenger and apostle of God from one scene of blood and carnage to another, making the pretences of religion a cloak to cover the most unbounded ambition and the vilest sensuality. A mind untrained to a deep sense of the purity and peaceableness of the religion of Jesus may be dazzled by the glare of a tide of victories, and lose its detestation of the impostor in admiring the success of the conqueror. But to one who feels the force of Christian principles, no relief is afforded by the view of arduous battles won, of sieges undertaken, or of cities sacked or subjected, by the prowess of a leader whose career is stained like that of the founder of Islam.

One or two subsequent expeditions, however, are too important in the prophet's history to be passed over without notice. In the sixth year of the Hejira, with fourteen hundred men, he undertook what he declared to be a peaceful pilgrimage to the holy temple of Mecca. The inhabitants were jealous of his intentions; and while he halted several days at Hodeibiya, from whence he despatched an emissary to announce his intention, they came to a determination to refuse him admittance, and sent him word, that if he entered the city, it must be by forcing his way at the point of the sword. Upon this intelligence, the warlike

pilgrim called his men together, and it was resolved to attack the city. The Meccans, in the mean time, having more accurately measured their strength, or estimated their policy, and having been, besides, somewhat wrought upon by an unexpected act of clemency on the part of Mohammed, in pardoning and dismissing eighty prisoners of their fellow-citizens, who had fallen into his hands, altered their purpose of resistance, and sent an ambassador to his camp to confer upon terms of peace. Some umbrage was given to the Moslems by the facility with which their leader waived the title of Apostle of God,* but the result was the concluding of a truce of ten years, in which it was stipulated, that the prophet and his followers should have free access to the city and temple whenever they pleased, during the period of the truce, provided they came unarmed as befitted pilgrims, and remained not above three days at a time. In the 48th chapter of the Koran, entitled "The Victory," the prophet thus alludes to the events of this expedition; "If the unbelieving Meccans had fought against you, verily they had turned their backs; and they would not have found a patron or protector; according to the ordinance of God, which hath been put in execution heretofore against the

* "In wording the treaty, when the prophet ordered Ali to begin with the form, *In the name of the most merciful God*, they (the Meccans) objected to it, and insisted that he should begin with this, *In thy name, O God;* which Mohammed submitted to, and proceeded to dictate: *These are the conditions on which Mohammed, the apostle of God, has made peace with those of Mecca.* To this Sohail again objected, saying, *If we had acknowledged thee to be the apostle of God, we had not given thee any opposition.* Whereupon Mohammed ordered Ali to write as Sohail desired, *These are the conditions which Mohammed, the son of Abdallah,*" &c.—*Sale's Koran, vol.* 2 *p.* 384, *note.*

opposers of the prophets. It was he who restrained their hands from you, and your hands from them, in the valley of Mecca." The entrance into Mecca on this occasion is vaunted of by the apostle as the fulfilment of a prophetic dream. "Now hath God in truth verified unto his apostle the vision, wherein he said, Ye shall surely enter the holy temple of Mecca, if God please, in full security."

This event tended greatly to confirm the power of Mohammed; and not long after, he was solemnly inaugurated and invested with the authority of a king by his principal men. With the royal dignity he associated that of supreme pontiff of his religion, and thus became at once the king and priest of his Moslem followers, whose numbers had by this time swelled to a large amount. So intense had their devotion to their leader now become, that even a hair that had dropped from his head, and the water in which he washed himself, were carefully collected and preserved, as partaking of superhuman virtue. A deputy, sent from another city of Arabia to Medina to treat with the prophet, beheld with astonishment the blind and unbounded veneration of his votaries. "I have seen," said he, "the Chosroes of Persia, and the Cæsar of Rome, but never did I behold a king among his subjects like Mohammed among his companions."

With this new addition to his nominal authority, he began to assume more of the pomp and parade due to his rank. After the erection of the mosque at Medina, in which the prophet himself officiated

as leader of worship, he had for a long time no other convenience in the way of stand, desk, or pulpit, than the trunk of a palm-tree fixed perpendicularly in the ground, on the top of which he was accustomed to lean while preaching. This was now become too mean an accommodation, and by the advice of one of his wives he caused a pulpit to be constructed, with a seat and two steps attached to it, which he henceforth made use of instead of the "beam." The beam, however, was loath to be deprived of its honour, and the dealers in the marvellous among his followers say, that it gave an audible groan of regret when the prophet left it. Othman Ebn Affan, when he became Caliph, hung this pulpit with tapestry, and Moawiyah, another Caliph, raised it to a greater height by adding six steps more, in imitation, doubtless, of the ivory throne of Solomon, and in this form it is said to be preserved and shown at the present day, as a holy relic, in the mosque of Medina.

This year he led his army against Chaibar, a city inhabited by Arab Jews, who offering him a manly resistance, he laid siege to the place and carried it by storm. A great miracle is here said to have been performed by Ali, surnamed "The Lion of God." A ponderous gate, which eight men afterward tried in vain to lift from the ground, was torn by him from its hinges, and used as a buckler during the assault!* Mohammed, on entering

* "Abu Rafe, the servant of Mohammed, is said to have affirmed that he was an eye-witness of the fact; but who will be witness for Abu Rafe?"—*Gibbon.*

the town, took up his quarters at the house of Hareth, one of the principal inhabitants, and here met with a reception which eventually cost him his life. Zeinab, the daughter of Hareth, while preparing a meal for the conqueror and his attendants, inserted a quantity of poison into a shoulder of mutton which was served up at the table. Bashar, a companion of Mohammed, had scarcely began to eat of it, before he was seized with convulsions, and died upon the spot. Mohammed, by spitting out the greatest part of what he had taken into his mouth, escaped immediate death, but the effects of the fatal drug had entered his system, and, resisting every effort of medicine to expel or counteract it, in somewhat more than three years afterward it brought him to his end. If, as the reporters of Mohammed's miracles affirm, the shoulder of mutton informed the prophet of its being poisoned, it is certain the intelligence came too late. The seeds of death were henceforth effectually sown in his constitution; and his own decline ever after kept pace with his growing power. When Zeinab was asked, how she had dared to perpetrate a deed of such unparalleled enormity, she is said to have answered, "that she was determined to make trial of his powers as a prophet: if he were a true prophet," said she, "he would know that the meat was poisoned; if not, it would be a favour to the world to rid it of such a tyrant." It is not agreed among the Mohammedan writers what was the punishment inflicted upon this second Jael, or whether she suffered any. Some affirm that she was pardoned; others that she was put to death.

The progress of the prophet's disease was not such as to prevent him from prosecuting that successful course of conquests in which he was now engaged. The Jews, the constant objects of his vengeance, again tempted his victorious sword. He proceeded against Beder, Watiba, and Selalima; places which he brought under subjection, permitting their inhabitants to retain possession on condition of paying him one half the product of their date-trees as an annual tribute. On these terms they remained undisturbed in their towns and villages during the lifetime of the prophet; till at length, in the reign of Omar, who pretended that Mohammed in his last sickness had given him a charge not to permit two religions to coexist in Arabia, they were all expelled from their ancient settlements.

محمد ﷺ يتهم أهل مكة بنقض العهد ويتوجه على رأس جيشه إليهم - محاصرته لمكة - اسلام أبي سفيان والعباس عم النبي - مكة أرض مقدسة - القبائل المجاورة لمكة تجمع جيشا من أربعة آلاف مقاتل لوقف قوى النبي المتزايدة - النبي يطيح بقوى التحالف - منافس للنبي (مسيلمة) - خالد (بن الوليد) يهزم مسيلمة .

لم يكد يمر عامان حتى أتهم محمد أهل مكة بخرق الهدنة ونكث العهد ، وتذرع بهذا ليحشد جيشا من عشرة آلاف مقاتل ليكون سيداً على مكة . إنه الآن قوي ، وإن أعداءه لضعفاء ومما قوّي عزمه على فتحها توقيره لها وكونها مسقط رأسه ولأن فيها الكعبة . لقد انتهز محمد ﷺ فرصة الهدنة التي عقدها مع قريش فاستطاع بمهارة تحويل حلفاء قريش إليه ، وتحويلهم للإسلام كما استطاع أن يغرى الشخصّيات الرئيسية في مكة بالانضمام تحت لوائه . لقد حثّ جيشه الكبير على التقدم سريعا نحو مكة ، وقادهم إلى تلك الأطراف البعيدة بشكل غير متوقع مع أنهم ما كادوا يتخذون لأنفسهم مواقف دفاعية . لقد كان استسلام مكة لا بديل له ، وإلاّ لحق بها الدمار الشامل . في هذه الظروف لم يكن أمام أبي سفيان - العدو اللدود لمحمد ودينه - والعباس عم النبي إلاّ أن يسلّموا **P.143** مفاتيح مكة للفاتح ، وكان هذا موقفا مهينا لأهل مكة . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أنهما اعترفا بالدعاوي النبوية لسيدهما الجديد ، وأقَرا أنه رسول الله . ويمكننا أن نفترض هنا أن إسلامهما كان بالإكراه تحت وطأة سيف عمر (بن الخطاب) المرفوع ، وكان عمر شديد الوطأة ، لقد أسلما إذن إنقاذاً لحياتهما . ورغم إن محمداً ﷺ كان فاتحاً (غازيا) ودعيا إلاّ أنه - في المعتاد - لم يكن قاسيا لقد كان غضبه موجّها ضد صالح بلده (مكة) أكثر منه ضد أهلها . لقد جثا زعماء قريش أمامه وطلبوا منه العفو والسماح ، فقال النبي : ما تظنون أنّي فاعل

بكم؟ فقالوا «أخ كريم وابن أخ كريم» فقال لهم بكرم وسماحة : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ومن يومها لم يتعرضوا لإزعاج أو مضايقة وكانوا موضع تشريف وتكريم كما كانوا محل ثقة . وعند دخوله مكة التي أصبح الآن هو سيدها المطلق أمر بقتل ثلاثة رجال وامرأتين لا أكثر ، وتقدم ليطهرّ الكعبة مما بهاَ من أصنام بلغ عددها ثلاثمائة وستين صنما وذلك لتكون ملائمة لدينه الجديد . وقام **P.144** النبي بأداء مناسك الحج وتم إقرار شريعة دائمة لا يدخل بمقتضاها أي كافر في المدينة المقدسة (مكة) ويوم دخل النبي مكة منتصرا أمر بلالا (مؤذن الرسول) أن يعلو فوق الكعبة ليؤذن لصلاة الظهر ليدعو الناس للصلاة لأول مرة . ومن يومها أصبح الآذان هو طريقة المسلمين للدعوة للصلاة والتذكير بمواقيتها ، والمسلمون يراعون ذلك بدقة وصرامة إذ ترتفع أصوات المؤذنين من فوق مآذن مساجدهم في أوقات محدّدة .

وعندما وصلت أخبار فتح مكة إلى القبائل المجاورة أسرعت هوازن وثقيف وغيرهما بجمع قوة قوامها حوالي أربعة آلاف مقاتل بغرض طرد الغاصب (المقصود الفاتح عليه الصلاة والسلام) قبل أن تتنامى قوته الخطرة فعيَّن محمد ﷺ حاكما مؤقتا على مكّة وخرج بجيش لا يقل عدده عن اثنى عشر ألف مقاتل وواجه العدو في وادي حنين في الطريق إلى الطائف على بُعد ثلاثة أميال من مكة . وقد وجد المسلمون أنفسهم متفوقين عددا بدرجة كبيرة فامتلأوا ثقة بالنصر (المقصود : مما أدى لعدم اتخاذهم الحيطة بشكل كاف) فأدى هذا إلى هزيمتهم . في البداية اندفع المتحالفون ضد المسلمين بحماس وتهوّر يائس حتى **P.145** أن جيش المسلمين يكاد يكون كله قد تراجع حتى إلى أسوار مكة نفسها . وكان محمد ﷺ يركب بغلا أبيض وإلى جانبه عدد قليل من أصحابه المخلصين احتفظوا بمكانهم بجسارة . لقد كان الرسول شديد الحماس في هذه الأزمة حتى أن أحد أعمامه وابن عم له قد أمسكا بلجام دابته وركابها ليمنعاه من اقتحام صفوف العدو وحده وهو يقول بصوت عال : « أين أيها الناس هلمّوا إليَّ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد اللهَ » . (في النص أيضا : اللهم أنزل مددك ،

وهو مالم نجده في نص السيرة النبوية لابن هشام) ، وكان لعمه العباس صوت جهير فراح يستدعي العسكر المولّين واستطاع بالتدريج تجميعهم حول الراية المقدسة فسعد الرسول بذلك وقال : «الآن حمى الوطيس»(*) وأحرز النبي نصراً كاملا لكن هذا لم يكن دون عون أتاه من الله بمعنى أن الله أرسل ملائكة تحارب معه ، مع أنه يظهر من آيات القرآن الكريم أن الله لم يكن راضيا عن ثقتهم الشديدة بأنفسهم بسبب كثرتهم وتفوقهم العددي :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (التوبة : 25، 26) .

وأمضى النبي بقية العام في تحطيم أوثان رعاياه العرب وتدمير معابدهم . إذ أرسل الرسول سعداً وخالداً وغيرهما من قادة المسلمين في اتجاهات P.146 مختلفة لشن حرب إبادة ضد الوثنية والخرافات القديمة . وأدت هذه الحرب العنيفة بتحول كثيرين من الوثنيين إلى الإسلام وإلى تحطيم الباطل الذي يعبدونه ، ولم يكن غريبا أن يؤمنوا بعقيدة التوحيد فسيف النبي حطّم كل الآلهة إلاّ إلهاً واحداً .

لقد أصبح النبي الآن هو حاكم شبه الجزيرة العربية حقا فبدأ في العام التاسع للهجرة يدبّر لفتح الشام . ولم يعش حتى يتم مشروعه كاملا فقد وقع هذا على عاتق خلفائه ، ومع هذا فقد مهدّ له فغزوة تبوك التي عانى فيها رجاله معاناة شديدة لشدّة الحرارة وندرة الماء انتهت باستيلاء المسلمين على تبوك الواقعة على

(*) النص كما ورد في ابن هشام : «عن العباس بن عبد المطلب قال : إني لمع رسول الله آخذ بحكمة بغلته البيضاء . . قال وكنت امرءا جسيما شديد الصوت . ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء . فقال : يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمُرة (أصحاب بيعة الرضوان) قال : فأجابوا : لبيك ، لبيك . . .»(المترجم) .

حدود الامبراطورية البيزنطية مما مكنه بعد ذلك من الانقضاض الناجح على المناطق المتاخمة لها (لتبوك) مثل دومة (دومة الجندل) وأيْلة . لقد استسلم الأميران (أمير دومة وأمير أيلة) لقدرهما الذي بدا الآن مصحوبا بجيوش النبي وأصبحا منذ الآن من بين دافعي الجزية له . تلك آخر حملة (غزوة) قادها النبي بنفسه . لقد ازدادت شهرته ودعوته زيادة كبيرة حتى خشت القبائل البعيدة وأرسلت وفودها إليه معترفة بولائها له لقد التقى محمد ﷺ بكثير من الوفود لهذا الغرض P.147 ولأغراض أخرى في هذا العام حتى أطلق عليه عام الوفود .

وشهدت نهاية هذا العام آخر حج أداه الرسول فعرفت هذه الحجّة بحجة الوداع . ومما يدل على زيادة أتباعه بشكل مدهش منذ آخر زيارة زار فيها مكة أنه كان مصحوبا في حجة الوداع - فيما يُقال - بمائة وأربعة عشر ألف مسلم .

لقد كان نجاح النبي بارزا ورائعا في أي مشروع قام به بدرجة لا يستطيع معها مقلدوه ومنافسوه مجاراته ، لقد أصبح محمد ﷺ ذا قوة لا تُقاوم لكن هذا لم يمنع من وجود منافسين له . لقدحذا حذوه آخرون ادعوا أنهم رسل وأنبياء لعلهم يصلون إلى ما وصل إليه . لقد ظهر مسيلمة الذي يسميه المسلمون حتى الآن مسيلمة الكذّاب وهو من قبيلة حنيفة ، وشخص مهم في اليمن (Yemen ولعله يقصد اليمامة) . لقد رأس مسيلمة وفدا أرسلته قبيلته إلى محمد ﷺ في العام التاسع للهجرة وأعلن إسلامه لكنه أثناء عودته راح يتفكر في طبيعة الدين الجديد وشخصية مؤسسه وما وصل إليه من حظ عظيم ، فقرر أنه إن أحسن التدبير فربما نجح في مشاركة محمد ﷺ في بهاء النبوّة ، وفي العام التالي بدأ في وضع مشروعه موضع التنفيذ . لقد أعلن أنه هو أيضا نبي أرسله الله وأنه شريك لمحمد P.148 ﷺ لدعوة الناس لترك عبادة الأوثان وعبادة الله وحده ، وراح يذيع وحيا مكتوبا زعم أنه تلقاه من المصدر نفسه (أي من الله سبحانه) ونجح في أن يضم إليه عدداً كبيرا من قبيلة حنيفة وأخيرا بدأ في وضع نفسه في مكانه أعلى شيئًا ما من مكانة نبي المدينة (يقصد محمداً ﷺ) بل وذهب إلى حد مكاتبة محمد ﷺ بشأن

مشاركته في مهمته الروحية . وهاك خطابه إلى النبي : ((من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : سلام عليك . أما بعد ؛ فإني قد أشرِكتُ في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكنَ قريش قوم يعتدون)) لكن محمدا الذي كان يشعر برسوخ قدمه وثبات موقفه وعدم حاجته إلى مشارك لم يجبه إلاّ بهذه الكلمات : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب ، السلام على من اتّبع الهدى . أما بعد ؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين» وخلال الأشهر القلائل التي عا شها محمد ﷺ بعد هذا التمرد استمر مسيلمة في جمع الأتباع بدرجة أقلقت النبي محمدا ﷺ الذي كانت حالته الصحية تتدهور ، وصدرت الأوامر بإعداد حملة بقيادة خالد (بن الوليد) سيف الله لقمع النحلة المناوئة (المقصود دعوة مسيلمة) ، وقد تنبأ النبي وهو على فراش الموت بنتيجة المعركة بين المسلمين المؤمنين ومن تجاسروا على الردّة .

وعاد جيش خالد منتصراً إذ قتل مسيلمة نفسه وعشرة آلاف من أتباعه ، واقتنع من بقي من أتباعه أنهم كانوا ضالين وسرعان ما عادوا إلى صدر الدين المحمدي ، وكان بريق سيوف الفاتحين هو خير دليل على ما كانوا عليه من ضلال . وكان هناك متمردون آخرون ادّعوا . الادعاءات نفسها لكن حركاتهم لم يكن لها نتائج مهمة كحركة مسيلمة . وقد تم قمعها بالطريقة نفسها في مراحل ردتهم الأولى .

CHAPTER XIII.

Mohammed alleges a Breach of Faith on the part of the Meccans, and marches an Army against them—The City surrendered to the Conqueror—Abu Sophyan and Al Abbas, the Prophet's Uncle, declare themselves Converts—Mecca declared to be Holy Ground—The neighbouring Tribes collect an Army of four thousand men to arrest the growing power of the Prophet—The Confederates entirely overthrown—A rival Prophet arises in the person of Moseilama—Is crushed by Caled.

Two years had scarcely elapsed when Mohammed accused the Meccans of violating the truce. and made their alleged breach of faith a pretence for summoning an army of ten thousand men with a design to make himself master of the city. He was now strong, and his enemies were weak. His superstitious reverence for the city of his birth, and the temple it contained, served to influence his determination for war. The time since the concluding of the truce had been skilfully employed in seducing the adherents of the Koreish, and converting to his religion, or enticing under his standard, the chief citizens of Mecca. By forced marches he urged his large army rapidly towards the city, and so unexpectedly was the place invested by the Moslem troops, that they had scarcely time to put themselves in a posture of defence before they were driven to such extremities, that the surrender of the city at discretion, or total destruction, seemed to be the only alternative. In these cir-

cumstances the former step was resolved upon, humiliating as it was, and Abu Sophyan, the former inveterate enemy of Mohammed and his religion, accompanied by Al Abbas, an uncle of the impostor, came forth and presented the keys of the city to the conqueror. Nor was this all: they both crowned their submission by bowing to the prophetic claims of their new master, and acknowledging him as the apostle of God. This we may suppose was a constrained admission, made under the uplifted scimitar of the furious Omar, and yielded as the price of life. Mohammed, though a conqueror and an impostor, was not habitually cruel; his anger was directed rather against the gods of his country, than its inhabitants. The chiefs of the Koreish prostrated themselves before him, and earnestly demanded mercy at his hands. "What mercy can you expect from the man you have wronged?" exclaimed the prophet. "We confide in the generosity of our kinsman." "You shall not confide in vain," was the generous or politic reply of Mohammed. "Be gone; you are safe; you are free." They were thenceforth left unmolested, and places of honour and trust were still confided to them. On his entry into the city, of which he had now made himself absolute master with the sacrifice of only three men and two women, whom he ordered to be executed, he proceeded to purge the Caaba of its three hundred and sixty idols, and to consecrate that temple anew to the purposes of his religion. The apostle again fulfilled the duties of a pilgrim, and a per-

petual law was enacted, that no unbeliever should dare to set his foot on the territory of the holy city. On the day on which the prophet entered Mecca in triumph, he ordered Belal, his crier, to mount to the top of the temple at noon, and from thence to call the people to prayer for the first time under the new institution. This custom has been religiously observed in Mohammedan countries from that day to the present; the crier, who is called *muezzin*, still giving the people notice of the hour of prayer from the minarets of their mosques.

When the news of the conquest of Mecca reached the neighbouring tribes of Arabs, the Hawazins, Takifians, and others, hastily assembled a force amounting to about four thousand men, with the design of crushing the usurper before his dangerous power had attained to any greater height. Mohammed, appointing a temporary governor of the city, marched out with an army of no less than twelve thousand men, and met the enemy in the valley of Honein, three miles from Mecca, on the way to Tayef. The Moslems, seeing themselves so vastly superior in point of numbers, were inspired with a presumptuous confidence of victory, which had like to have resulted in their ruin. In the first encounter, the confederates rushed upon the faithful with such desperate valour, that they put nearly the whole army to flight, many of them retreating back to the walls of Mecca itself. Mohammed, mounted on a white mule, with a few of his faithful followers at his side, boldly maintained

his ground; and such was his ardour in this crisis of the conflict, that it was by main force that one of his uncles and a cousin, laying hold of his bridle and stirrup, restrained him from rushing alone into the midst of the enemy. "O my brethren," he exclaimed, "I am the son of Abdallah! I am the apostle of truth! O men, stand fast in the faith! O God, send down thy succour!" His uncle Abbas, who possessed a Stentorian voice, exerting the utmost strength of his lungs, recalled the flying troops, and gradually rallied them again around the holy standard; on which the prophet, observing with pleasure "that the furnace was rekindled," charged with new vigour the ranks of the infidels and idolaters, and finally succeeded in obtaining a complete victory, though not, as appears from the Koran, without the special assistance of angels. The giving way in the first instance was a mark of the Divine displeasure against the Moslems for their overweening confidence in their superior numbers. "Now hath God assisted you in many engagements, and particularly at the battle of Honein; when ye pleased yourselves in your multitudes, but it was no manner of advantage unto you; the earth seemed to be too narrow in your precipitate flight: then did ye retreat and turn your backs. Afterward God sent down his security upon his apostle and upon the faithful, and troops of angels which ye saw not."*

The remaining part of the year was spent in demolishing the temples and idols of the subject

* Koran, ch. ix.

Arabs. Saad, Caled, and others of his Moslem chieftains were despatched in various directions over the conquered provinces with orders to wage a war of extermination against the idols of the ancient superstition. This pious crusade was crowned with the conversion of many idolaters, as well as with the destruction of the "lying vanities" of their worship, and it is not strange that they should have admitted the doctrine of the divine unity, when the destroying sword of the apostle had cut off all gods but one.

The prophet having now become in fact the sovereign of Arabia, he began, in the ninth year of the Hejira, to meditate the conquest of Syria. He did not live fully to accomplish this design, which was executed by his successors; but he entered upon it, and notwithstanding the expedition was undertaken in the heat of the summer, and the scarcity of water subjected his men to almost intolerable sufferings, yet he succeeded in obtaining possession of Tabuc, a town on the confines of the Greek empire, from whence he made a victorious descent upon the adjacent territories of Dauma and Eyla. Their princes yielded to the destiny which now seemed to accompany the arms of the impostor wherever they were turned, and they were henceforth enrolled among his tributaries. This was the last expedition on which the prophet went forth in person. The fame of his power had now become so extensive and imposing, that distant tribes were awed into submission, and sent their emissaries to tender to him the voluntary

acknowledgment of their homage and fealty. The numerous deputations which for this and other purposes, waited upon Mohammed this year, induced him to call it "The Year of Embassies."

The close of this year was distinguished by the prophet's last pilgrimage to Mecca, called, from its being the last, "The Pilgrimage of Valediction." An idea of the amazing increase of his followers since he last visited Mecca may be formed from the fact, that on this occasion he is said to have been accompanied by one hundred and fourteen thousand Moslems!

Signal success in any enterprise seldom fails to call forth imitators and rivals. Mohammed had now become too powerful to be resisted by force, but not too exalted to be troubled by competition. His own example in assuming the sacred character of an apostle and prophet, and the brilliant success which had attended him, gave a hint to others of the probable means of advancing themselves to a similar pitch of dignity and dominion. The spirit of emulation, therefore, raised up a formidable fellow-prophet in the person of Moseilama, called to this day by the followers of Islam, "the lying Moseilama," a descendant of the tribe of Honeifa, and a principal personage in the province of Yemen. This man headed an embassy sent by his tribe to Mohammed, in the ninth year of the Hejira, and then professed himself a Moslem; but on his return home, pondering on the nature of the new religion and the character and fortunes of its founder the sacrilegious suggestion

occurred to him, that by skilful management he might share with his countryman in the glory of a divine mission; and accordingly, in the ensuing year, began to put his project in execution. He gave out that he also was a prophet sent of God, having a joint commission with Mohammed to recall mankind from idolatry to the worship of the true God. He moreover aped his model so closely as to publish written revelations like the Koran, pretended to have been derived from the same source. Having succeeded in gaining a considerable party from the tribe of Honeifa, he at length began to put himself still more nearly upon a level with the prophet of Medina, and even went so far as to propose to Mohammed a partnership in his spiritual supremacy. His letter commenced thus: "From Moseilama, the apostle of God, to Mohammed, the apostle of God. Now let the earth be half mine and half thine." But the latter, feeling himself too firmly established to stand in need of an associate, deigned to return him only the following reply: "From Mohammed, the apostle of God, to Moseilama, the liar. The earth is God's: he giveth the same for inheritance unto such of his servants as he pleaseth; and the happy issue shall attend those who fear him." During the few months that Mohammed lived after this revolt, Moseilama continued, on the whole, to gain ground, and became, at length, so formidable, as to occasion extreme anxiety to the prophet, now rapidly sinking under the effects of his disease. An expedition under the command of

Caled, " the Sword of God," was ordered out to suppress the rival sect, headed by the spurious apostle, and the bewildered imagination of Mohammed, in his moments of delirium, was frequently picturing to itself the results of the engagement between his faithful Moslems and these daring apostates.

The army of Caled returned victorious. Moseilama himself and ten thousand of his followers were left dead on the field; while the rest, convinced by the shining evidence of truth that gleamed from the swords of the conquerors, renounced their errors, and fell quietly back into the bosom of the Mohammedan church. Several other insurgents of similar pretences, but of minor consequence, were crushed in like manner in the early stages of their defection.



الفصل الرابع عشر

أصبح دين محمد ﷺ راسخا - أهم البلاد التي اعتنقت دينه - آثار السم على شريعته - إحساسه باقتراب نهاية حياته - آخر عظاته لاتباعه - مرضه الأخير وموته - تشكك المسلمين في خبر موته - أبو بكر ينهي الفتنة - النبي يدفن في المدينة - كذب حكاية تعلق تابوته في الهواء .

P.150 لقد وصلنا الآن إلى مرحلة أصبح فيها دين محمد راسخا مؤثّلا بشكل دائم (بمعنى أنه غير قابل للإزالة) لقد كان فتح مكة وهزيمة قريش - في الحقيقة- إشارة إلى إخضاع بقية أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ومع أن عدة قبائل صغيرة قاومت لفترة جيوش النبي إلاّ أنها خضعت في النهاية . وبين فتح مكة وموت النبي أكثر من ثلاث سنوات . وفي هذه السنوات الوجيزة حطّم أوثان بلاد العرب ومدّ فتوحاته إلى حدود الامبراطوريتين ؛ البيزنطية والفارسية ، وأصبح اسمه مرعبا لهاتين الامبراطوريتين اللتين كانتا في وقت من الأوقات مملكتين مهيبتين . لقد جرّب جيوشه ضد الجيوش النظامية للامبراطوية البيزنطية وهزمها في مواجهة انتحارية (استشهادية) في مؤته . لقد ترسخ عرشه الآن وأعطى دُفعة للقبائل العربية حثتهم على الغزو ومكنتهم من فتح جزء كبير من الكرة الأرضية .

P.151 لقد فازت جيوشهم المنتصرة بالهند وفارس والامبراطورية البيزنطية وآسيا الصغرى ومصر وبلاد البربر وأسبانيا . ولم يعش محمد نفسه - حقيقة - ليرى هذه الفتوح العظيمة لكنه هو الذي بدأ قيادة القافلة التي نتج عنها هذه السيطرة الواسعة ، فقبل موته كان قد ضم إلبه كل شبه الجزيرة العربية وبعض أجزاء آسيا وأدخلها في دينه .

والآن لقد بلغ العام الثالث والستين من عمره (العام العاشر من الهجرة/ 632م) ظهرت آثار السم المميتة ،وبدأت تبدو بشكل محسوس بعد أن كمنت في أوردته مدة طويلة . لقد بدأت صحته تتدهور يوما بعد يوم . وبدا أن حياته في طريقها سريعا للزوال . ولقد كان مدركا لاقتراب أجله منذ مدّة ويقال أنه كان ينتظر الموت بثبات وإيمان ، فقبل موته بثلاثة أيام أمر بأن يُحمل إلى المسجد ليبارك أتباعه ويدعو لهم ويعظهم ، وساعده أصحابه على ارتقاء المنبر فراح يدعو لمن مات من أصحابه وقدم نموذجا للتواضع والتوبة قلما نجدها في وصايا القرآن الكريم . لقد ذكر ما معناه إن كنت قد جلدت ظهر أحد منكم بغير حق ، فها هو ظهري فلينتقم مني ، وإن كنت قد أسأت لأحد من المسلمين فليذكرني الآن أمام P.152 الناس . هل سلبت أحداً شيئاً؟ إن القليل الذي أملكه يكفي لسداد ديوني ، فقال واحد من بين الجمع نعم فأنت مدين لي بثلاثة دراهم فضية فسمعه محمد ﷺ ووفّاه دينه وشكره لمطالبته بهذا في الدنيا وليس في يوم الحساب(*) وفي هذا اليوم أعتق عبيده ، وكانوا سبعة عشر رجلا وإحدى عشرة جارية وأصدر توجيهات بشأن جنازته قائلا إن موته يقترب وهدّأ من روع من بكى من صحابته . ولم يعين - بالاسم - من يخلفه ، ولو فعل لمنع المشادات التي كادت تقترب من حافة الصدام في دينه الوليد وفي امبراطورية المسلمين (السرسرية)(**) ورغم أن حكم محمد ﷺ المباشر قد انتهى بموته بعد معاناة استمرت عامين . لقد عجَّلت الحمى الشديدة بمماته ، وكانت هذه الحمى داعية له للتدبر بحكمة في أمر أتباعه . لقد

(*) لم يرد هذا فيما يتعلق بخطبة النبي في هذه المناسبة في سيرة ابن هشام وإنما ورد ما هو آت :«خرج النبي عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، فصلّى على أصحاب أحد واستغفر لهم . . ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيرّه الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله . . . وإني لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صحبة وإخاء وإيمان ثم يجمع الله بيننا عنده . . . أيها الناس انفذوا بعث أسامة ، فلعمري لأن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وانه لخليق للامارة . . . يا معشر المهاجرين أوصيكم بالأنصار خيرا . . .» ابن هشام ، جـ6 ص ص 64 - 66 (المترجم) .

(**) السراسين اسم أطلق الكتاب الأجانب (غير العرب) على العرب ، لكن العرب لا يحبون هذا الاسم . (المؤلف) .

طلب ذات مرة بعد أن أفاق من نوبة حمى شديدة قلما وورقا ليكتب للمسلمين كتابا يوجههم فيه لكن عمر (بن الخطاب) رفض تلبية الطلب خشية **P.153** أن يملي النبي المحتضر ما يخالف القرآن(*) . وعلى أية حال فقد كان هناك من عبروا عن رغبتهم الشديدة في أن يكتب النبي لهم كتابا . ومن ثم نشب نزاع في غرفة النبي حتى أنه اضطر لتوبيخهم لجلبتهم غير اللائقة . لم يكتب النبي كتابا وحزن كثيرون من أتباعه لانقطاع الوحي بموته . ومات النبي في حجر زوجته الأثيرة عائشة وأسندت رأسه على ركبتها وتأملت بقلق سحنته التي تغيرت (أي بدت عليها آثار الموت) وراحت تصيخ السمع لآخر ما ينطق به . كان المرض الذي قضى عليه يعاوده مصحوبا بآلام شديدة ، وكان سببه فيما كان يقول دائما هو الوجبة المميتة (المقصود المسمومة) التي تناولها في خيبر . وقد قال لأم بشر الذي مات للسبب نفسه وهو جالس إلى جواره (يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع(**) أبهري (عروقي) من الأكلة التي أكلت مع أخيك) (النص : مع ابنك ، وفي سيرة ابن هشام مع أخيك) وقد ذكر النبي وهو يحتضر لمن حوله أن الملك أستأذنه في أخذ روحه فأذن له قائلا : «بل الرفيق الأعلى» فأراق الماء بيده **P.154** الواهنة على وجهه وسرعان ما فاضت روحه . وعم الأسى بيت النبي وأصبحت المدينة المنورة حزينة آسية مضطربة . وتشكك بعض أصحابه في وفاته «كيف يموت شاهدنا وشفيعنا وواسطتنا إلى الله» . إنه لم يمت بل هو مثل موسى وعيسى قد تغشاه الله غشية مقدسة وسرعان ما سيعود للمسلمين» ورفع عمر سيفه مهددا بقطع رأس الكفرة الذين يقولون إن محمدا قد مات . إلاّ أن أبا بكر المعتدل قضى على الفتنة بترديده نصا قرآنيا :

(*) في السيرة النبوية لابن هشام : «خرج يومئذ علي بن أبي طالب على الناس من عند رسول الله ، فقال له : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال : أصبح محمد بحمد الله بارئا ، فقال العباس لقد عرفت الموت في وجه رسول الله كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس ، فقال علي : إني والله لا أفعل ، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحدٌ بعده جـ 6 ، ص 72 . (المترجم) .

(**) النص في ابن هشام ، جـ 4 ، ص 309 (المترجم) .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ (آل عمران : 144) .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) ﴾ (الزمر : 30، 31) .

ودُفن النبي في المدينة (المنوّرة) في الغرفة نفسها التي لفظ فيها آخر أنفاسه فكانت هي قبره البسيط الذي دفن فيه دون أية حلَي معمارية ، فتلك الحلي أقيمت بعد ذلك فوق قبره . لقد خرب المنزل نفسه منذ زمن طويل لكن موضع **P.155** دفن النبي لايزال مرتبطا بخرافات مشكوك فيها ، ولازال يحظى بتوقير شديد من المسلمين فحكاية وجود رفاته معلقا في الهواء في تابوت حديدي ليس إلاّ تلفيقا تافها . وكذلك حكاية أن تابوته في مكة وليس في المدينة إنما هو أيضا تلفيق تافه ، فملايين الحجاج يزورون قبره في المدينة المنورة ، ونعلم من روايات الرحّالة الثقات بمكة والمدينة أن قبره من بناء بسيط غير مرتفع عن سطح الأرض .

CHAPTER XIV.

The Religion of the Prophet firmly established—The principal Countries subjected by him—The effects of the Poison make alarming Inroads upon his Constitution—Perceives his End approaching—Preaches for the last Time in Public—His last Illness and Death—The Moslems scarcely persuaded that their Prophet was dead—Tumult appeased by Abubeker—The Prophet buried at Medina—The Story of the hanging Coffin false.

We have now reached the period at which the religion of Mohammed may be considered to have become permanently established. The conquest of Mecca and of the Koreish had been, in fact, the signal for the submission of the rest of Arabia; and though several of the petty tribes offered, for a time, the show of resistance to the prophet's arms, they were all eventually subdued. Between the taking of Mecca and the period of his death, somewhat more than three years elapsed. In that short period he had destroyed the idols of Arabia; had extended his conquests to the borders of the Greek and Persian empires; had rendered his name formidable to those once mighty kingdoms; had tried his arms against the disciplined troops of the former, and defeated them in a desperate encounter at Muta. His throne was now firmly established; and an impulse given to the Arabian nations, which induced them to invade, and enabled them to conquer, a large portion of the globe. India, Persia, the Greek empire, the whole of Asia

Minor, Egypt, Barbary, and Spain, were eventually reduced by their victorious arms. Mohammed himself did not indeed live to see such mighty conquests achieved, but he commenced the train which resulted in this wide-spread dominion, and before his death had established over the whole of Arabia, and some parts of Asia, the religion which he had devised.

And now, having arrived at the sixty-third year of his age, and the tenth of the Hejira, A. D. 632, the fatal effects of the poison, which had been so long rankling in his veins, began to discover themselves more and more sensibly, and to operate with alarming virulence. Day by day he visibly declined, and it was evident that his life was hastening to a close. For some time previous to the event, he was conscious of its approach, and is said to have viewed and awaited it with characteristic firmness. The third day before his dissolution, he ordered himself to be carried to the mosque, that he might, for the last time, address his followers, and bestow upon them his parting prayers and benedictions. Being assisted to mount the pulpit, he edified his brethren by the pious tenor of his dying counsels, and in his own example taught a lesson of humility and penitence, such as we shall scarcely find inculcated in the precepts of the Koran. "If there be any man," said the apostle, "whom I have unjustly scourged, I submit my own back to the lash of retaliation. Have I aspersed the reputation of any Mussulman? let him proclaim my faults in the face of the con-

gregation. Has any one been despoiled of his goods? the little that I possess shall compensate the principal and the interest of the debt."—"Yes," replied a voice from the crowd, "thou owest me three drachms of silver." Mohammed heard the complaint, satisfied the demand, and thanked his creditor, that he had accused him in this world rather than at the day of judgment. He then set his slaves at liberty, seventeen men and eleven women; directed the order of his funeral; strove to allay the lamentations of his weeping friends, and waited the approach of death. He did not expressly nominate a successor, a step which would have prevented the altercations that afterward came so near to crushing in its infancy the religion and the empire of the Saracens; but his appointment of Abubeker to supply his place in the function of public prayer and the other services of the mosque, seemed to intimate indirectly the choice of the prophet. This ancient and faithful friend, accordingly, after much contention, became the first Caliph of the Saracens,* though his reign was closed by his death at the end of two years. The death of Mohammed was hastened by the force of a burning fever, which deprived him at times of the use of reason. In one of these paroxysms of delirium, he demanded pen and paper, that he might compose or dictate a divine book. Omar, who was watching at his side, refused his

* Saracen is the name bestowed by the ancient *foreign* writers upon the Arabs. They may have tolerated the title, but it is not one of their own imposition or of their liking.

request, lest the expiring prophet might dictate something which should suspersede the Koran. Others, however, expressed a great desire that the book might be written; and so warm a dispute arose in the chamber of the apostle, that he was forced to reprove their unbecoming vehemence. The writing was not performed, and many of his followers have mourned the loss of the sublime revelations which his dying visions might have bequeathed to them. His favourite wife Ayesha hung over her husband in his last moments, sustaining his drooping head upon her knee, as he lay stretched upon the carpet, watching with trembling anxiety his changing countenance, and listening to the last broken sounds of his voice. His disease, as it drew towards its termination, was attended at intervals with most excruciating pains, which he constantly ascribed to the fatal morsel taken at Chaibar; and as the mother of Bashar, the companion who had died upon the spot from the same cause, stood by his side, he exclaimed, "O mother of Bashar, the cords of my heart are now breaking of the food which I ate with your son at Chaibar." In his conversation with those around him, he mentioned it as a special prerogative granted to him, that the angel of death was not allowed to take his soul till he had respectfully asked of him his permission, and this permission he condescendingly granted. Recovering from a swoon into which the violence of his pains had thrown him, he raised his eyes towards the roof of the house, and with faltering accents ex-

claimed, " O God! pardon my sins. Yes, I come among my fellow-labourers on high!" His face was then sprinkled with water, and that by his own feeble hand, when he shortly after expired.

The city, and more especially the house, of the prophet, became at once a scene of sorrowful, but confused, lamentation. Some of his followers could not believe that he was dead. "How can he be dead, our witness, our intercessor, our mediator with God? He is not dead. Like Moses and Jesus he is wrapped in a holy trance, and speedily will he return to his faithful people." The evidence of sense was disregarded, and Omar, brandishing his scimitar, threatened to strike off the heads of the infidels who should affirm that the prophet was no more. The tumult was at length appeased by the moderation of Abubeker. "Is it Mohammed," said he, "or the God of Mohammed, whom ye worship? The God of Mohammed liveth for ever, but the apostle was a mortal like ourselves, and, according to his own prediction, he hath experienced the common fate of mortality."*

The prophet's remains were deposited at Medina, in the very room in which he breathed his last, the floor being removed to make way for his sepulchre, and a simple and unadorned monument some time after erected over them. The house

* "Mohammed is no more than an apostle: the other apostles hav already deceased before him: if he die, therefore, or be slain, will y turn back on your heels?"—Koran, ch. iii.

"Verily, thou, O Mohammed, shalt die, and they shall die; and ye shall debate the matter [idolatry] with one another before your Lord at the day of resurrection."—Ibid. ch. xxxix.

itself has long since mouldered or been demolished, but the place of the prophet's interment is still made conspicuous to the superstitious reverence of his disciples. The story of his relics being suspended in the air, by the power of loadstone, in an iron coffin, and that too at Mecca, instead of Medina, is a mere idle fabrication; as his tomb at the latter place has been visited by millions of pilgrims, and from the authentic accounts of travellers who have visited both these holy cities in disguise, we learn that it is constructed of plain mason work, fixed without elevation upon the surface of the ground.

ـ الفصل الخامس عشر

- تأملات في الانجازات غير العادية التي حققها محمد ﷺ - وصفه - نظرة عامة على شخصيته وتقويم لها .

P.156 وهكذا انتهت مهمة محمد ﷺ على ظهر الأرض . هكذا انتهت مهمة واحد من أبرز الرجال وأكثرهم جدارة بالالتفات على الإطلاق . هكذا انتهت المهمة الدنيوية لأكثر المدَّعين(*) نجاحا وتصميما . لقد استطاع بطموحه الواسع أن يوجه المواهب الوطنية ، فتطورت بداياته المتواضعة إلى ذروةالقوة بين العرب ، وكان قد بدأ قبل أن يموت ثورة من أعظم الثورات التي عرفها تاريخ البشرية ، لقد وضع أساس امبراطورية استطاعت في ظرف ثمانين سنة فقط أن تبسط سلطانها على ممالك وبلاد أكثر وأوسع مما استطاعته روما في ثمانمائة سنة . وتزداد دهشتنا أكثر وأكثر إذا تركنا نجاحه السياسي وتحدثنا عن صعود دينه وانتشاره السريع واستمراره ورسوخه الدائم . والحقيقة أن ما حققه نبي الإسلام والإسلام لا يمكن تفسيره إلاّ بأن الله كان يخصهما برعاية خاصة ، فالنجاح الذي حققه محمد ﷺ لا يتناسب مع إمكاناته ، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية معقولة .

لا مناص إذن من القول أنه كان يعمل في ظل حماية الله ورعايته . لا تفسير غير هذا لتفسير هذه الإنجازات ذات النتائج الباهرة ، ولاشك أنه يجب علينا أن P.157 ننظر للإسلام (النص الدين المحمدي) في أيامنا هذه بوصفه شاهدا قائما ينطوي على حكمة غامضة لله سبحانه لا ندري مغزاها . (النص : جهوفاه

(*) اعتاد المؤلف أن يصف الرسول ﷺ بهذا الوصف ، مغالطاً ومناقضاً نفسه (أي المؤلف) فكيف يستوي لدعي أن تحقق دعوته هذا النجاح الذي يُقر به المؤلف وكيف يتحقق هذا النجاح عبر أكثر من الف ومائتي سنة (حين حرر المؤلف مُؤلفه هذا) لمدع ولازال الناس من مختلف الملل يدخلون في دين الله (الإسلام) أفواجاً كل يوم ويؤمنون برسالة الهادي محمد ﷺ .(المترجم)

أو يهوفاه أو يهوه والمقصود الله سبحانه وتعالى) حكمة لا تفهمها عقول البشر أو على الأقل لا تفهمها عقول البشر حتى يتحقق الغرض منها .

وكان محمد ﷺ على وفق ما ذكره كتّاب سيرته من العرب معتدل البنية جميل الملامح متورّد الوجه . رأسه كبيرة متناسقة . شعره أسود ناعم لامع . له عينان سوداوان لامعتان . ولم يكن معتادا أن يكون مزاجه حاداً لذا ففي الفترة التي مات فيها قلما كان يظهر عليه أي علامة من علامات كبَر السن ، وكانت ملامحه فخمة ومنتظمة أيضًا ، وكان خداّه ممتلئان ، كما كان بارز الجبهة . وكان حاجباه ناعمان ممتدّان يقترب طرف الواحد منهما من طرف الآخر لكنهما لا يلتقيان . وبين حاجبيه عرق بارز كان ينبض أسرع وأعلى من المعتاد إذا غضب . وكان له أنف معقوف (كمنقار النسر) وفم كبير وأسنان منتظمة لامعة كأسنان المشط جميلة متباعدة (بينها فُرَج) . وكان إذا ضحك ظهرت أسنانه كاللآلئ البيض إن كان لنا أن نصدّق المرويات . ومع أنه كان يضحك إلاّ إنه كان إذا ضحك وقورا مهيبا وإذا ابتسم تقلصت عضلات فمه وخدّيه مما يجعل **P.158** لابتسامته جاذبية لا تُقاوم . وفي أعوامه الأخيرة غدا بدينا ، لكنه كان دوما قادرا على الحركة متحررا طلقاً مهيباً حلو الحديث .

ويمتدح الكتاب المسلمون شخصية نبيهم بغير حدود بل إن من بينهم من ابتدعو حكايات توصف بالغباء مؤدّاها أن ملكان (بفتح الميم واللام) أخذاه وهو في طفولته وشقا بدنه بسكين واستخرجا قلبه وضغطا عليه وعصراه حتى استخرجا منه الفساد الأصلي (أو المتأصل في الإنسان) فتساقط على هيئة قطرات سوداء نتنة ثم أعادوا قلبه إلى موضعه طاهرا نقيا ، أما الجرح الناتج عن شق الصدر (النص : البدن) فقد التأم بشكل اعجازي ، لذا فإن أخلاقه ظلت فوق مستوى الجنس البشري . لكننا نجد هنا أن تاريخ حياته وصفحات القرآن الكريم تمكننا من النظر إلى هذه الأمور التي نسبوها إليه من خلال إنجازاته الشخصية ، مما يجعلنا نتشكك فيها ولابد . لقد مجدّه أتباعه لتقواه وصدقه وعدالته وتواضعه وصدقه وإنكاره لذاته . إنهم لا يساورهم أدنى شك في أنه نموذج كامل للإيمان

والصدق . إنهم يتحدثون عن إحسانه ويركزون عليه بشكل خاص ، فهم يقولون أنه كان محسناً بشكل واضح لا يمكن إغفاله فقلما كان يحتفظ في بيته بمال أكثر مما يكفي لإعاشة أسرته بل إنه كان يُؤثر على نفسه فيقدم للفقراء ما يحتاج هو إليه . ربما كان الأمر كذلك ، لكن عندما نكوّن رأياَ حول هذه الصفات الخُلقية التي تحلّى بها لا يمكن أن ننسى أنه كانت له غايات خاصة يريد تحقيقها . لذا فمن P.159 المحال أن نفصل بين دوافعه لعمل الخيرات الصادرة عن قلب نبيل ، ودوافعه لعمل الخيرات لتحقيق مصالح سياسية . ليس من غير المعتاد أن يصاحب الرغبة الشديدة في الحكم عواطف أو رغبات أخرى أحيانا ما تكون متناقضة تناقضاً شديداً وغير متسقة بأية حال من الأحول ، ومع هذا نجدها متّسقة يخضع بعضها لبعضها الآخر بحكم الضرورة ، فالطموح - أحياناً - يسيطر على نزعة حب المال أو الجشع ، وحب المسرات لا يحكم كليهما (الطموح والجشع) كما نلاحظ في حالات كثيرة . فالإنسان قد يهدف لأن يكون عادلا كريما ، وأن يتصرف بوصفه قديسا عندما لا يكون لديه باعث سوى لتقمص شخصية نبي وسلطان ملك . فإن كان محمد ﷺ حقيقة قد تحلّى بفضائل نبي فلاشك أنه كان يضع عينيه على ما يحوزه النبي من مكافأة أو جزاء . لكن لا ينبغي أن نقسو في حكمنا - دون مبرر - على صفاته الخلقية . إننا نظن أنه من غير المحتمل ألاّ ، تكون تصرفاته طيبة وطبيعية ومتفتحة ونبيلة جذابة وربما عظيمة متسمة بالشهامة وسعة الأفق ونحن نظن أن الكتاب المسيحيين ظلموا الرجل (يقصد محمداً ﷺ) نظراً لمقتهم له . لكن طالما نحن نبغي الحقيقة التاريخية فيما يتعلق بالإسلام ومؤسِّسة(*) فإننا نجد أنه من الواضح أنه إذا كان يمتلك في طبيعته صفات جديرة بالثناء فَيجب أن يتوقفوا عند عن التعرف عليه في مراحل تطور حياته لأن صفاته السيئة تواكب نجاحاته ، وميله لانتهاك القانون زاد كلما امتد به العمر .

أما عن ملكاته العقلية فإن أتباعه يُطرونه كثيرا ، كما سبق أن أطروا صفاته الخلقية ، فعبقريته وسموّه اللذان يسموان عن الحاجة للثقافة لم تكونا نتيجة علم تلقاه

(*) هكذا في الأصل ، وفي عنوان الكتاب . لكن الصواب : نبي الله وناشر دين الإسلام .(المترجم)

P.160 أو كتب قرأها بل نتيجة مواهب فطرية في عشيرته السامية النابغة في النبوّة والشعر ، فتمكن - كما ورد في القرآن الكريم - من الحديث بفصاحة وبلاغة لا نظير لهما على غير مثال سبق يحتذيه ودون معلم يعلمه ، لكن الذين قالوا هذا فاتهم أنهم يمتدحون نبيهم على حساب ما أوحي إليه ، فبقدر ما يمتدحونه بقدر ما يقللون من صدق الوحي ذلك أن محمداً نفسه يشير دائماً إلى أن الوحي نزل على نبي أمي حاملا معه أسطع برهان على أنه ليس من كلام بشر إن هو إلاّ وحي يوحى ، وعلى أية حال فإن القارئ يحكم بنفسه على الإعجاز الأدبي للقرآن والمواهب العقلية لمؤلفه (يقصد محمداً ﷺ) . ويمكننا أيضا أن نوافق على ما يقوله المؤلفون المسلمون أنه كان حاد الذهن حصيفا ذكياً حاد الذاكرة بارعاً في فهم الطبائع البشرية ، زادته رحلاته واتصالاته الواسعة حنكة . وكان في التلميح والحديث لا نظير له . ولا نستطيع أيضا أن ننكر عليهم قولهم إنه كان عذب الحديث لطيف العشرة ولم يكن في الوقت نفسه ثرثاراً . ولديه قدرة فائقة على جذب الأصدقاء والأتباع وربطهم بشخصه .

وبشكل عام يمكننا أن نخلص من دراسة حياته وأعماله أنه وُهب شخصية **P.161** متفوقة زاد تفوقها مع تقدم العمر . يمكننا أن نخلص إلى هذا ونحن مطمئنين تماما . لكن العصر الذي ظهر فيه والبلاد التي بزغ فيها نجمه كانا يتسمان بالفظاظة والبربرية . وربما كان مستواه (الحضاري) عظيما بين القبائل البدوية ولكنه ما كان ليكون أكثر من إنسان عادي لو عاش في المحيط الأوربي المتحضر . فطبائع الإنسان تتكيف كثيراً على وفق الظروف التي يعيش فيها والثروات التي يتمتع بها كما يتأثر بعبقرية قومه وانضباطهم وبما لديهم من انحراف وميل عن الطريق السّوي . كان من الممكن أن يغرق مؤسس الإسلام وامبراطوريته في بحر النسيان مع ملايين مجهولين من جنسه كما تمتص الرمال قطرات المطر في صحاري بلاده(*) . إن تاريخ محمد كله يظهر أن التعصب والطموح والشهوة كانت هي الدوافع التي تحركه كما

(*) لقد زاغ عقل بوش (المؤلف) وحاد فكره عن الصواب ، ولم يسأل نفسه كيف يؤمن (هو) بدين المسيح عليه السلام ، وبدين موسى عليه السلام . وقد ظهرا في المناطق ذاتها ، الذي ظهر فيها محمد ﷺ ، ألم يكن ذلك سبيلا ومغزى يتدبره إن كان له عقل .(المترجم)

كانت هي العواطف والانفعالات المتأججة في صدره ، ويبدو أن التعصب قد راح يخبو تدريجيا بزيادة قوة العاطفتين الأخريين (الطموح والشهوة) . ومع أنه كان متحمسا بطبعه إلاّ أنه أصبح بحكم الظروف السياسية مُرائيا ، وكلما زادت ميوله ونزعاته انحرافا ، لم يتورع عن إشباعها على حساب الحق والعدل والصداقة والروح الإنساني ، حقيقة أنه يجب علينا عند تقويم سلوكه في جوانبه الأكثر بغضا أن نضع في اعتبارنا جهل من كان يعيش بينهم وإجحافهم وجاهليتهم وطبيعة شرائعهم . فالشعب الوثني البربري لا يمكن حكمه على وفق المقاييس المسيحية أو القواعد المسيحية . P.162 فهو عندما عدّد الزوجات لم يفعل أكثر مما كان الناس يفعلونه في تلك البلاد إذ ساد بينهم تعدد الزوجات منذ وقت باكر . وكذلك ، وإن كان لا يمكننا الدفاع عن قتله لكعب وسفيان ، فإنه يمكننا إلى حد ما إيجاد مبرر له ، فالنبي كان ينظر لهما بوصفهما عدوين يهدّدان حياته ، وهوبفعله هذا لم يرتكب إثماً من وجهة نظر الجنس العربي . وحتى يومنا هذا لا نجد صفة أكثر شيوعا بين أتباع محمد في بلاد الشرق كلها من الاستهتار بالحياة ، وهذا بلا شك يرجع إلى حد كبير لعادات أهل البلاد ، وأيضا لنزعتهم المتأصلة للقسوة (أو العنف) . حقيقة أننا يجب أن نفكر في أخلاق هؤلاء الناس (المقصود العرب والمسلمين) - مع استثناءات قليلة - بسخط عليهم وعلى أي نبي دعى ، وفي الوقت نفسه نعترف بأن هذا النبي طهر شرائع قومه الأخلاقية مع أنه عمل على استمرار ممارسة أسوأ ما كان لديهم من أفكار . هنا- في الحقيقة- نوقع أثقل اللوم على محمد ﷺ . أنه لم يراع القواعد الأخلاقية التي قال بها هو نفسه والتي فرضها على الآخرين بأوامر صارمة مرعبة . ليس من عذر نقدمه لمحمد ﷺ في هذا . لقد أساء استعمال حقوق النبوّة التي ادّعاها ليستر اسرافه في حياته الشخصية ، فتحت ستار الوحي أعفي نفسه من شرائع أتى بها دينه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأحزاب :50) .

P.163 هذه الميزة المبالغ فيها التي تمتع بها النبي ربما تناقضت مع ما هو مسموح لأتباعه أو ما هو مسموح به لسائر المسلمين :

﴿ . . .فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً . . . ﴿٣﴾ ﴾ (النساء :3) .

ويمنعنا الحياء من الدخول في تفاصيل هذا الجانب من حياة محمد ﷺ وشخصيته (يقصد الجانب المتعلق بالزواج وملك اليمين) ، لكن القارئ يستطيع من خلال ما ذكرناه آنفا أن يدرك كيف استغل النبي نبوته بوصفها أداة لإشباع الرغبات الحسية(*) . ومن الأمثلة الصارخة ما حدث من اتصاله بالجارية المصرية مارية (القبطية) لقد وصل خبر هذا الحب المحظور (الاتصال بملك اليمين) لمسمع إحدى زوجاته الشرعيات ، بل لقد رأت بعينيها ما حدث (أي هذا الاتصال الجنسي) فوبخته توبيخاً مريراً فوعدها مقسما - ليهدّئها- ألاّ يعود لهذا . لكن طبيعته غلبت عليه بعد ذلك بوقت غير بعيد فلجأ إلى الوحي ليغطي هذا الخزي P.164 فكان لا بد من نص قرآني يُحلّه من قسمه الآنف ذكره . وتلك صفحة سوداء لوّثت القرآن الكريم ومؤلفه (يقصد محمداً ﷺ) :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ (التحريم :1، 2) .

هنا نجد الأمر يتناقض مع ما يفرضه نبي الحق على أتباعه ، فنحن نقرأ في

(*) فيما يتعلق بالرد على هذه المزاعم المبكرة في الفكر الغربي المغرض ، والتي كانت أساساً لمرجعيات كثيرة مُغرضة دأبت على هذا التأويل الجاهل المغرض . وقد انبرى كثير من المفكرين والكتاب المسلمين وغيرهم من المعتدلين للرد على هذه الدعاوى المغرضة . وننصح بالرجوع في ذلك إلى كتابين للدكتور «أحمد محمد الحوفي» هما «من أخلاق النبي» و«سماحة الإسلام» نشر نهضة مصر بالقاهرة . كما ننصح بالرجوع إلى كتاب قيم صدر مؤخراً لمؤلفه الدكتور «عبد القادر الشيخلي» بعنوان «ثقافة الحوار في الإسلام» صدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض أغسطس 2003 ، وفيه مبحث بعنوان «مسألة زواج النبي بأكثر من امرأة» وقد نقلنا عن كتاب «من أخلاق النبي» للدكتور الحوفي ، فصلاً بعنوان «زوجات النبي» يدحض فيه مفتريات المغرضين ، نجعله ذيلاً لهذا الفصل . (الناشر)

القرآن الكريم ما فرضه عليهم في الآيات التالية :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ...(٩٢) ﴾ (النحل :91، 92) .

وفي السورة نفسها :

﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) ﴾ (النحل : 94) .

هذه مجرد أمثلة من الطبيعة العامة للقرآن الكريم ، إن الجزء الأكبر منه- إلى حد كبير - قد صيغ لتحقيق أغراض خاصة ليكون ذريعة قلما تفشل إذا تعذرت الذرائع الأخرى فجبريل ينزل بوحي جديد -دائماً- مطابق للغرض(*) المطلوب P.165 تحقيقه ، إن شرع النبي في مشروع جديد ، وإن واجه اعتراضات جديدة وإن كانت هناك صعوبات يجب حلها أو تجاوزها وإن نشب نزاع بين أتباعه . . لذا فإننا نجد - كنتيجة حتمية لهذا - اختلافات وتناقضات في هذا الكتاب (يقصد القرآن الكريم) يصعب إنكارها . ومفسرو القرآن ، والمسلمون عامة يعرفون هذه الحقيقة لكنهم يبرّرون ذلك بقولهم إذا ناقض الوحي اللاحق الوحي السابق فإن الوحي اللاحق نسخ أو الغي الوحي اللاحق وهناك أكثر من

(*) نرجو أن يفهم القارئ المسلم - وغيره- أننا ننقل نصاً نختلف معه ، ولكن نضعه بين أيدي المسلمين والحكماء منهم ، ليقفوا على جذور ومرجعية ما يختصمهم الآخرون مع هذا الدين - منذ وقت مبكر ، وبطبيعة الحال ، فنحن أشد حرصاً على سيرة نبينا المطهرة ، وخلقه الذي هو خلق القرآن الكريم ، وما أباحه الله سبحانه وتعالى لنبيه ، ليس موضع شك من أي مسلم .

وقد أفاض الإمام الشيخ الشعراوي - رحمه الله - بما أتاه الله من علمه في دحض دعاوي بعض الغربيين الذين لايزالون يعتنقونها من مرجعية هذا الفكر ، فرد عليهم في هذه الناحية ، بما معناه : هل يُبيح أحدكم أن يتمزج ماؤه مع ماء غيره إذا أتى زوجته ، فقالوا له بالطبع لا ، فرد عليهم لقد جاء التنزيل بأن يُطهر وعاء المرأة حفاظاً على النسل والأنساب فلم يجعلها مرتاداً خصباً لهذه الآفة . وإنما جعل لها مرتاداً واحداً ، وقد جاءت الأبحاث الطبية بما شاع من الآفات المرضية التي لا علاج لها - حتى الآن- نتيجة لإباحة البغاء والزنى ، مؤكدة على مغزى التشريع الإسلامي في هذه الناحية ، ولم يترك الإسلام مسألة التعدد للزوج إلا بشروط مفهومة في الشريعة الإسلامية .(الناشر)

مائة وخمسين آية ينطبق عليها هذا (حكم الناسخ والمنسوخ) بل إن الدّعى نفسه (يقصد محمداً ﷺ) يؤكد هذا ، ففي القرآن (الكريم) :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) ﴾ (البقرة : 106) .

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾ (النحل : 101) .

وإذا وُجه المسلمون المعاصرون بهذا - كما حدث أثناء نقاش هنري مارتين معهم - أجابوا : هذا الاعتراض تافه لا جدوى منه لأن الله سبحانه يراعي دائماً P.166 ما هو لازم لعبيده ، ولا شك أن الآيات المنسوخة نزلت في وقت اختلفت أحواله عن أحوال لاحقة كان لها مقتضيات أخرى . فالله واهب الشريعة الإلهية لابد أن ننظر إليه بوصفه معالجاً روحياً لعبيده تماماً . كما يصف الطبيب لمريضه المناسب لعلّته»(*) .

إن التلميذ هنا (يقصد المسلم القائل بهذا) جدير بأستاذه (المقصود نبيه محمد ﷺ) لأنهما متفقان على أن مبادئ الأخلاق الكبرى ليست خالدة دائمة غير قابلة للتغيير مرتبطة بالعلاقة الدائمة بين الخالق وخَلْقه . وإنما هي مجرد قواعد أو أحكام اضطرارية قابلة للتخفيف والتعديل أو حتى التغيير على وفق ما تمليه الظروف . وبالنظر إلى هذه الوسيلة الهزيلة (التافهة) لإبطال أو لنسخ بعض الواجبات التي فرضها الله سبحانه ، لاستخدامها - أي هذه الوسيلة التافهة أو الهزيلة - لصالح الضعف البشري وتقلّب الأهواء ، فإن المرء يدهش أن يعمى أتباعه (المسلمون) عن هذا التضليل والخداع . ليس هناك ما هو أقوى من هذه الحجة . وليس هناك ما هو أسخف من هذا في أيّ دين ومع هذا فالمسلمون مؤمنون به ، إنه دليل على سذاجتهم وسرعة تصديقهم . إنه استخفاف بعقولهم .

(*) Mahometanism Unveiled. rol.II, p.404.

زوجات النبي ﷺ

نقلاً عن كتاب «من أخلاق النبي» للدكتور أحمد محمد الحوفي، ح 2، ص 67 - 113، نهضة مصر، القاهرة 1992، وفيه نفنيد لمزاعم المؤلف حول هذا الموضوع.

تفصيل وتعليل :

فلنشرع في تفصيل زواجه ﷺ مقروناً ببيان الأسباب والملابسات والأهداف من كل زواج، لينكشف الحق الذي لا مراءَ فيه.

1- السيدة خديجة [1] :

ينطق تاريخ النبي ﷺ بأنه قضى أنضر سنوات شبابه وأشدها إغراء بالمتعة التي كانت ميسورة في مكة، وعاش أعظم أيامه هدوءًا أو فراغًا لنفسه نزيهًا عفيفًا، ولم يخطب ولم يتزوج إلى أن بلغ الخامسة والعشرين.

فلو أنه ﷺ كان من روَّاد الاستمتاع كما يزعم المبطلون لانحرف قبل زواجه.

ولو أنه كان ظامئًا إلى النساء لتعجَّل الزواج في سن مبكرة على عادة الشبان من قومه ومن أترابه.

ولكنه بقى إلى الخامسة والعشرين حتى تاجر للسيدة خديجة بنت خويلد في مالها، فأعجبتها أمانته وسيرته.

وكانت السيدة خديجة من ذوات الحسب والثراء، وكانت قد تزوَّجت مرَّتين في بني مخزوم، ثم خطبها كثير من كبار قريش، فرفضتهم، لأنها أيقنت أنهم يريدونها لثرائها.

---

(1) الاستيعاب لابن عبد البر : 4/ 1817، 1824، 1825، 1882، وأسد الغابة لابن الأثير : 5/ 434 والإصابة لابن حجر العسقلاني : 8/ 60، وفتح الباري : 9/ 285 وتاريخ الطبري : 2/ 196.

فماذا كان الصدى لإعجابها بأمانة مُحَمَّد ﷺ وسيرته؟

لقد أرسلت هي إليه أُختها أو صديقتها، فقالت له: ما الذي يمنعك أن تتزوج؟

قال: لستُ أملكُ ما أتزوَّجُ به.

قالت: فإنْ كُفِيتَ ذلك، ودُعِيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءَة، ألا تُجِيبُ؟

قال: فَمَنْ هي؟

قالت: خديجة بنت خويلد.

قال: فكيف لي بذلك؟

قالت: عليَّ ذلك.

فأعلن لها رسول الله ﷺ رضاه، وهو يعلم أن خديجة تكبره بخمسة عشر عاماً أو أكثر، ويعلم أنها تزوجت قبله مرَّتين.

ثم تم زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة، فتوارى فارقُ السِّنِّ أمام السعادة والوفاء وطيب العشرة والبهجة بالبنين والبنات، إذ ولدت له السيدة خديجة: القاسم، وعبدَ اللّه «وهو الملقَّب بالطَّاهر والطِّيِّب[2]»، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة، ورقيَّة.

وإنه ليسترعى النظر أن النبيَّ ﷺ كان وهو يسعد بهذه الحياة الزوجية مع السيدة خديجة يترك بيته الليالي ذوات العدد يقضيها مفكرًا متعبِّدًا في غار حراء، ويحرص على التحنث في هذا الغار شهر رمضان من كل عام، حيث يُحْمَلُ إليه ما قلَّ من الطعام، فلو أنه ﷺ من ذوي الكَلَف بالنساء ما فارق بيته إلى غار قفر في جبل موحش يقضي به الليالي وحيداً فريداً، لا يؤنسه إلا تفكيره وتبتُّله.

(2) زاد المعاد لابن القيم، والروض الأنف للسهيلي، والمعارف لابن قتيبة.

ولقد توارى فارق السن بين النبي ﷺ وزوجته أمام السعادة الزوجية وأمام ما نهضت به السيدة الجليلة من مسارعتها إلى التصديق برسالة محمد ﷺ وتثبيتها له، ومشاركتها إيَّاه بنفسها وبمالها في البأساء، والضرَّاء إلى أن اختارها اللّه تعالى.

فقد كانت أول من آمن به من النساء، وكان لا يجد من المشركين ما يكره إلاَّ خفَّفت عنه وأيدته وهوَّنت عليه.

لم ينس تاريخنا العظيم لقاءها الحبيب للنبي ﷺ حينما نزل عليه الوحي أول مرة، وقد عاد إليها يرتجف، فضمَّته وهدَّأته، وقالت له: واللّه لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصلُ الرَّحمَ، وتصدُقُ الحديث، وتؤدِّي الأمانة، وتحمل الكَلَّ، وتقْرِي الضيَّفَ، وتُعينُ على نوائب الحقِّ.

ثم انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصرَّ، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فقصَّت عليه خبر مُحَمَّد ﷺ، وأبدت له إشفاقها عليه، فأطرق مليّاً، ثم أخبرها بأن ما أتى مُحَمَّدًا هو الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وبشَّرها بأنه سيكون نبَّي هذه الأمة، وعليه أن يثبت ولا يفزع، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرتْه بما قال ورقة[3].

على أن النبيَّ ﷺ عاش مُكتفياً بالسيدة خديجة وحدها خمساً وعشرين سنة لم يشرك معها ضرةً، ولم يفكر في أن يضم إليها زوجة في مجتمع يجري على تعدُّد الزوجات، وفي فترة من العمر هو فيها يستمتع بريعان القوة وهي تنحدر إلى الكبر والشيخوخة.

فلما افتقدها وعمرها أربع وستون سنة أو خمس وستون[4]، حزن عليها حزناً يليق بجلال النبوَّة وعظيم الوفاء.

(3) سيرة ابن هشام: 1/ 254، وتاريخ اطبري: 2/ 205، وأسد الغابة: 5/ 436.

(4) الاستيعاب: 4/ 1818، 1825 وأسد الغابة 5/ 438.

ولم يزل طيلة حياته وفيّاً لها، يُعطّر ذكراها بالثناء عليها في غير كتمان لإعجابه بها وحدبه على طيب ذكرها، على مسمع من زوجاته فيما بعد، حتى إن السيدة عائشة قالت: مَا غِرْتُ من امرأة مثل ما غرت من خديجة، لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إيَّاها، حتى إنه كان يذبح الشّاة فيتتبع صديقات خديجة يهديها إليهن.

وقالت (رضي اللّه عنها): كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلاّ عجوزاً أبدلكَ اللّه خيرًا منها؟ فغضب حتي اهتزَّ مُقَدَّم شَعْره من الغضب، ثم قال: لا واللّه، ما أبدلني اللّه خيرًا منها، آمَنَتْ بي إذ كفرَ النَاسُ، وصدَّقتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواستني في مالها إذ حرمني الناسُ، ورزقني اللّه منها أولادًا إذ حرمني أولاد النساء.

قالت السيدة عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بسوءٍ أبدًا. وقد توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات.

2- **سَوْدَةُ بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس**(5):

كانت من أسبق النساء إلى الإسلام، أسلمت هي وزوجها - ابن عمها- السكران بن عمرو بن عبد شمس، وخالفت بإسلامها بني عمها وأقاربها، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة في الهجرة الثانية فرارًا من إيذاء المشركين لهما، فلما عادا إلى مكة توفى زوجها.

كانت السيدة سودة كبيرة السن ثقيلة بطيئة الحركة، لا تستطيع أن تجد الكفء الذي يرضاها زوجة له، وكانت حسيبة لا ترضى أن يتزوجها من لا يكافئها ولا يعادلها.

(5) الإصابة: 8/ 117، والاستيعاب: 4/ 1867، وسيرة ابن هشام: 4/ 11، 293 وأسد الغابة: 5/ 484.

ولم تكن تستطيع أن ترجع إلى أهلها الذين أسلمت على كره منهم ، لئلا يؤذوها ويردوها عن الإسلام .

فماذا فعل النبي ﷺ؟ :

لقد كرَّمها ؛ إذ تزوجها قبل الهجرة بسنتين ، ولكنه لم يَبْنِ بها إلا في المدينة ، أي بعد موت السيدة خديجة بثلاث سنوات .

كان هذا الزواج حماية لسودة من أذى قومها الغلاظ ، وكان تكريماً لمبادرتها إلى الإسلام ، وفرارها بدينها ، وصبرها على الاستمساك بعقيدتها ، وكان مواساة لها عن زوجها ، ولم يخل هذا الزواج من استمالة قومها وتأليف قلوبهم ، لأنهم صاروا أصهار رسول الله ﷺ ، فهو إذاً زواج تكريم ومراعاة لصالح الإسلام ، لا زواج استمتاع واستكثار .

ولا يصح أن ننسى أنها كانت - إلى كبر سنها - ثقيلة الحركة وبها حدَّة ، ولهذا قالت للنبي ﷺ : أنت في حلٍّ من شأني ، وإنما أودُّ أن أُحْشَرَ في زُمرة أزواجكَ ؛ وقد وَهَبْتُ يومي لعائشة .

وقد أمسكها رسول اللّه ﷺ حتى توفى عنها مع سائر من توفى عنهن من زوجاته .

3- عائشة بنت أبي بكر[6] :

هي ابنة صديق النبي الأول ، وحبيبه الأثير المقرَّب ، ورفيقه في هجرته ، وظهيره في جهاده ، رفيقه الذي طالما بذل من نفسه ومن ماله لنصرة الإسلام ومؤازرة رسول الله ﷺ ، حتى استحق أن يكون أقرب الناس إلى نفسه ، وأن يكون بمثابة وزيره الأول .

---

(6) الاستيعاب : 4/ 1881 ، والإصابة : 8/ 139 ، والطبقات الكبرى 8/ 45 ، وتذكرة الحفاظ للذهبي : 1/ 16 ، وأسد الغابة : 5/ 501 .

فبماذا يكرم النبي ﷺ حبيبه أعظم من أن يزيده قُربًا إلى قربه وشرفًا إلى شرفه؟

لم يكن ثمة أولى مِنْ أنْ يصهر إليه ، فيتزوج كريمته السيدة عائشة .

تزوجها النبي ﷺ وهو في حاجة إلى زوجة بعد وفاة السيدة خديجة بثلاث سنوات ، لأنَّ السيدة سودة بنت زمعة كانت - كما سبق - زوجة اسمًا لا فعلاً ، إذ تزوجها النبي ﷺ تكريمًا لها ، وتألفًا لقومها ، وهي كبيرة السن ، عالمة بحالها ، ولهذا أعلنت النبي ﷺ بأنه في حل من شأنها ، وأنها لا تبتغي غير تشريفها بأنها إحدى زوجاته .

وإذ كان النبي ﷺ بشراً كامل البشرية - وإن كان قمتها - يجوع ويشبع ، ويظمأ ويروى ، ويصحو وينام ، ويصح ويمرض ، ويرضى ويغضب ، فإنه في حاجة إلى زوجة ، لأنه لم يَدَّعِ لنفسه أنه مَلَكٌ ، ولم يَصفْهُ القرآن الكريم إلاَّ بما وصف به سابقيه من الرسل والأنبياء أنهم أُناسٌ اختَارهم اللّه تعالى لتبليغ شرائعه ، وكان لكل منهم زوجات وأبناء . ولم تجيء شريعة من هذه الشرائع على خلاف هذا ، ولم يجيء الإسلام ليحبب إلى البشر الرهبانية ، بل جاء ليكفل صلاح أمور الناس في دنياهم وفي أخراهم .

وقد تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة من قبل ، وكان له منها أولاد ، وصبر بعد موتها ثلاث سنوات ، فلا غضاضة في أن يتزوج بعدها .

على أنه ﷺ صاحب بيت ، ولابد للبيت من زوجة تدبر شئونه ، وترعى مصالحه ، وتعده ليأوى إليه النبي ﷺ وهو صالح لمأواه ، وتزيده أُنسًا إلى أُنسه ، وتعطر بيت النبوة العظيم بشذى من رقة الأنوثة وحنانها ، وتحقق قوله تعالى في بيان بعض نعمه على عباده : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم :21) .

وإذا كان آلاف من المسلمين والمسلمات يودون أن ينهضوا بخدمة بيت النبي ﷺ فإنهم لا يكفلون طمأنينة البيت وهدوءه وراحته ووقاره كما تكفله الزوجة ، ولا يستطيعون أن يحققوا ما جاءَ في الآية الكريمة من معاني السَّكَن والمودَّة والرحمة .

ثم إنَّ معاشرة النبي ﷺ لزوجاته تتيح لهن أن يعرفن كثيراً من التشريع والأحكام والحلال والحرام والمباح ، وتتيح لهن سماع كثير من أحاديثه وروايتها ، كما يتبيَّن لمن يقرأ كتب الحديث المفصَّلة ، وكتب الفقه المبسوطة ، وسيجيء طرفٌ من هذا في النتائج .

على أن وجود زوجة في بيت النبي ﷺ كان مشجِّعًا للنساء على أن يفدن إلى بيته كما يفد الرجال ، ليسألن عن شئون دينهن كما يسأل الرجال عن شئون دينهم ، ويسألن السيدة عائشة عما يتحرجن من سؤال النبي ﷺ عندما يختص بالنساء .

وقد كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) ذكية سريعة الحفظ مشهورة برواية الحديث والتفقُّه في الدِّين ، ولهذا كان كبار الصحابة إذا أشكل عليهم أمرٌ في الدِّين استفتوها فأفتتهم .

قال أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) : ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا .

وقال مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض[7] .

وقال الذهبي : كانت من أكبر فقهاء الصحابة ، وكان الفقهاء من أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها[8] .

---

(7) الطبقات الكبرى لابن سعد : 8/ 45 ، والإجابة لإيراد ما استدركته عائشة (رضي الله عنها) على الصحابة : 61 ، والاستيعاب : 4/ 1883 .

(8) تذكرة الحفاظ للذهبي : 1/ 16 .

ولم يقتصر تفوقها على رواية الحديث وعلى الفقه فحسب ، بل كانت فصيحة اللسان ، قوية البيان ، حافظة لكثير من القصائد ، حتى إن هشام بن عروة حدَّث عن أبيه أنه قال : ما رأيتُ أحداً أعلم بفقهٍ ولا بطب ولا بشِعْرٍ من عائشة[9] .

وحدث أبو الزناد فقال : إنه ما رأى أحداً أرْوَى للشعر من عروة ، وإن عروة ، قيل له : ما أكثر روايتك ، فقال : وما روايتي في رواية عائشة ؛ ما كان ينزل بها شيء إلاّ أنشدت فيه شعراً[10] .

وقالوا إنها كانت تروي القصيدة ستين بيتًا والقصيدة مائة بيت[11] ، وكانت لَبِقَةً حصيفة في الاستدلال بالشعر والتمثُّل به ، وقد أسمعتَ النبيَّ ﷺ بيتين من شَعر أبي كبير الهذلي ، فسُرَّ منها وقبَّل ما بين عينيها[12] .

فهي إذاً قديرة على حفظ الأحاديث النبوية واستيعابها وفهمها ، وقديرة على حفظ كثير من الأخبار الخاصة بحياة النبي ﷺ في بيته وفي خلواته ، وقديرة على تفهُّم مالا تستطيع غيرها من النساء أن يتفهَّمنَ من تشريعٍ لأحوال خاصة ، ولهذا سجَّل الرواة كثيراً من الأحاديث النبوية التي روتها ، ودوَّنوا كثيراً من الأخبار التي وعتها ، واستند الفقهاء إلى آراءٍ شتَّى نُقِلت عنها ، كما سيجيء في نتائج الدراسة .

لقد كان زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة (رضي اللّه عنها) استجابة للصداقة ، ولحاجات البيت العظيم ، وكان فيه خير للإسلام وللمسلمين من رجال ونساء .

---

(9) الاستيعاد : 4/ 1883 ، والإصابة : 8/ 140 ، وأسد الغابة : 5/ 504 ، وتهذيب التهذيب : 12/ 35 .
(10) الإصابة : 8/ 140 ، والطبقات : 8/ 50 ، والاستيعاب : 2/ 765 .
(11) الطبقات : 8/ 50 .
(12) الإحياء للغزالي : 3/ 109 ، ودلائل النبوة للبيهقي .
(13) الاستيعاب : 4/ 1811 ، والإصابة : 8/ 52 ، وأسد الغابة : 5/ 435 .

4- حَفْصَةَ[13] :

تلك ابنة ساعده الآخر ، وظهيره ونصيره الذي كان بمثابة وزيره الثاني .

كان زوجها الأول خنيس بن حذافة السهمي قد توفي جريحاً في غزوة بدر ، فذكرها عمر لصديقه أبي بكر لعلّه يتزوجها ، فسكت أبو بكر ، فاستاءَ عمرُ .

ثم عرضها على صديقه عثمان بن عفان - وكانت زوجته رقيَّة بنت رسول الله ﷺ قد توفيت - فقال عثمان : ما أريدُ أنْ أتزوَّجَ اليومَ ، لأنه كان يريد أمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، فعزَّ على عمر إعراضُ صديقيه : أبي بكر وعثمان .

فماذا يفعل؟

ذهب إلى رسول الله ﷺ ملاذهم جميعاً ، فشكا إليه أبا بكر وعثمان ، فتدارك الرسول بقلبه الكبير ما داخل نفس عمر من صديقيه ، ونَوَّله خيرًا مما كان يريد ؛ إذ قال له : يتزوَّجُ حفصةَ مَنْ هو خيرٌ مِنْ عثمان ، ويتزوج عثمانُ مَنْ هي خيرٌ من حفصة . ثم خطبها النبي ﷺ إلى عمر ، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة ، وتزوج عثمان أمَّ كلثوم .

فهذا الزواج إذاً ضَرْبٌ من الحفاظ الشديد على صفاء الصِّلات التي بين الإخوة المقربين إلى النبي ﷺ والذين يؤازرونه في نشر الدعوة .

وهو تكريم لعمر كما كان زواج عائشة تكريماً لأبي بكر .

وهو بلسم يشفي ما عساه أن يكون قد مَسَّ قلب عمر (رضي الله عنه) من رفض صديقيه : أبي بكر وعثمان .

ومن ذا الذي يحظر على الرئيس الأكبر والقائد الأعلى أن يحرص على الصفاء بين أتباعه المخلصين ، وأن يسوي بينهم في التقريب والتكريم؟

---

(14) الاستيعاب : 4/ 1920 ، 1939 والإصابة 8/ 240 ، وأسد الغابة : 5/ 588 .

وليس أدلَّ على أن زواج النبي ﷺ بحفصة تشريف لعمر من أنَّ عمر لما بلغته إشاعة أن رسول الله ﷺ طلق زوجاته - ومنهن حفصة - حثا التراب على رأسه ، وقال : ما يَعْبَأ الله بعمر وابنته بعد هذا .

ولم يهدأ إلا بعد ما استيقن أن رسول الله ﷺ لم يطلق زوجاته .

على أنَّ هذا الزواج تكريم لحفصة نفسها ، وتعويض عن زوجها الذي فقدته في غزوة بدر ، ومواساة عالية .

5- أمُّ سَلَمَةَ هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة المخزومي[14] :

تزوجها النبي ﷺ سنة اثنتين من الهجرة بعد غزوة بدر ، وكانت زوجة لأبي سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم .

فلماذا تزوجها رسول الله ﷺ؟

لقد كانت هذه السيدة من السابقات إلى الإسلام ، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة ، ثم عادا وهاجرا إلى المدينة ، وشهد زوجها غزوة بدر ، وكان فارس القوم ، ثم اشترك في غزوة أُحد ، فأصابه جرح مات منه .

كانت بين النبي ﷺ وأبي سلمة صلةٌ أُخرى حميمة ، لأنه ابن بَرَّة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، ولأنه أخوه من الرضاع .

وكانت أم سلمة حينما مات زوجها كبيرة السن ، كثيرة الأولاد ، ولهذا لما خطبها أبو بكر وعمر بعد موت زوجها اعتذرت بكبر سَنها وكثرة عيالها وغيرتها .

فرأى رسول الله ﷺ أن يرعاها بنفسه جزاء لها على ما قدَّمت هي وزوجها للإسلام ، كما ترعى الدول المعاصرة أُسر الشهداء بوسائل شتَّى من التكريم والتقديم والإيثار ، ورأي أن يواسيها وأن يتكفل بأبنائها ، وهو يرى حزنها شديداً

(15) الاستيعاب : 4/ 1853 ، والاصابة : 8/ 94 ، وأسد الغابة : 5/ 466 .

على زوجها ، فقال لها : سَلي الله أنْ يؤاجِرَكِ في مصيبتكِ ، وأنْ يخلفَكِ خيراً . فقالت : ومن يكون خيراً من أبي سلمة؟

فتزوجها النبي ﷺ ، لأنها تعلم أنه خير من أبي سلمة ، وكفلها ، وكفل أبناءَها ، وزوَّجَ ابنَها سلمةَ أُمامةَ بنتَ حمزة بن عبد المطلب التي كان يتنافس عليها عليٌّ وجعفر وزيدٌ .

وأم سلمة هي التي قالت للنبي ﷺ حينما خطبها : فيَّ (بتشديد الياء) خلالٌ ثلاثٌ : أنا كبيرة السن ، وأنا امرأةٌ معيلةٌ ، وأنا امرأة شديدةُ الغيرة .

فقال ﷺ لها : أنا أكبرُ منك سناً ، وأمَّا العيالُ فإلى الله ، وأمَّا الغيرةُ فأدعو الله فيُذهبها عنك .

6- زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة[15] :

هي التي كانت تُدعى في الجاهلية أم المساكين ، وكانت زوجة للطفيل بن الحارث بن المطلب الذي استشهد يوم بدر ، أو زوجة لعبد الله بن جحش الذي استُشهد يوم أحد ، ولم تكن ذات جمال أو صبا ، فقد تجاوزت سن الشباب .

فلماذا تزوجها رسول الله ﷺ؟

إنه لم يتزوجها إلا رعاية لها ، وحدبا عليها ، وإشفاقًا على أبنائها ، وتعويضًا عن فقد زوجها في ميدان الجهاد ، وكان زواجه ﷺ بها سنة ثلاث من الهجرة ، ولم تعش مع النبي ﷺ إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ، ثم توفيت .

7- جُويرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرار الخُزاعية[16] :

كان أبوها سيد بني المصطلق ، وقد جمع جموعًا كثيرة لمحاربة رسول الله ﷺ ، فلما التقى الجمعان في غزوة المُرَيْسيع أو غزوة بني المصطلق سنة خمس

(16) الاستيعاب : 4/ 1804 ، والإصابة : 8/ 43 ، وأسد الغابة : 5/ 419 ، وسيرة ابن هشام : 3/ 307 ، وتاريخ الطبري : 3/ 66 .

من الهجرة عرض رسول الله ﷺ عليهم الإسلام ، فأبوا ، فحاربهم وانتصر عليهم .

حينئذ وقعت جويرية - وكان اسمها بَرَّة وكانت زوجة لمسافع بن صفوان المصطلقي - في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها على سبع أواق من ذهب ، فلم تجدها ولم تجد معينا لها غير رسول الله ﷺ ، فمضت إليه وقالت : يارسول الله أنا بنت الحارث بن أبي ضِرار سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر مالم يَخْفَ عليك ، فوقعتُ في سَهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي ، وجئت أستعينك .

فقال لها النبي ﷺ : هل لك في خير من ذلك؟

قالت : وما هو يا رسول الله؟

قال ﷺ : أقضي عنك كتابتك ، وأتزوجك .

قالت : نعم .

قال ﷺ : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس ، وعلموا أن رسول الله ﷺ تزوج بنت الحارث ، فقال بعضهم لبعض : لقد صاروا أصهار رسول الله ﷺ ، ولا يصح أن تبقى سباياهم في مِلْكنا ، وأطلقوا ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق .

لهذا قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : لا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية .

وكان اسمها الأول بَرَّة فغيرَّه النبي ﷺ إلى جويرية .

فلم يلبث بنو المصطلق أن أسلموا وأن صاروا في صفوف المدافعين عن الإسلام بعد أن كانوا في صفوف المعارضين له .

ومعنى هذا أن زواج النبي ﷺ بجويرية لم يكن إلا لخير الإسلام وقوة المسلمين والاستكثار من أنصار الدعوة .

8- أم حَبيبة بنت أبي سُفيان بن حرب[17] :

اسمها رملة ، أسلمت على الرغم من أبيها ، وهاجرت مع زوجها عبيد الله ابن جحش إلى الحبشة ، ولكن زوجها تنصَّر هنالك ، وأرادها أن تتابعه فأبتْ ، ففارقها ، ومات .

فيم يكافئ النبي ﷺ امرأة أسلمت على الرغم من أبيها وهو من ألدِّ أعداء النبي ﷺ وأقواهم؟

بم يكافئ امرأةً هاجرت من مكة إلى الحبشة فرارًا بإسلامها مستهينة بما تلقى من آلام الغُربة والمخاطر والحاجة للحفاظ على دينها؟

بم يكافئ امرأة تنصَّر زوجها وهما في الغُربة ، وأرادها على أن تتنصَّر مثله فرفضت ففارقها وتخلَّى عنها؟

ولم يجد النبي ﷺ مكافأة وحماية لها ، وإعزازًا لشأنها ، خيرًا من أن يتزوجها وهي بالحبشة سنة ست أو سبع من الهجرة ، ولينقذها مَن ضيق الغُربة والوحدة والفقر ، لعله يتألف قلبها أبيها أحد زعماء الشرك وأعداء الإسلام الألدَّاء .

ولم تقدم من الحبشة إلا عام الهدنة مع خالد بن سعيد ، في العام السابع من الهجرة يوم فتح خيبر .

9- زينب بنت جحش بن رئاب ، ينتهي نسبها إلى أسد بن خزيمة[18] :

هي ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب . ولزواج النبي ﷺ منها قصة ، خَلَّط فيها ذوو الغفلة تخليطاً يأباه الواقع ، ينفر منه الحق ، ثم جاء بعض خصوص الإسلام فتلقفوا هذا التخليط وضخَّموه ، محاولين أن يُثيروا غُبارًا

---

(17) الاستيعاب : 4/ 1929 ، 1843 ، والإصابة : 8/ 84 ، وأسد الغابة : 5/ 573 ، وسيرة ابن هشام : 4/ 6 .

(18) سيرة ابن هشام : 4/ 298 ، والاستيعاب : 4/ 1849 ، والإصابة 8/ 92 ، وأسد الغابة : 5/ 463 .

حول نزاهة رسول الله ﷺ كأنما يجهلون أن غُبارَهم لم يتجاوز أقدامهم التي أثارته ، فمن أين له أن يبلغ الجوزاء؟

لقد دسَّ المنافقون على زواج النبي ﷺ من زينب أباطيل ، ومن العجب أن سجَّل بعض المسلمين هذه الأباطيل ، كقولهم : إن النبي ﷺ جاء إلى بيت زيد ابن حارثة زوج زينب ، فلم يجده ، وعرضت عليه زينب أن يدخل فأبى وانصرف راجعًا يقول كلاماً لم تفهم منه زينب سوى قوله : سبحان الله العظيم ، سبحان مصرِّف القلوب .

فلما عاد زيد أخبرته بما كان فمشى إلى رسول الله ﷺ فقال له : بلغني يارسول الله أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟

فقال له النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك ، واتق الله .

لكن زيدًا عجز عن إمساكها ، فطلقها ، فتزوجها ، النبي ﷺ بعد أن استوفت عدَّتها .

وفي خبر آخر من أخبار القُصَّاص أن النبي ﷺ أتى بيتَ زيد ، فرأى زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً ، فلما نظر إليها قال : سبحانَ خالق النور ، تبارك اللّه أحسن الخالقين ، فرجع ، فلما جاءَ زيد أخبرته الخبر ، فقال لها : لعلك وقعت في قلب رسول اللّه ﷺ ، فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك؟

فقالت : أخشى أن تطلقنى ولا يتزوَّجني .

فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : أريد أن أطلّق زينب ، فأجابه ﷺ بقوله : أمسك عليك زوجك واتق اللّه .

وهذا الخبر وأمثاله مما يجب صيانة النبي ﷺ عنه[١٩]

أما الحقائق التي تُبطِلُ هذه الترهات وتنقضها فهي :

(١٩) روح المعاني : 22/ 25 ، الألوسي والكشاف للزمخشري : 3/ 237 .

(أ) أن زيد بن حارثة الكلبي كان أصابه سباء في الجاهلية ، فاشترته السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) ، ووهبته لرسول الله ﷺ فتبنَّاه بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين .

(ب) ثم علم أبوه حارثة مكانه ، فخرج لفدائه ولقي النبي ﷺ فقال النبي : نخيِّره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارني فواللّه ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً .

وعرف زيد أباه وعمَّه ، ولكنه أختار البقاء مع رسول الله ﷺ . فلما رأى رسول اللّه ﷺ ما فعله زيد خرج به إلى الحجر فأشهد الناس أن زيداً ابنه يرث كلٌّ منهما الآخر .

فطابت نفس حارثة ونفس أخيه ، وعرف زيد بأنه ابن محمد ﷺ ، حتى جاء الإسلام ونزل قوله تعالى : ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ** ﴾ (الأحزاب :5) .

فدعى يومئذ زيد بن حارثة ودعى الأدعياء إلى آبائهم[20] .

(جـ) ثم علم النبي ﷺ من الوحي - كما سيجيء - أن زيداً سيتزوج زينب ، ثم يطلّقها ، ثم يتزوجها النبي ﷺ بعده ، لإبطال ما تعارف عليه العرب من تحريم زوجة المُتَبَنَّي .

فخطب لزيد زينب ابنة عمَّته ، فأبت ، وأبى أخوها عبد اللّه ، لأنها شريفة حسيبة وزيد عبد حرَّره النبي ﷺ ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب :36) .

فلم تجد زينب وأخوها بُدّاً من الخضوع لما قضاه اللّه ورسوله ، فزوجها رسول الله ﷺ من زيد ، ودفع هو مهرها نيابة عن زيد ستين درهما وخماراً وملفحة ودرعا وإزارا ، وخمسين مداً من طعام ، وثلاثين صاعًا من تمر .

(20) الاستيعاب : 2/ 542 .

(د) لكن زينب لم تستطع أن تنسلخ من زهوها بشرف نسبها ، فكانت تتعالى على زوجها زيد ، وتفخر عليه ، وتجفوه ، وتُسْمِعه ما يُؤذيه ، حتى إنها كما قالوا تمنَّعت عليه أن يُلامسها كما يلامس الزوج زَوجته ، فجاء يوماً إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن زينب قد اشتد عليَّ لسانُها ، فأريد أن أطلقها ، فقال له رسول اللّه ﷺ :

أمسكْ عليك زوجَك ، واتَّقِ اللّه في أمرهَا ، ولا تطلّقها .

(هـ) وقد كان النبي ﷺ يعلم من الوحي أن زيداً سيطلّق زينب ، وأنه سيتزوجها من بعده ، لأن هذا الزواج تشريعي إلهي حكيم يُبْطِل ما جرى عليه العرب من تحريم زوجة المتبنَّي كما يحرمون زوجة الابن .

وكان زواج النبي ﷺ من زينب سنة خمس من الهجرة هو القدوة العملية التي تُحلُّ ما حرَّموه على أنفسهم مما لا حُرمة فيه .

ولم يكن أحد غير النبي ﷺ يصلح لأن يُبطِل بعمله نظاماً شائعاً أخذوا أنفسهم به ، إذ اعتقدوا أجيالا متعاقبة ، أن زوجَة الابن المُتَبَنَّي تحرم علي متبنِّيه كما يحرِّم زوجة الابن الحقيقي ، وجروا على هذه العقيدة ونفَّذوها ، فاقتضى إبطالها عملا إيجابيّاً يبلغ من القوة والشهرة إلى المكانة التي تكفل القضاء على عقيدة سابقة ، وتفتح عيون الناس وقلوبهم إلى هذا التشريع الجديد .

فلم يكن بد من أن ينزل القرآن الكريم بإبطال عقيدة العرب ، وبمطالبة النبي ﷺ أن يتولَّى بنفسه وبعمله تحقيق إبطالها .

وقد يُقَال : لماذا لم ينزل القرآن الكريم بإبطال عقيدتهم بغير أن يكلّف النبي ﷺ أن يتولَّى هذا الإبطال بنفسه؟

والجواب على هذا : إن العقيدة لخطورتها وشيوعها واستقرارها ما كان يقدر على إبطالها إلا تشريع عملي يكلَّف بتنفيذه المبلِّغ للشريعة ، والمطبِّق لها ، والحارس عليها ، والقدوة المثلى ، وهو النبي ﷺ .

لكن النبي ﷺ لم يَبُحْ بما علمه من الوحي لزيد ولا لغير زيد ، خشية من أقاويل الناس ، وحياء من قولهم إن محمداً تزوج امرأة ابنه .

لهذا عاتب اللّه تعالى نبيَّه ﷺ على أن أخفى في نفسه ما علمه من الوحي ، وخَشي الناس ، لأن اللّه تعالى هو الحقيق بأن يخشاه في كل شأن من شئونه ، فيفعل ما أباحه له ، وأذن له في عمله ، وكان الأولى به حينما شكا إليه زيد أن يصمت أو أن يفوِّضَ الأمر إليه في شأن زينب .

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** (٣٧) ﴾ (الأحزاب :37)[21]

ثم جاء بعد العتاب تقرير حقيقة هي أنه لا لوم على النبي ﷺ في أن يفعل ما أمره اللّه به ، لأن هذا هو الطريق الذي أمَرَ أنبياءه السابقين أن يسلكوه ، وأمْرُ اللّه نافذ لا مُعقِّب له .

وجاء بعد هذا التقرير عتاب آخر ضَمني في ذكره تعالى أن الأنبياء السابقين الذين سلكوا الطريق الإلهي المرسوم كانوا يبلِّغون رسالات اللّه ويخشونه وحده ، ولا يأبهون بأحد من الناس ، فلم يكن عليهم حرج في الإقدام على ما أباحه اللّه لهم ووسَّع عليهم فيه من زواج وغير زواج ، وقد كانت لهم زوجات مهائر وزوجات سراري .

(21) أنعم الله عليه : المراد بالإسلام . أنعمت عليه : بالعتق والرعاية والتبنِّي . تخفى في نفسك ما الله مبديه : تكتم ما أوحي إليك من طلاقها وزواجك بها . حرج : ضيق وضجر . أدعيائهم : أولادهم من التبنِّي .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأحزاب :38، 39)(22)

وبهذا التشريع العملي التطبيقي الناجز الذي احتمل رسول الله ﷺ ثقله حَسَمَ القرآنُ الكريم العلاقةَ بين المتبنِّي ومتبنَّاه ، والصلة بين المتبنِّى وزوجة متبنَّاه ، فبيَّن أن الابن من التبني ليس ولداً لمن تبنَّاه وإن جرى عرفُ العربِ على نسبه إليه .

وأراد القرآن الكريم أن يثبت بطلان ما تعارف عليه العرب فضرب لهم مثالين محسوسين ، أولهما : أنه تعالى لم يخلق في جسد واحد قلبين ، وثانيهما : أنه لم يجعل المرأة الواحدة أمّاً لرجلٍ وزوجةً له ، وإن حرم هو زوجته على نفسه بقوله أنتِ عليَّ كظهرِ أُمِّي .

وكذلك لا يكون إنسان ابنا لرجلين ، أحدهما والده الحقيقي ، والآخر الذي تبنَّاه ، وإنما يكون ابنا لرجلٍ واحد هو الذي نَسَلَه ، وهو الذي يجب أن يُنسبَ إليه .

وقد ترتَّب على هذا أن المتبنَّي لا يرث شيئاً من مال الرجل الذي تبنَّاه ، وأن زوجة المتبنَّي لا تحرَّم على متبنِّيه .

قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾(الأحزاب : 4، 5) .

وإذا كان زيد بن حارثة قد عرف فترة بأنه ابن محمد ﷺ ، فإن هذه المعرفة لا تغيِّر من حقيقة نَسَبِهِ الأصيل الذي يجب أن يكون ، لأن أباه هو حارثة بن زيد ، قال تعالى :

---

(22) فرض الله له : أوجب له وقسم . حسيبا : كافياً من المخاوف فهو الجدير بالخشية منه .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾(الأحزاب :40) .

(و) على أن زواج رسول الله ﷺ من زينب لم يَخْلُ من مكافأة لها على خضوعها لأمر الله ورسوله وقبولها الزواج من زيد العبد العتيق وهي حسيبة أباً وأمّاً في مجتمع يُقدِّر الحسب والنسب إلى حدِّ المغالاة .

(ز) ولقد كان على المرجفين والمصدِّقين لأباطيل القصة أن يسائلوا أنفسهم هذه الأسئلة :

هل كان النبي ﷺ يجهل زينب ، أو يخفى عليه جمالها ، وهي بنت عمَّته ، وهو الذي خطبها لزيد ، بل هو الذي أجبرها على الرضا بزيد؟

ولماذا زوَّج زيداً من زينب ولم يتزوجها هو ، مع أنه لو شاء ذلك لكان يسيراً عليه أيما يُسر؟

وأيهما أولى بمكانته ﷺ : أن يتزوَّجَ بنتَ عمَّته ابتداء وهي بِكْرٌ ، أم أن يخلفَ عليها مولاه الذي اعتقه؟

وهل من المعقول أن يتحرَّجَ النبي ﷺ من هذا الزواج الذي أوحى به الله إليه فلا يذيع خبره خشية من الناس ، في الوقت الذي لا يتحرَّج أن يقولَ الناسُ فيه إنه أُعْجِبَ بجمال زوجة مولاه فخلفه عليها؟

ومتى كان النبي ﷺ - وهو الذي حملُ أعباءَ الرسالةِ العظمى خليَّ البال ليأسره جمال النساء؟

(ح) فلم يبق مَنْفَذ لأيَّة شُبهة في هذا الزواج الذي كان بأمر من الله تعالى ، ليحل للناس ما حرَّموه على أنفسهم ، وليشرع لهم قانوناً جديداً يلغي ما وضعوه .

وإن الآيات القرآنية الكريمة لتنطق بالخبر كله في جلاء ، وتكشف عن الغرض من هذا الزواج كشفا ينقض ما حاكه القُصَّاص وذوو الغفلة ، ثم ضخَّمه أعداء الإسلام .

10- صَفية بنت حُيَيّ بن أخطب سيد بني النَّضِير[23]

يهودية تزوجها اثنان يهوديان أولهما : سلام بن مِشْكَم ، وثانيهما : كنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق .

وقد وقعت في السبايا في غزوة خَيْبَر سنة سبع من الهجرة ، فطلب دِحْيَة الكلبي من رسول اللّه جارية من السبايا ، فقال ﷺ له : اذهب فخذ جارِية ، فأخذَ صفية .

حينئذ جاء الصحابة إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول اللّه . . إنها بنت سيد بني قريظة وبني النضير ، فما تصلح إلا لك .

فقال النبي ﷺ لدِحْيَة : خذ جارية من السبايا غيرها .

وخيَّرها رسول اللّه بين أن يعيدَها إلى قومِها ، وأن يعتقَها ويتزوَّجَها ، فاختارت الزواج منه .

وكانت قد رأت في المنام وهي زوجة لكنانة أن قمراً وقع في حجرها ، فقصَّت رؤياها على كنانة ، فقال لها : لا تأويل لهذا إلا أنك تتمنين الزواج من ملك الحجاز ، محمد ، ولطم وجهها لطمة خَضَّرتْ عينيها ، فلما جاءُوا بها إلى رسول اللّه ﷺ رأى الأثر بعينيها ، فسألها : ماهو؟ فأخبرته هذا الخبر .

فأي حرج على النبي ﷺ في أن يؤوى إلى حماه سبيا هي بنت سيد قومه؟

إنها لو صارت إلى سواه لبقيت طيلة حياتها تشعر بالمرارة والخزي وهبوط المكان ويكفي للدلالة على هذا أن النبي ﷺ دخل عليها يوماً وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك؟ قالت : بلغني أن عائشة وحفصة تنالان منِّي ، وتقولان : نحن خير من صفيَةَ ، لأننا بنات عم رسول الله وأزواجه ، فقال لها ﷺ : ألا قُلْتِ

---

(23) الاستيعاب : 4/ 1871 ، والإصابة : 8/ 126 ، وأسد الغابة : 5/ 490 ، وسيرة ابن هشام : 3/ 350 ، 351 ، 354 .

لَهُنَّ : كيف تَكُنَّ خيراً منِّي ، وأبي هارون ، وعمِّي مُوسى ، وزوْجِي محمد؟

وأي حرج على النبي ﷺ في أن يتزوج من امرأة سبية ، خيَّرها بين أن يعتقَها ويردَّها إلى قومها ، وأن تكون زوجة له ، فآثرت أن تكون له زوجة؟

وقد كانت مشهورة بالحكمة والعقل والفضل .

11- ميمونة بنت الحارثة بن حَزْن الهذلية(24)

لهذه السيدة صلات بكثير من أشراف العرب ، وذلك أن لها أخوات شقيقات هنَّ : أُم الفضل لبابة الكبرى ، زوجة العباس بن عبد المطلب عمِّ النبي ، ولبابة الصغرى ، زوجة الوليد بن المغيرة أُمُّ خالد بن الوليد ، وعصماء زوجة أبيِّ ابن خلف الجمحي ، وعزة زوجة زيادة بن عبد الله الهلالي .

ولها أخوات لأمِّها ، هنَّ : أسماء بنت عُمَيْس ، زوجة جعفر بن أبي طالب ، وسلمى بنت عُمَيْس ، زوجة حمزة بن عبد المطلب ، وسلامة بنت عُمَيْس ، زوجة عبد الله بن كعب بن منبِّه الخثعمي .

فما السبب في زواج رسول الله ﷺ بها؟

مات زوجها الثاني ، فلقي العباس بن عبد المطلب النبي ﷺ وهو يعتمر عمرة القضاء ، وقال له : يا رسول الله تأيَّمتْ ميمونة بنت الحارث ، فهل لك في أن تتزوجها؟ فقبِلَ رسول الله ﷺ .

وفي خبر آخر أنه لما فرغ النبي ﷺ من خيبر وتوجَّه إلى مكة سنة سبع من الهجرة ، وقدم عليه جعفر بن أبي طالب من الحبشة خطب له جعفر ميمونة بنت الحارث ، فأجابت ، وجعلت أمرها إلى العباس ، فزوَّجها النبي ﷺ .

ولابد أن نلاحظ في هذا الزواج عدة ملابسات :

(أ) أن إحدى شقيقتها زوجة العباس عم النبي ﷺ ، وأن إحدى أخواتها

(24) الاستيعاب : 4/ 1915 ، والإصابة : 8/ 192 ، وأسد الغابة : 5/ 550 .

لأنّها زوجة لجعفر بن أبي طالب ، وأخرى زوجة لحمزة عم النبي ﷺ ، والعباس وجعفر وحمزة (رضوان اللّه عليهم) من أقرب الأقارب إلى رسول اللّه ﷺ ، ومن أحبِّهم إليه ومن أعظمهم ولاء له وللإسلام .

(ب) أن العباس عم النبي ﷺ وجعفر ابن عمه قد عرضاها على النبي ﷺ عرضاً صريحاً ، يبتغيان تشريفها وتشريف نفسيهما ، وكرم النبي ﷺ وحبُّه ووفاؤه لصحبه تأبى أن يرفض هذا العرض .

(جـ) إن أخواتها الشقيقات وغير الشقيقات زوجات لسادة أشراف ، من الخير للإسلام أن يظاهروه بسبب هذه المصاهرة .

(د) أنه لم يكن في هذه السيدة ما يُغري ، لأنها امرأة ثيب تزوجت مرتين .

(هـ) وأنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أحْلَلْنَا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمينُكَ ممَّا أفَاءَ اللّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأةً مُؤْمِنَةً إن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إنْ أرَادَ النَّبِيُّ أن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الأحزاب :50) .

فلم يكن كرم أخلاقه ﷺ ليتغاضى عن رغبة حبيبيه : عمه وابن عمه جعفر ، ولا ليبخس امرأة وهَبَتْ نفسها له ، ولا ليسد الطريق أمام أمل في تقوية الإسلام والمسلمين ، فتزوجها وكان اسمها بَرَّة فسمَّاه ميمونة .

12- مارية القبطية[25] :

بعث النبي ﷺ حاطب بن أبي بَلْتَعة بكتاب إلى المقوقس حاكم الإسكندرية ومصر سنة ست من الهجرة بدعوة إلى الإسلام ، فتلقَّى الرسول والكتاب لقاءً

(25) الاستيعاب : 4/ 1912 ، والإصابة : 8/ 185 ، وأسد الغابة : 5/ 542 ، وتاريخ الطبري : 3/ 85 .

حسنًا ، وبعث إلى النبي ﷺ هدايا منها مارية القبطية للنبي ﷺ خاصة ، ومعها أختها سيرين وخصيّ يقال له المأبور ، وقيل إنه بعث معها أربع جوار .

فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن وتزوّج النبي ﷺ مارية فولدت له ابنه إبراهيم .

فما الذي كان ينتظر غير ذلك؟

هل كان يليق بالنبي ﷺ أن يردَّ مارية وهي مهداة إليه باسمه؟

إن المقوقس تلقَّى كتاب النبي ﷺ ورسوله بالحسنى ، وزاد على هذا أنه أهدى هدايا ، فلا مندوحة من قبولها في ظرف يسعى فيه النبي ﷺ إلى نشر الدين ، وافتتاح الميادين ، واجتذاب القلوب وكثرة الأنصار .

وهل كان من السلوك الحميد أن يهبها لغيره وقد أرسلها المقوقس إليه ﷺ خاصة؟

لو أنه ﷺ فعل ذلك لأساء إلى المقوقس وإلى مارية ، لأن عمله هذا رفْضٌ للهبة أو تَرفُّع عن قبولها وإباء .

فلم يبق إلا أن يتزوجها ﷺ ، مرضاة للمقوقس ، وإرضاء لها ، وتطبيقاً عمليّاً لاستحلال الزواج بالكتابيَّات ، وفي هذا كله نفع للإسلام ، وتعريف به .

النتائج :

أما بعد :

فما النتائج العامة التي أثمرتها هذه الدراسة؟

لقد أثمرت عدة نتائج ، هي :

الأولى :

أن زواج رسول الله ﷺ كان للدين لا للدنيا ، وكان للحكمة لا للهوى ، ولتوطيد الدعوة ونشرها ، وتقويتها لا للمتعة والاستطراف والاستكثار .

فقد ابتغى ﷺ من زواجه بالسيدة خديجة (رضي اللّه عنها) ما يبتغيه كل إنسان ، وما ابتغاه كل رسول من قبل : أن يكون له بيت وزوجة وأبناء .

ثم ابتغى من الزواج بعد وفاتها الخير للإسلام والمسلمين .

وذلك أنه كان يعمد حينًا إلى أن يزيد القريب إلى قلبه قرابة ، وأن يضيف إلى حبيبه محبة ، وإلى أليفه أُلفة ، وإلى المخلص للّه ورسوله ﷺ إخلاصاً .

وكان يتوخَّى تارةً أن يستكثر من الأصهار ليناصروه ، وليؤازروا دين اللّه ، في مجتمع يعتدُّ المصاهرة صلةً حميمة تستوجب النصرة والوفاء .

وكان يقصد مرَّةً إلى أن يفسح المجال أمام المسلمين الغالبين ليطلقوا الأسرى والسبايا من قبيلة عظيمة مهزومة ، من الخير للإسلام والمسلمين أن يُرضوها لتسلم وتظاهر الإسلام .

وكان يريد مرة أن يكرم امرأة مُسِنَّةً لا أرب للرجال فيها ، وهبت نفسها له ، فيضمَّها إلى زوجاته تشريفاً لها كما أرادت .

وكان يبتغي تارةً أن يكرم قوماً ، أرادوا أن يشرفوا بمصاهرته ؛ ولهذا حزن عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) أشد الحزن لما قيل له إن النبي ﷺ طلقَّ حفصة ، ولم ينفرج كربه إلا لما علم الحقيقة .

كذلك ودَّ عليٌّ بن أبي طالب - وهو ابن عمه وربيبه وزوج ابنته السيدة فاطمة - أن يزوجه أخته أمَّ هانئ بنت أبي طالب ، لكنها خشيت أن تقصر في القيام بما يجب نحوه ﷺ من حقوق ، لأنها ذات أبناء يشغلونها عن واجبات الزوجية .

وكان النبي ﷺ يريد حيناً أن تخفِّفَ المصاهرةُ من حدة العدو وحنقه ، لعله يَرْعَوِي أو يزدجر .

وكان ﷺ يقصد حيناً إلى المواساة والتعويض وإلى التشجيع على الجهاد الباسل ، فيتزوج الأيم التي فقدت زوجها وعائلها في الدفاع عن الإسلام ، لأنَّ

في زواجه بها خيراً لها ولبنيها ، وفيه اطمئنان المجاهدين على مصير زوجاتهم وأبنائهم ، لأن النبي ﷺ والمسلمين سيرعونهم إذا استشهد عائلوهم ، وما من شك في أن هذا الاطمئنان يدفعهم إلى الجهاد ، والاستشهاد أعز في نفوسهم من الحياة .

وكان حيناً يتقبل الكتابية التي بعثها إليه كتابيٌّ حاكم ذو سلطان ؛ للتشريع من ناحية ، وللتمهيد لنشر الدعوة من ناحية ، وللتدليل على سماحة الإسلام ، فللزوجة الكتابية أن تسلم أو تبقى على دينها .

الثانية :

وقد اتضح من تفصيل زواجه ﷺ أنه لم يتزوَّج بعد أن توفيت السيدة خديجة (رضي الله عنها) إلا وهو في أول العقد السادس ، وهذه سن لا تواتي الكلف بالنساء ، ولا الشغف باللذات الجسدية ، واتضح أنه لم يتزوَّج إلا بعد أن مضت على وفاتها ثلاث سنوات .

الثالثة :

وتبين أن زوجاته جميعًا – ما عدا السيدة عائشة (رضي الله عنها) – ثيبات ، وأن أكثرهن مُسنَّات .

فلماذا لم يتخيرَّهن كلّهن ، أو لماذا لم يتخيَّر بعضهن من الفتيات الأبكار الحسان وقد كان ذلك ميسوراً عليه أيما يُسْرٍ لو أراده؟

وأيهما أحظى عند الرجل الظمآن إلى النساء : البكرُ أم الثَّيِّبُ؟ والفتاة أم العجوز؟

أليس الزواج بالثيبات وبالمسنات دليلاً قاطعاً على أن النبي ﷺ كان أبعد الناس على الكلف بالاستمتاع الجسدي والظمأ الجنسي كما افترى خصومه وخصوم الإسلام؟

الرابعة :

وليس من شك في أن زوجات رسول الله ﷺ رفدن الإسلام بكثير من الحقائق الوثيقة الصلة بالدين .

فمثلاً هُنَّ اللاتي أخبرن بسلوك النبي ﷺ وبأعماله التي لم يرها غير زوجاته .

وهُنَّ اللاتي كُنَّ منابع التشريع المستنبط من أحوال نسوية لا يعرفها غير النساء ، ولا يعلمها إلا أزواجهن ، وبعضها يختلف من امرأة إلى أخرى .

وهن اللاتي روين أحاديثه الشريفة التي قالها في بيته ، ولم يسمعها غيرهن ، وصحَّحْن رواية بعضها التي سمعها غيرهن .

ولبعضهن آراءٌ في الفقه ، وفي أسباب نزول بعض الآيات القرآنية الكريمة .

ولا عجب في هذا ، فقد كُنَّ حريصات أشد الحرص على الرواية عن رسول اللّه ﷺ عملا بقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب :34) .

وعملا بقوله ﷺ : نَضَّرَ الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها ، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه ، ورُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفْقَهُ منه[26] .

ولهذا روى الثِّقَاتُ مئات الأحاديث عنهن .

وحَسْبنا هذه اللمحة :

1- مما يتصل بأعمال النبي ﷺ :

كان عبد اللّه بن عمر يمنع المحرِم أن يتطيَّب قبل إحرامه ، فلما بلغ السيدة عائشة (رضي الله عنها) قوله قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، كنتُ أُطيِّبُ رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه[27] ، ثم يصبح محرماً ينضحُ طيباً .

(26) الرسالة للشافعي :401 .

(27) يطوف عليهن : يزورهن .

وقالت : كأنّي أنظرُ إلى وَبيص الطيب في مفرق النبي ﷺ وهو محرم .

وأخرج الشيخان عن القاسم عنها أنها قالت : طيّبتُ رسول الله ﷺ لحرمه حين أحرم ، ولحِلّه حين أحلَّ قبل أن يطوف بالبيت ، وتابعها على ذلك ابن عباس[28]

ورُوِيَ عنها : كنت أرجلُ رأسَ رسول الله ﷺ وأنا حائض[29] .

وروى عنها أنه ﷺ كان يعجبه التيمُّنُ ما استطاع في ترجله ووضوئه[30] .

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يقول ببطلان صوم الجنب إذا أصبح بغير طهر ، ثم عدل عن قوله لما بلغه حديث السيدة عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ كان يصبح جنبًا ثم يصوم[31] .

وكان عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) يقول : إنَّ القُبلة توجب الوضوء ، فاستدركت عليه السيدة عائشة بقولها : كان رسول الله ﷺ يقبِّل وهو صائم ، ثم لا يتوضأ[32] .

وقالت : كان رسول الله ﷺ يقبِّل إحدى نسائه وهو صائم ، وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه[33] .

وذكرت السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ في مُخَضَّب من صُفْر[34] .

وذكرت السيدة حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما) أنها مارأت النبي ﷺ يصلي جالساً حتى كان قبل وفاته بعام أو عامين[35] .

(28) صحيح البخاري : 1/ 191 ، والإجابة لإيراد ما استدركته السيدة عائشة (رضي الله عنها) على الصحابة للزركشي : 114 . وبيص : لمعان .

(29) ، (30) فتح الباري : 12/ 490 .

(31) الإجابة : 124 . (32) الإجابة : 110 .

(33) صحيح مسلم بشرح النووي : 7/ 216 إربه : عقله ودينه وحاجته .

(34) مسند أحمد بن حنبل : 6/ 324 . مخضب من صفر : وعاء ملون من نحاس .

(35) المسند : 6/ 285 .

وقالت : كان ﷺ يصلي ركعتين خفيفتين إذا بدأ الفجر[36] .

وسُئلت السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان (رضي اللّه عنها) : أكان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي ينام معك فيه؟ قالت : نعم مالم يرَ فيه أذىِ[37] .

ولما ذكر عبد الله بن عمر (رضي اللّه عنهما) أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع مرات إحداهن في رجب ، قال عروة بن الزبير للسيدة عائشة ، ألا تسمعين يا أم المؤمنين إلى ما يقول أبو عبد الرحمن؟ فقالت : يرحم اللّه أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط .

وعلّق ابن الجوزي بقوله : سكوتُ ابن عمر لا يخلو من حالين : إما أن يكون قد شكّ فسكت ، وإما أن يكون ذكر بعد النسيان فرجع بسكوته إلى قول عائشة ، وعائشة ضبطت هذا ضبطاً جيداً ، وقال أنس (رضي الله عنه) : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمرات كلها في ذي القعدة[38] .

2- مما يتصل بأحوال النساء :

بلغ السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) أن عبد اللّه بن عمرو بن العاص يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ، فقالت : يا عجبا لابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات ورواه النسائي ، وفيه أنها قالت : وما أنقض لي شعراً ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه أتم من ذلك .

وروى مسلم في صحيحه عن أم سلمة أنها لما سألت النبي ﷺ هل تنقض ضفائرها لغسل الجنابة قال لها : إنما يكفيك أنْ تحثي على رأسك ثلاثَ حثياتٍ ، ثم تفيض عليكِ الماءَ ، فتطهرين[39] .

(36) المسند : 6/ 284 . (37) المسند : 6/ 325 .

(38) صحيح مسلم بشرح النووي : 8/ 237 ، والإجابة 129 .

(39) مسند أحمد بن حنبل : 6/ 289 ، والإجابة : 134 .

وذكرت أم سلمة أنَّ أم سليم امرأة أبي طلحة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم إذا رأت الماء(40) .

وقالت السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية : كانت إحدانا تبسط لرسول الله ﷺ الخُمْرة وهي حائض ثم يصلى عليها(41) .

وكان عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) يرى أن عدة الحامل المتوفي عنها زوجها تنتهي بأبعد الأجلين ، ولكن أبا سلمة وأبا هريرة رأيا أنها تنتهي بالوضع ، فأرسلوا إلى أم سلمة زوجة النبي ﷺ فقالت : قد وَضَعَتْ سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بيسير ، فاستفتت رسولَ اللّه ﷺ فأمرها أن تتزوج(42) .

وقالت السيدة عائشة : خرجت مع رسول الله ﷺ للحج ، فجاءني الطمث ، فبكيت ، فقال لي : افعلي ما يفعله الحاجُّ ، غير ألاَّ تطوفي بالبيت حتى تطهري(43) .

وذكرت أنَّ أسماء بنت يزيد الأنصارية جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : كيف أغتسل من الحيض؟ قال ﷺ : خذي فُرْصَةً مُمَسَّكَةً(44) ، فتوضَّئي فكانت تعيد سؤالها ، فكرر ذلك ثلاثًا ، وهو في كل مرة يقول : سبحان الله ، فاستحيا ﷺ وأعرض بوجهه ، فأخذتُها فجذبتُها وعرَّفْتُها ما يريد(45) .

(40) صحيح البخاري : 1/ 199 .
(41) صحيح البخاري : 1/ 199 .
(42) المسند : 6/ 331 الخمرة : حصيرة صغيرة من سعف .
(43) سنن الترمذي : 5/ 170 .
(44) صحيح البخاري : 1/ 217 . فرصة ممسكة : قطعة قطن عليها مسك .
(45) صحيح البخاري : 1/ 212 .

3- مما يتصل برواية الحديث :

أما رواية أُمَّهات المؤمنين للأحاديث النبوية فإنها ليست في حاجة إلى بيان ، لأن الكتب الصِّحَاحَ حافلة بالأحاديث التي رويت عنهن .

فمثلا قالت السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) : قال النبي ﷺ : إذا أنفقت المرأةُ من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقتْ ، ولزوجها بما كسبَ ، وللخازن مثلُ ذلك ، ولا ينقصُ بعضُهم أجرَ بعض شيئاً[46] .

وأخبرت السيدة صفية أنها جاءت رسول اللّه ﷺ تزوره وهو معتكفٌ في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، ثم قامت ، فقام معها رسول الله ﷺ ، حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ مر بهما رجلان من الأنصار ، فسلّما على رسول اللّه ، ثم نفذا ، فقال لهما : على رِسْلكما ، قالا : سبحان اللّه يا رسول الله ، وكَبُرَ عليهما ذلك ، فقالَ : إنَّ الشيطانَ يبلغُ من الإنسان مبلغ الدمِ ، وإني خشيت أن يقذفَ في قلوبكما شيئاً[47] .

وقالت السيدة حفصة : لما أمَرَ رسولُ اللّه ﷺ نساءَه أن يحللن بعمرة قُلْنَ : فما يمنعك يا رسولَ اللّه أنْ تحل معنا؟ قال : إني قد أهديت ولَبَّدْت فلا أحل حتى أنحرَ هديي[48] .

وروت السيدة أم حبيبة أن رسول اللّه ﷺ قال : إنكم تختصمون إليَّ ولعلَّ بعضكم أنْ يكونَ ألْحَن بحُجَّته منْ بَعْض ، وإنما أنا بشر أقضي له على نحوِ ما أسمعُ منه ، فمن قَضَيْتُ له منْ حَقِّ أخيه شيئاً فإنما هو نار ، فلا يأخذه[49] .

(46) صحيح البخاري : 4/ 16 .
(47) صحيح البخاري : 5/ 204 ، ومسند أحمد بن حنبل : 6/ 337 .
(48) مسند أحمد بن حنبل : 6/ 285 . التلبيد : أن يجعل المحرم شيئاً من صمغ في شعره ليتلبد شعره .
(49) صحيح البخاري : 4/ 385 ، ومسند أحمد بن حنبل : 6/ 390 .

وروت السيدة أم حبيبة قوله ﷺ : لَوْلا أنْ أشُقَّ على أُمَتي لأمَرْتُهم بالسِّواكِ عندَ كُلِّ صلاةٍ كما يتوضَّأون[50] .

وروت السيدة سودة بنت زمعة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ لا يستطيع أن يحجَّ ، قال رسول الله ﷺ : أرأيْتَ لَوْ كان على أبيك دَيْنٌ فقضيته عنه قُبل منْكَ؟ قال الرجل : نعم ، قال رسول الله ﷺ : فاللّه أرْحَمُ ، حجَّ عن أبيك[51] .

ورُويَ عن السيدة حفصة بنت عمر أن رسول اللّه ﷺ كان إذا سكت المؤذِّن من الأذان لصلاة الصبح صلّى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة[52] .

واستفتت السيدةُ ميمونة رسول اللّه ﷺ في فأرة سقطت في سمن جامد لهم ، فقال : ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم[53] .

4- مما يتصل بتصحيح الرواية :

روى الترمذيُّ عن أبي ذرٍّ أنَّ النبي ﷺ قال : إذا صلّى الرجلُ وليس بين يديه كآخرة الرَّجُلِ أو كواسطة الرجلِ قطعَ صلاته الكلبُ والمرأةُ والحمارُ .

وسلَّم بظاهر هذا بعض الصحابة كعبد اللّه بن عمر ، ولم يسلِّم به آخرون .

ولكن السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) أنكرت أن يقطع واحد من الثلاثة صلاة المصلّي ، وغضبت من التسوية بين المرأة والكلب والحمار ، فقالت : أعدلتمونا بالكلب والحمار؟ لقد رأيتني مضطجعة على السرير فيجيء النبي ﷺ فيتوسَّط السرير فيصلّي ، فأكره أن أسْنَحه فأنسل من قبل رجلي السرير حتى أنسل من لحافي . ووافقها عبد اللّه بن عباس (رضي اللّه عنهما) فيما ذهبت إليه .

(50) مسند ابن حنبل : 6/ 325 .
(51) أسد الغابة : 5/ 485 .
(52) أسد الغابة : 5/ 426 .
(53) صحيح البخاري : 1/ 333 ، وسنن الترمذي بشرح ابن العربي : 2/ 130 .

وهذا دليل على أنها لم تكن تعتقد أن رسول اللّه ﷺ قال هذا ، لأنها لو اعتقدت أنه قاله ما أنكرتْه[54] .

كذلك رُوِيَ عن أبي هريرة ، وعن أسماءَ بنت أبيَ بكر ، وعن عبد اللّه بن عمر ، وعن عائشة (رضي اللّه عنهم) أن النبي ﷺ قال : لعن اللّه الواصلَة والمسْتَوصلة[55] .

وفهم كثير من الصحابة وغيرهم أن الواصلة هي المرأة التي تصل بشعرها شعراً آخر ، وأن المستوصلة هي التي تطلب من غيرها أن تفعل لها ذلك ، وقالوا : إن معاوية بن أبي سفيان خطب عام حجه ، وقد تناول قصة من شعر كانت بيد حرسي ، وقال : ما كنت أرى يفعل ذلك إلا اليهود ، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن مثل ذلك[56] .

وعلّق ابن حجر على الحديث ، وجاء في تعليقه قوله : إن كثيراً من الفقهاء رأوا أن الممتَنعَ من ذلك وصْل الشَّعْرِ بالشَّعْرِ ، أما إذا وصلت المرأة شَعْرها بغير شَعْر من خرقَة ونحوها فلا يدخل في النهى ، وقد جاء في حديث صحيح أنه لا بأس بالقَرامل[57] ، وبه قال أحمد بن حنبل ، والمراد به هنا خيوطٌ من حرير أو صوفٌ تعمل ضفائر تصل بها المرأة شعرها .

وذكر أن بعضهم فصل بين ما إذا كان وصل الشَّعْر بغيره مستورا بعد عقده مع الشعر بحيث يُظَنُّ أنه من الشَّعْر وبين ما إذا كان ظاهراً ، فمنع الأول قوم لما فيه من التدليس ، وأجازه آخرون مطلقًا سواء أكان بشَعْر أم بغير شَعْر إذا كان بعلم الزوج وبإذنه .

---

(54) المسند : 6/ 330 ، والمحلى لابن حزم : 4/ 8 ، والإجابة : 161 . أستحه : أستقبله في صلاته منتصبة ببدني أي أعترض بين يديه وهو يصلي .

(55) فتح الباري : 12/ 490 ، وسنن النسائي بشرح السيوطي : 8/ 145 .

(56) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري 8/ 457 .

(57) القرامل : جمع قرمل على وزن جعفر وهو نبات طويل الفروع لين .

لكن ابن حجر ذكر في نهاية تعليقه أن السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) رخَّصت في وصل الشَّعْر بالشَّعْر ، وأنها فسَّرت الواصلة والمستوصلة بمعنى آخر ، فقالت إن الواصلة هي التي كانت بغيّاً في شبابها فلما أسنت وصلت ذلك بالقيادة ، وإن عُقِّبَ على هذا بأن الطبري أبطل حديثها هذا بما رُوِيَ عنها في رواية المنع[58] .

ولعل الذي ذهبت إليه السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) من إباحة وصْل الشَّعْر التي لا خداع فيها لخاطب ولا مَضَرَّة بأحد هو الذي يساير الأُنوثة ويُلائم التجمُّل المباح ، ولا ينافي سماحة الإسلام ، أما تفسيرها للواصلة والمستوصلة فهو الذي يتلاءَم واللعن ، ولهذا ذكر ابن قتيبة أنها قالت : لا بأس على المرأة الزعراء أن تَصلَ شَعْرها ، وليست الواصلة بالتي تعرفون - أي التي تصل شَعْرها بشَعْر آخر لتطيله - وإنما الواصلة أن تكون بغيّاً في شبيبتها فإذا أسنت وصلته بالقيادة[59] .

وعلمت السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) أن عبد الله بن عمر (رضي اللّه عنهما) يقول : إن الشهرَ تسعٌ وعشرون ، فأنكرت ذلك عليه وقالت : يغفر اللّه لأبي عبد الرحمن ، ما هكذا قال رسول الله ﷺ ، ولكنه قال : إن الشهر قد يكون تسعا وعشرين[60] .

وقيل لها إن أبا هريرة يقول : إن رسول الله ﷺ قال : الشؤم في ثلاثة : في الدار والمرأة والفرس ، فقالت : لم يحفظ أبو هريرة ، إنه دخل على رسول اللّه ﷺ وهو يقول : قاتل اللّه اليهودَ ، يقولون : الشؤمُ في ثلاثة : في الدَّارِ والمرأةِ والفرسِ ، فسمع آخر الحديث ، ولم يسمع أوله .

---

(58) فتح الباري بشرح البخاري : 12/ 496 - 499 .
(59) عيون الأخبار : 4/ 102 .
(60) الإجابة : 132 .

وروى أحمد في مسنده قريبا من هذا ، وأضاف إليه أنها قرأت قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد :22) .

قال بعض الأئمة : رواية عائشة أشْبه بالصواب لموافقتها نهى النبي ﷺ عن الطيرة نهياً عاماً [61] .

ورُوِيَ عن النبي ﷺ قولٌ : لأن يمتلىءَ جوفُ أحدِكُم قَيْحًا حتى يَرِيَهُ - يهلكه - خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً .

وتكلَّف بعضُ الدارسين في تأويلهم للحديث الشريف ، فذهب ابن رشيق مثلاً إلى أن المراد من غَلَبَ الشِّعر على قلبه ، ومَلَكَ نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومَنَعَه من ذكر اللّه تعالى وتلاوة القرآن ، وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامة مروءَة فلا جُنَاح عليه ، وقد قال الشِّعْرَ كثيرٌ من الخلفاء الراشدين والجُلَّةُ من الصحابة والتَّابعين والفقهاء المشهورين [62] .

لكن الحديث كما روته السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) له تكملة تُعَيِّنُ المراد منه ، فهو : لأن يمتلىءَ جوفُ أحدِكُم قيْحاً ودَماً خيرٌ له مِن أن يمتلىءَ شعراً هُجِيْتُ به .

وقد تابعها في هذه الرواية جابر بن عبد اللّه (رضي الله عنه) [63] .

5- **مما يتصل بالفقه :**

ذهب أبو هريرة إلى أن الذي يُغَسِّل ميِّتاً فعليه أن يغتسل ، والذي يحمله عليه أن يتوضَّأ .

فلما علمت السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) بقوله قلت : أوَ نَجَسٌ موتى المسلمين؟ وما على رجلٍ لو حمل عوداً .

---

(61) الإجابة : 166 .

(62) العمدة لابن رشيق :1/ 12 ، وفتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي : 3/ 312 .

(63) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة (رضي اللّه عنها) على الصحابة للزركشي : 136 ، وكنز العمال : 2/ 117 .

قال البيهقي : الروايات المرفوعة في هذا عن أبي هريرة (رضي اللّه عنه) غير قوية ، لجهالة بعض رُواتها وضعف بعضهم ، والصحيح أنه موقوف على أبي هريرة[64] .

وكان عبد اللّه بن عباس (رضي اللّه عنه) لا يرى ما رآه أبو هريرة (رضي الله عنه) ، ويقول : لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة .

ورأت أن نكاحَ المتعة محرَّمٌ ، واستدلّت بقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝** ﴾ (المؤمنين : 6,5) .

وقالت : من ابتغى وراء مازوَّجه اللّه أو ملّكه فقد عدا [65] .

واختلف الصحابة والفقهاء في لحم الحُمُر الأهلية أحَلالٌ أمْ حرام؟

واستدل الذين ذهبوا إلى أنه حلال بأن السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) احتجَّت بقوله تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ﴾ (الأنعام : 145)[66] .

فإن ظَاهرَ الآية لا يحرِّم غير ما ذُكِر فيها .

وقد وافَقها عبد الله بن عباس (رضي اللّه عنه) في رأيها ، وخالفها غيره[67] .

ومن فقهها أنها رأت في الهَدْي إذا عطب شيء منه قبل أن يبلغ محلّه أنه يجب نحره والتخلية بينه وبين الناس ، وألا يأكل منه صاحبه ، معتمدة على حديث بهذا المعنى ، ولكن إذا لم يوجد فقراء في الطريق فهل يمتنع صاحب الهَدْيِ من أكْلِه ويتركه للسباع أم يأكله هو ومن معه حذراً من الإسراف .

---

(64) الإجابة : 135

(65) الإجابة : 173 .

(66) دما مسفوحاً : دما يسيل عند الذبح . رجس : قذر . فسق : أي خروج عن طاعة اللّه بذبحه لغير اللّه مثل التقرب إلى الأصنام .

(67) المحلى لابن حزام : 7/ 407 .

6- ثم إنهن أدركن كثيراً من أسباب النزول وفهمن معاني الآيات الكريمة :

فمثلا في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء : 3) .

قالت السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) : هي اليتيمةُ تكونُ في حجر وليِّها تشاركه في ماله - أي في كفالته وولايته- فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهُن[68] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء : 128)[69] .

قالت السيدة عائشة (رضي اللّه عنها) : إن الآية الكريمة نزلت في الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها ، يريد أن يفارقَها ، فيقول : أجْعَلُكِ من شأني في حلٍّ فنزلت هذه الآية في ذلك[70] .

والآن

أفما آن للخصوم أن يخجلوا من ترويج دعاوي تنقضها الوثائق؟

أفما آن للمرجفين أن يكفُّوا عن أباطيل تهدمها الحقائق؟

بلى ، لقد تبيَّن لهم الرُّشدُ ، واتَّضح الإنصافُ ، وعَلموا - بطول تجاربهم وتجارب سابقيهم من أعداء الإسلام وبَنى الإسلام - أن الإسلامَ بحرٌ خضَم يبتلعُ المخاطرينَ الذين يتحدَّونه ، وأن نبي الإسلام ﷺ حصن منيع كلَّما صَوَّبوا إليه اتهامًا عجزَ وانحسرَ ، وكلَّما وجَّهوا إليه سهمًا ارتدَّ وانكسرَ ، وسيبقى الحصنُ منيعًا إلى أن يُنفخَ في الصُّورِ .

---

(68) صحيح البخاري : 4/ 266 .

(69) بعلها : زوجها . نشوزًا : سوء معاملة أو تقتير من النفقة .

(70) صحيح البخاري : 4/ 235 .

CHAPTER XV.

Reflections upon the extraordinary Career of Mohammed—Description of his Person—General View and Estimate of his Character.

THUS closed the earthly career of one of the most remarkable men, and of decidedly the most successful impostor, that ever lived. By the force of a vast ambition, giving direction to native talents of a superior order, he had risen from small beginnings to the pinnacle of power among the Arab nation, and before his death had commenced one of the greatest revolutions known in the history of man. He laid the foundation of an empire, which, in the short space of eighty years, extended its sway over more kingdoms and countries than Rome had mastered in eight hundred. And when we pass from the political to the religious ascendency which he gained, and consider the rapid growth, the wide diffusion, and the enduring permanence of the Mohammedan imposture, we are still more astonished. Indeed, in this, as in every other instance where the fortunes of an individual are entirely disproportioned to the means employed, and surpass all reasonable calculation, we are forced to resolve the problem into the special providence of God. Nothing short of this could have secured the achievement of such mighty results; and we must doubtless look upon Mohammedanism

at the present day as a standing monument of the mysterious wisdom of Jehovah, designed to compass ends which are beyond the grasp of human minds, at least till they are accomplished.

As to his person, Mohammed, according to his Arabic biographers, was of a middling stature and of a florid complexion. His head was large and well formed; his hair smooth and of a glossy black; his eye of the same colour; and so uncommonly vigorous and robust was his frame, that at the time of his death scarcely any of the marks or infirmities of age had appeared upon him. His features were large, yet regular; his cheeks full; his forehead prominent; his eyebrows long and smooth, mutually approaching each other, yet not so as to meet; and between them was a vein, of which the pulse was quicker and higher than usual whenever he was angry. He had an aquiline nose and a large mouth, with teeth of singular brilliancy and somewhat singular form, as they were pointed like the teeth of a saw, and placed at some distance from each other, though still in beautiful order. When he laughed he discovered them, and they appeared, if tradition may be credited, like hail-stones or little white pearls. Even his laughter is said to have been full of majesty, and in his smile there was such a peculiar contraction of the muscles of the mouth and cheeks, and such an expression given to the countenance, as rendered it irresistibly attractive. In his later years he became corpulent; but he had always a

free, open air, a majestic port, and a most engaging address.

The Moslem writers are unbounded in their eulogy of the prophet's character as a man. Even those of them who treat as it deserves the foolish fiction of his having been taken by two angels in his childhood, his body laid open by a knife, his heart taken out, and pressed, and wrung, till its original corruptions oozed out in the form of large black fetid drops, when it was again replaced, purified and perfect, in his bosom, and the wound miraculously healed, still maintain that his moral qualities were such as to lift him quite out of the grade of the common race of men. But here the history of his life and the pages of the Koran will enable us to make those abatements which, in respect to his personal accomplishments, we can only suspect *ought* to be made. His followers extol his piety, veracity, justice, liberality, humility, and self-denial, in all which they do not scruple to propose him as a perfect pattern to the faithful. His charity, in particular, they say, was so conspicuous, that he seldom had any money in his house, keeping no more than was just sufficient to maintain his family, and frequently sparing even a part of his own provisions to supply the necessities of the poor. All this may have been so, but in forming our judgment of the exhibition of these moral traits, we cannot forget that he had private ends to answer, and we thus find it impossible to distinguish between the generous impulses of a

kind and noble heart, and the actings of an interested policy. It is no unusual thing for a strong ruling passion to bring every other passion, even the most opposite and discordant, into harmony and subserviency to its dictates. Ambition will sometimes control avarice, and the love of pleasure not unfrequently govern both. A man may afford to be just and generous, and to act the part of a very saint, when he has no less a motive before him than to gain the character of a prophet and the power of a monarch. If Mohammed really evinced the virtues of a prophet, he doubtless had his eye upon "a prophet's reward." But we would not be gratuitously harsh in our judgment of the impostor's moral qualities. We think it by no means improbable, that his disposition was naturally free, open, noble, engaging, perhaps magnanimous. We doubt not injustice may have been done by Christian writers to the *man* in their unmeasured detestation of the *impostor*. But as long as we admit the truth of history, as it relates to Islamism and its founder, it is plain, that if he were originally possessed of praiseworthy attributes, they ceased to distinguish him as he advanced in life: for his personal degeneracy kept pace with his success, and his delinquencies became more numerous, gross, and glaring, the longer he lived.

Of his intellectual endowments, his followers speak in the same strain of high panegyric. His genius, soaring above the need of culture, unaided by the lights of learning, despising books, bore him by its innate strength into the kindred subli-

mities of prophecy and poetry, and enabled him in the Koran, without models or masters, to speak with an eloquence unparalleled in any human production. But here it has escaped them, that they praise the prophet at the expense of his oracles; that whatever credit, on the score of authorship, they give to him, so much they detract from the evidence of its inspiration; since Mohammed himself constantly appeals to his revelations as proceeding from an "illiterate prophet," and therefore carrying with them, in their unequalled style, the clearest evidence of being, not a human, but a divine composition. On the point, however, of the literary merits of the Koran, and of the mental endowments of its author as evinced by it, the reader will judge for himself. We can more readily assent to their statements when they inform us, that his intellect was acute and sagacious, his memory retentive, his knowledge of human nature, improved as it was by travel and extended intercourse, profound and accurate, and that in the arts of insinuation and address he was without a rival. Neither are we able to gainsay their accounts when they represent him as having been affable, rather than loquacious; of an even cheerful temper; pleasant and familiar in conversation; and possessing the art, in a surprising degree, of attaching his friends and adherents to his person.

On the whole, from a candid survey of his life and actions, we may safely pronounce Mohammed to have been by nature a man of a superior cast of character, and very considerably in advance of

the age in which he lived. But the age and the country in which he arose and shone were rude and barbarous; and the standard which would determine him great among the roving tribes of Arabia might have left him little more than a common man in the cultivated climes of Europe. Men's characters are moulded as much by their circumstances and fortunes as by their native genius and bias. Under another combination of accidents, the founder of the Moslem faith and of the empire of the Saracens might have sunk to oblivion with the anonymous millions of his race, as the drops of rain are absorbed into the sands of his native deserts. His whole history makes it evident, that fanaticism, ambition, and lust were his master-passions; of which the former appears to have been gradually eradicated by the growing strength of the two last. An enthusiast by nature, he became a hypocrite by policy; and as the violence of his corrupt propensities increased, he scrupled not to gratify them at the expense of truth, justice, friendship, and humanity. It is right, indeed, in forming our estimate of his conduct in its most repulsive respects, that we should make allowance for the ignorance, the prejudices, the manners, the laws of the people among whom he lived. A heathen people cannot be fairly judged by the rules of Christian morality. In the mere circumstance of multiplying his wives, he followed the common example of his countrymen, with whom polygamy had been, from the earliest ages, a prevailing practice. And so, though

we cannot justify, yet we may in some measure palliate, the murder of Caab and Sophyan, if we supposed the prophet to have viewed them as enemies from whom his own life was in jeopardy; for in this no violence was done to the common sentiments of the Arab race. Even at the present day, among the prophet's disciples all over the East, no trait is more common or more revolting than *recklessness of life*, which is doubtless to be ascribed as much to national habits as to a native cruelty or ferocity of disposition. We must, indeed, think but little of the morality of such a people, and must behold with indignation a pretended prophet, while professing to purify the moral code of his countrymen, continuing still in the practice of some of the worst of its tenets. Here, in fact, our heaviest condemnation falls upon Mohammed. *He did not observe those rules of morality which he himself laid down, and which he enforced upon others by such terrible sanctions.* No excuse can be offered for the impostor on this score. He abused his claims as a prophet to screen the guilty excesses of his private life, and under the pretence of a special revelation, dispensing him from the laws imposed by his own religion, had the female sex abandoned without reserve to his desires. "O prophet, we have allowed thee thy wives unto whom thou hast given their dower, and also the slaves which thy right hand possesseth, of the booty which God hath granted thee; and the daughters of thy uncle and the daughters of thy aunts, both on thy father's side and on thy mother's

side, who have fled with thee from Mecca, and any other believing woman, if she give herself unto the prophet; in case the prophet desireth to take her to wife. This is a peculiar privilege granted unto thee, above the rest of the true believers."* The exceedingly liberal grant thus made to the prophet on the score of matrimonial privilege may be contrasted with the allowance made to his followers. "Take in marriage of such women as please you two, three, or four; and not more. But if ye fear that ye cannot act equitably towards so many, marry one only."†

Respect to decorum forbids our entering into details relative to this part of Mohammed's conduct and character. But from what has been already adduced, the reader cannot have failed to perceive how completely the prophet's imposture was made an engine for promoting the gratification of sensual passion. One of the grossest instances of his unhallowed abuse of the claims to which he pretended occurs in the history of his intercourse with Mary, an Egyptian slave. The knowledge of his illicit amours with this "possession of his right hand" having come to the ears, or rather to the eyes, of one of his lawful wives, who thereupon reproached him most bitterly for his infidelity, he went so far, in order to pacify her, as to promise with an oath never to be guilty of a repetition of the offence. But the infirmity of nature having not long after triumphed again over the strength of his resolution, he had recourse to his revelations

* Koran, ch. xxxiii. † Ch. iv.

to cover the scandal of this shameless lapse. The expedient now resorted to forms one of the blackest stains upon the pages of the Koran, and upon the character of its author. It was nothing less than a pretended absolution of the prophet from the obligation of his oath. "O prophet, why holdest thou that to be prohibited which God hath allowed thee, seeking to please thy wives; since God is inclined to forgive, and merciful? God hath allowed you the dissolution of your oaths, and God is your Master."* Here is an alleged dispensation of the prophet, which must be construed as actually legalizing perjury on the part of a professed messenger of truth; one too who thus instructs his followers: "Perform your covenant with God, when ye enter into covenant with him, and violate not your oaths after the ratification thereof; since ye have made God a witness over you. Verily, God knoweth that which ye do. And be not like unto her who undoeth that which she hath spun, untwisting it after she hath twisted it strongly." "Therefore take not your oaths between you deceitfully, lest your foot slip after it hath been steadfastly fixed, and ye taste evil in this life, and suffer a grievous punishment in the life to come."† This is but too fair a specimen of the general character of the Koran. By far the greater part of its contents were fabricated to answer particular purposes, which he could effect in no other way; and this was an expedient which never failed. If any new enterprise was to be

*Koran, ch. lxvi

†Ch. xvi

undertaken, any new objections answered, any difficulty to be solved, any disturbance among his followers to be hushed, or any offence to be removed, immediate recourse was had to Gabriel, and a new revelation, precisely adapted to meet the necessities of the case, was granted. As an inevitable consequence, a vast number of variations and contradictions, too palpable to be denied, occur in the course of the book. His commentators and disciples acknowledge the fact, but account for it by saying, that whenever a subsequent revelation plainly contradicts a former, the former is to be considered as having been revoked or repealed by the latter; and above a hundred and fifty verses are enumerated as having been thus set aside by after-discoveries of the divine will. In this they are countenanced by the words of the impostor himself. "Whatever verse we shall abrogate, or cause thee to forget, we will bring a better than it, or one like unto it."* "When we substitute in the Koran an abrogating verse in lieu of a verse abrogated (and God best knoweth the fitness of that which he revealeth), the infidels say, Thou art only a forger of these verses: but the greater part of them know not the truth from falsehood."† When this feature of their religion is objected to modern Mohammedans, as it was by Henry Martyn in his controversy with them, they reply, that "this objection is altogether futile; for the precepts of God are always delivered with a special regard to the necessities of his servants. And

* Koran, ch. ii. † Ch. xvi.

there can be no doubt that these must vary with the varying exigences of the times in which they are delivered. The divine Lawgiver may here be considered as the spiritual physician of his people ; who, like a temporal physician, prescribes such regimen and medicines as are most likely to suit the wants of his patient."* The pupil here is certainly worthy of the master, when they both agree in teaching, that the grand principles of morality are not eternal and immutable, growing out of the very nature of the relation subsisting between the Creator and his creatures, but are mere arbitrary rules, subject to be relaxed, modified, or dispensed with, as circumstances may dictate. Seeing that this pitiful device of feigning dispensations and abrogations of particular duties subjects the immutable counsels of the Almighty to the charge of weakness and fickleness, it is surprising that his disciples should have been blinded by so flimsy a disguise ; yet such is evidently the fact. And it adds another proof of the truth of the remark, that as there is no error or absurdity in religion too monstrous to be conceived or broached, so there is none too gross to be imposed upon the credulity of others.

* Lee's Translation of H. Martyn's Controversial Tracts.



الفصل السادس عشر

- عن زوجات النبي ﷺ - خديجة - عائشة - حفصة - زينب - صفية - جواريه - وصايا القرآن الكريم لزوجات النبي - معاملته لليهود والنصارى - النبوءات بظهور محمد في التوراة والأناجيل كما يدّعيها المسلمون .

P.166 لأن المرأة تشغل مكاناً بارزاً في القرآن الكريم وفي حياة النبي ، فإن زوجاته العديدات اللائي اختلف الرواة في عددهن - إذ تراوح تقدير عددهن ما بين خمس عشرة زوجة وواحد وعشرين زوجة - فإن موضوع المرأة في الاسلام من الموضوعات الشائقة جداً والتي لا يجب حذفها أو التغاضي عنها .

في أثناء حياة خديجة لا يظهر لنا أن محمداً ﷺ تزوج عليها زوجة أخرى تنافسها وتعكّر صفو حياتها . لكن بعد موتها ، عندما ازدادت شهرته بوصفه نبياً وعندما ترسخت سلطته بشدّة ، أزيحت بالتدريج القيود التي فرضتها السياسة على الزواج فجرى الترخيص به بشكل يكاد يكون غير محدود ، وهذا ما حاز سلوكه في وقت لاحق ، وكانت زوجته الثالثة هي عائشة الأثيرة لديه ، وهي بنت أبي بكر وقد تزوجها في السنة الأولى للهجرة . وقد أشيع ما يفيد عدم إخلاص عائشة رضي الله عنها ، ولم تزل هذه الوصمة عن عائشة رضي الله عنها تماما حتى أيامنا هذه . وعلى أية حال فإن النبي نفسه لم يصدِّق ما نُسب إليها (يقصد حادثة الإفك) ففي سورة النور من القرآن الكريم برأها الله مما قالوا :

P.167 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ

عليكُمْ ورحمتهُ في الدُّنيا والآخرةِ لمسَّكُمْ في ما أفضتُمْ فيه عذابٌ عظيمٌ (١٤) إذْ تلقَّونهُ بألسنتكُمْ وتقولُونَ بأفواهكُم ما ليسَ لكُم به علمٌ وتحسبُونهُ هيِّنًا وهُوَ عندَ اللَّه عظيمٌ (١٥)﴾ (النور: 11-15).

تزوّج النبي عائشة وهي في التاسعة من عمرها - هو أمر عجيب لكنه شائع في مناخ الشرق، وعاشت بعد وفاة زوجها ثمانية وأربعين عاماً. ويحتفي المسلمون بذكراها إحتفاء كبيراً وأضفْوا عليها شيئا من (روح النبوّة) وسموها أم المؤمنين، وربما كان هذا بسبب الرجوع إليها كثيراً بعد وفاة زوجها، للإفتاء في P.169 الأمور المشكلة في الشريعة بناء على ما سمعته من النبي أثناء حياته. وكانت تفسيراتها بالإضافة لتفسيرات أوّل عشرة أسلموا تعد من بين ما اصطلح على تسميته بالسنّة أو المرويّات الموثّقة عن النبي، ومكانة السنّة عند المسلمين تعادل مكانة التلمود عند اليهود أو بتعبير أدق مكانة المرويات اليهودية. وكانت عائشة تعادي عليا (بن أبي طالب) عداوة شديدة، وكان علي هو المرشح المنافس لأبي بكر في تولّي الخلافة (بعد موت النبي)، وعندما تبوأ علي أخيراً الخلافة خرجت عائشة على رأس جيش لتحاربه ولم تنجح حملتها لكنها استطاعت بعد ذلك أن تجد الوسائل لإثارة الفرقة بين أتباع علي وانفضاضهم عنه، مما أدى في النهاية إلى دماره ودمار أسرته.

وكانت حفصة ابنة عمر هي الزوجة التي تلي عائشة في تفضيل النبي لها. لقد عهد إليها باعتبارها أكبر زوجاته بالصندوق الذي يضم ما كُتب من الوحي المدّعي، والذي منه جمع أبو بكر القرآن بعد وفاة النبي، وقد ناهزت عند موتها ستة وستين عاماً.

وزينب زوجة أخرى للنبي، وكانت متزوجة من زيد وقد أنعم الله عليها - فيما يقول القرآن - بأن كانت من بين أوّل من أسلم. وحكاية زواج النبي بها حكاية جديرة بأن تُروى. لقد ذهب محمد ﷺ يوما إلى منزل زيد لأمر ولم يجد زيداً وتصادف أن وقعت عيناه على زينب الجميلة فافتتن الرسول بمفاتنها من أول

P.170 نظرة فلم يتمالك نفسه فرفع صوته ذاكراً أن سبحان الله مقلّب القلوب كيفما شاء . ومن وقتها توتّر حبها لزيد وأدى هذا إلى كثير من الإرباكات . لقد راح زيد يوازن بين حبه لزوجته ورغبته في الإبقاء عليها من ناحية وإحساسه بالالتزام والإخلاص لسيّده (محمد ﷺ)الذي أعتقه ، بل وتبناه أي اعتبره ابنا له ووريثا ، ووثق هذا بطقوس دينية علنية عند الحجر الأسود في ركن الكعبة ، وقرر زيد بعد تفكير متأن أن يطلق زينب ليتزوجها المنعم عليه أو بتعبير آخر صاحب الفضل عليه ، الذي كان يعرف - بشكل شخصي - هدفه ، وفي الوقت نفسه راح النبي يعلن أنه لم يعد يريد الزواج منها ويقول لزيد أمسك عليك زوجك . وكان محمد واعيًا بالخزي الذي سينتج عن هذا والذي يثير انتقاد الناس لاتخاذه زوجة هي بمثابة ابنته فخدع الناس بانصرافه عن هذا وكبح عاطفته ، ولكنه وجد أن شغفه بها أصبح شديداً لا يُقهر ، فتخلص من المشكلة بآيات قرآنية أراحته وأزالت كل الموانع الشرعية القائمة أمام ارتباطه بها بزوجة زيد ابنه بالتبني :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴾ (الأحزاب : 37) .(*)

P.171 إننا نجد هنا أن الله سبحانه لا يبارك هذا الزواج فحسب بل ويوبخ نبيه توبيخا رقيقا لأنه خشي - لفترة طويلة - امتعاض الناس ، وكان الأولى به أن يخشى الله أكثر مما يخشى الناس . وهكذا أصبحت زينب لخير البشر ، وعاشت معه حياة ملؤها الحب حتى مات ، وكانت تفخر على زوجاته الأخريات بأن الله هو الذي زوجها لمحمد ﷺ من فوق سبع سماوات بينما هن زوجهن آباؤهن وأقاربهن .

(*) تناولت كتب السّير هذه الواقعة لكن المؤلف أساء التفسير والتعليل وأضاع الهدف التشريعي من الواقعة ومن الآية الكريمة ، فالمقصود هو إبطال تشريع تحريم زوجة الابن بالتبنّي «ما جعل أدعياءكم أبناءكم» (المترجم)

وكانت إحدى زوجاته صفية التي كانت يهودية ، وليس هناك ما هو جدير بالذكر عنها ، سوى أنها شكت للنبي أن ضرائرها يقلن لها يا يهودية يا ابنة اليهودي واليهودية . فقال لها النبي : أن تقول لهن إن أباها هو هارون وأن عمها هو موسى وأن محمداً هو زوجها . وأتى اللوم على هذه الإهانة التي تلقتها صفية من ضرائرها ليس من النبي فقط وإنما من مصدر أعلى (يقصد الله سبحانه) :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** (١١) ﴾ (الحجرات :11) .

وبالإضافة لزوجاته كانت له أيضا جواريه اللائي كان من بينهن مارية المصرية التي كانت أثيرة لديه ، وقد أنجب منها ابنه إبراهيم الذي مات في مرحلة الطفولة فحزن عليه محمد ﷺ وأتباعه حزنا يفوق الوصف ، ولم ينجب من زوجاته الأخريات خلا خديجة التي أنجبت له ثمانية : أربعة أولاد وأربع بنات مات معظمهم في وقت باكر من حياتهم ولم يعش منهم بعد وفاته سوى فاطمة زوجة علي (بن أبي طالب) التي توفت بعد وفاته بستين يوما فقط .

وتظهر آيات القرآن التي سنذكرها فيما يلي أن محمداً ﷺ لم يكن هو وحده المشمول برعاية الله وبركاته وتوجيهاته . وإنما امتد كل هذا ليشمل زوجاته ، وكن يوجَّهن عند الضرورة بلطف وكياسة . ويبدو أنه نتيجة عدم الإشباع الجنسي - إلى حد ما - أصبحن أكثر اهتماما بأمور أخرى خاصة بهن ، أكثر من اهتمامهن بالنظر لأنفسهن بوصفهن زوجات لنبي مقدّس فرحْن يطالبنه بتعدد الأثواب (أنواع الملابس) وكان محمد من الحكمة بحيث لم يسمح لهن بذلك ،

P.173 لذا فقد تعرض للتوبيخ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً** (٢٨) **وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** (٢٩) ﴾ (الأحزاب : 28 ، 29) .

ونقرأ أيضًا في السورة نفسها :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾ (الأحزاب : 32 ، 33) .

وقد حرّم النبي على كل زوجاته الزواج من بعده مع أن بعضهن كن صغيرات السن ، وقد التزمن بهذا بعد مماته التزاما صارماً كما يُلتزم بأي شيء آخر ورد في القرآن الكريم وعشن من بعده أرامل ومتن على هذه الحال . والنص القرآني الذي ورد فيه هذا الحكم نص غريب وسيجعل القارئ يخلص بأن روح الغيرة هي التي أملته ، كما كان يُقصد به تخليد ذكراه بعد موته . وتم تصدير P.174 هذا الأمر بعدة تحذيرات لأتباعه فيما يتعلق بطريقة التعامل مع النبي وآل بيته :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾ (الأحزاب : 53) .

بدأ محمد ﷺ في مطلع بعثته أكثر ودّا نحو اليهود والنصارى ، فهو يشترك معهم في الأنتساب إلى إبراهيم (الخليل) وهو يتفق معهم في العقيدة الأساسية – توحيد الله ، ولعرضه أن تكون القدس غرضا للحج ، وأن تكون الكعبة قبلة للصلاة ، لكنه أبدى حقده عليهم في حوالي الوقت الذي دخل فيه المدينة (المنوّرة) فأصبح بعدها عدواً لدوداً لهم وأبدى قسوة شديدة ضدهم أثناء P.175 حروبه ، قسوة لم تشهدها حروبه مع سواهم . وهكذا أكّد هذا الإسماعيلي (نسل إسماعيل عليه السلام) ما ورد في الكتابات المقدسة عن

العداوة بين نسل هاجر من ناحية ، ونسل سارة من ناحية أخرى : «لأنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرّة ، ولكن الذي من الجارية وُلد حسب الجسد . وأما الذي من الحرة فبالموعد» العهد الجديد/ الرسالة إلى أهل غلاطية الإصحاح 4 / فقرة 21 ،22 . لقد كانت معارضتهم له مبنية على مالا يحصى من الإجحاف العرقي والديني . من السهل تبيّن ذلك . لقد أطلقوا اسمًا يدل على التحقير والازدراء على بدعته (المقصود دينه) مما أثار سخطه . لقد كان لفترة يعتقد أنه يُعيد الدين الحنيفي الحق الذي أوحاه الله إلى إبراهيم ، ونقله إبراهيم إلى إسماعيل ، والذي أسماه محمد دين الإسلام والذي يعنى الإخلاص لله وطاعة دينه إلا أن اليهود حرّفوا الكلمة وأحلوا حرفا محل حرف واسموه الدين الإسماعيلي بدلا من الدين الإسلامي نسبة إلى الجد الأعلى للنبي (اسماعيل) وبذا انتقدوا بعنف الدين الزائف الذي أتى به عدوهم (المقصود محمد ﷺ) . هذا التحقير أو هذه الإهانة لم ينسها محمد ﷺ ولم يغفرها . فلازال اليهود والنصارى لا يحظون بالحماية إلاّ إذا دفعوا الجزية .

P.176 ورغم أن القرآن - وكل المؤمنين به- ينضح بالحقد والمكر ضد المسيحيين كما ينضح بالازدراء للكلاب والكفرة الذين يؤمنون بعقيدة الانجيل ، إلاّ أن اتجاه القرآن - والمسلمين - نحو المسيحيين أكثر لينا منه نحو اليهود ، وبعض المسلمين يعتبرون الدين المسيحي هو أفضل دين بعد الإسلام ، خاصة مسيحية الموحدين أو المناهضين للتثليث . ومع هذا فإننا نجد محمداً ﷺ في القرآن لا يُفلت أية فرصة ليصب جام غضبه على الدينين :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (المائدة : 20) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (البقرة : 13) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) ... ... مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾ (آل عمران : 65 ، 67) .

وقد تسامح دين القرآن مع الكنائس المسيحية المبنية منذ القدم لكنه لم يسمح بتجديد أساساتها . وللمسيحيين أن يُصلحوا (يرمّموا) جدران كنائسهم وأسقفها (المقصود الكنائس القائمة فعلا) لكنه من غير المسموح لهم أن يُقيموا كنائس جديدة بل إن النيران إذا التهمت كنيسة من كنائسهم ، أو اعترى الكنيسة خراب لأي سبب آخر ، وجدوا معاناة لتجديد أساساتها . معاناة لا تقل عما إذا P.177 كانوا يريدون إقامة كنيسة أخرى . والنتيجة أن الكنائس في البلاد التي يسيطر عليها المسلمون قد أصبحت خَربة ، بل وتهدّم عدد كبير منها تماما . وفي الحريق الهائل الذي حدث في غلاطية واستانبول (النص : القسطنطينية) في سنة 1660 تحولت العديد من الكنائس الكبيرة والصغيرة إلى رماد ، وعندما عمد الأتقياء والمتحمسون إلى بناء وإكمال إصلاح العدد الأكبر منها صدر فرمان بهدم كل ما بنوه بحجة أن هذا ضد القوانين التركية القاضية بألا تجدد كنيسة إلا إذا كانت أساساتها قائمة بمعنى حظر إنشاء الكنيسة من جديد مادام لم يبق منها شيء .

والآن ونحن بصدد إنهاء هذا العرض نقول إن محمداً ﷺ لم يكتف باعتبار العهدين القديم والجديد وحيا أنزله الله رغم ما به من تحريف ، ولكنه أيضًا أكّد أن فيهما إشارات تُنبئ ببعثته نبيا ورسولا :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾ (الصف : 6) .

وتأكيدا لهذا أورد المفسّر الفارسي كلمات المسيح في آخر خطاب له إلى حوارييه : «إن لم أذهب بعيداً فلن يأتيكم البرقليط (المعزى أو المواسي) لكنني إن P.178 ذهبت فسأرسله لكم» . هذه الفقرة من كلام المسيح ، يُجمع علماء

المسلمين أنها إشارة للنبي محمد ﷺ ولم تتحقق إلاّ فيه . لكنهم ليجعلوا تفسيرهم مقبولا اضطروا إلى القول بأن النصارى قد حرفوا في نسخهم القراءة الصحيحة فبدلاً من برقليط (التي تعني المعزّى) كتبوا البرسيليت Percilyte التي تعني (الشهيد أو اللامع) والكلمة برقليط مرادفة للكلمة أحمد .

والفقرة التالية من سفر التثنية الإصحاح 33 ، الفقرة 2 «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . . » يقول المفسرون المسلمون عن هذه الكلمات أنها تعني تسليم موسى الشريعة على جبل سيناء وتسليم عيسى الانجيل في القدس ، ونزول القرآن على محمد في مكة . وهم يقولون إن سعير يعني جبلا في القدس وأن فاران (أو باران) جبل بالقرب من مكة . لكن سيظهر أن علمهم الجغرافي أعرج كعلمهم الديني فسعير تبعد عن القدس مائة ميل ، وفاران (أو باران) تبعد عن مكة خمسمائة ميل . ولا نحتاج لدحض أقاويل أخرى من هذا النوع .

وعلى أية حال فإننا لا نشك في أن كتبنا المقدسة قد تنبّأت بهذا الدَّعي الكبير ودينه لكن بمعنى آخر يختلف عما ذكره محمد وأتباعه ، فلم تكن كتبنا المقدسة P.179 لتغفل التنبؤ بهذا الدين الذي أتى به محمد وهذه الامبراطورية التي شاهدها . . بوصفهما سوط عذاب نزل على الكنيسة والعالم المتحضر . لا يمكن تناول ظهور الإسلام وتقدمه وانتشاره بمعزل عن النبوءات التي تنبأت به ، لذا صممنا على تخصيص جزء من ملاحق هذا الكتاب لتناول أبرز هذه النبوءات وأكثرها مدعاة للدهشة . فليسمح لنا القارئ بلفت نظره إليها .

CHAPTER XVI.

Account of the Prophet's Wives—Cadijah—Ayesha—Hafsa—Zeinab—Safya—His Concubines—Singular Precepts in the Koran respecting the Wives of Mohammed—His comparative Treatment of Jews and Christians—Predictions of the Prophet alleged by Mohammedans to be contained in the sacred Scriptures.

As the subject of women occupies a prominent place in the Koran, so in a complete history of the prophet's life his numerous wives, of which the number is variously stated from fifteen to twenty-one, form a topic of too much interest to be omitted.

During the lifetime of Cadijah, it does not appear that she was ever pained with the sight or suspicion of a rival. After her death, when at length his reputation as a prophet had become established, and his authority too firmly rooted to be shaken, the restraints which policy had imposed upon passion were gradually thrown off, and the most unlimited license in this respect marked his subsequent conduct.

His third and best beloved wife was Ayesha, the daughter of Abubeker, whom he married in the first year of the Hejira. Vague rumours of conjugal infidelity have cast a stain upon the character of Ayesha not entirely effaced even at the present day. They were not believed, however, by the prophet, and the divine acquittal in the twenty-fourth chapter of the Koran has done much

towards shielding her fame from reproach. "As to the party among you, who have published the falsehood concerning Ayesha—every man of them shall be punished according to the injustice of which he hath been guilty; and he among them who hath undertaken to aggravate the same shall suffer a grievous punishment. Did not the faithful men and the faithful women say, This is a manifest falsehood? Have they produced four witnesses thereof? Wherefore, since they have not produced the witnesses, they are surely liars in the sight of God. Had it not been for the indulgence of God towards you, and his mercy in this world, and in that which is to come, verily a grievous punishment had been inflicted on you for the calumny which ye have spread; when ye published that with your tongues, and spoke that with your mouths, of which ye had no knowledge; and esteemed it to be light, whereas it was a matter of importance in the sight of God."*

Ayesha was married—such is the surprising physical precocity peculiar to an eastern climate—at the early age of nine; and survived her husband forty-eight years. Her memory is held in great veneration by the Moslems, who have bestowed upon her the title of *Prophetess*, and *Mother of the Faithful*, probably from the circumstance of her being much resorted to after her husband's death, as an expositor of the doubtful points of the law; an office which she performed by giving the sense which

* Koran, ch. xiv.

she had heard the prophet affix to them in his life-time. Her expositions, together with those of Mohammed's first ten converts, form what is called the *Sonnah*, or the *Authentic Traditions*, of the professors of Islam, which bear a striking resemblance to the traditions of the Jews. Ayesha was the inveterate enemy of Ali, the rival candidate with Abubeker to the honour of being the prophet's successor; and when at last he attained to that dignity, she appeared in arms against him. Her expedition was indeed unsuccessful, yet she found means, some time after, to excite a defection among Ali's followers, which finally resulted in the ruin of himself and his house.

Hafsa, the daughter of Omar, was next in favour with the prophet. To her, as being the eldest of his wives, he committed the Chest of his apostleship, containing the original copies of his pretended revelations, from which the volume of the Koran was composed after his death, by Abubeker. She died at the age of sixty-six.

Zeinab, another of his wives, was originally the wife of his servant Zeid; upon whom, as we learn from the Koran, God had bestowed the grace to become one of the earliest converts to the true faith. The circumstances which led to her becoming the wife of the prophet, form a story worth relating. Mohammed, having occasion, one day, to call at the house of Zeid upon some matter of business, and not finding him at home, accidentally cast his eyes on Zeinab his wife. Being a woman of distinguished beauty, the prophet was so

smitten with her charms at first sight, that he could not forbear exclaiming, "Praised be God, who turneth the hearts of men as he pleaseth!" and thenceforth became violently in love with her Zeid, when made acquainted with the circumstance, was thrown into great perplexity. His affection for his wife and his wish to retain her were counterbalanced by his sense of obligation to his master, who had not only freed him from servitude, but had also publicly adopted him as his son and heir, by a religious ceremony at the black stone of the Caaba. Upon mature reflection he determined to part with Zeinab in favour of his benefactor, whom he privately acquainted with his intention, at the same time giving out in public, that he no longer retained any affection for her, in order to pave the way for a divorce. Mohammed, aware of the scandal that would ensue among his people, from his taking to his bed one who stood to him in the relation of a daughter, made a feint of dissuading him from his purpose, and endeavoured to suppress the violence of his passion. But finding the flame which consumed him unconquerable, a chapter of the Koran came seasonably to his relief, which at once removed all impediments in the way of a union. "And remember, when thou saidst to him unto whom God had been gracious (Zeid), and on whom thou also hadst conferred favours, keep thy wife to thyself and fear God; and thou didst conceal that in thy mind (i. e. thine affection to Zeinab) which God had determined to discover, and didst fear men; whereas it

was more just that thou shouldst fear God. But when Zeid had determined the matter concerning her, and had resolved to divorce her, we joined her in marriage unto thee, lest a crime should be charged on the true believers in marrying the wives of their adopted sons: and the command of God is to be performed. No crime is to be charged on the prophet as to what God hath allowed him."* Here the Most High is represented not only as sanctioning the marriage, but as conveying a gentle rebuke to the prophet, that he should so long have abstained from the enjoyment of this favour out of regard to public sentiment, as though he feared men rather than God! Zeinab hereupon became the wife of this most favoured of mortals, and lived with him in great affection to the time of his death; always glorying over her associates, that whereas *they* had been married to Mohammed by their parents and kindred, *she* had been united to him by God himself, who dwells above the seven heavens!

Another of his wives, Safya, was a Jewess. Of her nothing remarkable is related, except that she once complained to her husband of being thus reproached by her companions: "O thou Jewess, the daughter of a Jew and of a Jewess." To which the prophet answered, "Canst thou not say, Aaron is my father, Moses is my uncle, and Mohammed is my husband?" But in reference to these insulting taunts, an admonition was conveyed

* Koran, ch. xxxiii

to the offenders from a higher source than the prophet himself. " O true believers, let not men laugh other men to scorn, who peradventure may be better than themselves; neither let women laugh other women to scorn, who may possibly be better than themselves. Neither defame one another, nor call one another by opprobious appellations."*

In addition to his wives, the harem of the prophet contained a number of concubines, among whom Mary, the Egyptian, was his favourite. By her he had a son, Ibrahim (Abraham), who died in infancy, to the unspeakable grief of the prophet and his disciples. He had no children by any of the rest of his wives except Cadijah, who was the mother of eight—four sons and four daughters ; but most of these died in early life, none of them surviving their father except Fatima, the wife of Ali, and she only sixty days.

The following passages from the Koran evince that not the prophet only was an object of the divine care, beneficence, and guidance, but that his wives also shared in the same kind providence, and that whatever instructions or admonitions their frailties might require were graciously bestowed upon them. From an infirmity not uncommon to the sex, they had become, it appears, more devoted to the decoration of their persons than was creditable for the wives of a holy prophet, and had demanded of him a larger allowance on the score of dress than he deemed it prudent to grant. They

* Koran, ch. xlix.

are thus rebuked: "O prophet, say unto thy wives, If ye seek this present life and the pomp thereof, come, I will make a handsome provision for you, and I will dismiss you with an honourable dismission: but if ye seek God and his apostle, and the life to come, verily God hath prepared for such of you as work righteousness a great reward."* "O wives of the prophet, ye are not as other women: if ye fear God, be not too complaisant in speech, lest he should covet in whose heart is a disease of incontinence; but speak the speech which is convenient. And sit still in your houses; and set not out yourselves with the ostentation of the former time of ignorance, and observe the appointed times of prayer, and give alms; and obey God and his apostle; for God desireth only to remove from you the abomination of vanity, since ye are the household of the prophet, and to purify you by a perfect purification."†

The prophet interdicted to all his wives the privilege of marrying again after his death, and though some of them were then young, they scrupulously obeyed his command, delivered to them, like every thing else in the Koran, in the form of a mandate of heaven, and lived and died in widowhood. The passage in which this severe edict is found is a curiosity, and will doubtless lead the reader to suspect that it was prompted by a spirit of mean jealousy, the effects of which he aimed to perpetuate when he was no more. It is pre

* Koran, ch. xxxiii.

† Ibid.

faced by some wholesome cautions to his followers respecting the etiquette to be observed in their intercourse with the prophet and his household.

"O true believers, enter not into the houses of the prophet, unless it be permitted you to eat meat with him, without waiting his convenient time; but when ye are invited, then enter. And when ye shall have eaten, disperse yourselves; and stay not to enter into familiar discourse; for this incommodeth the prophet. He is ashamed to bid you depart, but God is not ashamed of the truth. And when ye ask of the prophet's wives what ye may have occasion for, ask it of them behind a curtain. This will be more pure for your hearts and their hearts. Neither is it fit for you to give any uneasiness to the apostle of God, *or to marry his wives after him for ever;* for this would be a grievous thing in the sight of God."*

In the outset of his career, Mohammed appears to have been more favourably disposed towards the Jews than the Christians. This is inferred from his enjoying with them a common descent from the patriarch Abraham; from his agreement with them in the fundamental doctrine of the divine unity; and from his proffering to make Jerusalem the point of pilgrimage and of the Kebla to his followers. But conceiving a pique against them about the time of his entrance into Medina, he thenceforward became their inveterate enemy, and in all his wars pursued them with a more relentless

* Koran, ch. xxxiii.

severity than he showed towards any other people. Thus this descendant of Ishmael, without intending it, made good the declaration of holy writ respecting the antagonist seeds of Hagar and of Sarah. "For it is written that Abraham had two sons, the one by a bond-maid the other by a free woman. But he who was of the bond-woman was born after the flesh; but he of the free woman was by promise. But as then he that was born after the flesh persecuted him that was born after the spirit, even so it is now."* *Their* opposition to him can easily be accounted for on the score of national and religious prejudice. And the opprobrious name which they gave to the corrupt system of the heresiarch, tended still more to provoke his indignation. For while he professed to be a restorer of the true primitive religion which God communicated to Abraham, and Abraham to his sor Ishmael, and which the prophet denominated Islam, or Islamism, from a word signifying *to devote* or *dedicate to religion*, the Jews, by a transposition of letters, called the new creed *Ismaelism*, from the prophet's progenitor, and thus cast the greatest possible reproach on the bastard faith of their enemy. Their effrontery Mohammed neither forgot nor forgave. Still, both Jews and Christians were admitted to protection in ordinary cases on the payment of a specified tribute.

Towards the Christians, though the Koran, and all who embrace it, breathe the most inveterate malice and the most sovereign contempt against the

* Gal. ch. iv.

"dogs" and "infidels" who profess the Gospel faith, yet rather more forbearance is exercised than towards the Jews; and some of the Moslems will grant, that Christianity, next to their own, is the best religion in the world, particularly as held by Unitarians. Yet Mohammed, in the Koran, loses no opportunity to pour his revilings indiscriminately upon both. "The Jews and the Christians say, We are the children of God and his beloved. Answer, Why, therefore, doth he punish you for your sins?"* "They say, Verily, none shall enter paradise, except they who are Jews or Christians: this is their wish. Say, Produce your proof of this, if ye speak truth. The Jews say, The Christians are grounded on nothing; and the Christians say, The Jews are grounded on nothing: yet they both read the Scriptures."† "O ye, to whom the Scriptures have been given, why do ye dispute concerning Abraham? Abraham was neither a Jew nor a Christian; but he was of the true religion, one resigned unto God, and was not of the number of idolaters."‡

The religion of the Koran tolerates Christian churches in places where they have been anciently founded, but permits them not to be reared on new foundations. Christians may repair the walls and roofs of their places of worship, but are not allowed to lay a stone in a new place consecrated to the site of a holy building; nor, if fire or any other accident should destroy the superstructure, are they suffered to renew the foundations, so as

* Koran, ch. v. † Ch. ii ‡ Ch. iii.

to erect another building. The consequence is, that Christian churches, in the Mohammedan dominions, must necessarily at length sink to ruin, and vast numbers of them have already gone entirely to decay. In the great fires which happened in Galata and Constantinople in 1660, numerous Christian churches and chapels were reduced to ashes, and when the piety and zeal of their votaries had re-edified and almost completed the greatest number of them, a public order was issued that they should all be again demolished, it being judged contrary to Turkish law to permit the restoration of churches where nothing but the mere foundation remained.

The fact may be here adverted to, in drawing our sketch to a close, that Mohammed not only admitted the Old and New Testaments as divinely inspired books, though corrupted by their disciples, but affirmed that they bore unequivocal prophetic testimony to his future mission as prophet and apostle: "And when Jesus, the son of Mary, said, O children of Israel, Verily I am the apostle of God sent unto you confirming the law which was delivered before me, and bringing good tidings of an apostle who shall come after me, and whose name shall be Ahmed (Mohammed)."* In support of what is here alleged, the Persian paraphrast quotes the words of Christ in his last address to his disciples: "If I go not away, the Comforter will not come unto you; but if I go away, I will send him unto you." This passage the Moham-

* Koran, ch. lxi.

medan doctors unanimously teach has a direct inference to their prophet, and is fulfilled in him only. But then, in order to make good their interpretation, they are obliged to hold that the Christians in their copies have corrupted the true reading, which, instead of *Paraclete* (*Comforter*), is *Periclyte* (*illustrious*, *renowned*), a word perfectly synonymous with Ahmed.

The following passage (Deut. xxxiii. 2) is also suborned to the support of the same bad cause: "The Lord came from Sinai, and rose up from Mount Seir unto them; he shined forth from Mount Paran, and he came with ten thousand of his saints; from his right hand went a fiery law for them." By these words, say the Moslem expositors, is set forth the delivery of the law to Moses, on Mount Sinai; of the Gospel to Jesus at Jerusalem; and of the Koran to Mohammed at Mecca. By Seir, they maintain that the mountains of Jerusalem are meant, and by Paran, those in the neighbourhood of Mecca. But their geography will appear as lame as their divinity, when it is stated, that Seir was a hundred miles distant from Jerusalem, and Paran five hundred from Mecca. Their other glosses of this nature need no confutation.

In another sense, however, wholly different from that intended by Mohammed or his followers, we doubt not that this grand impostor and his religion are distinctly foretold in the sacred volume. The religion promulgated, and the empire established, by the author of Islam, has been too

signal a scourge to the Church and the civilized world not to be entitled to a place in the prophetic annunciations of the Bible. As the subject of the rise, progress, and permanence of Mohammedanism cannot be duly appreciated apart from the predictions concerning it, we have determined to devote a portion of the Appendix to the consideration of the most prominent and striking of these prophecies, to which the reader will permit us to bespeak his attention.



ـ الملحق الأول

نبوءتا دانيال ويوحنا

- مقدمة المترجم عن المضامين السياسية ومستقبل العالم الإسلامي كما وردت في هذا الملحق الذي يتناول مفاهيم المؤلف جورج بوش من خلال نبوءتيْ دانيال ويوحنا .
- الترجمة الكاملة التي تكاد تكون حرفية للملحق الأول المتضمن تفسير رؤيا دانيال ورؤيا يوحنا اللاهوتي من وجهة نظر للمؤلف (جورج بوش) .
- تعليقات شارحة على النص جمعها المترجم من المصادر (معظمها ألفه مسيحيون) لتوضيح بعض المصطلحات وسير بعض الأعلام كما وردت بالنص المترجم .
- النص الانجليزي الكامل لهذا الملحق لمن أراد التيقّن من المعاني الخطيرة الواردة في نص بوش
- نموذج لعدم اقتناع المسيحيين الشرقيين بتفسير بوش لتنبّؤات الكتاب المسيحي المقدس .

مقدمة المترجم :

عن المضامين السياسية ومستقبل العالم الإسلامي كما وردت في هذا الملحق الذي يتناول مفاهيم جورج بوش من خلال نبوءتيْ دانيال ويوحنا

قراءة هذا الملحق بتأن تفسّر لنا ما أصبح موجوداً بالفعل ، وأعني بهذا أنه لم يحدث في أيٍّ وقت مضى أن كان حكّام العالم العربي والإسلامي في خندق واحد مع شعوبهم كما هو الحال اليوم . فهذه النبوءات التي تخطط السياسات ، أو هذه السياسات التي تهتدي بهذه النبوءات لا تفرّق بين حاكم ومحكوم بل هي تخطط على وفق نصوص هذه النبوءات الموصوفة بأنها دينية لإزاحة حكام المسلمين ، للاستفراد بشعوبهم وتفريقهم وتقسيمهم ، على أن تتولّى الشعوب نفسها تدمير نفسها ، ببث الخلاف بينها وإثارة مختلف النعرات ، فيسقط العالم الإسلامي من الداخل ، وهكذا يفسّرون فقرة من نبوءة دانيال ـ كما يرى القارىء في النص المترجم حرفيًا والمشفوع بالنص الانجليزي – وهذه الفقرة تقول : «وبغير يد ينكسر» ، وبوش شارح هذه النبوءة يقول ما يفيد أن العالم الاسلامي – بعد إزاحة حكامه الذين يصفهم بأنهم حكام متسلّطون – سيعود إلى الدين الحقيقي ويتركون الدين الدَّعي وما يصاحبه من ثقافة (على حد تفسيره لرؤيا دانيال) .

ويرى القارىء أن بوش فسّر انتشار الإسلام بامتلاك العرب ومن بعدهم الترك على حين غرّة قوّة هائلة اقتحمت فجأة كيانات المتعبّدين الحقيقيين، ومعني هذا فإن تجريد المسلمين من أسلحتهم على وفق تفسير بوش مطلب توراتي وإنجيلي باعتبار سفر دانيال جزءاً من العهد القديم أو باعتباره جزءاً ملحقاً بأسفار موسى الخمسة، وهذا العهد القديم بالإضافة للأناجيل وملحقاتها يمثل الكتاب المقدّس المسيحي.

مفهوم أنّ للسياسة أحكام، وهناك ضغوط، قد لا يستطيع الحكام المسلمون في هذه الأيام تحاشيها. لكن الشعوب التي أصبحت في خندق واحد مع حكامها تستطيع ذلك، فلن يستطيع أي جبار أن يفرض حصاراً على كل فرد وكل جماعة. يستطيع هذا الجبّار إلى حين أن يفرض على حكومة ألاّ تدرّس الكيمياء والفيزياء والفلك والجغرافيا الدقيقة والحاسب الآلي، وغيرها من العلوم المفيدة، كما ينبغي أن يكون التدريس، لكنها أبدًا لن تستطيع منع جماعات وجمعيات وأفراد من إقامة مدارس خاصة تستعين في التزود بكتب هذه العلوم المفيدة من الدول التي وصفها بوش في تفسيره بأنها ذات عقائد انحرفت عن المسيحية الحقة كدول المسيحية الأورثوذكسية الشرقية (وروسيا منها). بل إن تفسير بوش لسفر دانيال يذهب إلى أن الإسلام مصيبة أرسلها الله (كذا) انتقاما من الكنائس الشرقية التي ضلّت السبيل، لكن هؤلاء المسلمين سيعودون للمسيحية مرة أخرى إذا ما وصلتهم بشكلها الصحيح ليصبح العالم الإسلامي مسيحياً كما كان لكن على المسيحية الصحيحة هذه المرّة، وسيتم هذا فيما يقول بوش في تفسيره لنبوءة دانيال بالسلم وبدون حرب، فنبوءة دانيال تقول: «وبدون يد ينكسر».

وكما ستمنع القوى الطاغية، ظنا منها أنها تحقق نبوءة دانيال؛ المسلمين من العلوم الحقيقية، ستمنعهم بشكل أو بآخر من تكوين اقتصاد حقيقي قائم على العمل. وهي تستطيع ذلك بالضغط على الحكومات التي قد تكون مضطرة للاستجابة، فللسياسة أحكام، لكن هذا لا يمكن فرضه بسهولة على جماعة أو جماعات أو فرد أو أفراد داخل الدولة، فلتزرع هذه الجماعات أو هؤلاء الأفراد قمحا وشعيرا ولتقم مراكز أبحاث خاصة لتطوير هذه الزراعة ليُطعموا أنفسهم والمسلمين من حولهم من إنتاجهم حتى لا يخضعون للتجويع. قد تشجع القوى

الظالمة زراعة الفراولة والكانتالوب . . .الخ . وتجعل ربحها وفيراً ، لكن المسلم الحق كيّس فطن وسيرضى بربح قليل ينتج عن زراعة القمح والشعير حفاظا على نفسه ونسله والمسلمين من حوله . ورحم الله من قال : الدنيا الحليب والتمر فلن يجِّوعنا أحد .

والتركيز على نزع القوة بمختلف أنواعها من أيدي المسلمين واضح في شرح بوش لهذه النبوءة (دانيال) والنبوءة التي تليها (يوحنا) ، فقد ركّز كثيراً في النبوءة التالية (نبوءة يوحنا) على امتلاك الثعابين والعقارب لمدفعية قوية خطيرة فاقت كل ما قبلها من المدفعية .

وبالمناسبة فإن الثعابين والعقارب في الرؤيا (أو النبوءة) يُقصد بها - كما فسرّ بوش - الأتراك الذين يشملون الترك والأكراد والإيرانيين ، أما العرب أو الساراسين (السرسريّة) فيُرمز لهم في الرؤيا أو النبوءة - على حد تفسير بوش - بالجراد الخارج من الهاوية . فالعرب جراد ، والترك بالمفهوم السابق عقارب وثعابين .

والتمركز في أرض الفرات التي أشارت إليها النبوءة (دانيال ويوحنا) ضروري لتكون «قوى الخير» قادرة على سحق الجراد من ناحية والثعابين والعقارب من ناحية أخرى ، وقد فسّر بوش أرض الفرات في الرؤيا على أنها مركز الترك أو على حد التعبير الاصطلاحي الرمزي «مركز العقارب والثعابين» .

ليس من مهمتنا هنا أن نشرح أو نفنّد أو أن نسوق الأدلّة ، فنحن لسنا في مجال بحث أكاديمي خالص ، ولو فسَّر رؤيا دانيال ورؤيا يوحنا أيُّ قس جليل أو أيُّ عالم اختصاصي في المسيحية أو اليهودية ، ما كلّفنا أنفسنا عناء عرض ما يقوله ، مهما كان تفسيره ، ولكننا إزاء تفسير يعتنقه حاكم قوي (والله أقوى وأعز) يُعَزّ بسلطانه مالا تستطيع كنيسة كاملة أن تُعز .

فالكتاب الذي بين أيدينا ألّفه چورچ بوش الجد الأكبر لإسرة حاكمة ؛ لأكبر قوة تتسيد العالم والأهم من كل هذا أن تفسير چورچ بوش للنبوءتين نراه منطبقًا بشكل واضح على سياسته العملية ، كما وضحنا وكما سيوضح السياق فيما بعد ، وأبقى الله من قال : ذئب من بلادي يأكل كلّ يوم شاة من قطيعي ، خير من حارس أجنبي يبتلع القطيع كله .

من الواضح أن مؤسسات حقوق الإنسان في الولايات المتحدة خاصة تركز

على حدّ الردّة حتى في لقاءاتها مع ممثلي الجماعات الإسلامية . وكذلك على المرأة ، تاركة الجوانب الأخرى لحقوق الانسان والسبب كما يوضح شرح بوش لرؤيا دانيال ورؤيا يوحنا أنه سيحدث تحولِ إرادي جماعي عن دين الإسلام في هذه الألفية التي ربما كانت هي الألفية التي يعود فيها المسيح فيملأ الدنيا عدلا ، وهو لن يعود إلاّ إذا وجد المعبد اليهودي قائما لتعود الأضحيات من جديد تُقَدَّم للرب ، تلك الأضحيات التي منعها ملك الجراد عندما خرج من الهاوية ، وهو يقصد محمداً ﷺ وبارك فيه أن هدانا سواء السبيل ، وأبقى دينه ، وهزم عدوّه ، ونجّانا من القوم الظالمين .

فالمسلمون سيتركون دينهم وثقافتهم بلا قتال «وبدون يد ينكسر» وإنما بمجرد وصول المبشرين ، وإزاحة الحكام . ألم أقل لكم إن الناس في العالم الإسلامي - بحسّهم الصادق - أدركوا أنهم وحكامهم في خندق واحد .

ولم تفرق نبوءة دانيال - ومن بعدها نبوءة يوحنا - على وفق تفسير بوش لهما بين مسلم سني ومسلم شيعي ، ولا بين مذهب ومذهب داخل السنة ولا مذهب ومذهب داخل الشيعة . ولم تفرق بين مُصل يضع يديه معقودتين ذات اليمين أو معقودتين ذات الشمال أو معقودتين في الوَسط أو مُسربلتين ، ولم تُفرق بين قَبيلي وخضيري ولا بين صعيدي وبحراوي ، وأكاد أقول أنها لم تفرق بين مسلم ومسيحي شرقي ، فقد كان ظهور محمد ﷺ «مصيبة» فيما يرى بوش في تفسيره للرؤيا بسبب انحراف الكنائس الشرقية وخروجها عن الدين الصحيح ، فقد وجه الله سبحانه جيوش المسلمين (الجراد) لقتل كل الناس إلاّ من كان على جبهته «خاتم الله» ويقول إن معنى الرؤيا أن المناطق المسيحية التي لم تصل إليها جيوش المسلمين هي وحدها التي كانت على المسيحية الحقّة .

ولا نجد مبرراً كي نقول له إن جيوش المسلمين قد وصلت إلى مشارف فرنسا وإلى مشارف فيينا بل وإلى مشارف روما ، ولو كانت أمريكا معروفة وقتئذ لوصلوا إليها لا إلى مشارفها فقط ، ألم يخض الفارس المسلم في مياه الساحل الأطلسي مُقسماً أنه لو يعلم أن وراء هذا البحر (المحيط) أرضا لسعى للوصول إليها داعيا إلى الله . نقول لا نجد مبرراً للخوض في تفاصيل هذا ، لأننا هنا بصدد تحليل الدلالات السياسية للرؤيا ، أو بمعنى آخر نحن هنا بصدد تحليل ما يدور في عقل المفسّر (چورج بوش)

لكن من هو دانيال الذي يفسّر المؤلف چورج بوش رؤياه (نبوءته) . نبدأ باسمه . إن دانيال باللغة العبرية تعني «أن الله قضى» أو «الله ديَّاني» . وهو من أنبياء بني اسرائيل أو حكمائهم بعد موسى عليه السلام . أسره نبوخذ نصر في بابل وخدم في القصر الملكي . كان بارعاً في تفسير الأحلام (تعبير الرؤيا) . تعلم اللغة الكلدانية في بابل . وصل إلى بعض المناصب المهمة في بابل . هناك خلاف بين اليهود ، والأمر نفسه بين المسيحيين فيما إذا كان دانيال نبياً أم مجرد عالم ومفسّر رؤى .

وفي دائرة المعارف الكتابية التي ألفها أربعة قسس (ودكاترة) مصريين نجد تفسيراً «للقرن الصغير» يختلف تماما عن تفسير المؤلف چورج بوش . لكن هدفنا كما سبق القول ليس هو الخوض في هذا المسائل ، وإنما التعرّف على المضامين السياسية لفكر المؤّلف فقط .

فإذا ما انتقلنا إلى الرؤيا الثانية ، وهي رؤيا يوحنا ، نجد أن المؤلف يؤكّد أن الفقرات الواردة في سفْره لا تعني سوى العرب والترك ، فالجراد في الرؤيا هم العرب ، والنجم الساقَط (الهاوي) من السماء يرمز إلى محمد ﷺ ومما يذكر أن المؤلف يشير إلى أن تفسير رؤيا يوحنا للنجم الهاوي من السماء على أنه محمدﷺ قد أدّى إلى دخول عدد من المسيحيين في الإسلام أو على حد تعبيره ارتدادهم عن المسيحية ، فكيف يكون محمد نجما وكيف ينزل من السماء ، ويكون دَعيًا؟

ويدّلل المؤلف على أن المقصود بالجراد في الرؤيا هو جيوش المسلمين (جيوش محمد) لأنَّ جيوش محمد عليه الصلاة والسلام لم تكن تقتل امرأة ولا طفلا ، ولم تكن تقطع شجراً ولا زرعاً ، ولم تكن تأسر قسّيساً ولا حَبْراً ، ولم تكن تهجم على صومعة ولا بيعة وهي الصفات التي وصفت الرؤيا بها هذا الجراد الرمزي أو الجراد المرموز به أو المكنّى به لجيوش المسلمين في رؤيا يوحنا ، ويسوق تدليلا على هذا وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجيش المسلمين المتوجه لبادية الشام .

لاحول ولا قوة إلاّ بالله ، وهل هذه أخلاق سرسريّة؟ وتركز الرؤيا على منطقة الفرات وتعتبرها رمزاً للترك أو العناصر غير العربية التي واصلت مهمة جيوش العرب في نشر الدين الإسلامي ، ويشير إلى القوة العسكرية الخطيرة لها ويحذر منها ، ويرسم صورة مرعبة لمدافع الأتراك وبارودهم وينقل نصوصا عن

المؤرخين ، ويصف فتح القسطنطينية بما يتفق مع مفهومه لرؤيا يوحنا .

وإذا كان الجراد في الرؤيا يرمز على حد قول المؤلف إلى العرب فإن العقارب والثعابين ترمز للترك ، وهو كما سبق القول مصطلح شامل يضم الأكراد والإيرانيين وترك آسيا الوسطى والترك عامة . لكن من هو يوحنا صاحب هذه الرؤيا أو النبوءة الثانية؟ هو كاتب الانجيل المعروف بإنجيل يوحنا ، وبشّر بالمسيحية في آسيا الصغرى . توفى في عهد الامبراطور الروماني تراجان (98 - 117م) .

والكتاب المسيحيون مختلفون في تفسير رؤيا يوحنا كما أنهم مختلفون حول نبؤة بولس عندما أشار إلى «إنسان الخطيّة» أو «الخطيئة» .

بقي القول أن دانيال ذكر أنه رأى رؤية منامية أو بين اليقظة والنوم ، وكذلك يوحنا ، فهو لم يقل أن رؤياه انجيل . ومعنى هذا أن كلا الرؤيتين يمكن أن يُفسّرهما مسلمون أيضا . ألم يُفسّر يوسف الصديق رؤيا فرعون؟ ليدرس تفسيرهما المسلمون أيضا وليراجعوا تفاسير من سبقهم ، إن لم يكن لأسباب دينية فلأسباب سياسية مادام القوم يوجّهون صواريخهم ويرسمون سياساتهم على وفق توجّهات هذه الرؤى ، بالإضافة طبعا لنزوع منهم شديد للسيطرة على العالم وثرواته .

ملاحظات حول النص المترجم :

- النجوم في النص (*) تعني إشارة في الهامش في الصفحة نفسها .
- الإشارة بالأرقام (1) ، (2) وهكذا تعني وجود تعليقات شارحة في الحواشي في آخر النص المترجم .
- ما كتب بخط أسود عبارات شارحة من المترجم .
- الأرقام المشار إليها في متن النص العربي المترجم تشير إلى ما يقابلها في نص المؤلف كما وردت في الكتاب الأصلي للإحالة إليها لمن يريد التأكد من النص الأصلي الانجليزي مثال P1 ، P2 ، P191 وهكذا .

الترجمة الكاملة التي تكاد تكون حرفية للملحق الأول المتضمن تفسير رؤيا دانيال ورؤيا يوحنا اللاهوتي من وجهة نظر المؤلف (چورج بوش)



(أ) (*)

نبوءات وردت في سفر دانيال

الإصحاح السابع (**) ...فقرات من 8 إلى 26

P.181 رؤيا دانيال كما وردت في الفقرات من 8 إلى 14 في الإصحاح السابع في سفر دانيال :

8 - «فتعظَّم تيسُ المعز جداً ، ولما اعتزَّ (بنفسه) انكسر القرنُ العظيم (المقصود قرنه) وطلع عوضًا عنه أربعة قرون مُعتبرة نحو رياح السماء الأربع» . (المقصود : في الاتجاهات الأربع) .

9- ومن واحد منها (أي من هذه القرون) خرج قرن صغير وعظُم جدا نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو فخر الأراضي» (النص الانجليزي نحو أرض المسرّة Pleasant land) .

10- «وتعظّم (أي صار هائلا) حتَّى إلى جُند السماوات ، وطرح بعضا من الجند (المقصود جند السماوات) والنجوم وداسهم» . (أي وطأهم بقدميه) .

11- « وحتى إلى رئيس الجند تعظّم (أي أنه أصبح عظيما حتىَّ على رئيس جند السماوات) وبه أبطلت المحرقة الدائمة وهُدم مسكن مَقْدسه» (النص الانجليزي (and the piace of his Sanctuary was Cast down)) .

12 - « وجُعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية . (أي بسبب معصيتهم) فطرحَ الحقَّ على الأرض ، وفعل ونجح» .

(*) أنا مدين كثيرا بالأفكار الواردة في هذا الفصل بل وأحيانا باللغة المستخدمة فيه لكتاب فيبر عن السجل المقدس للنبوآت وكتاب فوستر عن حقيقة الاسلام (النص : المحمدّية) ، وكتاب فراي «المجيء الثاني للمسيح» . وأكثر من هذا فقد اهتم المؤلف بهذه النبوءات في لغتها الأصلية»(المؤلف) .

(**) الفقرات المشار إليها في السفر الثامن وليس السابع ، كما هو واضح من طبعتي الكتاب المقدس عند المسيحيين ، سواء في الطبعة العربية أو الانجليزية . ولعلّهُ خطأ مطبعي (المترجم) .

(نظراً لركاكة الترجمة العربية المطبوعة المعتمدة نورد هنا النص الانجليزي فهو أوضح :

And the host was given him against the daily sacrifice by reason of transgression, and it cast down the truth to the ground, and it practised and prospered).

13 - «فسمعنا قُدُّوسا واحدا يتكلّم فقال : قدّوس واحد لفلان المتكلّم إلى متى (أي إلى أيِّ حين) الرؤيا؟ من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب لبذل القدس والجند مدوسين» (أي مضطهدين مهانين) .

(المترجم : نفضل هنا نقل النص الانجليزي كما ورد في طبعة الجمعية الدولية للكتاب المقدس ، فهو أوضح من الترجمة العربية السابقة المعتمدة :

- Then I heard a holy one Speaking

والمعنى كما هو واضح : عندئذ سمعتُ واحدا قدّوسا يتكلم (النص الانجليزي كما أورده بوش هو :

- Then I heard one saint speaking

أي : عندئذ سمعت قديسًا يتكلم)

- and another holy one said to him

والمعنى كما هو واضح :

وقال واحد قدّوس آخر له (أي للواحد القدوس الآخر)

- How long will it take for the vision to be fulfilled - the vision concerning the daily sacrifice, the rebellion that Causes desolution

والمعنى كما هو واضح : كم يستغرق من الوقت تحقيق هذه الرؤيا؟ أي الرؤيا المتعلقة بالأضحيات اليومية والاضطرابات المسبّبة للدمار

(النص كما أورده بوش **transgresion of desolation** أي إثم إلحاق الدمار)

and the surrender of the sanctuary and of the host that will be trampled underfoot?

وإلى متى تُترك الحرمات والجند مهانين مُداسين تحت الأقدام؟

14 - «فقال لي إلى ألف وثلاثمائة صباح ومساء فيتبرأ القدس» **(المقصود بالقدس هنا كما هو واضح من السياق : الحُرمات) .**

تفسير الفقرات السابقة

من خلال سفر دانيال نفسه

21 - «والتَّيس العافي **(أي القوي)** هو ملك اليونان والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الأول» .

22 - «وإذا انكسر وقام أربعة عوضًا عنه ، فستقوم أربع ممالك من الأمّة ، ولكن ليس في قوته» **(أي أنهم لن يكونوا على الدرجة نفسها من القوة التي كان عليها ملك اليونان) .**

23 - «وفي آخر مملكتهم عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه وفاهم الحيل» **(أي جُعل قادراً على فهم التعاليم) .**

24 - «وتعظم قوته لكن ليس بقوته . يُهلك عجبا ، وينجح ويفعل ويبيد العظماء وشعب القديسين» .

25 - «وبحذاقته ينجح أيضا المكرُ في يده ويتعظّم بقلبه ، وفي الاطمئنان

P.182 يُهلك كثيرين ويقوم على رئيس الرؤساء ، وبلا يد ينكسر» **(أي سيهلك دون أن يهلكه أحد Shall be broken without hand) .**

26 - «فرؤيا المساء والصباح التي قيلت هي حق . أما أنت فاكتم الرؤيا لأنها إلى أيام كثيرة (دانيال ، السفر السابع» **(المترجم : الصحيح الثامن الفقرات من 8 إلى 26).**

رؤيا دانيال هذه تحوي نظرة مستقبلية لتاريخ العالم كما قرَّرته العناية الإلهية . إنها تُشير إلى أربع امبراطوريات قديمة وتشير إلى القوى التي ستخلفها (تحل محلّها) إلى نهاية التاريخ (آخر الزمان) حيث يكتمل كل شيء **(أي يبلغ منتهاه أو كماله Consummation of all things)** . من المعقول إذن أن نتوقع أنّ نظام نبوءة كهذا ينبسط ليمتد إلى تاريخ العالم ، لن يُغفل ثورة revolution هائلة

حقَّقت الهيمنة كثورة revolution محمد والمحمديِّين (**يقصد بالثورة هنا ظهور الإسلام ويقصد بالمحمديّين المسلمين**) . ليس هناك حدث أعظم من هذا كان له تأثير كاسح على وضع الكنيسة المسيحية في ترسيخ هذا الدَّجل واسع النطاق (**المقصود ظهور الإسلام وانتشاره**) . وطالما أن الفصل السابق يحوي صورة حيّة وكاملة ودقيقة عن الطغيان البابوي The Papal Tyranny الذي ارتفع وساد في الجزء الغربي من المملكة المسيحية ، فإن الطغيان الحالي هو بشكل عام مشمول بالنبوءة (**نبوءة دانيال**) التي تشير إلى هذه الردّة Apostacy الهائلة التي قُدِّر أن تنمو وتجتاح الكنيسة في الشرق (**المقصود انتشار الإسلام في بلاد الشرق وحلوله محل المسيحية**) وسأبسط الآن أسباب أخذي بهذا الرأي (**في تفسير رؤيا دانيال**) .

إن مسرح (**مجال**) نبوءة دانيال هو الأمبراطورية المقدونية التي أسسها الاسكندر ، والتي خرج من أحد ممالكها الأربع المنفصلة ، القرنُ الصغير (**كما في رؤيا دانيال**) . وفي الرؤيا رأي النبي The Prophet (**المقصود دانيال**) القرن الكبير الأول (قرن الكبش) والمقصود به مملكة الاسكندر وقد انكسر (**أي القرن**) والمقصود انكسار مملكة الإسكندر ، ومعنى هذا أن هذه المملكة (**مملكة الاسكندر**) لن يكون لها وجود بعد ذلك فيما ترى النبوءة . لقد تقسَّمت امبراطورية الاسكندر عند موته بين أربعة من جنرالاته : مقدونيا واليونان في الغرب أصبحتا من نصيب كسّاندر Cassander ، وتراقيا Thraceوبيثينيا Bithynia في الشمال من نصيب ليزيماكوس Lysimachus ومصر في الجنوب من نصيب بطليموس Ptolemy وسوريا والولايات الشرقية من نصيب سلوقس مؤسس الأسرة السلوقية Seleucus .

الفقرة 9 من الرؤيا تنص على أنه « خرج من أحدها (**أي أحد الممالك التي أسسها أخلاف الاسكندر على وفق التفسير الآنف ذكره**) قرن صغير - والقرن الصغير هنا يرمز (**بلغة الرؤيا**) إلى مملكة مدنية أو دينية (**إكليريكيّة**) . **P.183**
القرن الصغير المذكور هنا انبثق من واحد من القرون الأربعة أو من أحد الممالك التي خلفت إمبراطورية الإسكندر أي الممالك الأربع التي انقسمت إليها امبراطوريته

بعد مماته والسؤال الذي أثير بإلحاح هُو ما إذا كان الإسكندر قد استولى على أيّ جزء من شبه الجزيرة العربية : يمكن التحقق من هذا بالتطلع إلى أية خريطة للإمبراطورية المقدونية . لقد لاحظ الباحث رولين M. Rollin أن «إمبراطورية الإسكندر قد قُسّمت إلى أربع ممالك ، كان من نصيب بطليموس منها : مصر وليبيا وشبه الجزيرة العربية وسوريّة المجوَّفة[1] Coelosyria وفلسطين» . والحقيقة أن المقصود بشبه الجزيرة العربية هنا **(أي موضع ضمته مملكة البطالمة منها) لا** يتعدى طرفا خارجيا منها ، ولكن هذا الطرف يكوِّن جزءاً من الحجاز الذي شهد مولد محمد ودينه . ولأن القرن horn في رؤيا دانيال كان قرناً صغيراً ، فهذا ينطبق على الدين المحمدي **(المقصود الإسلام)** الذي بدأ صغيراً **(ضئيلا)** حال ظهوره ، مما يعني أنه قرن صغير كما ترمز الرؤيا . فالمنطقة التي ظهر فيها الإسلام ووُلد فيها نبي الإسلام تقع في ركن صحراوي من (غرب) آسيا يسكنه قوم منعزلون غيرُ مشهورين . وكان أوائل المسلمين ممّثلين في زوجته وخادمه وتلميذه وصديقه ، ولم يتعدّ المؤمنون به بعد ثلاث سنوات اثنى عشر شخصاً .

وعلى وفق ما ورد في رؤيا دانيال «امتد هذا القرن امتداداً كبيراً نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو أرض المسّرة **(أو فخر الأراضي على وفق الترجمة العربية المتداولة لسفر دانيال)** . كذلك فعل الإسلام **(النص : الدين المحمّدي)** فقد امتد امتداداً كبيراً - في بداية انتشاره - في الخطوط نفسها التي حددتها رؤيا دانيال[*] . لقد امتدت فتوحُ الاسلام جنوبا لتضم شبه الجزيرة العربية الشاسعة ، ولتضم مصر وجزءاً كبيراً من أفريقيا الوسطى ، وشرقا لتضم فارس وبخارا وهندوستان ، وشمالا لتضم فلسطين وآسيا الصغرى ، وبلاد ما بين النهرين **(ميزو بوتاميا)** واليونان وتركيا ، وتتاريا **(بلاد التتر** Tartary) وهي البلاد التي

(*) نسي المؤلف أن الاسلام امتد أيضا غربا (غرب الحجاز) لتعتنقه مصر وكل الشمال الافريقي ، بل وظل فترة غير قصيرة فيما يعرف الآن بأسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا . لكن المؤلف أراد فرض رؤيا دانيال على حقائق التاريخ (المترجم) .

تشملها الآن الإمبراطورية التركية (**المقصود العثمانية**) . أما أرض المسرّة (**أو فخر الأراضي**) Pleasanat Land فتعني حرفيا «أرض الجمال» أو زينة الأراضي فالمقصود بها أرض يهوذا Tudah (**المقصود فلسطين / المترجم**) لأنها مقر البهاء الإلهي ومقر العبادة ، بها مدينة القدس Jerusalem (أورشليم) وبها **P.184** المعبد الذي هو «تاج الجمال وإكليل البهاء» لشعب اسرائيل (**النص الأمة الاسرائيلية أو بني اسرائيل the nation of Israel**) والكلمة الأساسية هنا نجدها في معنى مواز في سفر حزقيال Ezekiel (**الاصحاح 20 ، 6 ، 15**) «**في ذلك اليوم** رفعتُ لهم يدي لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسَّستُها لهم تفيض لبنا وعسلا هي فخر كل الأراضي . . .» (**فقرة 6**) ويتكرر المعنى نفسه في فقرة 16 من الاصحاح رقم 20 في سفر حزْقيال Ezekiel . وقد استولى الساراسين (اللصوص المنحطون Saracens) على القدس سنة 637 للميلاد بعد حصار دام أربعة أشهر .

الفقرة (الآية) رقم 10 في الاصحاح الذي تناول نبوءة دانيال تقول إن هذا القرن horn يمتد امتداداً كبيراً ويبلغ في امتداده حتى جند السماء ، وعبارة جند السماء ليست سوى اسم آخر لمجموعة نجوم السماء الكبيرة لكن «النجوم» في اللغة الاصطلاحية للنبوءة ترمز إلى رجال الدين (**النص : المسئولين الإكليريكيين**) ، فكلمة «حشد host» بالتالي لا تنطبق فقط على الكهنة ورجال الدين الذين يتعبدون في الأماكن المقدسة (**كما ورد في سفر العدد/ إصحاح 4/ فقرة 3**) وإنما تنطبق على بني اسرائيل (**أمّة اسرائيل**) بوصفها أمة دينية منظمة أو بوصفها مملكة من رجال الدين Priests (**كما ورد في سفر الخروج / إصحاح 7/ فقرة 41**) . وعندما يقول المسيح (**في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ، الإصحاح الأول/ فقرة 10**) أن «سرّ السبعة كواكب التي رأيت على يميني والسبع المناير الذهبية : السبعة الكواكب هي ملائكة السبع كنائس ، والمناير السبع التي رأيتها

هي السبع الكنائس» فهو بلاشك يعني أن هذه النجوم رموز للحكام الروحيين Spiritual rulers لهذه الكنائس . فمجال النبوءة التي تحن بصددها **(رؤيا دانيال)** تحقّقت على يد قوة معادية امتلكت فجأة قوّة هائلة واقتحمت بالقوة كيان المتعبّدين الحقيقيين منتهزة فرصة تفرقهم وعدم تماسكهم ، نظراً لما اعتراهم من تفسخ روحي .

تقول نبوءة دانيال أنه بعد ذلك أسقط بعضا من هذا الحشد hos **(المقصود وفقا لما قال : المتعبدون الصالحون)** بل وهوى بهؤلاء النجوم إلى الأرض وداسهم - وهذا يعني على وفق اللغة الرمزية **(الاستعارة والكناية)** التي استخدمها رائي الرؤيا **(دانيال)** الرعاة الروحيين لكنيسة الرب ، وبالتالي فإن ما حاق بهؤلاء **(النجوم)** من انحطاط ، وسقوطهم من مكانهم السامي **(من السماء)** إلى حضيض الأرض يعني إجبارهم على التخلّي عن دينهم ، وقد حقق المحمّديون **(المسلمون)** النبوءة بشكل صارم عند الانتشار الأول لدعوتهم بتصديهم للحشد السماوي **(على وفق المجاز المستخدم في الرؤيا)** أو بتصديهم لرعاة الكنيسة على وفق المعنى المقصود . لقد وقع عدد منهم ممن كان في أراضي الامبراطورية البيزنطية **(النص Greek Empire)** - على نحو خاص - ضحية هذا الاضطهاد الخرافي ، واستطاع المسلمون بغاراتهم في أفريقيا وأسبانيا وفرنسا بالامتداد امتداً هائلاً على حساب الحشد كله **(المقصود بالحشد host كما سبق : العبّاد الصالحون)** . وبالنسبة للإكليروس Clergy **(المقصود رجال الدين)** الشرقيين فقد هوى بهم المسلمون إلى الأرض **(المقصود الحضيض)** أو أجبروهم على ترك عقيدتهم المسيحية . أما بالنسبة لمن ظل منهم متمسكا بشكليات دينهم **(النص : the form of their religion)** فقد وطأوهم بأقدامهم بكل طغيان تعصبهم الوحشي .

وتقول الفقرة (الآية) رقم 11 أنه قد تطاول حتى على ملك الحشد **(رئيس جند السماوات)** وإذا كان هذا الحشد يعني رجال الدين ورعاة الكنيسة ، فإن المقصود برئيسهم أو ملكهم - كما هو واضح - هو المسيح Messiah. إن الإسلام قد حقق

هذه النبوءة بوضوح برفع مقام مؤسِّسه (النبي محمد) إلى درجة من التوقير والتشريف مساوية لدرجة التوقير والتشريف التي يحظى بها يسوع المسيح ، بل إن الإسلام يرفع نبيه محمد درجة فوق درجة المسيح . فالدّعي العربي **(يقصد محمداً ﷺ)** جعل من المسيح مجرّد نبي ، بل واحتفظ لنفسه بمكانة أعظم الأنبياء وقال إن القرآن نسخ الأناجيل Gospel بل إن الإسلام جعل من نبيه أميراً للحشد **(مجموعة المؤمنين المتقين host كما يفيد استخدام المؤلف للكلمات)** .

وتستمر نبوءة دانيال قائلة : «وبه تنتهي الأضحيات اليومية **(تقديم الأضاحي للرب)** وبه هُدم مَسكن مَقدسه Sanctuary» **(في الترجمة العربية المتداولة للكتاب المقدس المسيحي استخدمت كلمة محرقة مقابل الكلمة الانجليزية Sacrifice)** . والكلمة daily أي اليومية تعني المستمرة ، والكلمة Sacrific تعني كما قلنا الأضاحي . والعبارة تشير إلى الإنتهاك المتكرر للمعبد اليهودي . هذا الإنتهاك الذي يمثل مسبَّقا موت المسيح حتى يعود من جديد . والآن ماذا كانت هذه الأضحيات المحروقة **(أي حرق هذه الأضاحي)** المستمرة فيما يتعلق بالمجيء الأول للمسيح ، لقد كانت تعني الصلوات والتسابيح وكل الطقوس الموقورة للكنيسة المسيحية كما قررها الرب للبشر . وعلى هذا عندما انتصر السراسين **(المقصُود العرب المنحطون)** والأتراك **(المقصود الأتراك والأكراد والإيرانين كما سيتضح من السياق)**[*] واعتدوا ، كسروا كنائس الشرق وشتتوها ومنعوا العبادة اليومية للرب ، وهذا ما تعنيه عبارة أن القرن الصغير **(كما ورد في رؤيا دانيال)** قد أوقف تقديم الأضحيات للرب كما رسّخها أمير الحشد host **(والمقصود بالكلمة ما ورد آنفا)** . بل إن هذا الانهيار والتفسخ اللذان تنبأت بهما رؤيا دانيال استمرا إلى ما هو أبعد من ذلك . لقد قُوّضت دعائم حرم الرب **(المقصود مكان المعبد اليهودي)** وسُوّي بالأرض ، وأصبح الحرم القدسي وحشد النجوم **P.184**

(*) ما بين القوسين توضيح شارح من المترجم .

(العباد الصالحون) مُداسين بالأقدام طوال عهود طويلة . هكذا بدأ المحمديون (المقصود : المسلمون) هذا العمل المحدّد بتدمير الكنائس المسيحية والمذابح altars (التي تقدم عليها الأضحيات للرب) طوال تقدمهم في الامبراطورية البيزنطية (النص : Greek Empire) واستمروا يُلحقون بها هذا التدمير طوال ألف سنة ومائتي سنة ، ولم يتوقّفوا عن هذا حتى أجهزوا تماما على المسيحية الشرقية . ويلاحظ الباحث جيبون Gibbon أنه عند الاستيلاء على القدس تم إعداد «أرض معبد سليمان لوضع أساس المسجد (الأقصى) بناء على أوامر عمر»[2] (ابن الخطاب)[*] . ومن الجدير بالملاحظة أن الكلمة الأصلية التي استخدمها دانيال لإطلاقها على حرم الرب هي قُدش Kodsh ويلاحظ المؤرخ نفسه الآنف ذكره (جيبون) أن الكلمة قدس التي يستخدمها العرب تعني المدينة المقدسة Holy City التي كان المعبد أو الحرم القدسي هو درّتها وزينتها .

وتستمر النبوءة ففي الفقرة (الآية) 12 نجد أنه : «جعل جُند على المحرقة الدائمة بالمعصية فطرح الحق على الأرض ، وفعل ونجح» (النص الانجليزي أوضح معنى : **وبسبب ارتكاب المعاصي هوى بالنجوم (host) أي جماعة العباد الصالحين وأبطل الأضحيات اليومية وهوى بالحق إلى الحضيض . ونجح في كل هذا) (وعلى وفق تفسير بوش للرؤيا فالمقصود هنا هو محمد ﷺ ، مع أن الترجمة العربية المتداولة تبني هذا الفعل للمجهول «جُعل» كما هو واضح من النص أعلاه/ المترجم)** . ومن هذا يبدو أن القرن الصغير (**الوارد في نبوءة دانيال**) قد أعطي القوة ليس لتدمير الدين الحق فحسب وإنما لاستبداله - إلى الأبد - بعقيدة faith أخرى . إن الكلمة (**حشد Host**) تعني في هذا الموضع - وهذا طبيعي - المعنى نفسه الذي استخدمت فيه في الفقرة (الآية Verse) السابقة ، أي حشد النجوم وهو استخدام رمزي (بلاغي) يشير إلى الكهنة المسيحيين ورجال الدين المسيحي على اختلاف مذاهبهم of the several orders ، ومعني أن حشد

(*) Dec.and fall, ch Li .

النجوم the Host أصبحوا تحت قبضة القرن الصغير Little Horn **(المسلمين على وفق تفسير بوش لنبوءة دانيال)** أنه سيكون للمسلمين أيضا مذاهب وطرق ودعاة teachers وبهذه السياسة الدينية الزائفة لابد من معارضة الكيان المسيحي ونسخه **(أي إحلال الاسلام محله)** ، وبذا تتحقق نبوءة دانيال « ويهوى الحق إلى الحضيض» **(أو على حد تعبير الترجمة العربية المطبوعة المعتمدة « فطرح الحق على الأرض»)** . إن نبوءة دانيال لا يمكن تفسيرها إلاّ بهذا ، **فهذا لا ينطبق على** قوة أخرى معروفة غير هرطقة heresy محمد ، **ويبدو أن النبوءة هنا قد تحقّقت** بشكل كامل **P.187** . لقد راح دين الإسلام - بشكل دائم - يُطيح بالطقوس الدينية للمسيحية وبرموزها ومذابحها **(المذبح هو مكان تقديم القربان في الكنائس Altars)** ليُحل محلها مذابح أخرى **(المقصود أماكن عبادة أخرى)** ونظاما كهنونيا priesthood آخر . ففي كل مكان في بلاده الواسعة حلّت المساجد محل الكنائس وحلّ الأئمة والمؤذنون محل القسس **(رجال المسيح)** لقد كان السيف هو الأداة الكبيرة التي استخدمها الإسلام لتحويل الناس إليه . لقد أصبح كل المسلمين - في الحقيقة رجال دين وأصبح كل عربي منحط **(سرسري Sara-cen)** وكل جندي تركي داعياً إلى الإسلام وهاديا إليه .

وتستمر الفقرة (الآية) رقم 23 في نبوءة دانيال قائلة : «وفي آخر مملكتهم عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه وفاهم الحيل» **(النص بالنسبة للكلمتين الأخيرتين هو (teaching) and understanding dark sentences أي فاهم للجمل (الأحكام) المظلمة أو الغامضة** . إننا هنا مهيّأون لفهم مفتاح التتابع الزمني لفترة بداية هذه القوّة المشئومة - فالامبراطوريات الثلاث التي تكون جزءاً من الصورة الرمزية **(المجازية)** التي ظهرت في النبوءة إلى نبوخذنصر[3] Nebu-chadnezzar كانت بالفعل قد فقدت ما تسيطر عليه بسبب فتوح الإمبراطورية الرابعة ، لكنها ظلّت - على وفق ما ورد في النبوءة - على قيد الحياة كما ورد

في الإصحاح السابع من سفر دانيال «أما باقي الحيوانات فنُزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت» . ومن هنا فإن القرن الصغير المقصود به الإسلام (المحمدية) لابد على وفق ما ورد في النبوءة أن يظهر في أواخر أيام الامبراطورية البيزنطية The Greek Empire . تلك حقيقة لا مراء فيها . وثمة ملاحظة أخرى ملفتة للنظر عن وقت بروز هذه القوة تُفهم من كلمات النبوءة «عندما يصل الآثمون إلى كمال إثمهم» **(أو على حد الترجمة العربية المتداولة للسِّفر : عند تمام المعاصي)** أو «عند اكتمال الابتعاد عن الدين الحق Apostacy» . وعن طريق هؤلاء الآثمون أو المرتدون المذكورون . هنا لابد أن نفهم أنَّ المقصود بالكنيسة المسيحيّة المحرِّفة Corrupt Christian church هم رجال الدين pastors المنحطين المشار إليهم بالنجوم الاكليريكية **(الدينية)** المبتلاه في الفقرة (الآية) السابقة بالآثمين . إننا نعلم من التاريخ المدني ، ومن التاريخ المقدس (الديني) الأحوال وقت ظهور محمد فقد كانت الكنيسة المسيحية قد وصلت إلى ذروة الانحراف في العقيدة وفي الممارسة والتطبيق ، وهو الأمر الذي كان قد تنبأ به بوضوح **P.188** القديس بولس Paul عن رجل الخطية Man of Sin . لقد كان النجاح غير العادي الذي حققه الخداع المحمدي **(التضليل الإسلامي)** عقابا لهذا التقصير الكبير **(أو عقابا للارتداد عن الدين الصحيح** defetion **والمقصود خروج المذاهب المسيحية الأخرى عن النهج الصحيح فيما يراه بوش/ المترجم)** . لقد عوقب هؤلاء النجوم **(وفقا للتعبير المجازي)** بسبب ابتعادهم عن الحق فتم إخضاعهم - لهذا - لطغيان القرن الصغير **(المقصود ثم إخضاعهم للمسلمين على وفق تفسير بوش لنبوءة دانيال)** . لكن هذه الردة **(أو الانحراف عن الدين المسيحي الحق فيما يراه بوش)** التي استشرت لفترة طويلة في الشرق والغرب علي سواء كانت قد اكتملت أو بلغت ذروتها في حوالي بداية القرن السابع للميلاد عندما ظهر نبي الإسلام لأوّل مرّة . والمؤرخ جيبون يقدم لنا رؤيته للإسلام **(النص : الدين المحمدي)** بملاحظته «أن المسيحيين في القرن السابع - دون وعي منهم - أصبحوا مثل الوثنيين» .

وعلى هذا، فمنذ ذلك الوقت وقعت النجوم Stars (**المقصود: المسيحيون**) في أيدي القرن الصغير (**المسلمون على وفق تفسير بوش لنبوءة دانيال**). لقد غضب الرب عليهم فهوى بعصاه على رؤوسهم Appointed rod of God's Anger. لقد أُخضعوا لطغيانه (**أي طغيان الإسلام**) بسبب ارتدادهم إلى خرافات الأغيار Gen-tiles الوثنية (**والكلمة Gentile يستخدمها اليهود للدلالة على غير اليهود بل وعلى المسيحيين خاصة وهي كلمة تنطوي على الاحتقار ولكن بوش هنا يستخدمها للدلالة على غير المسيحيين أو على من لا يدينون بمذهبه، والدلالة هنا واضحة المعني/ المترجم**). ومرة أخرى فما دمنا نقصد في بحثنا هذا الإسلام (**الدين المحمدي**) فإن هذه السيطرة الدينية (**الإكليريكية**) العجيبة يمكن أن توصف بأنها «مملكة الوجه المتجهم» (**أو على حد الترجمة العربية المعتمدة: مملكة على رأسها «مَلك جافي الوجه»**) ذلك أن من الحقائق التي يتجنب المسلمون الإعلان عنها أن نبيهم (**مؤسس دينهم**) كان يستخدم السيف كأداة أساسية لإدخال الناس في الإسلام. وقد شاركه المؤمنون برسالته في كل العصور - غالبا - في هذه الروح القاسية. على أية حال فإن البعض يرى أن الترجمة الصحيحة هي «ذو الوجه الصارم أو الثابت Firm» ويعنون بذلك الوقاحة والبرود اللذين يتميز بهما الكذاب ذي الوجه المكشوف (**قليل الحياء**) والمتسم بالصفاقة وهي صفات اتصف بها محمد وخلفاؤه: فدينهم - حقا - خداع وادعاء لا لبس فيهما تسبب في لوم البشر لسذاجتهم وسرعة تصديقهم. كذلك يمكننا من خلال الطبيعة المتبقية لهذه القوة المنعزلة أن نفهم عبارة «القدرة على فهم العبارات المظلمة أو الغامضة» (**النص كما في الترجمة العربية المعتمدة: فاهم الحِيَل**) فهي عبارة مرادفة للعبارة الواردة في الكتاب المقدس «الأقوال المظلمة dark sayings» و«الأقوال المظلمة القديمة dark sayings of old» فهذه العبارات في لغة الكتاب المباركين (**المقصود كتاب الكتب المقدسة المسيحية Saucired writers**) سنجدها ذات دلالة روحية، ومن هنا فنحن نقرأ في مزامير داود: «سأفتح فمي متحدثا بأمثال سأنطق بأقوال

قديمة مظلمة dark (أو غامضة) «إن هذا يبدو مثلا يساوي التعبير «الجمل المظلمة أو الغامضة أو الجمل الخبيثة» وهو يشير بشكل أو بآخر إلى دين ما ، كما أن عبارة «فهم الحِيل» أو «فهم العبارات الغامضة أو المظلمة أو الخبيثة» تنطبق على القرآن الذي يحتفي به المسلمون وهو كتاب يضم أسرارهم الروحية . إنه - أي القرآن يفسّر بدقة هذا الوصف الوارد في نبوءة دانيال . وليس أقل جدارة بالملاحظة أن مؤلّف القرآن **(يقصد النبي محمدا ﷺ كما يَدعيّ هذا الدَعِي بوش ، الذي حق عليه غضب من الله في دنياه وفي آخرته/ المترجم)** قد أدّى - دون وعي منه - إلى جعل لغة هذه النبوءة ذاتها تنطبق عليه ففي القرآن ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ (يوسف :101) **(المترجم : والقائل هنا هو سيدنا يوسف وليس سيدنا محمد ، ولم يستخدم أحد ممن ترجموا القرآن الكريم فيما نعلم dark Sayings أي الأقوال المظلمة أو الخبيثة أو الغامضة مقابلا لعبارة تأويل الأحاديث الواردة في هذه الآية فالترجمة الانجليزية لعبد الله يوسف على تجعل المقابل الانجليزي للآية كما يلي :**

O my Lord! Thou hast indeed bestowed on me Some Power, and taught me Something of the interpretation [of dreams and events]

وفي القرآن أيضا : ﴿ ... وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف :21) **(المترجم : مرة أخرى ورد هذا القول على لسان سيدنا يوسف وليس على لسان سيدنا محمد . ومرة أخرى لا ندري من أين أتى السيد بوش بعبارة Dark Sayings أي الأقوال الغامضة أو الخبيثة أو المظلمة مقابلا انجليزيا لكلمة الأحاديث أو تأويل الأحاديث ، ولسنا نعلم ترجمة انجليزية للقرآن الكريم قالت بهذا)**(*) .

(*) ما كتب بخط أسود توضيح من المترجم .

وفي القرآن (الكريم) أيضا : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ...﴾ (يوسف :102) (**المترجم : جعل بوش مقابلا للغيب Secret history أي التاريخ السرّي بينما المقابل الانجليزي المعروف هو What happened unseen**) .

وعلى هذا! فمحمد بوصفه مُلفِّقا للقرآن (**هكذا يدعي بوش صاحب هذا التلفيق المغرض**) أكّد دعواه بتميزه النبوي في فهم «الجمل الغامضة» أو المظلمة (**المترجم : سبق القول أن هذه العبارات التي تشير إلى تأويل الأحاديث منسوبة في القرآن الكريم إلى يوسف عليه السلام**) ذلك لأنه (**أي محمد**) أعلن في القرآن - ذلك الوحي المدّعى - أن هدفه هو إحياء تراث ديني قديم عن الله والدين[*] ، بل وأعلن أنه يفك مغاليق الحياة بعد الموت وأسرار الغيب .(**إدعاء من بوش . وإلا فالله سبحانه علام الغيوب/ المترجم**) .

والفقرة (الآية) 24 تستمر قائلة : وستعظم قوته ، لكن ليس بقوته (**المقصود بفعل قوى خارجية**) . ولغة النبوءة تحتمل تفسيرين ، كلاهما فرض رغم أنه ليس من السهل أن نقرر أيهما الصحيح . فعبارة «تعظم قوته لكن ليس بقوته» قد تعني أن القوة المؤقتة التي امتلكها محمد وخلفاؤه راجعة لسيادته الروحية مما يفسر عظمة هذه القوة واستمراريتها ، أو بعبارة أخرى أن الامبراطورية التي أسسها قامت على الادّعاء الذي رسّخه (**المقصود ادعاء النبوة وتلقي الوحي**) . وفي هذا الصدد نجد أن الفقرة التالية التي أوردها ديمتريوس كانتيمير Demetrius Cantemir **P.190** الذي أرّخ للامبراطورية العثمانية ، ذات أهمية لافتة للنظر . يقول ديمتريوس : «الأتراك لا يجعلون السبب الرئيسي للنجاح الذي حققته امبراطوريتهم إلى حصافة بشرية ولا إلى سياسة حكيمة ولا إلى شجاعة وبسالة - تلك الصفات التي كان يتحلى بها أباطرتهم الأوائل (**قبل إسلامهم**) كما أنهم لا يعزون نجاحاتهم إلى الطموح والرغبة في السيطرة ، وإنما هم يعزونها بشكل

(*) المقصود إحياء الحنيفية أو ملّة إبراهيم (المترجم) .

أساسي إلى الحماس المتوارث الذي ينقله الدين المحمدي (**المقصود : الدين الإسلامي**) إلى نفوس معتنقيه ، وبهذا تلقوا المساعدة الإلهية لتحقيق منجزاتهم» وعلى هذا ، فالقوة «الدنيوية temporal» للإسلام (**الدين المحمّدي**) لم تكن على نسق واحد وإنما راحت - بشكل متكرر - ترتفع مرة وتهوى أخرى . فالعالم الإسلامي غيَّر سادته masters (**أو حكّامة**) مرة بعد أخرى ، لكن طغيانه الروحي ظل باقيا لا يفنى . لقد ظل على قيد الحياة وظل يحكم دون تغيير (**ربما المقصود دون تغيير في نظام الحكم**) طوال الفترة التي ظل يحكم فيها . وعلى هذا فإن عظمته (**أو قوته**) الناتجة عن قوة (أو سلطة) حشد النجوم (**Host ، وبوش هنا يستخدم مصطلحات نبوءة دانيال**) التي وُهبها . أما التفسير الآخر للفقرة (الآية) الآنف ذكرها فقد يعني ببساطة أن النجاح الملحوظ الذي حققته القوّة الإسلامية يرجع مباشرة إلى رعاية الله له ، ذلك أن النتائج التي حققها الإسلام كانت - بكل معنى الكلمة - فوق مستوى الفهم إن قسناها بالأسباب البشرية المعتادة ، فيد الله واضحة في كل مرحلة من مراحل تقدم الإسلام . وإذا نظرنا للفقرة (الآية) هذه النظرة ، فإن كلمات الرب فيما يتعلق بنبوخذ ناصر (**أو نبوخذ نصر**) قد تلقي ضوءاً على نبوءة دانيال ، بمعنى أن ما حاق بالمسيحيين علي يد محمد شبيه بما حدث لليهود على يد نبوخذ نصر ، فكلا الأمرين بإرادة الله . ففي سفر أشعياء ، الإصحاح العاشر نقرأ الفقرات (الآيات) من رقم 5 إلى رقم 15 كالتالي :

«(١)ويل لآشور (**النص الانجليزي : أيها الأشوريون أنتم قضيب (عصا) غضبي ، فالعصا في يدهم أي يد الآشوريين**) هي سخطى(6) على أمّة منافقة أرسله ، وعلى شعب سخطى أوصيه ليغتنم غنيمة وينهب نهبا ويجعلهم مَدُوسين كطين الأزقّة . أما هو فلا يفتكر هكذا (**المقصود يفكر هكذا**) ولا يحسب قلبه هكذا ، بل في قلبه أن يُبيد ويقرض أمما ليست بقليلة(8) فإنه يقول : (**أي نبوخذ نصر**) أليست رؤسائي جميعا ملوكا(9) أليست كلنو مثل كركميش

أليست حماة مثل أرفاد. أليست السامرة مثل دمشق(10) كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هي أكثر من التي لأورشليم والسّامرة(11) فليس كما صنعت بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها(13) فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم، أني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينية(13) لأنه قال بقدرة يدي صنعت وبحكمتي لأني فهِّيم. ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططت الملوك كبطل(14) فأصابت يدي ثروة الشعوب كعش، وكما يُجمع بيض مهجور جمعتُ أنا كل الأرض، ولم يكن مُرَفْرِف جناح ولا فاتح فم ولا مُصفْصف(15) هل تفتخر الناس على القاطَع بها أو يتكبّر المنشار على مُردِّده. كأن القضيبَ يحرّك رافعه. **P.191** كأن العصا ترفع من ليس هو عودا». وتستمر الفقرة (الآية) في نبوءة دانيال قائلة «وهو سوف يدمر تدميراً هائلاً وستزدهر أحواله وسيحكم ويمارس وسيدمر الشعب القوى المقدّس holy». قد يرد في الذهن أن الفقرات (الآيات) التي نضعها في اعتبارنا الآن تحوي التفسير الملائكي للأفعال الرمزية التَي أنجزها القرن الصغير في هذه الرؤيا **(أي رؤيا دانيال، والقرن الصغير كما فسّره بوش هو الإسلام ونبي الإسلام)**، وعن هذه الأفعال، فإن أهمها غزوُه الشّرِس لهذا الحشد من النجوم host بمعناه الرمزي، أو هيئة الكهنوت hierarchy فهوي بهم بقسوة إلى الحضيض وداسهم بقدميه. اللغة المستخدمة في النبوءة هي بلا شك لغة رمزية **(تحتمل التفسير والتأويل)** والعبارات «سوف يدمر الشعب القوي المقدس/ أو المبارك» مساوية في معناها لقولنا سوف ينجح بدرجة مدهشة في تحويل الكثيرين عن عقيدتهم المسيحية، بنشر سموم دينه الزائف. والكلمة الأساسية في النص (يدمّر) لا تعني فقط التدمير المادي، وإنما تعني أيضا الإفساد المعنوي أو إفساد الناس بتأثير عقائد زائفة ومبادئ فاسدة تُفرض عليهم. لقد استخدم هذا المصطلح نفسه في العبارات التالية: «ورأي الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض» سفر التكوين / إصحاح

6/ فقرة 2(*) . والمعنى نفسه موجود في الفقرة (الآية) التي تقول : « احترزو لأنفسكم مخافة أن تفسدوا أنفسكم فتصبحوا مجرد صور منحوتة» .

"Take ye therefor good heed unto yourselves and make a graven image..."(**)

والفقرة (الآية) القائلة : «لقد أفسدوا ، وأتوا أعمالا منكرة» . ونجد في سفر الرؤيا Apocalypse (**المقصود سفر رؤيا يوحنا**) إلماحًا لهذه التعبيرات في الإعلان عن الأحكام الإلهية أو تعبير آخر ما قدّره الله وقضى به . لنقرأ في سفر الرؤيا أن الغضب الإلهي آت ، وأنت ستدمر أولئك الذين دمروا الأرض ، وهذا يعني الذين أفسدوا الأرض ، فكلمة دمروا destroy تعني أفسدوا Corrupt ، وقد ألحقت القوى الإسلامية (النص : **المحمدية**) الدمار أو الإفساد بالأرض ، وهو العمل الذي تنسبه نبوءة دانيال للقرن الصغير ، وليس من الضروري أن نستثني فكرة سفك الدماء والتخريب الذي واكب جيوش العرب المنحطين (**السرسريّة أو الصيّع** Saracens) والأتراك عند تأسيس دولتهم وعند توسيعها والدفاع عنها . بل إننا نرى

P.192 أن معني الإفساد الخلقي (**أو الإفساد المعنوي**) نتج عن دخول (أو ظهور) هذه العقيدة المسمّمة (**الخطرة**) الزائفة غير الشرعية (**يقصد الإسلام**) والتي أثرت تأثيرا محزنا على أساتذة الدين الحق (**يقصد المسيحية ويقصد أن علماء المسيحية ورجالها تأثروا بالفكر الإسلامي**) وإشارةُ النبوءة لهذا يتفق مع حقائق التاريخ .

وتستمر الفقرة (الآية) رقم 25 في هذه النبوءة قائلة : «ومن خلال حذاقته (سياسته) ينجح المكر في يده (**سيكون سببا في تعاظم المكر**) ويتعظّم في قلبه

(*) استخرجنا هذه الفقرة كمقابل للنص الذي أورده بوش : "For all flesh had Corrupted his way upon the Earth" لأنه – أي بوش – لم يحدد رقم النقرة (الآية) ولم يذكر في أيّ سفر أو إصحاح هي . (المترجم)

(**) لم يحدد المؤلف (بوش) رقم الفقرة ولم يذكر السفر ولا الاصحاح .

(أي أن هذا الشخص الذي تشير له النبوءة سيغتر ويظن - في قلبه - أنه صار عظيما) وفي الاطمئنان يُهلك كثيرين ، ويقوم على رئيس الرؤساء وبلا يد ينكسر **(أي سيحطم كثيرا من البشر دون أن يهتزله جفن ، وسيتصدى أيضًا لأمير الأمراء)** . لقد كان القرآن هو الدستور السياسي لمحمد أو الدستور السياسي الذي اهتدى به محمد ووضعه موضع التطبيق ، ففي هذا الكتاب **(القرآن)** توجد التعاليم الإسلامية والنظام الديني للإسلام ونظام العبادة والأوامر والنواهي . وبهذه الوسائل **(الآنف ذكرها مما يحويه القرآن من تعاليم)** استأصل أتباع محمد المبشرِّين بالإنجيل وحوّلوا إلى الإسلام خلقاً كثيراً بحد السيف وفرضوا دينهم على الشعوب التي امتد إليها حكمهم الدنيوي Temporal Autheriiy(*) . وكلمة السياسه Policy هنا **(في الترجمة العربية المتداولة للسفر توجد كلمة حذاقة بدلا من كلمة سياسة)** ربما أمكن فهمها بمعنى الدهاء الخالي من المبادئ أو الدّهاء الذي لا يضع صاحبه القيم والمبادئ في اعتباره ، أو العمل بذكاء لكن دون وضع اعتبار للأخلاق أي بمعنى وضع الخطط بنعومة أفعوانية ووضعها موضع التنفيذ بجرأة وتهور كاملين بصرف النظر عن الطبيعة الأخلاقية للوسائل المستخدمة . وبهذه الطريقة كلّل النجاح قوى الإسلام . لقد ازدهرت - بشكل غريب فنونهم الوضيعة وحرفهم وخياناتهم التي هي طبيعة من طباعهم their perfidly . لا أحد يجاري محمداً وأتباعه في طباعهم المميّزة هذه . يقول جيبون Gibbon «في مجال ممارسة سياسة الحكم ، اضطر محمد لإبطال حدَّة التعصب إذعانا منه - إلى حد ما - لمشاعر أتباعه وما حاق بهم من ضرر ، كما اضطر حتى لاستخدام رذائل البشرية كأداة لتحقيق الخلاص لهم **(أو لتحقيق النجاة لها Salvation)** . وكان استخدام الاحتيال والخداع والقسوة والظلم من العوامل المساعدة في نشر العقيدة **(أي**

(*) بوش على وفق هذه العبارة يرى أن الشعوب الإسلامية تدين بالإسلام لفترة عارضة مؤقتة ، لكنها ستعود حتما إلى المسيحية . (المترجم)

الإسلام)» ويقول جيبون أيضًا : «ولدعم العقيدة (أو الحق) لم يكن محمد يعتبر فنون الخداع وتلفيق القصص جرمًا كبيراً ، وقد يبدأ بالوسائل القذرة ، P.193 إذا لم يرضَ بالنهاية العادلة» . وفي رحلات السيد مادن Madden إلى الشرق - وهو رحالة إنجليزي شاب - بعض لقطات تبين شخصية المسلم ، ربما تقدم لنا عند عرضها هنا صورة نبوية (أو بتعبير آخر صورة لما كان عليه النبي) يقول مادن **«إن ميراث التركي الموروث الممثل في عدائه للمسيحية هو المبدأ الأول في شريعته ، كما أن الخداع المتأصل في طبعه والمفترض أنه يواكب هذا العداء هو أبرز ملامح شخصيته»**(*) ويقول مادّن أيضا : **«إن أكثر صفات المسلم لفتا للنظر هي جهله العميق وعجرفته التي لا نظير لها ، وكسله ، وخداعه المتأصل ، ذلك الخداع الذي يوجّه سياسته في الديوان (مقر الحكم) ويحكم شراسته في الميدان (المقصود ميدان القتال)**(**) » ويقول أيضا : «ومن الناحية الظاهرية نجد أن التركي هو أجمل الكائنات (النص the finest animal) والحقيقة أنه يفوق كل الأوربيين قوة وجمالا . أما عن أخلاقهم فقد وجدتهم يحسنون إلى الفقير ، ويعطفون على المريض ويرحمون ، لكنني وجدتهم أيضا مخادعين لأصدقائهم خوّانين لأعدائهم ناكرين الجميل لمن يحسن إليهم»(***) ويقول أيضا : «ولم أر أبدًا تركيًا يُوف بوعده إن وجد أن من مصلحته خُلف الوعد»(****)

أما بالنسبة للعبارة التي وردت في نبوءة دانيال التي تفيد أنه «بالسلام peace سيدمّر الكثيرين **(الترجمة العربية المتداولة للسفر تورد الاطمئنان بدلا من السلام - وفي الاطمئنان يبيد كثيرين)** فقد فسّرها البعض بأن المملكة التي أقامها القرن الصغير **(دولة الإسلام)** تدمر الكثيرين بغارات مدمّرة في الوقت الذي كان فيه

(*) Madden's Travels, rol.I, p. 18 .
(**) Ibid, p.29 .
(***) Ibid, p.31 .
(****) Ibid, p.29 .

ضحاياها غافلين عن تدبير أمور أمنهم ، بما يفسّر كل التقدم الذي أحرزته جيوش المسلمين (Saracins **وهي كلمة تعني السرسرّية أو الصُّيَّع**) ، ربما يكون هذا هو التفسير الصحيح ، ولكننا نميل لإضافة بُعد آخر للكلمات ، فكما أضفنا قبل ذلك بعداً لكمة «يدمر destroy» باعتبار أنها تعني أيضا «يُفسد» و«يغتصب» و«يؤدي إلى خطأ مدمّر» ، فكذلك نود الإشارة إلى أن الآلاف قبلوا الحياة P.194 «بسلام» أو باطمئنان وقبلوا «الدين الدَّعي» الذي أدخله الغزاة أثناء تقدم جيوشهم المنتصر . هذا ما تعنيه الكلمات «وبالسلام (أو بالاطمئنان) حطّم الكثيرين» . أي أنه أفسدهم بالشروط التي فرضها عليهم لإتاحة السلام (الاطمئنان) لهم . وهذه الشروط سيئة السمعة تتمثل في : «الموت أو دفع الجزية أو الإلتزام بالقرآن أو بعبارة أخرى اعتناق الإسلام» وإذا نجت الأمم التابعة من حد السيف دمرتهم العقائد الخرافية المشوَّهة التي اعتنقوها .

وتمضي نبوءة دانيال قائلة : «لكنه سوف يُدمَّر دون يد تدمّره» **(أو على حد صياغة الترجمة العربية المأخوذ بها لهذا السفر : وبلا يد ينكسر)** ، وهذا يعني أنه سينكسر بغير يد بشرية تكسره وبغير سلطة بشرية ، أنه سينكسر (**سيهزم**) بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تنكسر (**تنهزم**) بها القوى الأخرى . ستنتهي هذه الهيمنة الروحّية للإسلام عندما يتصدّع الحجر (**دون أيد تصدّعه**) في مواجهة التمثال (أو الصنم image) فتتحول كل قوى الطغيان (**الاستبداد أو الحكم المطلق despotism**) والضلال إلى هباء . وكثيرون من شارحي نبوءة دانيال مقتنعون أن الخداع المحّمدي (**يقصد الإسلام**) سيبدأ انكساره ، دون يد تكسره في الوقت الذي تدمَّر فيه البهيمة الرومانية Confederal beast المتمثلة في كنفدرالية مناهضة للمسيحية ، وفي الحقبة التي تبدأ فيها الألفية Millennium **(المقصود بالألفية الألف سنة التي يحكم فيها المسيح العالم فيملأه خيرا وعدلا على وفق الاعتقاد المسيحي ، وفكرة عودة المسيح تتردد أيضا في الفكر الإسلامي لكن بأبعاد أخرى/ المترجم)** . في هذه الفترة سيبدأ التبشير بالانجيل بنجاح في العالم كله . وسينضم

كل الأغيار Gentile (وهو تعبير يهودي يعني غير اليهود ، لكن بوش هنا يستخدمه ليعني غير المسيحيين) إلى حظيرة الكنيسة المسيحية . خلال هذه الفترة سيترك المسلمون دينهم ليدخلوا في العقيدة الحقة (المسيحية) ، وعندما يتحول المسلمون جميعًا إلى المسيحية ، ستنكسر - بلا شك - مملكة القرن الصغير الشرقية (دولة الإسلام على حد تفسيره للعبارات الرمزية لنبوءة دانيال) . من الواضح أن انكسارها عندئذ يكون بلا يد (بلا يد تنكسر) لأنها ساعتها لا تكون قد انكسرت بحد السيف على يد غاز من بني البشر وإنما بتأييد من الروح القُدس الذي يُميل قلوب الناس ليعلنوا خطأهم وليؤمنوا بعقيدة نبي الله الحق .

وهكذا رأينا أن القرن الصغير لهذا الخروف (التيس) الرمزي يشير إلى نجاح ادّعاء محمد وإن كان هذا النجاح عَرَضيا - أي سيزول ، وقد تم المراد (أي وصل هذا النجاح لنهايته وحان وقت إزاحته) . وعلى هذا فنتيجة كل هذا الاستقصاء P.195 يجب أن تكون هي أن القرن الصغير كما وُصف في سفر دانيال ، يرمز إلى مملكة الإسلام . (أو دولة الإسلام) .

وثمّة نبوءة أخرى موازية سنتتبعها في سفر الرؤيا - أي رؤيا يوحنا - الذي أكّد بل ووضّح أهم نبوءات دانيال .

سفر الرؤيا

الإصحاح التاسع ، الفقرات من 1 إلى 19

1- «ثم بوّق (أي نفخ في البوق) الملاك الخامس ، فرأيت كوكبًا قد سقط من السماء إلى الأرض وأُعطي مفتاح بئر الهاوية (حفرة بلا قرار the bottomless pit)

2- «فَفَتَح بئر الهاوية فصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم ، فأظلمت الشمس والجوّ من دخان البئر» .

3- « ومن الدخان خرج جراد على الأرض فأعطي سلطانا كما لعقارب الأرض سلطان» (**النص الانجليزي استخدم قوة Power مقابلا لسلطان**) .

4- «وقيل له ألاّ يضر عشب الأرض ولا شيئا أخضر ولا شجرة ما ، إلاّ الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم» (**ختم الله في النص الانجليزي the Seal of God والمعنى أن يضروا - فقط - الذين ليس على جباههم ختم الله**) .

5- «وأعطي ألاّ يقتلهم بل أن يتعذّبوا خمسة أشهر . . وعذابه كعذاب عقرب إذا لدغ إنسانا» .

6- «وفي تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم» .

7- « وشكل الجراد شبه خيل مهيّأة للحرْب وعلى رؤوسها كأكاليل شبه الذهب ووجوهها كوجوه الناس» .

8- «وكان لها شعر كشعر النساء وكانت أسنانها كأسنان الأسود» .

9- «وكان لها دروع كدروع من حديد وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري إلى قتال» .

10- «ولها أذناب شبه العقارب وكانت في أذنابها حُمَات (**أي وخَّازة أو لسّاعة أو أداة للوخز والمقابل الإنجليزي هو Stings**) ،وسلطانها (**أو قوتها power**) أن تؤذي الناس خمسة أشهر» .

11- «ولها ملاك (**أو ملك بفتح الميم واللام**) الهاوية (ملاك الحفرة التي بلا قاع heaugle of the bottonless) واسمه باللغة العبرية أبدّون Abaddon وله باليونانية اسم أبوليون Apolyon» .

12- «الويل الواحد مضى ، هو ذا يأتي ويلان أيضا بعد هذا» . (**الكلمة الانجليزية المقابلة لويل هي Wo**) .

13- «ثم بوّق الملاك السادس (أي نفخ في البوق) فسمعتُ صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب ، الذي أمام الله» .

(العبارة الانجليزية أوضح لذا نوردها كما يلي :

I heard avoice from the four horns of the golden alter... أي سمعت صوتا قادما من المذبح الذهبي . إنه صوت القرون الأربعة الكائنة في هذا المذبح)

14- «قائلا **(أي هذا الصوت)** للملاك السادس الذي معه البوق فكّ الأربعة الملائكة **(أو الملائكة الأربعة)** المقيّدين عند النهر العظيم الفرات» .

15 - فأنفك الأربعة الملائكة **(أو الملائكة الأربعة)** المُعدّون للسّاعة واليوم والسنة لكي يقتلوا ثُلث الناس» .

16- «وعددُ جيوش الفرسان مئتا ألف ألف (أي 000 ،000 ،200) وأنا سمعت عددهم» .

17- «وهكذا رأيتُ الخيل في الرؤيا والجالسين عليها ، لهم دروع نارية وأسما نجونية **(المقابل الانجليزي أوضح Jacinth والكلمة تعني الياقوت الأزرق)** وكبريتية ، ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود ، ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت» .

18- «من هذه الثلاثة قُتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجة من أفواهها» .

P.196 19- فإن سلطانها (أي قوتها) هو في أفواهها وفي أذنابها شبه الحيّات ولها رؤوس وبها تضرّ» **(أي تضر بهذه الرؤوس)** .

لقد لاحظ السيد فيبر Faber أنه : «في نبوءة دانيال لا يجري الحديث إلاّ عن الإسلام **(الدين المحمدي)** الذي يُعد مؤيدوه الرئيسيون هم العرب Saracens

والترك ، ولم تميز النبوءة بينهما : والتاريخ العام للخرافة **(أو الخوف اللاعقلاني)** منذ بدايته إلى نهايته تم عرضه دون تعيين للأمم **(أو الشعوب)** التي تناصرها وترعاها على التتابع . وفي رؤيا يوحنا نجد تلاشيا لهذا النقص فهو يحدد لنا صورة دقيقة للجراد (السرسري) أو للعرب الذين يُرمز لهم بالجراد بقيادة زعيمهم المبيد ، وفرسان الفرات التابعة للسلاطين الأتراك الأربعة» . وسوف نحاول توضيح هذين القسمين الواردين في رؤيا يوحنا بذكر التفاصيل الدقيقة الواردة (في الرؤيا) . ففي الفقرة (الآية) رقم ١ نقرأ : « . . . فرأيت كوكبا قد سقط من السماء إلى الأرض وأعطي مفتاح الهاوية ، فصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم فأظلمت الشمس والأرض من دخان البئر» - الشارحون في هذه الأيام متفقون على أن تفسير النفخ في البوق للمرة الخامسة **(أو التبويق على حد الصياغة المستخدمة في الترجمة العربية المتداولة لرؤيا يوحنا)** ترمز وتتنبأ بظهور الدَّعى العربي **(أو الدجّال العربي)** ، لكن كيف ترمز الرؤيا إلى محمد بوصفه نجما سقط **(أو هبط)** من السماء؟ هكذا يتساءل المعلمون المرتدون عن المسيحية أو عدد منهم ، إلاّ أننا نفهم ترتيب الروح القُدس في رسم هذه الصورة الرمزية أو المجازية . إن الروح القُدس تعلمنا أن الإسلام ما هو إلاّ نتاج ما وقعت فيه المسيحية من هرطقة أو بتعبير آخر أتى بسبب الهرطقة المسيحية . . لقد سقط النجم قبل ظهور النبي الزائف ممثلا في شخص آريوس Arius وغيره من الهراطقة ، وكان من نتيجة ارتدادهم عن الحق أن دبّرت العناية الإلهية أن يظهر الإسلام ، ذلك **P.197** الدين المدمّر المخادع ، وأن يغمر بعضا من أفضل المناطق التابعة للكنيسة . هذه النظرة عن كون الإسلام دينا دعيًّا أخذ بها بعض الكتاب المقتدرين في الأزمنة الحديثة ؛ خاصة السيد هويتاكر Whitaker في كتابه : «أصول الآرويوسية»[4] وعلى هذا فالمهرطقون الكبار في الكنيسة المسيحية ، قبل ظهور محمد ، يبدو

أنهم ممثلين في النجم الهاوي أو الساقط الوارد في رؤيا يوحنا ، باعتبارهم أداة في إدخال هذا الطاعون والزيغ لعالمنا . إن الروح الشعرى في الأسلوب الذي صيغت به رؤيا يوحنا - تجعلنا نفترض أنه أخذها من الكهوف المقدسة المهيبة للوثنيين القدماء التي كان يُظن غالبا أنها تتصل بالبحر أو بهاوية كبيرة abyss والتي كانت تحظى بالتقدير - على نحو خاص عندما ينبعث منها بخار المسكرات (**المشروبات الكحولية**) (كتلك التي في دلفي Delphi) [5] : وعلى هذا فإنها تستخدم لخصائصها المتفردة في التنبّؤ بالادّعاء الديني أو بتعبير آخر في التنبّؤ بظهور الأديان الزائفة . وربما كان في تلقّي يوحنا رؤياه في أحد الكهوف المتّصفة ، بالصفات الآنف ذكرها إشارة إلى كهف (غار) حراء Hera حيث اعتاد النبي (محمد) الاختلاء فيه للتفكّر في أمر نظامه ، ومنه - أي من هذا الغار - انبثق دينه . أما انفتاح الهاوية (الحفرة التي لا قرار لها) وخروج بخار ودخان المناطق اللعينة فيشير بشكل مناسب للنظام الديني الشيطاني الشرّير والروائح الكثيفة الهدّامة للاهوته (أفكاره الدينية) الفاسدة التي أدخلها والتي بها أضل جانبا كبيراً جداً من أهل المملكة المسيحية فأغرقهم في الظلمات ، وإظلام الشمس - وهو أمر خارق للطبيعة وشاذ - يشير إلى كسوف الدين الحق وتلوّث الهواء ، ما هو إلاّ تنبّؤ بالسيادة غير المنضبطة لقوى الظلام . ومن المثير أنه زامن العلامات التي جرى التنبؤ بها في رؤيا يوحنا أن مذنّبا Comet غير عادي ظهر قبل مولد محمد ، وأن الشمس كسفت لفترة غير معتادة عند الإعلان عن هذا الدين الدّعي (أو المخادع) .

وتستمر رؤيا يوحنا ، ففي الفقرة رقم 2 ، نقرأ : «وخرج من الهاوية جراد انتشر على الأرض» . وشبه الجزيرة العربية لوحظ أنها منذ زمن بعيد كانت بلاداً **P.198** تولد فيها أسراب هائلة من الجراد ، غالباً ما تنتشر لتلحق الخراب في المناطق (أو البلاد) المجاورة لها ، ومن الملاحظ أن الجراد في الحكايات العربية

الأصيلة يُعد شعاراً وطنياً للاسماعيليين (نسل اسماعيل **Ishmaelites**) وعلى هذا فالرمز في رؤيا يوحنا الممثل في جراد ينطلق من الدخان إنما المقصود به جيوش العرب (المنحطين **Saracens**) وهم الأتباع العسكريون للنبي الذين خرجوا في رحاب الروائح المنبعثة من دينه، وانطلقوا - بناء على أوامره - ليفتحوا العالم ويهدونه. لابد من الرجوع إلى كتب التاريخ لنعرف الدمار والخراب الذي ألحقته هذه الحشود من العرب (السرسريّة) المدمّرين الذين حطوا رحالهم في الأرض التي رأى فيها يوحنا رؤياه ودمّروها، بتوجيه من محمد وخلفائه. بل إنه، مع ذلك، فإن الأشباح والأوهام التي خرجت من الهاوية تحمل شبها عاما بالجراد، وقد اتسموا بخصائص خاصة تجعلهم نسخة من الشعب الذي شُبّهوا به. وسنتناول هذا في سياق قادم.

وفي الفقرة (الآية) الرابعة من رؤيا يوحنا نقرأ: «وقيل له ألاّ يضر عشب الأرض ولا أي نبت أخضر ولا شجراً، إلاّ الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم». وعندما تقول الرؤيا أن هذا الجراد قد تلقى أمرا بألا يلحقوا ضرراً بالعشب والشجر وألا يضروا سوى الرجال، فإن معنى هذا أن الجراد هنا مجرد رمز، فالجراد الطبيعي لا يأكل إلاّ الأخضر، كما أن هذا يعني أن هناك توجيها إلهيا لهؤلاء المرموز لهم بالجراد. كما أن الصفات الأخرى المعزوّة إليهم تعني أنهم قوم مقصودون وليس مجرد إشارات أو إلماحات، فهناك إشارات إلى وجه بشري وشعر امرأة وتيجان ذهبية ودروع من حديد. ومع هذا فنحن نلاحظ أن رؤيا يوحنا كثيراً ما تختلط فيها الصفات الحرفية (أو الحقيقية) بالصفات المجازية، حتى في سياق الفقرة الواحدة. إننا إذن نمتلك مفتاح المعنى الحقيقي لهذه الرموز. على وفق المبادئ المذكورة هنا فإن الجراد المرموز به هنا مطلوب منه أن **P.199** يلحق دماراً غير الدمار الذي يلحقه الجراد الطبيعي الذي نعرفه. يمكننا أن نفهم من هم المقصودون بهذه الأوامر، والذين نفذوا الأوامر الإلهية بإخلاص

عندما نقرأ وصية أبي بكر إلى يزيد(*) [6] Yezid وهي وصية جديرة بالملاحظة أوصاه بها عند خروجه - أي يزيد لغزو الشام Syria ، والشام هي أول ما غزاه العرب Saracens خارج نطاق شبه الجزيرة العربية . لا نكاد نشك أن هذه التعليمات (الوصايا) التي قال بها أبو بكر قد حفظها الله (أبقاها لنا) لتكون وسيلتنا لتوضيح هذا النص النبوئي (رؤيا يوحنا) لقد تضمنت وَصية أبي بكر لزيد أن يتذكر دائماً أنه في حضرة الله ، وأن الموت أقرب له من الحياة وسيلاقي يوم الحساب ، وأنه يأمل في الفردوس ، فعليه إذا خاض الحرب في سبيل الله أن يُبلى بلاء حسنا وألا يولّى الأدبار وأن يتحاشى قتل النساء والأطفال وألاّ يدمّر نخيلا ولا يحرق حقلا Fields of Corn ، وألا يقطع شجراً مثمراً وألاّ يؤذي دابة Cattle ، فيكفيك ما تذبحه لتأكله ، وإذا أبرمت عهداً فكن عند عهدك . وستلاقي بعض الرهبان ورجال الدين معتكفين في أديرتهم وهبوا أنفسهم للعبادة ، دعهم وشأنهم لا تقتلهم ولا تدمّر أديرتهم وستجد نوعا آخر من الناس تابعين لمعابد الشيطان Synagogue of Satan قد حلقوا رؤوسهم Who have Shaven Crowns فهؤلاء ليس أمامهم إلاّ التحول للإسلام أو دفع الجزية ، فإن أبوا فاقطع رؤوسهم(**) .

وعلى هذا فيجب أن نلاحظ أن أجزاء الامبراطورية الرومانية التي لم تمسسها جحافل العرب (الساراسين) هي تلك الأجزاء التي يُظهر لنا التاريخ أن بها ما تبقى من كنيسة الرب الحقّة . لقد كان على العرب (الساراسين) أن يؤذوا فقط الرجال الذين لا يحملون خاتم الله فوق جباههم .

وتستمر الفقرة (الآية) الخامسة من رؤيا يوحنا قائلة : «وأُعطي (اي أُمر) ألاّ يقتلهم . بل أن يتعذبوا خمسة أشهر ، وعذابه كعذاب عقرب إذا لدغ إنساناً» . إن تعليق السيد جيبون غير المقصود على هذه الكلمات سيظهر كيف **P.200**

(*) الصحيح أسامه بن زيد .

(**) Ockley's History of the Saraceus, vol. I.

أن المهمة قد تم إنجازها . يقول جيبون : «كان المسلمون يعرضون على أعدائهم الاختيار بين الصداقة Friendship أو الأستسلام ، فإن دخلوا في الإسلام ، كان لهم ما للمسلمين من مزايا دنيوية وروحية وعليهم أن ينطلقوا تحت العلم نفسه لينشروا الإسلام الذي اعتنقوه . لقد قُرر مبدأ الرحمة والاعتدال على وفق مصالح النبي (محمد) ، بل إنه نادراً ما كان يسحق عدواً مقهوراً ، وبدا واعدا أنه عند دفع الجزية لا يكون لرعاياه الذين لم يؤمنوا برسالته ذنب إلاّ مواصلتهم لطقوس عباداتهم» . إن الفترة التي تشير الرؤيا إلى سلطان الجراد فيها هي خمسة أشهر . إن للنبوءة (رؤيا يوحنا) أسلوبها الخاص في حساب الزمن (أو بتعبير آخر رموزها الخاصة أو شفرتها الخاصة في حساب الزمن) . فاليوم في الغالب يعني سنة . وعلى هذا فخمسة أشهر - إذا كان الشهر ثلاثين يوما - تعني - على وفق حساب الرؤيا - مائة وخمسين عاماً . والخمسة أشهر (بمعناها الحرفي) هي أقصى مدّة زمنية للكارثة الطبيعية للجراد (أي أنها أقصى مدّة يدمّر فيها الجراد النباتات الخضراء) ومن هنا فإن الخمسة أشهر الواردة في النبوءة (والتي تعني مائة وخمسين عاما) تشير بالضبط لفترة الفتوح والغزوات الرئيسية التي قام بها العرب (الساراسين أو السرسريّة) لتكوين امبراطوريتهم ، بدءاً من ظهور محمد إلى تأسيس بغداد . يقول الأسقف نيوتون Newton : «اقرأ تاريخ العرب (الساراسين Saracens أو السرسريّة) وستجد أن أكبر أعمالهم الجريئة . وأهم فتوحاتهم قد تمت في فترة الخمسة أشهر بتعبير نبوءة يوحنا والتي تعني مائة وخمسين عاماً ، فيما بين سنة 612 عندما فتح محمد الهاوية (المقصود بدأ في نشر الإسلام) وسنة 762 عندما بنى المنصور بغداد وأسماها مدينة السلام» والمقارنة بين ما فعله الجراد (العرب) بما فعله العقارب (الترك) سنوردها في السياق التالي :

تقول الفقرة (الآية) رقم 6 « : وفي تلك الأيام سيطلب الناسُ الموت ولا يجدونه ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم . .» . إن هذه النبوءة (رؤيا

P.201 يوحنا) عادة ما تمثل تعبيراً مرعباً عن المعاناة - بلا أمل - التي عانتها الدولة المسيحية الشرقية (البيزنطية) أو المملكة المسيحية الشرقية Eastern Christiandom في ظل ممارسات الحكام العرب (their Saracen masters) الذين مارسوا معهم العنف والاضطهاد والإهانة والتحقير دون سند من قانون . ولا ننكر أن ما ذكرناه آنفا هو ما قد تشير إليه النبوءة ، ومع هذا فكما يبدو فإن الرجال الراغبين في الموت هرباً من المعاناة أمكنهم - بسهولة - تحقيق هدفهم بآلاف الوسائل ، ويمكننا أن نفترض أن العرب (Saracens) ليسوا هم المقصودين هنا طالما أنهم يطلبون الموت في المعركة رغبة في الشهادة (**النص تحقيقاً للفخار وطمعا في ثواب يأخدونه لهذه الميتة**) . والآية التالية من القرآن تستحق إشارة خاصة في هذا السياق : ﴿ **وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ...** ﴾ (آل عمران :143) وقد لاحظ شاول Sale «أن عدداً من أتباع محمد الذين لم يحضروا غزوة بدر كانوا راغبين أن تحين لهم فرصة أخرى ليحوزوا شرف الشهادة كما حازها الذين استشهدوا في بدر في ذاك المساء» . وعلى هذا فمعني اللغة المستخدمة (**في نبوءة يوحنا**) قد تكون أن الله لابد أنه أعطى جحافل المسلمين روح تآلف واتحاد وروابط قوية تعينهم على الغزو (أو بعبارة أخرى تمسكوا بحبل متين) مما يجعلهم يخرجون منتصرين في المعارك ، وجعلهم يطلبون الشهادة في المعارك ، وهي مطلب غال قد لا يصلون إليه .

وتستمر رؤيا يوحنا ، ففي الفقرة الآية رقم 7 نقرأ : «ويشكل الجراد شبه خيل مهيّأة للحرب وعلى رؤوسها كأكاليل شبه الذهب ووجوهها كوجوه الناس» . يقول جيبون : «إن شبه الجزيرة العربية هي في رأي علماء الطبيعة Naturalists (**المقصود علماء النبات والحيوان**) هي الموطن الأصلي للخيل . وكان الفرسان العرب دوما محطّ الإعجاب» . ويقول أيضا : « فالشاب المحارب يكون دائما فوق حصانه يخفق فوقه علم (شعار) أميره ، ويكون دائما - بهذه الهيئة - معه في الميدان يتدرب على استخدام القوس والرمح والسيف» . وعلى هذا فمما يتفق مع سر هذا النبي (النص : the hieroglyphic of the prophet ، والكلمة

P.202 تعني الغموض والإبهام) أن قوة العرب Saracens كانت تتكون في الأساس من عدد كبير من الفرسان يركبون خيولا عربية سريعة سرعة لا تُجارى .

وفي رؤيا يوحنا أيضاً «وعلى رؤوسها كأكليل شبهِ الذهب ووجوهها كوجوه الناس (الرجال)» وهذا ينطلق على ما أوصى به محمد أتباعه إذ أوصاهم بلبس العمائم لأنها لباس الملائكة(*) Make a point of wearing a turbans, because it is the way of angels وعلى هذا فالعمائم (أو غطاء الرأس) كانت دائماً لباسا يُميز العرب خاصة ، وكان غطاء الرأس هذا (**أو العمامة turbens**) محل فخرهم دوما ، وكانت الشعوب الأخرى تعتبر لباس الرأس (أو العمامات) هذا دالاً على تميّز لابسه (**أو شعارا للنباله badges of royalty**) . وإذا لاحظنا أن للجراد (**في النبوءة**) وجوه رجال ، فإن هذا يساعدنا على فهم الرمز (في النبوءة) ، فالمسألة ليست مجرد جراد (**الحشرة المعروفة**) وإنما المقصود بشر ، وهذا هو معنى الرمز .

وتستمر رؤيا يوحنا في الآية (الفقرة) الثامنة لتقول :«وكان لها (للجراد في الرؤيا) شعر كشعر النساء ، وكانت أسنانها كأسنان الأسود» وكان العرب بشهادة بليني pliny (7) يعفون لحاهم ،أو بالأحرى شواربهم (**النص : wore their breads or rather musta chios**) بينما كانوا يتركون الشعر منسابا أو مضْفورا كما هو الحال بالنسبة لشعر النساء . أما قول النبوءة : «إن الأسنان كأسنان الأسود» فإشارة إلى الأسلحة وآلات الحرب ، «والدروْع الحديدية» تشير إلى الدروع التي كان يستخدمها العرب في غزواتهم ، أما قول النبوءة : «وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري إلى قتال» فليس إلاّ تعبيراً مؤثراً يشير إلى جو المعارك والاستعدادات لها .

وفي الآية (الفقرة) العاشرة :«ولها أذناب كأذناب العقارب ولها حُمات (وخزّازات) في أذنابها .» فلابد أن نبحث عن تفسير لهذا في العهد القديم

(*) لم نجد نص هذا الحديث في الست الصحاح (المترجم) .

(التوراة وملحقاتها أو أسفار موسى الخمسة وملحقاتها) . فمن الكلمات الآتية عن سفر أشعياء (الإصحاح 9/ الفقرة 14 و15) يظهر أن ذنب الدابة (ذيلها) يشير إلى العقائد الفاسدة أو الخرافات . يقول السفر : «فيقطع الرب من اسرائيل الرأس والذنب والنخل والأسل في يوم واحد» . (المقابل الانجليزى للنخل P.203 والأسل كما في الطبعة الانجليزية هو branch & rush ولكننا أثبتنا نص الترجمة العربية التي يتداولها المسيحيون العرب) ويستمر نص رؤيا يوحنا مُوردا أن «الشيخ والمعتبر هو الرآس والنبي الذي يعلم بالكذب هو الذّنب» الرمز إذن يشير على نحو صارخ إلى الجروح الروحية التي حاقت بنشر الأخطاء السّامة المميتة والهرطقات ، وليس هناك برهان أوضح مما نجده في صفحات التاريخ . إذ نجد أن المسلمين أو أتباع محمد قد انتشروا كالعقارب وراحوا ينشرون سموم عقائدهم ، ونجحوا سواء انتصروا أم انهزموا في فرض عقيدة جديدة ، بالحيلة أو بالخداع . وبهذا الرمز في نبوءة يوحنا نتعلّم بشكل واضح أن طاعون الجراد (بالمعنى المجازي) لا يعني مجرد دمار الحرب ، وإنما يعني أيضا الدعوة الناجحة لدين زائف ، فهذه العقائد (الإسلامية) الزائفة تلحق ضررا وأذى من الناحية الروحية يُساوي الضرر الذي تلحقه حُماة (وخّازات) العقارب الحقيقية . وعلى النحو نفسه نجد في سفر الرؤيا (الإصحاح 12 ، الفقرتان 3 ، 4) «هوذا تنّين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان ، وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها على الأرض . . .» وتفسير هذا هو أن القوى المعادية للمسيحية مأذونة من هذا الغول الهائل بأن تقذف بأكثر بدعها وخرافاتها في عقول رجال الدين الحق مما يؤدي إلى اقترابهم من الردة الكاملة عن المسيحية .

وفي الفقرة (الآية) 11 ، نقرأ : «ولها ملاك (مَلك / بفتح الميم واللام) الهاوية مَلكا عليها اسمه بالعبرانية أبدون Abaddon وله باليونانية اسم أبوليون Apol-lyon» وكلا الاسمين يعني (المدمّر) . ولأن الجراد هو غاز علماني (ليس له رسالة دينية) فإن الداعي إلى دين زائف أو ملك الدين الزائف ، لابد أن يزاوج في

شخصه بين الدين والدنيا أو بتعبير آخر بين السلطة الزمنية ، والسلطة الروحية وهذا مافعله محمد وخلفاؤه ، فقد كان لابد من النظر إليهم على أنهم يكوّنون مما رمزت إليه الرؤيا بأبادون (المدمّر) ملك الجراد ، لأن الملك King في لغة رؤيا يوحنا لا يعني مجرد شخص واحد ، وإنما سلالة مالكة أو مملكة . وزعيم الجراد عندماانبثقوا - لأول مرة - من بئر الهاوية ، كان هو محمد نفسه **(المقصود أن زعيم الجراد الذي ورد في رؤيا يوحنا هو - على وفق تفسير بوش - محمد نفسه ، عليه الصلاة وأزكى السلام)**(*) لكن خلال فترة المعاناة التي حدّدتها رؤيا يوحنا **P.204** كان المقصود بطبيعة الحال بالحكام المدمّرين خلفاء محمد الذين حكموا . وعلى هذا فإننا إذا كان لنا أن نفترض ميل الإسلام في ظل الخلفاء أن يكون مجسّداً أو مشّخصاً to be personi fied وأن يكون هذا التشخيص الرمزي محدّدا بالمسمّى الأكثر ملاءمة ألا وهو الأبدّون Abaddon أو المخرّب(**)

وكما أن هذا الجزء من نبوءة يوحنا يشير إلى أصل ادّعاء محمد أو دينه الدّعى ، وإلى بداية فتوح العرب Saracens وتطورها ، وإلى الدعاة الأوائل إلى الإسلام ، فإن الجزء المتبقى من النبوءة يشير إلى بداية ظهور القوى التركية وهي القوى الأساسية التي دعمت الإسلام بعد ذلك .

وتستمر الفقرة (الآية) 13 من نبوءة يوحنا (رؤياه) قائلة : « ثم بوّق (أي نفخ في البوق) الملاك السادس فسمعتُ صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب (الموجود) أمام الله ، قائلا للملاك السادس الذي معه البوق فك الأربعة الملائكة (أو الملائكة الأربعة) المقيدين في النهر العظيم الفرات» **(في النص الانجليزي عبارة شارحة تقول : rather at or by or in the vicinity of أي عند نهر الفرات أو**

(*) ما بين القوسين إضافة من (المترجم) .

(**) ربما يقصد الغازي أو الفاتح ، ومع هذا فإن من تولى بعد رسول الله ﷺ كان يحمل لقب خليفة أو خليفة رسول الله ، أو أمير المؤمنين أو المسلمين أو الأمير . . أو السلطان . . . إلخ . (المترجم) .

بالقرب منه وليس فيه in) . من مجريات الأحداث ، ومن ربع العالم الذي نوجّه إليه أنظارنا لنبحث عن هذه الأعداد المهولة من جحافل الفرسان ، ليس من الممكن أن نخطئ ما ترمي إليه نبوءة يوحنا . فالملائكة الأربعة الذين وُصفوا بأنهم مربوطون (مقيدون) بالمناطق التي حول نهر الفرات (وليس في in النهر نفسه) هم السلاطين الأربعة المعاصرون (أو أسراتهم الحاكمة) الذين اقتسموا إمبراطورية الأتراك السلاجقة في نحو نهاية القرن الحادي عشر : فارس وقرمان والشام Syria والروم Rhom (في تركيا الحالية) . هذه السلطنات -نتيجة أسباب مختلفة - كانت مُعاقة طوال فترة طويلة عن مدّ غزواتها وراء ما يمكن أن نطلق عليه جغرافيا مناطق الفرات (أو المناطق الفراتية Euphratean regions) لكن في نحو نهاية القرن الثالث عشر تم إطلاق الملائكة الأربعة (على وفق تعبير رؤيا يوحنا) على نهر الفرات في أشخاص ممثّليهم القائمين وقتئذ وهم الأتراك العثمانيون والسلاجقة الذين اتحدوا معاً . والمؤرخ الذي أرّخ لسقوط الامبراطورية الرومانية لابد أن يكون عونا لأيّ معلّق انجليزي على هذا الجزء من التاريخ النبوئي (أو النبوي Prophetic) وفيما يلي شهادته على العدد الهائل من الفرسان الذين كانوا يشكلون سلاح الفرسان التركي : «لقد كان عدد خيول الأتراك وفرسانهم مدعاة للفخر إذ كانوا يُعدون بالملايين . «وفي هذا الصدد نذكر أن الآلاف P.205 المؤلفة التي لا تحصى من خيول الأتراك انتشرت قاطعة ستمائة ميل من طوروس Taurus إلى أرض روم(*) Erzeroum» .

وتستمر نبوءة يوحنا في الفقرة (الآية 17) قائلة : «وهكذا رأيتُ الخيلَ في الرؤيا والجالسين عليها ؛ لهم دروع نارية وأسما نجونية (من ياقوت أزرق وسبق التعليق الشارح على هذه الكلمة/ المترجم) وكبريتية . .»هذه الخصائص النبوئية للمحاربين الفراتيين تتفق اتفاقاً تاماً مع الأوصاف التي وصف بها المؤرخون الأتراكَ . لقد جلبوا جيوشاً جرارة إلى الميدان خاصة من الفرسان ،

(*) في شرق تركيا حاليا (المترجم)

ومنذ بداية ظهورهم على المسرح السياسي الواسع للأمم كان من عادتهم أن يميزوا أنفسهم بثلاثة ألوان : القُرمزي والأزرق والأصفر ، وهي الألوان المرموز لها في رؤيا يوحنا بالنار ، والياقوت الأزرق ، والكبريت . وسيكون كتاب رايكوت Rycaut الذي يحمل عنوان : (الوضع الحالي للإمبراطورية العثمانية) والمنشور في حوالي نهاية القرن السابع عشر ، مرضيا وكافيا للقارئ الذي يريد متابعة هذه المسألة .

وتستمر رؤيا يوحنا : « . . ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت» . لدينا هنا رمز لا نلقاه في أي موضع في العهد القديم ولا في أي موضع في الأناجيل وما ألحق بها من أعمال الرسل ، فالخيول الرمزية الواردة في الرؤيا تُخرج من أفواهها ناراً ودخاناً وكبريتاً ، فيهلك من هذه الثلاثة ثلث الناس على حد تعبير الرؤيا . ويتفق ميد Mede ونيوتن وفابر Faber وغيرهم من المفسرين البارزين لسفر الرؤيا ليوحنا على الافتراض القائل بأن المقصود بالنار وما يصاحبها من دخان وكبريت والخارجة من أفواه الخيول ، إنما المقصود بها قصف المدافع . لقد كان الترك (أدخل فيهم بوش كما سبق القول الإيرانيين ، والأكراد في أرض روم/ المترجم) من بين أوائل من استخدموا البارود (وهو اختراع أوربي) في حروبهم . وقد استخدم محمد الثاني (العثماني) المدافع - التي تعد أكثر الأسلحة فتكا في الحروب المعاصرة - في حروبه ضد الامبراطورية البيزنطية Greak Empire ، ويُقال أنه مدين لمدافعه الثقيلة هذه فهي السبب في استيلائه على القسطنطينية . وعلى هذا فالنبي (المقصود **P.206** يوحنا) قد تنبأ بميدان المعركة (المقصود معركة محمد الثاني أو الفاتح ضد القسطنطينية) . لقد تكاتفت المدفعية والفرسان معاً ، فبينما كانت النيران وسحب الدخان الكثيفة تنطلق من المدافع ، ورؤوس الخيول وحدها هي التي تتشمم بشكل مربك في هذا الضباب الكبريتي فبدت لرائيها وكأن لهبا مصحوبا

بالدخان يخرج من أفواهها . ولأن هذه الصورة المدهشة توضح الشكل الخارجي لا حقيقة الأمر ، وجدنا النبي (**المقصود يوحنا**) يوظف تعبيراً توضيحياً «في عين الرائي» أو «في عين من يرى» وهو تعبير يعني «كما هو ظاهر» أو «كما يبدو» . قد نرى الآن إلى أي مدى يؤكد التاريخ هذا التفسير . يقول جيبون : «لقد درس محمد الثاني (**أي محمد الفاتح/ المترجم**) بعناية خاصة اكتشافات اللاتين Latins الحديثة والهائلة ، وفاقت مدفعيته كل مدفعية سبق ظهورها في العالم» ويقول أيضا : «أرْعدت المدافع العثمانية من كل جانب . فغمر الدخان المعسكر والمدينة والبيزنطيين Greeks والترك ، ولم ينقشع هذا الدخان إلاّ بعد التسليم النهائي للإمبراطورية الرومانية أو بعد تدميرها تماما» . ويقول أيضا : «لقد كانت مدفعية محمد (**المقصود محمد الثاني أو الفاتح**) أمراً مهماً وملموساً في تاريخ الأزمنة ، واحتلت في التاريخ مكاناً فريداً . وكانت هذه المدافع الضخام التي كان يتطلب سحب الواحد منها - كما يقال - سبعين زوجا من الثيران وألفي رجل يحيط بالواحد منها مدفعان غالباً ما يكونان بالضخامة نفسها ، ووجهت هذه المدافع إلى أسوار المدينة (القسطنطينية) أربعة عشر سريّة من سرايا المدفعية battries راحت تدك المدينة في وقت واحد في المواضع المتاحة ، وقد قيل بشكل غير واضح أنه كان فوق أحد هذه المدافع مائة وثلاثون بندقية أو مدفعاً صغيراً guns تُطلق في وقت واحد مائة وثلاثين طلقة» .

وتستمر رؤيا يوحنا في الفقرة (الآية) رقم 19 : « فإن سلطانها هو في أفواهها وفي أذنابها لأن أذنابها شبه الحيّات ولها رؤوس وبها تضر (أي تضر بها)» . سبق أن ذكرنا الدلالة الرمزية لذيل الحيوان . لكن الصورة في الرمز الحالي مختلفة شيئاً ما عن صورة الجراد الذي يرمز للعرب (السّرسريّة) والذي كان له - على حد ما ورد في رؤيا يوحنا - ذيول (**حمات**) كذيول العقارب ، وإن كان الفحوى واحداً . هنا نجد أن ذيول الخيول قد تحولت - في النبوءة- إلى **P.207**

رؤوس أفاعي ، ولا يخفى أنه كان من عادة الترك منذ تاريخهم الباكر أن يعقد الواحد منهم عقدة في آخر ذيل حصانه عندما يستعد لشن حرب مما يجعل الذيل شبيها بالأفعى . ولابد أن هذا النظر الفريد للذيل كان مثيرا للانتباه . ومن المثير أيضا تلك الحقيقة التي مُؤدّاها أن المؤرخ يسترعيه هذا الأمر فيذكر مراراً أن أحداً ما لم يؤكد صحة نبوءات الكتاب المقدس المسيحي ، كما أكّدها الأتراك بفعلهم هذا (**عقد أطراف ذيول خيولهم عند شن الحرب**) ، يُقال عن ألب أرسلان أول غاز تركي غزا الامبراطورية الرومانية (**المقصود هنا الامبراطورية الرومانية الشرقية المعروفة بالبيزنطية/ المترجم**) : «بيديه عقد ذيل حصانه وأعلن أنه إذا هُزم ، كان موضع هزيمته هو قبره» . مجال الغموض المستخدم هنا هو أن يوحنا يتنبأ بانتشار الادعاء الزائف (**أو الديانة الزائفة**) بالقوة العسكرية التي حققت هذه الفتوحات المذهلة . إن هذا الحدث يتفق مع نبوءة يوحنا . ولم يكن الترك مجرد غزاة علمانيين تماما كما كان العرب Saracens الذين ألحقوا الأذى قبلهم . لقد كانوا - أي الترك- مشبعّين بكل التعصّب الوحشي الذي أملاه عليهم الدين الزائف . لقد راحوا ينشرون عن إيمان نفس النظام اللاهوتي (**الديني العقدي/ المترجم**) الذي نشره من قبلهم أسلافهم العرب . لقد آذوا بعقائدهم أذىً لا يقل عما ألحقوه من أذى بسبب غزواتهم ، وحيثما حلّوا نصروا القرآن على الأناجيل . يقول جيبون : «اعتنقت الأمة كلها دين الإسلام» ويقول أيضا : «وبعد وفاة **P.208** باسيل[8] Basil بخمسة عشر عاما وقع أخلافه فجأة في قبضة جنس بربري غير معروف مزج بين شجاعة الحيثيين وتعصب الداخلين حديثا في الإسلام» .

لقد سقنا الأدلة الكافية - إذا لم نكن مخطئين- على أن ظهور النبي العربي في هذا العالم وقيام ادّعائه (**المقصود دينه**) وانتشاره وما تمخض عن هذا! من نتائج . كل هذا تنبأ به هذا السفر المقدس (رؤيا يوحنا) . حقيقة لن يكون من

السهل أن تخصص أي جزء من النبوءة ألقي عليه التاريخ والعناية الإلهية ضوءاً أقوى ليجعله أوضح ، أكثر من هذا الجزء الذي تناولناه في الصفحات السابقة . لقد بُهت المفسّرون تماما للدقة المدهشة لهذه الصور (التي رسمها يوحنا في نبوءته) ولانطباقها التام مع التفاصيل التاريخية . يقول الذكتور زوخ Zouch «إن هذه الحقائق التي جرى التنبؤ بها في الاصحاح التاسع من سفر الرؤيا كافية في حد ذاتها لإثبات قداسة هذا الكتاب (المقدس) . إنني عندما أقارنها بصفحات التاريخ امتلئ دهشة . فالعرب Saracens الذين لم يكن لهم وجود زمن يوحنا ، والأتراك الذين كانوا وقتها غير معروفين أبداً ، ها هو يوحنا يصفهم بلغة مناسبة تماما ومحدّدة» .

وإذا كان ما يذكر بشأن ظهور الإسلام وتقدمه وسلطانه غير كاف ، وإذا كانت الأسباب البشرية (المقصود الدنيوية) التي عادة ما يجري اقتباسها لشرح النجاح المذهل للإدّعاء الإسلامي (المحمدي) لازالت تبدو لنا غير كافية ، وإذا كانت أعظم ثورة على الإطلاق واجهت الكنيسة المسيحية تبدو مُعضلة لا حلّ لها ، فَلِمَ نتردد في أن نعزو هذا مباشرة إلى إرادة الله ومشيئته . وبذا نجد الحل الذي يفسر كل هذه الأسرار؟ لماذا نحن تواقين للهرب من الاعتراف بالتدخل الإلهي في قيام هذه الهرطقة التي هي رأس الهرطقات؟ إن صح تفسيرنا لنبوءتيْ دانيال ويوحنا فإن الخداع المحمدي (الإسلام) كما هو حقيقة تشهد بصحة النبوءة فإنه أيضا يشهد بحقيقة كل محتوى الكتاب المقدس (المسيحي) **P.209** والآن فمعنى أن نُصر على أن العملية لا تعدو كونها ذات أسباب بشرية بينما هي حقا واردة في النبوءة ، فإننا بهذا حقيقة نكون قد نزعنا حكم الكون (العالم) من أيدي الله . وهذا المبدأ يدفع إلى تكذيب كلمات النبوءة المؤكّدة ، لأنه يجعل الله مجرّد متنبّئ بأحداث ، ليس له سيطرة عليها وليس هو ضابطها . هذا المبدأ لا يصمد أمام أيّ قدرٍ من التمحيص . عندما تنبأ دانيال بمصير الإمبراطوريات

الأربع الكبيرة أو عندما تحدث أشعياء عن كورش Cyrus [9] وأسماه بالإسم باعتباره إنسانا سيحقق هدفا للمحيط بكل شيء (الله)، هل يمكننا - بعد هذا - أن نقول أن الأحداث التي جرى التنبؤ بها تمت بعيداً عن المشيئة الإلهية؟ من الأسهل والأصوب أن نعترف بترسيم مسبّق Pre-ordainment (**تعبير مسيحي يعني أن الله سبحانه قضى بأمر قبل وقوعه/ المترجم**) قضى الله بمقتضاه أن يظهر محمد الذي لايزال باقياً (**المقصود هنا أمّته**) بهيمنته المرعبة، ودوامه المستمر وتأثيره القدري في أمور البشر، كما أنه مجال لنبوءات مؤكّدة. وهذا لا يعني عدم مسئولية الإنسان عن عمله ولا ينفي بالمرّة الطبيعة الأخلاقية لهذه الأعمال، فعلم الله Deity السّابق بما سيكون لا يعني استبعاد حساب الإنسان عما اقترفت يداه. ولا يضعف من فكرة الثواب والعقاب. والكتاب المقدس (المسيحي) زاخر بالأمثلة التي تؤكّد هذا، لكن القارئ المفكّر لن يحتاج إلى مزيد من التأكيدات لتبيّن هذا الأمر الواضح.

- حواش أضافها المترجم للتعريف ببعض الشخصيات والمصطلحات الواردة في النص. نقلاً على مصادر أصيلة

- تعليقات شارحة على النص جمعها المترجم من المصادر (معظمها ألفه مسيحيون) لتوضيح بعض المصطلحات، وسير بعض الأعلام كما وردت بالنص المترجم



(1) **سورية المجوفة** : اسم قديم أطلق على الجزء الواقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، ويجري نهر العاصي في قسمه الشمالي ، ونهر الأردن في قسمه الجنوبي ، ويصب العاصي في البحر المتوسط ، ويصب الأردن في البحر الميت ، وكانت هذه المنطقة إيالة رومانية حاضرتها بعلبك وتشكل اليوم ما يُعرف بسهل البقاع .

(عن معجم الحضارات السامية لهنري عبّودي ، والسيد بوش نقلا عن الباحث م . رولين يقول : إنها كانت تابعة للبطالسة (أو البطالمة) بعد موت الاسكندر وتقسيم إمبراطوريته) .

(2) من المعروف لدى المسلمين أن المسجد الأقصى كان إلى جوار الصخرة لا فوقها ، ونجد تفاصيل هذا في كتاب تراثي شهير هو : «**اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى**» **لأبي عبد الله محمد بن شهاب أحمد بن عباس المعروف بشمس الدين السيوطي** (813 –880هـ) حققه د . أحمد رمضان محمد ، وفيما يلي اقتباس طويل من القسم الثاني من هذا الكتاب المهم من ضميمة (ملحق) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري) .

تاريخ عمارة المسجد الأقصى

معهد الأنبياء ، ومتعهد الأولياء ، وثاني البيت الحرم في البناء وأول القبلتين حال الابتداء .

من المعروف أن فلسطين وبيت المقدس قد دخلت في حوزة المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين ، فقد أنفذ عمر بن الخطاب عمرو بن العاص إلى فلسطين ، ولما نزل بيت المقدس امتنع عليه ، فقدم أبو عبيدة عامر بن الجراح بعد أن فتح بلاد بيسان ونابلس ، فطلب أهل بيت المقدس من أبي عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صالح أهل مدن الشام ، من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم . كما طلب أهل بيت المقدس أن يكون المتولي للعقد معهم أمير المؤمنين عمر نفسه ، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر ونزل الجابية قربّ دمشق .

ولما قدم عمر بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي ، المعروف بـ (موريا) وأتي رسول بطريقها (سفرونيوس Sophronius إليه بالترحيب وقال له : إننا سنعطي بحضورك مالم نكن نعطيه لأحد دونكم ، كما سأله أن يقبل منهم الصلح والجزية ،

وأن يعطيهم الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم ؛ فأجابهم عمر إلى ذلك ، وأعطاهم الأمان ، الذي عرف باسم العهدة العمرية ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبرئيها وسائر ملتها ، أنه لا يسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية ، كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه ، وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبانهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ، من كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على ذلك كتب وحضر سنة 15 هـ

خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن أبي سفيان ، عمر بن الخطاب ، ثم أن عمر بن الخطاب قال للبطريرك (سفرونيوس) : قد وجب لي عليك حق الذمام ، فأعطني موضعًا أبني فيه مسجداً فقال له البطريك : أنا أعطي أمير المؤمنين موضعاً يبني فيه مسجداً عجز ملوك الروم عن بنائه ، وهي الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها .

وكان الروم ، لما اعتنقوا المسيحية ، وبنت هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين الكنائس في بيت المقدس ، كان موضع الصخرة وحولها خراب فتركوها على حالها بل ورموا على الصخرة التراب ، حتى صار فوقها مزبلة عظيمة . وهكذا نرى أن الروم لم يعظموا الصخرة ولم يبنوا عليها كنيسة .

فما طلب عمر من سفر ونيوس البطريك موضعا يقيم عليه مسجداً ، أخذ بين عمر وأوقفه على المزبلة ، فأخذ عمر بطرف ثوبه فملأه ترابا ، ورمى به في وادي

جهنم، فلما نظر المسلمون ما فعله عمر، لم يتأخر أحد من حمل التراب في حجره، وفي الثياب والاتراس، وفي الزنابيل والأجانين، حتى نقوا الموضع ونظفوه، فاستبانت الصخرة .

وبروي البكري القصة السابقة فيقول : أن عمر بن الخطاب عندما افتتح بيت المقدس صلحاً، كان معه كعب الأحبار، فسأله قائلا : يا أبا اسحق أتعرف موضع الصخرة؟ قال : أذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم، ثم احفر، فإنك تجدها وهي يومئذ مزبلة . فحفروا، فظهرت لهم .

ومهما يكن أمر الاختلاف في سرد القصتين السابقتين إلا أنهما يتفقان في النهاية على أن عمر بنى مسجداً في المنطقة التي كانت مليئة بالتراب بجوار الصخرة المقدسة التي قيل أن الرسول ﷺ قد صعد عليها عندما عرج به إلى السموات العلا ليلة الإسراء والمعراج .

ويكمل البكري قصته فيقول : أن عمر سأل كعب قائلا، أين ترى أن تجعل المسجد، فقال : خلف الصخرة فتجمع القبلتين، قبلة موسى وقبلة محمد، فقال عمر . لم تنس اليهوديةيا أبا اسحق .

ويحدثنا كذلك ابن البطريق عن موضع المسجد بالنسبة للصخرة فيقول : فقال قوم نبني المسجد ونصير الصخرة في القبلة، فقال عمر، لا بل نبني المسجد وتصير الصخرة في آخر المسجد، فبنى عمر المسجد، وصير الصخرة في آخر المسجد وأمر المسلمين أن لا يقربوا المسجد حتى تسقط عليه المطر ثلاث مرات، وكان ذلك عندما أذن بلال للصلاة .

مما يتقدم يتبين لنا أن أول من بنى المسجد الأقصى في الإسلام هو الخليفة عمر بن الخطاب سنة 15هـ، بجوار الصخرة المقدسة . وقد اتفق جمهور المؤرخين على أن عمر ابن الخطاب قد أقام مسجدا متواضعا وصغيرا في الجزء الجنوبي من الحرم القدسي بالقرب من المكان الذي يقال إن الرسول صلوات الله عليه قد ربط به البراق قبل أن يعرج به إلى السموات العلا . وبرغم أن عدداً كبيراً من مؤرخي المسلمين قد تخصصوا في الكتابة عن بيت المقدس والمسجد الأقصى بصفة خاصة مثل المقدسي، وابن الحجة الحموي، وعجير الدين العليمي، والحافظ بن عساكر، وأحمد بن إبراهيم بن هلال

ابن تميم بن سرور المقدسي وغيرهم كثيرين، إلا أن أحداً منهم لم يذكر لنا كيف كان بناء المسجد الذي أقامه عمر بن الخطاب سنة 15هـ هذا فضلا عن أن مؤرخي النصارى مثل ثيوفييس (Theophanes) والياس (Elias) ونصيبس (Nisibis) وميخائيل السوري قرروا كذلك أن عمر قد. أقام مسجداً للعبادة في مكان مهجور ببيت المقدس بجوار كنيسة القيامة بالحرم الشريف. ولكن لحسن الحظ فإنه عثر على شاهد عيان من مؤرخي القرن السابع الميلادي هو أركلف (Archulf)، الذي ذهب إلى الحج إلى بيت المقدس سنة 670م ورأى المسجد ووصفه في العبارة التالية:

«في ذلك المكان الجديد الذي كان يشغله من قبله كنيسة عظيمة، وبالقرب من الحائط من جهته الشرقية، يتردد الآن العرب على مبنى مربع الشكل للعبادة وهو مبنى متواضع أنشأوه من عروق خشبية ضخمة موضوعة فوق مخلفات الخرائب. ويقال أن هذا المسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين في وقت واحد».

وهكذا نستطيع القول أن أول مبنى أقيم للمسجد الأقصى كان في عصر عمر بن الخطاب.

(3) ننقل هنا ما ورد عن نبوخذ نصر أو نبوخذ ناصر من قاموس الكتاب المقدس. وقد أوردنا نصا مطولا لأن **دانيال صاحب الرؤيا عاني على أيام نبوخذ نصر**:

نبوخذ ناصّر، نبوخذ نصّر: اسم بابلي معناه: **«نبو حامي الحدود»** وهو ابن نبوبلاسر وخليفته في الجلوس على عرش مدينة بابل وحكم الإمبراطورية البابلية في ما بين النهرين وسورية. وكان أبوه قد أسس الدولة البابلية الجديدة سنة 625 ق.م. منهيًا بذلك حكم الإمبراطورية الاشورية. وبعد ثلاثة عشرة سنة سقطة نينوي، بعدما حاصرها نبوبلاسر ملك بابل وكياكسريس ملك مادي. وهاجم فرعون نحو مملك مصر، فلسطين ليحمي مصالح مصر في سورية الجنوبية (2مل 23: 29 و2اخبار 35: 20) وحارب ملك يهوذا في مجدو سنة 608ق.م. وقتله في المعركة. ولم يقنع نخو بإمتلاك فلسطين، بل عاد إلى مصر واعد جيشًا جديداً ليصل به إلى الفرات ويقطع الطريق على البابلين ويستولي على تركة الاشوريين. فأرسل

نبوبلاسر ابنه ، نبوخذنصر ، ليقف في وجه نخو ، ولمع اسم نبوخذنصر حينما دشن خبرته العسكرية بالتغلب على نخو وجيشه معه من السوريين وقتل الآلاف منهم ، في واقعة قرقميش سنة 605ق .م (2مل 24 : 7 وار 46 :2) . واستولى نبوخذ نصر على ما خلفه نخو وراءه من ممتلكات ، في سورية وفلسطين . وجاء إلى القدس وسبى بعض سكانها ، ومن بينهم دانيال ورفاقه (دا1 :1 – 4) . ولكنه ما أن وصله نعي أبيه حتى أسرع بالعودة إلى بابل ، وأعلن نفسه خليفة لأبيه سنة 605ق .م . ولم يكتف نبوخذ نصر بامتلاك القدس وأخذ بعض سكانها أسرى ، بل أمر رجاله بأخذ جماعات أخرى من السكان ونقلهم إلى بابل ، من القدس وفينيقية ومصر . واستمر يحكم أرض يهوذا ، ويتسلم الضرائب ، مدة ثلاث سنين . وكان ملكها حينذاك يهوياقيم (2مل 24 :1) وفي سنة 602ق .م عصي يهويا قيم مغتنمًا فرصة حروب نبوخذ نصر في مناطق أخرى من إمبراطوريته واشتغاله عن فلسطين لبعدها من بابل ، ولكن نبوخذنصر تغلب على أعدائه بسرعة ، وعاد إلى فلسطين بجيش جرار ، واحتل القدس وقضى على الثورة واعتقل يهوياقيم ثم أطلق سراحه وعين ملكًا جديدًا مكانه ،يهوياكين (2اخبار 36 :6 و10) ولكن يهويا كين ثار من جديد ، فجاء نبوخذ نصر للمرة الثالثة واحتل المدينة وسبى السكان إلى بابل واستولى على بيت الرب ومحتوياته (2مل 24 :12 – 16) . ونصب نبوخذ نصر متنيًا ملكًا ، وغير اسمه إلى صدقيا . وحافظ صدقيا على ولائه لنبوخذ نصر حوالي ثماني سنوات ولكنه في السنة التاسعة طمع في الاستقلال ، بعد أن علم باقتراب الجيش المصري من مملكته ، وأمل في أن يساعده ذلك الجيش ضد البابليين (ار 37 :5) إلا أن نبوخذ نصر لم يهمله . فقد احتل القدس للمرة الرابعة ، بعد حصار شديد ، وقتل ابني صدقيا أمام أبيهما ، ثم قلع عينيه وحمله أسيرًا إلى بابل سنة 587 ق .م . (2مل 25 :7) وأحرق نبوخذ نصر هيكل الرب ، وأخذ آلاف السكان أسرى (2 أخبار 36 :5 – 21 وار ص 39 و52) . أما أرميا ، وكان قد تنبأ بما حدث ، فقد أوصى به نبوخذ نصر خيرًا (ار 39 :11 – 14) . ثم حاصر نبوخذ نصر صور ، وباقي مدن الساحل الفينيقي ، واحتلها وعامل سكانها بقسوة (حز 29 :18) . وفي سنة 582 ق .م . حمل من جديد على أواسط سورية ، وبلاد العمونيين والمرآبيين (ار 52 :30) ثم غزا مصر سنة 567 ق .م . (حز 29 :19) .

وقام نبوخذ نصر في باقي سني حياته بفتوحات أخرى ليست لدينا تفاصيلها . وكان من عادته أن ينقل سكان امبراطوريته من مكان إلى آخر ليضمن ولاءهم ويستعمل قواهم في مشاريعه العمرانية . وعلى هذا النمط عامل سكان مدينة القدس وتمكن من بناء قصور ومدن وأسوار وقلاع وهياكل كثيرة ، لاتزال آثارها شاهدة على نمو العمران في عهده . وإليه ينسب بناء الجنائن المعلقة وحفر القنوات للري من مياه شط العرب . وقد سماه دانيال ملك الملوك (دا 2 : 37) .

وتخبرنا الاصحاحات الأربعة الأولى من سفر دانيال ببعض أخبار نبوخذ نصر . ومنها خبر جنون الملك . والحقيقة أن نبوخذ نصر أصيب بنوع من الجنون يظن المصاب به نفسه أنه تحول إلى حيوان . وقد ظن نبوخذ نصر أنه تحول إلى ثور ، وخرج يرعى في الحقول (داص4) . وعلى إثر مرضه مات ، بعد أن ملك ثلاثا وأربعين سنة . وكان موته سنة 562ق .م . . .

وأخبار نبوخذ نصر موجودة في أسفار الملوك والأخبار وعزرا وتحميا وارميا ودانيال . وآثاره في بابل وما وجد له من مخلفات في أماكن أخرى من امبراطوريته الواسعة ، تعزز أخبار الكتاب عنه . وقد بنى نبوخذ نصر في بابل سورين حول المدينة وأبواب الالهة اشتار أو عشتار ، وشارع المواكب ومعابد وزيجورات أو هيكل مدرج على شكل هرم وهو شبيه بالزيجورات التي أطلقوا عليها اسم «برج بابل» والحدائق المعلقة التي كانت تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع . كما حفر في بابل قنوات الماء (دا4 :30) .

(4) عن الآريوسية أو الأريانية ، يمكن مراجعة «**المدخل إلى علم التاريخ**» **تأليف د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ** (نشر دار المريخ ، الرياض) ، ولكننا نفضل هنا إيراد ما كتبه كاتب مسيحي هو الدكتور **أنيس فريحة** في كتابه دراسات في التاريخ (نشر في بيروت) ، وهو يؤكد أن آريوس الذي لا يزال له أتباع إلى اليوم أكد أن المسيح (عليه السلام) ليس هو الله وإنما نبي كريم ، وذلك قبل ظهور الإسلام بأكثر من مائتي سنة ، وقد اتهمه أعداؤه بالهرطقة ، يقول فريحة :والهرطقة الآريوسية ، كما يسميها مؤرخو الكنيسة عادة ، هي نسبة إلى آريوس اكليريكي تابع لابرشية الاسكندرية . وكان في أول أمره خامل الذكر حتى أننا لا نعرف عن حياته الأولى شيئًا سوى أنه ليبي المولد .

وكان ذكيًا ذا ثقافة عالية . وقد كان اسكندر ، أسقف الاسكندرية ، يجله لعلمه وفضله . ويقول لنا المؤرخون أنه كان يطمح إلى أسقفية الاسكندرية ، وقد وجّد على اسكندر عندما فاز بالرسامة . وقد يكون في هذا القول مستمسك يأخذ به خصوم آريوس ليبرهنوا أن عداء آريوس لأسقف الإسكندرية كان عداء شخصيًا ثم عقائديًا . وهذا خارج عن نطاق بحثنا .

أكثر المؤرخين على أن بدعة آريوس بدأت جدلاً بريئًا عندما كان اسكندر يفسر في جمع من اكليريكي ابرشيته بعض الآيات من العهد الجديد . فذكر ، في جملة ما ذكره ، أن الابن له المجد والكرامة ذاتهما التي للآب ، وأن الابن من ذات جوهر الإله الذي أولده ، وأنه مولود ، لا مخلوق ، من قبل الدهور . فردَّ عليه آريوس بأن هذه التعاليم تخالف مبدأ الوحدانية . الله واحد ، لا يتجزأ . فإذا اعتبرنا أن المسيح من ذات الله أفسحنا المجال لخطر الثنائية . وتابع آريوس قوله : بأن المسيح مخلوق لا مولود ، ومن يكن نتيجة الصُّنع والخلق فهو في مرتبة ثانية بالنسبة للصانع أو الخالق . وقد كان زمن لم يكن فيه للمسيح وجود ، إذن المسيح محدد بالقبلية والبعدية» والله لا «قبل» له ولا «بعد» .

لا ضير في أن يتخذ المؤرخون هذا الجدل في حضرة اسكندر نقطة انطلاق . ولكن الواقع أن المسيحية كانت تتخبط في أمر العقيدة قبل هذا الآوان . من هو المسيح؟ هل هو الله أم من الله؟ هل هو إنسان إله أم إله إنسان؟ هذه القضية كانت أقدم من الجدل الذي أشرنا إليه .

كان آريوس تلميذاً للأسقف أوسبان في انطاكية . وكان لوسيان عالمًا لاهوتيًا ومفسرًا مشهورًا . وكان لوسيان تلميذ الأسقف بولس الساموساطي الذي كان يعلّم أن الإله الواحد لا يمكن أن يظهر بالجسد على الأرض ، ولا يمكن أن يكون الله شخصًا في المسيح ، إنما الله ملأ يسوع بكلمته (Logos) أو بقوته والكلمة صار اقنومًا في المسيح . والكلمة جوهر ثان من ذات الله خلقه الله قبل كل الدهور . والكلمة نزل إلى الأرض وصار جسدًا . فالمسيح عند لوسيان ، أستاذ آريوس ، لم يكن إنسانًا تامًا لأن الذي يكوّن فيه العنصر الشخصي كان من جوهر إلهي ، وكذلك لم يكن إلهًا تامًا ، لأن الجوهر الإلهي فيه تجسَّد ، فلا يصح أن يكون الله ذاته ، بل ينبغي أن يتميز عنه

طبيعة . هذه التعاليم التي اعتنقها آريوس في انطاكية قبل أن ذهب إلى الاسكندرية حيث رُسِم شمَّاسًا .

الحقيقة التاريخية أن كلا الفريقين ، الأرثوذكس وخصومهم من أهل البدع (الهراطقة) ، يعترفان بالمسيح ربًا ومخلصًا ويؤمنان أنه من الله . إنما كان جوهر الخلاف يدور حول قدر الألوهية في المسيح ، وبأي شكل تظهر في المسيح . فالأرثوذكس يرون في المسيح إلهًا صار إنسانًا وظهر على الأرض وصُلب ومات وقام ، وترى الفئة الثانية في المسيح إنسانًا صار إلهًا . وبما أن الفريقين كانا يرغبان الإبقاء على صفاء التوحيد ، ويحرصان على ألا يكون هنالك مجال لخطر الثنائية ، فقد انبرى كل فريق يفسر هذه الظاهرة العجيبة بما أوتيه من قدرة في الفلسفة واللاهوت . وقد ظهر هذا الخلاف فى التفسير جليًا في الرسائل التي بعث بها آريوس (والتي وصلنا منها الكثير ، مثلاً رسالته إلى أسقف نيقوميديا) بعد نفيه ولجوئه إلى فلسطين إلى فريق من الأساقفة المشايعين له . وكذلك يظهر الجدل جليًا بين آريوس وخصومه في الرسائل التي بعث بها خصمه الشديد اسكندر أسقف الإسكندرية ، إلى الأساقفة يحذرهم من آريوس ومن خطر بدعته . وكذلك يظهر هذا الجدل بوضوح في المناقشات التي جرت في مجمع نيقيا ، لأن مجمع نيقيا المسكوني إنما عقد للبت في أمر العقيدة المختلف فيها وهي : طبيعة المسيح .

وفي مقال مقتضب كهذا لا يسعنا أن ننقل هذه الرسائل ولا أن نأتي على ذكر ما قيل في مجمع نيقيا ، إنما يكفينا أن نستخلص نظرية آريوس بإيجاز كلي . وتتلخص نظريته كما تبدو في رسائله ، وفي رسائل خصومه وكما ظهرت في مجمع نيقيا في خمس نقاط :

1- كان زمن لم يكن فيه للابن وجود ، أو قبل أن يولد لم يكن .
2- خلق من جوهر لم يكن موجودًا من قبل ، أو صُنع من مادة لا وجود لها (أي أنه خلق من العدم) .
3- خلق من جوهر يتميز عن جوهر الله (أي مخالف لجوهر الله) .
4- ولانه خلق ولم يولد ، فإنه يشارك المخلوق بصفات المخلوق .
5- ولأنه مخلوق لا مولود ، فإنه قابل للتغير والاستحالة .

جاء في رسالة لآريوس بعث بها إلى أحد أصدقائه من الأساقفه يقول : «لا نرتد عن إيماننا هذا ، ولو هددونا بألف ميتة شنيعة» . وقد ظل آريوس شديد الإيمان بمعتقده هذا إلى مماته .

(5) مدينة إغريقية تعد مركزاً لمعابد وثنية يردد اسمها كثيراً مرتبطا بآلهة وثنية اغريقية . راجع معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والإغريقية» إعداد : أمين سلامة ، صفحات متفرقة مرتبطة بأسماء أرباب مختلفين .

(6) نورد هنا نص الوصية كما أوردها الطبري في كتابه الشهير «تاريخ الأمم والملوك» (بيروت ، دار الكتب العلمية/ أحداث سنة ١١هـ) :

« قال : يا أيها الناس ، قفوا أوصِكُم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخًا كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقرُوا نخلا ولَا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ؛ وسوف تمرُّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع ؛ فدعوهم وما فزّعوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوانُ الطعام ، فإذا اكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقوْن أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خَفْقًا . اندفعوا باسم الله ، أفناهم الله بالطعن والطاعون» .

(7) عالم روماني (23 -79) له موسوعة التاريخ الطبيعي ، يُرسم اسمه أيضا بلينوس .

(8) باسيل المشار إليه هو باسيل الثاني ، إمبراطور بيزنطي (976 - 1025) . عن عصره ، راجع الدولة البيزنطية السيد الباز العريني . دار النهضة ، بيروت ، 1982 .

(9) نظراً لأهمية كورش اوقورش في هذه النبوءة نورد هنا ما أوردته عنه دائرة المعارف الكتابية التي ألفها مسيحيون بروتستنط كاملا في جـ 6 :

كورش :

وهو بالتحديد كورش الثاني أو كورش الأكبر (559 -530ق .م .) مؤسس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية التي استمرت نحو قرنين من الزمان إلى أن قضى عليها الإسكندر الأكبر (331ق. م .) .

1- **خلفيته** : كان أبوه «قمبيز الأول» (600- 559ق .م .) ملكًا لأنشان في الجزء الشرقي من عيلام . وكانت أمه هي ماندين ابنة استياجيس ملك ميديا (585- 550ق .م .) وعندما مات قمبيز الأول في 559ق .م . ، ورث كورش عرش أنشان .

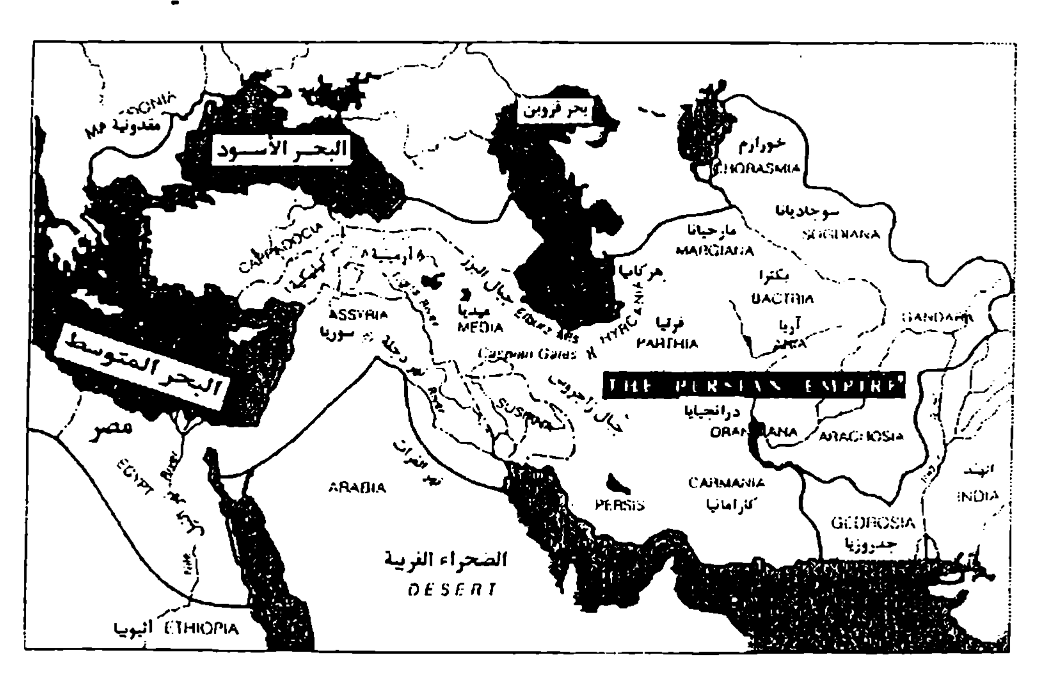
وتحيط بطفولة كورش بعض القصص الشبيهة بالأساطير ، أشهرها ما يرويه هيرودوت - الذي عاش في خلال أقل من قرن من عصر كورش- والأرجح أن كورش سمي على اسم جده كورش الأول الذي كان أيضًا ملكًا لانشان عاصمة عيلام . فاسم كورش اسم عيلامي لا نعلم معناه على وجه اليقين .

ويقول كورش عن نفسه : «أنا كورش ملك الجيوش ، الملك العظيم ، الملك القدير ، ملك «تندير» (بابل) ، ملك بلاد سومرو وأكادو ، ملك المناطق الأربع ، ابن قمبيز الملك العظيم ملك مدينة أنشان ابن سيببس الملك العظيم ملك مدينة أنشان . . . إلخ «سيبيس» الملك العظيم ملك مدينة انشان ، النسل الملكي الراسخ ، الذي يحبه بيل ونبو» .

ويري هيرودوت قصة مثيرة عن طفولة كورش : لقد أعطى «أستياجيس» ملك ميديا الغني ابنته «ماندين» زوجة لقمبيز الحاكم الفارسي ، ليحول بين نسلها وبين الاستيلاء على عرش ميديا ، فقد كانت فارس في ذلك الوقت دولة فقيرة ضعيفة ، كما كانت بعيدة نوعًا عن ميديا . وبسبب حلم رآه ، تآمر على قتل المولود الذكر الذي جاء ثمرة لهذا الزواج ، فسلم «حفيدة كورش » لقريبه «هارباجوس» ليقتله . وإذ استنكر «هارباجوس» ذلك ، أعطى الطفل لراعٍ اسمه «ميترادس» الذي كانت زوجته قد ولدت طفلاً ميتًا ، فرحبت بالإبقاء على حياة «كورش» ورعايته وعندما شب كورش عن الطوق ، ونتيجة لأعماله البطولية ، اعترف به «استياجيس» . وعندما علم

بالقصة ، أراد أن ينتقم من «هارباجوس» لعدم تنفيذه لأوامره له ، فقتل ابن «هارباجوس» وأعطاه قطعة من لحم ابنه - دون أن يدري - ليأكلها ولما عرف «هارباجوس» ذلك حزن حزنًا شديدًا . ولكنه كظم غيظه . وأرسل «استياجيس» حفيده «كورش» ليعيش مع والديه قمبيز وماندين . وحرض «هارباجوس» كورش ليثير الفرس ضد «أستياجيس» الذي أسرع بدون وعي بتعيين «هارباجوس» قائدًا لجيش ميديا ، فانتهز هارباجوس هذه الفرصة للانتقام من «أستياجيس» فانتهز هارباجوس هذه الفرصة للإنتقام من استياجيس فانضم بجيشه إلى كورش ، وكانت النتيجة المحتمة هي انتصار كورش ، واستيلاء الفرس على إكبتانا عاصمة ميديا ف 550 ق .م . ولكن كورش أحسن معاملة «جده» الذي وقع في الأسر .

وهناك روايات أخرى «لزينفون» (Xenophon) ، ولنيقولاوس الدمشقي ، وغيرهما .



خريطة للامبراطورية الفارسية في أيام كورش وداريوس الأول وأحشويرش

وقد نجح كورش في توحيد الشعب الفارسي ، كما نجح في دمج الميديين ، والفرس في أمة واحدة هي «مادي وفارس» ، وزحف غربًا حتى استولى على كل ممتلكات ليديا إلى نهر «الهالز» في آسيا الصغرى . وعندما أبى الملك «كروسوس» (Crocsus - قارون) ملك ليديا - خرافي الثراء - أن يعترف بسيادة «مادي وفارس» ،

حاربه كورش وهزمه وضم ليديا إلى إمبراطوريته في 546ق .م . وبعد ذلك بسبع سنوات ، أصبح مستعداً لهجومه الكبير على بابل .

2- **الاستيلاء على بابل** : لم تكن الإمبراطورية البابلية الجديدة في حالة تسمح لها بمقاومة الغزو المادي الفارسي في 539ق .م . ، فقد كان «نبونيدس» قد أوكل أمر المملكة في الأربع عشرة سنة السابقة ، لابنه بيلشاصر ، وقد زاد من إضعاف الإمبراطورية البابلية ، تركيز جهوده على تشجيع عبادة الإله «سين» إله حاران على حساب الآلهة البابلية مما أغضب كهنة بابل ، وجعلهم ساخطين على نبونيدس وابنه بيلشاصر .

وإذ أدرك «نيونيدس» أن الخطر وشيك ، رجع إلى بابل في ربيع 539ق .م . ، وجاء إليها بكل تماثيل الآلهة البابلية من المناطق المحيطة للدفاع عن المدينة ، ولكن بلا جدوى فنحو نهاية سبتمبر كانت جيوش كورش بقيادة «يوجبارو» (Ugparu) حاكم «جوتيوم» قد هاجمت «أوبيس» على نهر الدجلة وهزمت البابلين . وفي العاشر من أكتوبر ، استولت على «سبار» بدون معركة حيث هرب «نيونيدس» . وبعد يومين استطاعت جيوش «يوجبارو» دخول بابل عن طريق نهر الفرات بعد تحويل مياهه إلى القنوات العديدة ، بينما كان بيلشاصر مشغولاً بوليمته الصاخبة ، مطمئناً إلى أسوار بابل المنيعة (دانيال) وهو لا يدري بما يحدث . وكان هذا اليوم المشهود هو اليوم الثاني عشر من اكتوبر 539ق .م . وقد قُتل بيلشاصر في نفس الليلة . وقد رحب كهنة بابل وأهلها بالجيوش الفارسية .

3- **كورش واليهود** : دخل كورش نفسه بابل في اليوم التاسع والعشرين من أكتوبر ، وقدم نفسه للكهنة والشعب باعتباره محرراً لهم . واتبع سياسة ، هي على النقيض من سياسة الآشوريين والبابليين ، بأن سمح للشعوب المسبية بأن يعود كل شعب إلى موطنه . ولم يسمح لليهود بالعودة فحسب ، بل شجعهم على العودة إلى فلسطين وإعادة بناء هيكلهم في أورشليم (2أخ36 :22و23 ، عزا :1-4) ، بل وأعطاهم

«آنية بيت الرب التي أخرجها نبوخذ نصر من أورشليم وجعلها في بيت ألهته» (عز 1 :7-11 ، 6 :5) ، وساهم ماديًا في إعادة بناء الهيكل (عز 6 :4) . وقد استجاب نحو خمسين ألفًا من اليهود لنداء كورش ، ورجعوا إلى فلسطين بقيادة زربابل ويشوع (عز 2 :64و65) .

4- **نبوات إشعياء عن كورش** : في النداء الذي أطلقه كورش في كل مملكته ، قال : هكذا قال كورش ملك فارس : جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء . وهو أوصاني أن أبني له بيتًا في أورشليم التي في يهوذا (عز 1 :2) فكيف عرف كورش هذا؟ الأرجح أن ذلك لم يكن عن طريق الأحلام أو الرؤى ، بل بناء على إطلاعه على نبوات إشعياء التي كتبت قبل ذلك بنحو مائة وخمسين سنة . ومن المحتمل جدًا أن يكون دانيال الذي عاش إلى السنة الثالثة لكورش ملك فارس (دانيال10 :1) ، والذي كان شديد الاهتمام بإتمام نبوة إرميا برجوع اليهود إلى بلادهم بعد سبعين سنة (دانيال 9 :2 مع إرميا 25 :11و12) ، هو الذي قدم سفر إشعياء إلى كورش . ويقول يوسيفوس الذي كان متاحًا له الإطلاع على الكثير من الوثائق التاريخية - التي فقدت من زمن بعيد : «عندما قرأ كورش هذه الأقوال ، اندهش لهذه القدرة الإلهية ، وتملكته رغبة شديدة وطموح قوي لتحقيق ما هو مكتوب» . وكل الظروف تدعونا لقبول أقوال يوسيفوس إذ ليس هناك ما ينفيها .

وتبدأ نبوات إشعياء عن كورش في 41 :2و25 وتنتهي في 46 :11 ، 48 :15 ، وتبلغ ذروتها في 44 :25-45 :7 ، حيث يذكر كورش بالاسم فيقول : «القائل عن كورش راعي» فكل مسرتي يتمم ، ويقول عن أورشليم ستبنى ، وللهيكل ستُؤسس . هكذا يقول الرب لمسيحه ، لكورش» (إش44 :28 - 45 :1 أرجع أيضًا إلى 1 مل 13 :2 حيث تجد نبوة مشابهة يذكر فيها أحد الملوك باسمه قبل أجيال من مولده - هو «يوشيا») .

وقد رأى إشعيا مسبقًا - بروح النبوة - أن كورش لن يأمر ببناء الهيكل فحسب ، بل وببناء المدينة أيضًا (إش 45 :13 ، مع 44 :28) . وفي واقع التاريخ ، لم يكن كورش

هو الذي أصدر الأمر ببناء أسوار المدينة ، بل أحد خلفائه ، وهو أرتحشستا الأول (465- 423ق .م .- أرجع أيضًا إلى نحميا 2 :1-8 مع دانيال 9 :25) ، ولكن يجب ألا ننسى أن السياسة التي اتبعها كورش مع اليهود بعد سقوط بابل في يده ، كانت الأساس الذي صدرت عنه القرارات المواتية التالية : قرار داريوس الأول في 518 ق .م . (عز 6 :1-12) ، وقرار ارتحشستا الأول في 458 ق .م . (عز 7 :11-26) بخصوص الهيكل ، وقراره في 445ق .م . بخصوص أسوار المدينة . كما أن من الواضح أن القرار الذي أصدره كورش في 538ق .م . تضمن بالضرورة التصريح ببناء المدينة مع بناء الهيكل فليس ثمة تعارض بين نبوة إشعيا (45 :63) وما تم فعلاً بعد ذلك .

ويبدو أن كورش رغم اهتمامه باليهود - لم يكن مؤمنًا حقيقيًا بالرب ، وهو ما يبدو واضحًا من قول الرب له : «لقبتك وأنت لست تعرفني . . . نطقتك وأنت لم تعرفني» (إش 45 : 4و5) . ولكن من المؤكد أنه أدرك أن إله إسرائيل من أعظم الآلهة الكبار ، وبخاصة إذا كان قد قرأ نبوات إشعياء . ومن المحتمل أن الإشارة القوية إلى سيادة «الرب إلى السماء» في مرسوم كورش (عز 1 : 2-4) تعكس أقوال دانيال له ، فقد كان كبير وزراء داريوس المادي ، والمعني بشئون اليهود (دانيال 6 : 3و28) ، فهي - على ما يبدو - ليست كلمات كورش نفسه . وبنفس الكيفية يمكن تفسير ما قاله نبوخذ نصر عن «الله العلي . . . آياته ما أعظمها وعجائبه ما أقواها ؛ ملكوته ملكوت أبدي وسلطانه إلى دور فدور . . كل أعماله حق وطرقه عدل . ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله» (دانيال 4 :1-4و34-37) وبمقارنة نداء كورش المذكور في الاصحاح الأول من عزرا مع ما وجده داريوس الأول بعد ذلك بسبع عشرة سنة في أحمثا (إكبتانا) في خزائن القصر ، نرى أنه بينما تذكر الصيغة الأولى النداء العام ، فإن الصيغة الثانية هي ما وجده مكتوبًا في سجلات رسمية محفوظة في بيت الأسفار (الأرشيف) .

5- **أسطوانة كورش** : وهي التي اكتشفها «هرموزد رسام» في القرن التاسع عشر ، وهي لا تصور الملك الفارسي سياسيًا محنكًا وعابدًا للعديد من الآلهة ، فحسب ، بل تؤيد ما جاء عنه في الكتاب المقدس من معاملته الكريمة للشعوب

المسبية. ويقول كورش - فيما سجله عليها - كيف أن مردوخ - إله البابليين - «فتش في كل الأقطار بحثًا عن حاكم بار مستعد أن يتولى قيادة موكبه (موكب مردوخ) السنوي، فلم يجد سواي (كورش) ملك أنشان، فنادى بي حاكمًا لكل العالم.. وبدون أي معارك جعلني أدخل مدينته - بابل - وبذلك أنقذ بابل من أي كارثة... وقد أعدت للمدن المقدسة في الجانب الآخر من الدجلة.. إلى مقادسها التي ظلت خرابًا زمنًا طويلاً - التماثيل التي كانت تقيم بها. وأقمت لها مقادس دائمة، كما جمعت كل سكانها السابقين وأعدت لهم مساكنهم.

6- السنوات الأخيرة لكورش: في اليوم الذي دخل فيه كورش إلى بابل، بدأ «جوبارو». الحاكم الجديد لبابل وما وراء النهر (ولعله هو المذكور في سفر دانيال باسم داريوس المادي) في تعيين ولاة (مرازبة) لمعاونته في حكم مناطق الهلال الخصيب الشاسعة. وفي 6 نوفمبر 39ق.م. مات «جوبارو» القائد الذي فتح بابل، وكان كورش قد أوكل حكم كل مملكة بابل إليه. وغادر بابل إلى إكبتانا في أوائل 538ق.م. وبعد ذلك بسنة استطاع اليهود الراجعون من السبي بقيادة يشوع وزربابل.. وضع أساسات الهيكل الثاني في ربيع 536ق.م. (عز 3 :8) بعد مضي سبعين سنة من السبي الذي بدأ في 605ق.م.

في هذه الأثناء كان قمبيز بن كورش يقيم في «سبار» وينوب عن أبيه في الاحتفال بالسنة الجديدة باعتباره «ابن الملك». كما أوكل إليه الإعداد لحملة ضد مصر (وقد فتحها قمبيز فعلاً في 525ق.م. بعد موت أبيه). وفي 530ق.م. عين كورش ابنه قمبيز نائبًا وخليفة له، قبيل قيامه بحملة في أقصى الشمال الشرقي. في منطقة نهر «أراكس» الذي يصب في الجزء الجنوبي الغربي من بحر قزوين)، وفي الاحتفال بعيد السنة الجديدة، في 26 مارس عام. 530ق.م. اتخذ قمبيز لنفسه لقب «ملك بابل» لأول مرة، بينما احتفظ أبوه كورش بلقب «ملك البلاد» وفي خريف نفس السنة وصلت إلى بابل الأخبار بأن كورش قد قُتل في المعركة مع السكيثيين، تاركًا امبراطوريته الواسعة لابنه قمبيز. وقد دفن كورش في مدينة «باسارجادي» حيث يوجد قبره الصغير بالقرب من أطلال المدينة.



النص الانجليزي الكامل للملحق لمن أراد التيقن من المعاني

الخطيرة الواردة في نص بوش



نموذج لعدم اقتناع المسيحيين الشرقيين بتفسير بوش لتنبؤات الكتاب المقدس المسيحي

حرب لا دينية .. وغير أخلاقية

د. القس أندريه زكى

الحرب على العراق نقطة تحول سياسية مهمة في بداية الألفية الثالثة. فحرب الخليج الثانية وضعت المسمار الأخير في نعش فكرة الوحدة العربية. وحرب العراق (الخليج الثالثة) أكدت تفتت الكيان العربي وأظهرت بوضوح مصلحة الدولة القطرية التي تسبق مصلحة الأمة العربية. ومع أهمية التحليل السياسي لهذه الحرب، الذي تتناوله وسائل الإعلام بغزارة، إلا أننا سوف نتجاوز هذا التحليل إلى رؤية أخلاقية ولاهوتية من منظور مسيحي عربي.

من الناحية الأخلاقية، لا يوجد مبرر أخلاقي تستند إليه حرب الخليج الثالثة، فلقد شهد النصف الأخير من القرن العشرين تدخلات أجنبية حول لافتات مثل حقوق الإنسان، والأقليات وظلم الديكتاتوريات وغيرها من الأسانيد التي تبدو في ظاهرها ذات دلالات أخلاقية تتمثل في نصرة الضعيف وحماية المقهور. هذا البعد الأخلاقي في جوهره عمل إنساني مهم، وتأكيد لمنظومة القيم الأخلاقية التي تحفظ التوازن البشري وتوظيف القوى في خدمة الضعيف. لكن حقيقة الأمر أن معظم هذه التدخلات الأجنبية التي حدثت في الأعوام الخمسين الماضية، استخدمت هذا البعد الأخلاقي كغطاء لمطامع سياسية واقتصادية للدول المتدخلة.

وبالمنطق نفسه استندت قوة التحالف إلى إطار أخلاقي، يتمثل في تحرير العراقيين، وإسقاط الديكتاتورية، وتأمين الجيران من الدول العربية وغير العربية.

إلا أن هذه الحرب تجاوزت الاهتمام بالآخر كمبدأ أخلاقي، إلى حماية الذات، من خلال تأكيد حماية كيان الأمن القومي الغربي من أسلحة الدمار الشامل العراقية. وهنا حتى المبدأ الأخلاقي الظاهري الذي يتميز بالاهتمام بالآخر، أجهضه مبدأ حماية الذات، الذي يصل إلى تدمير الآخر.

ومن الناحية اللاهوتية، تفتقر هذه الحرب إلى أسانيد لاهوتية تدعم مبرراتها، فاللجوء إلى نبوءات سابقة قد تحققت عبر التاريخ، ولم يعد لها مكان في مستقبل الإنسانية، أمر خطير. فاستدعاء هذه النبوءات في ظروف تاريخية معاصرة، لا يخدم سوى الجماعة التي استدعتها. ويجهض المعنى الحقيقي لهذه النصوص النبوية، ويفرغها من واقعها التاريخي وخلفيتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. أن محاولة استخدام النص الديني في ظرف تاريخي مغاير، يجهض البعد التاريخي لهذا النص، ويحرم قراءه من الاستفادة من خبرته التاريخية.

ومن الجانب الآخر، فإن استدعاء الله في هذه الحرب، هو أمر مثير للتساؤل.

فكل جانب يدعي أن الله معه، وأن الطرف الآخر يمثل الشر الذي يجب إزالته. فقد استخدم الرئيس السابق صدام حسين والرئيس الأمريكي الحالي، تعبيرات تدل على أن العناية الإلهية في جانب كل واحد منهما. فالصلوات التي ترفع، والتعبيرات المستخدمة، تشير إلى امتلاك كل طرف للحقيقة المطلقة، بل إن كل طرف يتجاوز امتلاك الحق المطلق إلى التعبير عن هذا الحق من خلال إزالة الآخر الذي يمثل الباطل أو الشر.

إن إعادة تفسير النصوص بعيدا عن سياقها، واستحضار كل طرف للإله وفق رؤياه، هي توجهات ذات صبغة دينية تستخدمها الجماعات والشعوب، بهدف اختلاق شرعية لحرب تفتقر إلى بعد أخلاقي، ورؤية إيمانية. والحرب على العراق إذا فسرناها على أنها مبادرة أمريكية لتأكيد الصبغة العالمية، ودعم الاقتصاد الغربي، لأدى ذلك إلى النقاش والجدال. لكننا إذا تجاوزنا المصلحة الخاصة، إلى ادعاءات أخلاقية، كتحرير العراق، ورؤى دينية تتمثل في إزالة الشر، لوجدنا هذه الحرب تفتقر إلى مبررات أخلاقية ولاهوتية.

جريدة الأهرام 2 مايو، 2003

(181)

APPENDIX.

[A.]*

Prophecy.—Dan. vii. 8—26.

(THE VISION.)

8 The he-goat waxed very great: and when he was strong, the great horn was broken; and for it came up four notable ones toward the
9. four winds of heaven. And out of one of them came forth a little horn, which waxed exceeding great toward the south and toward
10. the east, and toward the pleasant land. And it waxed great even to the host of heaven; and it cast down some of the host and of the stars
11. to the ground, and stamped upon them. Yea, he magnified himself even to the Prince of the host, and by him was the daily sacrifice
12. taken away, and the place of his sanctuary was cast down. And a host was given him against the daily sacrifice by reason of transgression; and it cast down the truth to the ground; and it
13. practised and prospered. Then I heard one saint speaking, and another saint said unto that certain saint which spake, How long shall be the vision concerning the daily sacrifice, and the transgression of desolation, to give both the sanctuary and the
14. host to be trodden under foot? And he said unto me, Unto two thousand and three hundred days; then shall the sanctuary be cleansed.

(THE INTERPRETATION.)

21. And the rough goat is the king (kingdom) of Grecia: and the great horn that is between his eyes is the first king (kingdom).
22. Now that being broken, whereas four stood up for it, four king-
23. doms shall stand up out of the nation, but not in his power. And in the latter time of their kingdom, when the transgressors are come to the full, a king of fierce countenance, and understanding (*Heb.* making to understand, teaching) dark sentences, shall stand
24. up. And his power shall be mighty, but not by his own power: and he shall destroy wonderfully, and shall prosper, and practise,
25. and shall destroy the mighty and the holy people. And through his policy also he shall cause craft to prosper in his hand; and he

* For the materials of this chapter, and occasionally for some portion of the language, the compiler acknowledges himself indebted principally to Faber's Sacred Calendar of Prophecy, Foster's Mahometanism Unveiled, and Fry's Second Advent of Christ. He has moreover given a minute and critical attention to these prophecies in the original languages.

shall magnify himself in his heart, and by peace shall destroy many: he shall also stand up against the Prince of princes; but
26. he shall be broken without hand. And the vision of the evening and the morning which was to'd is true; wherefore shut thou up the vision; for it shall be for many days. Dan. vii. 8—26.

THE prophecy of Daniel contains a prospective view of the providential history of the world, including the four great empires of antiquity, together with the powers which should succeed them to the end of time, and consummation of all things. It is reasonable therefore to expect, that a system of predictions thus large upon the history of the world, would not omit a revolution of such magnitude and prominence as that occasioned by Mohammed and Mohammedanism. No event, moreover, has had a more direct and powerful bearing upon the state of the Church than the establishment of this vast imposture; and as the preceding chapter contains a full and exact portraiture of the Papal tyranny which was to arise and prevail in the western portion of Christendom, so the present is very generally admitted to contain a prediction of that great apostacy which was destined to grow up and overwhelm the Church in the East. The reasons of this opinion we now proceed to state.

The theatre of this prophecy is the Macedonian empire, founded by Alexander; from one of the four dismembered kingdoms of which the little horn of the vision was to spring up. In the vision, the prophet saw the first great horn of the he-goat, or the kingdom of Alexander, " broken ;" indicating that that kingdom was no longer to have a place as a kingdom in the eye of prophecy. The dominions of Alexander at his death were divided between four of his generals: Macedon and Greece in the west were assigned to Cassander; Thrace and Bithynia in the north to Lysimachus; Egypt in the south to Ptolemy; and Syria with the eastern provinces to Seleucus.

Ver. 9. And out of one of them came forth a little

horn.—A "horn," in the symbolical language of prophecy, represents a civil or ecclesiastical kingdom. The little horn here mentioned was to come forth out of one of the four notable horns or members of the subdivided kingdom of Alexander. The question has been much agitated whether Alexander seized and retained any portion of the Arabian peninsula: the fact of his having done so may be seen in any map of the Macedonian empire. "The empire of Alexander," observes M. Rollin, "was distributed into four kingdoms; of which Ptolemy had Egypt, Libya, *Arabia*, Cœlosyria, and Palestine." The district occupied was indeed no more than an outskirt, but that outskirt comprised part of the province of Hejaz; that is to say, part of that very district which gave birth to Mohammed and his religion.—As the horn in the vision was *a little one*, so Mohammedanism in its first rise perfectly corresponded with the symbol. It originated with an obscure inhabitant of a desert corner of Asia, whose earliest converts were his wife, his servant, his pupil, and his friend; and whose party at the end of three years scarcely numbered a dozen persons.

Which waxed exceeding great toward the south, and toward the east, and toward the pleasant land.—Mohammedanism accordingly, in its primitive course of conquest, did presently wax exceedingly great; and *that* in the very line marked out by the prophecy. Its conquests extended southward over the large peninsula of Arabia, over Egypt, and over a considerable portion of central Africa; eastward, over Persia, Bokhara, and Hindostan; and northward, over Palestine, Asia Minor, Mesopotamia, Greece, and Tartary, the countries now forming the Turkish empire. "The pleasant land," or, literally, "the beauty," "the ornament," is an appellation bestowed upon the land of Judah, from its being in a peculiar manner the residence of the divine glory, the seat of worship, containing the city of Jerusalem

and the temple, which were "a crown of beauty and a diadem of glory" to the nation of Israel. The original word here employed is found in a parallel sense in Ezek. xx. 6. 15; "a land flowing with milk and honey, which is the *glory* of all lands." Jerusalem was captured by the Saracens A. D. 637, after a siege of four months.

Ver. 10. *And it waxed great even to the host of heaven.*—The "host of heaven" is but another name for the multitude of stars in the firmament. But stars, in the idiom of prophecy, are a standing emblem of ecclesiastical officers. The word "host" accordingly is not only applied to the priests and Levites performing the service of the sanctuary (Num. iv. 3), but to the nation of Israel as a great organized ecclesiastical body, or kingdom of priests. Ex. xii. 41. And when Christ says (Rev. i. 20), "the seven stars are the angels of the seven churches," his meaning undoubtedly is, that these stars are symbols of the spiritual rulers of the churches. The grand scope, therefore, of the present prophecy is, to point out a spiritual desolation, achieved by a hostile power suddenly attaining great strength, and forcibly thrusting itself into the body of true worshippers, with a view to their discomfiture and dispersion.

And it cast down some of the host, and (i. e. even) *of the stars to the ground, and stamped upon them.*—As in the figurative language of prophecy the stars denote the spiritual pastors of God's church, so the violent dejection of such stars from heaven to earth signifies a compulsory apostatizing from their religion. Mohammedanism strikingly fulfilled this prophecy from the date of its first promulgation, when it stood up against the allegorical host, or the degenerate pastors of the Christian Church. Such of them as lay within the territories of the Greek empire were especially given into the hand of this persecuting superstition; but by its inroads into Africa, and Spain,

and France, and Italy, it waxed great against the whole host. Of the eastern clergy, it cast some to the ground, or compelled them altogether to renounce the Christian faith. And as for those who still adhered to the form of their religion, it stamped them, as it were, under its feet with all the tyranny of brutal fanaticism.

Ver. 11. *Yea, he magnified himself even to the Prince of the host.*—If the starry host be the pastors of the Church, the prince of that host must obviously be the Messiah. Mohammedanism has most clearly verified this prediction by magnifying its founder to a pitch of dignity and honour equal to that of Christ. In fact, it has set up Mohammed above Christ. The Arabian impostor allowed Jesus to be a prophet; but he maintained that he himself was a greater prophet, and that the Koran was destined to supersede the Gospel. Thus did Mohammedanism magnify itself "even to" the Prince of the host.

And by him the daily sacrifice was taken away, and the place of his sanctuary was cast down.—The term rendered "daily sacrifice," or, literally, "the daily," "the continual," is a term frequently used respecting the daily repeated sacrifices of the Jewish temple, typifying the death of Christ till he should come. Now, what this continual burnt-offering was with respect to Christ's first coming, are the daily offerings of prayer and praise, and all the solemnities of the Christian Church, as administered by a divinely appointed order of men. When, therefore, the Saracens and Turks by their victories and oppressions broke up and dispersed the churches of the East, and abolished the daily spiritual worship of God, then did the "little horn" take away the "continual offering" established by the Prince of the host. But the predicted desolation was to extend yet farther. The place of God's sanctuary was to be razed to its foundation, and both the sanctuary and the host for a long course of ages to be trodden

under foot. Accordingly, Mohammedanism began this appointed work by the subversion of the Christian churches and altars in every stage of its progress against the Greek empire; and has continued the desolation during nearly twelve hundred years, until it has all but completed the extinction of Eastern Christianity. Gibbon observes, that upon the taking of Jerusalem, "by the command of Omar, the ground of the temple of Solomon was prepared for the foundation of a mosque."* And it is worthy of notice, that whereas the original word used by Daniel for "sanctuary" is *Kodsh*, the same historian remarks, that the epithet *Al Kods* is used now, and was then among the Arabs as the proper appellation of the Holy City, of which the sanctuary or temple was the distinguishing ornament and glory.

Ver. 12. *And an host was given him against the daily sacrifice by reason of transgression: and it cast down the truth to the ground: and it practised and prospered.*—From this it would appear, that power was to be given to the little horn, not merely for the subversion of the true religion, but also for the permanent substitution of another faith. "Host," we may naturally suppose, means in this place the same as when it was used in a former verse,—"a host of stars," symbolical of the several orders of Christian pastors and ministers. "An host," then, to be given to the little horn, implies that he too should have his *orders of teachers*, and a regular system of religious worship, and that by means of this new and spurious ecclesiastical polity, the Christian ministry should be opposed and superseded, and "the truth cast to the ground." The prediction, thus interpreted, according to the natural force of the language and construction, is applicable to no other known power; but as applied to the heresy of Mohammed, its fulfilment appears perfect. For the

* Dec. and Fall, ch. li.

religion of Islam permanently overthrew the Christian priesthood and altars, by the permanent erection of other altars and of another priesthood in their room. Every where throughout its vast domains the mosques replaced the Christian temples; and the Imams and the Muezzin were substituted for the appointed ministry of Christ. In a more enlarged view, the Saracens and Turks themselves composed the antagonist host or priesthood. For in Mohammedanism, the sword being the grand engine of conversion, the whole Mussulman people became virtually a priesthood; and each individual Saracen and Turkish soldier a missionary and maker of proselytes.

Ver. 23. *And in the latter time of their kingdom, when the transgressors are come to the full, a king of fierce countenance and understanding (teaching) dark sentences, shall stand up.* We are here furnished with a chronological clew to the period of the commencement of this disastrous power.—The first three empires, forming a part of the symbolic image which appeared in vision to Nebuchadnezzar, were indeed stripped of their dominions by the conquests of the fourth, or Roman empire; but still, in the view of prophecy, their *lives* are considered as being nevertheless prolonged; Dan. vii. 12. Hence it is an indisputable fact that the little horn of Mohammedanism rose up in the latter time of the Greek empire.—Another striking note of the time of the rise of this power is contained in the words, "When the transgressors are come to the full," or, "when the apostacy shall be completed." By the transgressors or apostates here mentioned, we must understand the corrupt Christian Church, with its degenerate pastors, the smitten ecclesiastical stars, spoken of in a former verse. We learn both from the civil and sacred history of the time when Mohammed arose, that the Christian Church had then arrived at the height of those corruptions in doctrine

and practice, which had been so clearly foretold by the Apostle Paul in his prediction of the Man of Sin. The extraordinary success of the Mohammedan imposture was permitted as a punishment of this great defection. The allegorical host, by reason of their apostacy from the truth, were subjected to the tyranny of the little horn. But this apostacy, which had long previously infected both the East and the West, was completed, or had reached its acme, about the commencement of the seventh century, when the prophet of Islam first appeared. Gibbon, the historian, introduces his account of Mohammedanism by observing, that "the Christians of the seventh century had insensibly relapsed into a semblance of paganism." From this time, therefore, the stars were given into the hand of the little horn, as the appointed rod of God's anger: they were penally consigned to its tyranny by reason of their previous apostacy into the idolatrous superstitions of the Gentiles. Again, as far as the aspect of Mohammedanism is concerned, that wonderful ecclesiastical domination may well be described as a "kingdom of fierce countenance," when the avowed maxim of its founder was to employ the sword as the grand engine of conversion. Of this ferocious spirit its proselytes have in all ages largely partaken. Some, however, suppose the words should be translated "of a firm countenance," denoting the bold effrontery of the barefaced, impudent liar; and such were Mohammed and his successors: their religion is, in truth, the most glaring imposition that was ever palmed upon the credulity of mankind.—As to the remaining character of this desolating power—that he should "understand dark sentences"—the expression, "dark sentences," is equivalent to the familiar scriptural phrases, "dark sayings," and "dark sayings of old." These phrases, in the language of the sacred writers, will be found uniformly to convey a spiritual signification. Thus the Psalmist,

"I will open my mouth in a parable; I will utter *dark sayings of old.*" It seems probable, therefore, that the equivalent expression, "dark sentences," relates, in one shape or other, to religion; and the "understanding dark sentences," to real or pretended skill in the interpretation of things spiritual. The Koran, so celebrated in the Mohammedan religion, the book containing their spiritual mysteries, exactly answers to this description. And it is not a little remarkable, that the author of the Koran should have been unconsciously led to appropriate the language of this very prediction to himself. "O Lord, thou hast given me a part of the kingdom, and hast taught me the interpretation of *dark sayings.*" "We taught him the interpretation of *dark sayings*, but the greater part of them men do not understand." "This is a secret history which we reveal unto thee, O Mohammed."* As the fabricator, therefore, of the Koran, Mohammed has himself confirmed his claim to the prophetic distinction of "understanding dark sentences;" for it is the declared object of this pretended revelation to revive the traditions of ancient times concerning God and religion; and it professes farther to unfold the history of futurity, and the secrets of the invisible world.

Ver. 24. *And his power shall be mighty, but not by his own power.*—Of this language a twofold interpretation may be suggested, either of which is satisfactory, though it be not easy to decide which of them is the true one. By "his power being mighty, but not by his own power," may be meant, that the *temporal* power of Mohammed and his successors was to owe its greatness and perpetuity to his *spiritual* dominion; or, in other words, that the *empire* which he founded was to be upheld by the *imposture* which he established. To this purpose the following passage from Demetrius Cantemir, the

* Koran, ch. xii.

historian of the Ottoman empire, will be found very striking. "The Turks," says he, "ascribe the fortunate successes of the empire, not so much to human prudence, policy, and valour, as that their first emperors waged war, *not* through ambition and a desire of dominion, *but through the zeal of propagating the Mohammedan religion;* and by that means they procured the divine assistance to their undertakings." The *temporal* power of Mohammedanism, accordingly, has repeatedly risen and declined; the Mohammedan world has again and again changed masters, but its *spiritual* tyranny has subsisted in undiminished vigour; it has lived and reigned unaltered, through the whole of its period thus far fulfilled. It is mighty, therefore, *by the power of the host given unto it.* According to another interpretation, the passage may be simply designed to teach, that the remarkable success of the Mohammedan power is to be referred directly to the special providence of God, that the results attained were so entirely to transcend all that could be anticipated from the ordinary operation of human causes, that the hand of God was to be clearly recognised in every stage of its progress. Viewed in this light, the language of the Most High respecting Nebuchadnezzar may afford a commentary of most striking pertinency upon this prediction: "O Assyrian, the rod of mine anger, and the staff in their hand is mine indignation. I will send him against an hypocritical nation, and against the people of my wrath will I give him a charge to take the spoil, and to take the prey, and to tread them down like the mire of the streets. Howbeit, he meaneth not so, neither doth his heart think so; but it is in his heart to destroy and cut off nations not a few. For he saith, by the strength of mine hand I have done it, and by my wisdom; for I am prudent. Shall the ax boast itself against him that heweth therewith? or shall the saw magnify itself against him that shaketh it? as if the rod

should shake itself against them that lift it up, or as if the staff should lift up itself as if it were no wood."*

And he shall destroy wonderfully, and shall prosper and practise, and shall destroy the mighty and the holy people.—It should be borne in mind that the verses we are now considering contain the angel's interpretation of the symbolic actions performed by the little horn in the vision. Of these the principal was his rudely invading the emblematic "host," or the hierarchy, violently casting them to the ground, and stamping upon them with his feet. The language before us is unquestionably exegetical of this figurative scenery, and the phrases, "shall destroy wonderfully," and "shall destroy the mighty and the holy people," are equivalent to saying, he shall succeed to a surprising degree in causing multitudes to apostatize from the Christian profession. This was to be done by spreading the poison of a false religion. For the original word rendered "destroy" is a term implying not merely *physical destruction*, but *moral corruption*, or the vitiating influence of false doctrines and principles upon human conduct. It is the term employed in the following passages:—"For all flesh had *corrupted* his way upon the earth;" "Take ye therefore good heed unto yourselves, lest ye *corrupt* yourselves, and make you a graven image, &c.;" "They are *corrupt*; they have done abominable works." In allusion to these expressions, it is said in the annunciation of divine judgments in the Apocalypse, "Thy wrath is come, that thou shouldst destroy them that *destroy* the earth;" i. e. those that *corrupt* the earth. In affixing this sense to the *destruction* to be achieved by the little horn, or the Mohammedan power, it is not necessary to exclude the idea of the bloodshed and desolation which have marked the progress of the Saracen and Turkish arms in planting and de-

* Isaiah, ch. x. 5—15.

fending their dominion. Yet we think the sense of a *moral depravation*, brought about by the introduction of a spurious and pestilent faith, and accomplishing a sad defection among the professors of the true religion, answers better to the nature of the symbol employed, and is equally accordant with the truth of history.

Ver. 25. *And through his policy also he shall cause craft to prosper in his hand: and he shall magnify himself in his heart, and by peace shall destroy many: he shall also stand up against the Prince of princes.*—The institution of the religion of the Koran with its "host," or orders of teachers, and its system of worship, was Mohammed's masterpiece of "policy." It was by this means that his followers supplanted the preachers of the Gospel, and converted to the faith multitudes of those over whom the temporal authority had been extended by the power of the sword. "Policy" here is probably to be understood in the sense of *unprincipled shrewdness*, the working of a keen but depraved intellect, laying its plans with a serpentine subtlety, and executing them with an entire recklessness of the moral character of the means employed. In this manner success has crowned the Mohammedan power; their vile arts, their "craft," their perfidy, have stangely prospered. No more striking characteristic of the founder or the followers of Islam could be designated. "In the exercise of political government," says Gibbon, "Mohammed was compelled to abate of the stern rigour of fanaticism, to comply in some measure with the prejudices and passions of his followers, and to employ even the vices of mankind as the instrument of their salvation. The use of *fraud and perfidy*, of cruelty and injustice, was often subservient to the propagation of the faith." "In the support of truth, *the arts of fraud and fiction* may be deemed less criminal; and he would have started at the foulness of the means, had he not been satis-

fied of the importance and justice of the end." The recent Travels in the East of Mr. Madden, an English gentleman, furnish some very graphic sketches of Mohammedan character, which may be adduced to fill up the prophetic portraiture we are now considering. "His (the Turk's) inherent hostility to Christianity is the first principle of his law; *and the perfidy it is supposed to enjoin* is the most prominent feature in his character."* "The most striking qualities of the Moslem are his profound ignorance, his insuperable arrogance, his habitual indolence, and the *perfidy* which directs his policy in the divan, and regulates his ferocity in the field."† "As to the outward man, the Turk is, physically speaking, the finest animal, and, indeed, excels all Europeans in bodily vigour as well as beauty. As to their moral qualities, I found them charitable to the poor, attentive to the sick, and kind to their domestics; but I also found them *perfidious* to their friends, treacherous to their enemies, and thankless to their benefactors."‡ "I never found a Turk who kept his word when it was his interest to break it."§

As to the expression, "by peace he shall destroy many," it has been interpreted by some as implying, that the kingdom represented by the little horn should destroy many by wasting invasions while their victims were slumbering in a state of negligent security; a peculiarity said to have been exemplified in the whole progress of the Saracen arms. Such may have been the case; but we incline to attribute another import to the words. Adhering to the sense before given to the word "destroy," as implying the same as to *corrupt, seduce, lead into destructive error,* we suppose the allusion to be to the fact, that thousands during the victorious progress of the Moslem arms accepted of life, safety, and "peace," on condition of their embracing the foul imposture of the

* Madden's Travels, vol. i. p. 18. † Ib. p. 19.
‡ Ib. p. 29. § Ib. p. 31.

R

conquerors. Thus it was that "by peace he destroyed many;" i. e. he corrupted them by the terms on which he granted peace. It is notorious that these were "death, tribute, or the Koran," and where the subject nations escaped the point of the sword, they were *destroyed* by the corrupting and deadly influence of the superstition which they embraced.

But he shall be broken without hand.—That is to say, not by human hands, or by the instrumentality of man, as empires are usually overthrown; but this spiritual dominion is to meet its fate when the stone cut out "without hands" is dashed against the image, and reduces all the power of despotism and delusion to the dust. Expositors of prophecy are many of them confident in the belief that the Mohammedan imposture will begin to be broken, without hand, at the time when the great antichristian confederacy of the Roman beast is destroyed; and at the epoch when the Millennium is on the point of commencing. At this period the Gospel will begin to be successfully preached throughout the whole world; and the issue, it is supposed, will be the universal gathering of the Gentiles into the pale of the Christian Church. During this period, the Mohammedans will be converted to the true faith; and when their conversion shall have become general, the spiritual kingdom of the Eastern little horn will, no doubt, be broken. But in that case, it will plainly have been broken without hand; for it will not have been broken by the sword of violence, in the hand of an earthly conqueror; but by the invisible agency of the Holy Spirit, inclining the hearts of its long-deluded votaries to renounce their errors, and to embrace the faith of the true Prophet of God.

Thus we have seen, that the little horn of the symbolical he-goat answers in every important particular, however circumstantial, which has hitherto been accomplished, to the successful imposture of Mohammed. The result, therefore, of the whole in-

quiry must be, that by the little horn, described in this chapter of Daniel, is symbolized the spiritual kingdom of Mohammedanism.

Another parallel prophecy is now to be traced in the Apocalypse of John, who has confirmed and illustrated the most important predictions of Daniel.

REVELATION, CH. IX. 1—19.

1. And the fifth angel sounded, and I saw a star fall from heaven unto the earth: and to him was given the key of the bottomless pit.
2. And he opened the bottomless pit; and there arose a smoke out of the pit, as the smoke of a great furnace; and the sun and the air
3. were darkened by reason of the smoke of the pit. And there came out of the smoke locusts upon the earth: and unto them was given
4. power, as the scorpions of the earth have power. And it was commanded them that they should not hurt the grass of the earth, neither any green thing, neither any tree; but only those men
5. which have not the seal of God in their foreheads. And to them it was given that they should not kill them, but that they should be tormented five months: and their torment was as the torment of a
6. scorpion, when he striketh a man. And in those days shall men seek death, and shall not find it; and shall desire to die, and death
7. shall flee from them. And the shapes of the locusts were like unto horses prepared unto battle; and on their heads were as it were
8. crowns, like gold, and their faces were as the faces of men. And they had hair as the hair of women, and their teeth were as the
9. teeth of lions. And they had breastplates, as it were breastplates of iron; and the sound of their wings was as the sound of chariots
10. of many horses, running to battle. And they had tails like unto scorpions; and there were stings in their tails: and their power was
11. to hurt men five months. And they had a king over them, which is the angel of the bottomless pit; whose name, in the Hebrew tongue, is Abaddon; but in the Greek tongue hath his name Apol-
12. lyon. One wo is past; and behold there came two more woes
13. hereafter. And the sixth angel sounded, and I heard a voice from
14. the four horns of the golden altar, which is before God; saying to the sixth angel, which had the trumpet, loose the four angels which
15. are bound in the river Euphrates. And the four angels were loosed which were prepared for an hour and a day, and a month
16. and a year, for to slay the third part of men. And the number of the army of the horsemen were two hundred thousand thousand:
17. and I heard the number of them. And thus I saw the horses in the vision, and them that sat on them, having breastplates of fire, and of jacinth, and brimstone: and the heads of the horses were as the heads of lions; and out of their mouths issued fire, and
18. smoke, and brimstone. By these three was the third part of men killed; by the fire, and by the smoke, and by the brimstone, which

19. issued out of their mouths. For their power is in their mouth, and in their tails: for their tails were like unto serpents, and had heads, and with them they do hurt.

"In the prediction of Daniel," observes Mr. Faber, "Mohammedanism alone is spoken of: its two principal supporters, the Saracens and the Turks, are not discriminated from each other: a general history of the superstition from its commencement to its termi nation is given, without descending to particularize the nations by which it should be successively patronised. In the Revelation of John, this deficiency is supplied; and we are furnished with two distinct and accurate paintings, both of the Saracenic locusts under their exterminating leader, and of the Euphratèan horsemen of the four Turkish Sultanies." These two departments of the prophecy we shall now endeavour to explain in their minute particulars.

Ver. 1. *And I saw a star fall* (Gr. "having fallen") *from heaven unto the earth; and to him was given the key of the bottomless pit, and there arose a smoke out of the pit, as the smoke of a great furnace: and the sun and the air were darkened by reason of the smoke of the pit.*—Commentators at the present day are almost universally agreed in regarding the fifth trumpet as symbolizing and predicting the appearance of the Arabian impostor, his spurious religion, and his Saracen followers But, as it is by no means evident, how Mohammed himself can properly be represented as "a star falling from heaven," the usual symbol of an apostate Christian teacher, or of a number of them, we apprehend the design of the Holy Spirit in this imagery to be, to teach us, that *Mohammedanism is to be considered as the fruit or product of a Christian heresy.* The star *had* fallen before the time of the false prophet, in the person of Arius, and other gross heretics; and as the consequence of their apostacy from the truth, he providence of God so ordered it, that the deso-

lating delusion of Mohammedanism should arise and overspread some of the fairest portions of the Church. This view of the arch-imposture of Islamism has been taken by some very able writers of modern times; particularly by Mr. Whitaker in his "Origin of Arianism." The grand heresies, therefore, of the Christian Church, previous to the time of Mohammed, seem to be here personified in the fallen star, and represented as being instrumental in introducing this master-plague of error and superstition into the world. The poetical machinery of the vision is supposed to be taken from the sacred oracular caves of the ancient Pagans, which were often thought to communicate with the sea, or the great abyss, and which were specially valued, when (like that at Delphi) they emitted an intoxicating vapour: it is used, therefore, with singular propriety in foretelling the rise of a religious imposture. There may possibly be an allusion also to the cave of Hera, whither the prophet was wont to retire for the purpose of excogitating his system, and from which it really emanated. The opening of the bottomless pit, therefore, and the letting out the vapour and smoke of the infernal regions, aptly represents the wicked and diabolical system of religion, the dense and noxious fumes of the corrupt theology which he broached, and by means of which so large a portion of Christendom was finally obscured and involved in darkness. The preternatural darkening of the sun foreshows the eclipse of the true religion; and that of the air prefigures the uncontrolled dominion of the powers of darkness. As a striking coincidence with the signs here predicted, it is worthy of note, that a remarkable comet immediately preceded the birth of Mohammed; and that an eclipse of the sun, of extraordinary degree and duration, attended the first announcement of his pretended mission.

Ver. 2. *And there came out of the pit locusts upon the earth.*—Arabia has long been noted for giving

birth to prodigious swarms of locusts, which often overspread and lay waste the neighbouring countries; and it is remarkable, that in a genuine Arabian romance, the locust is introduced as the national emblem of the Ishmaelites. The symbol, therefore, of the locusts issuing out of the smoke strikingly represents the armies of the Saracens, the martial followers of the prophet, first engendered, as it were, amid the fumes of his religion, and then marching forth, at his command, to conquer and to proselyte the world. The pages of history must be consulted to learn the devastations of those hosts of destructive Saracens, which, under the guidance of Mohammed and his successors, alighted upon and wasted the apocalyptic earth. Yet, notwithstanding the phantasms that came forth from the pit of the abyss bore a general resemblance to locusts, they were marked by several peculiarities, by which they were more perfectly adapted to typify the people designed to be thus shadowed out. These we shall consider as we proceed.

Ver. 4. *And it was commanded them that they should not hurt the grass of the earth, neither any green thing, neither any tree; but only those men which have not the seal of God in their foreheads.*—By the command that they should not hurt the grass, nor the trees, but *men* only, it is evident that these were not natural, but symbolical locusts; and also that they were under providential control. The same thing appears from other attributes assigned them, which plainly belong to the *objects signified*, and not to the *sign;* as the human face, the woman's hair, the golden crowns, the iron breastplates. But it is very common in the symbolic diction of prophecy, to find the *literal* and the *allegorical* sense intermixed, and that even in the same passage. We are thus furnished with a clew to the real meaning of the symbols. By the precept here given, the emblematic locusts were required to act in a manner perfectly

dissimilar to the ravages of natural locusts: and yet how faithfully the command was obeyed, may be inferred from the following very remarkable injunction of the Caliph Abubeker to Yezid, upon setting out on the expedition against Syria, the *first* undertaking of the Saracens in the way of foreign conquest. It can scarcely be doubted, that these instructions have been preserved, under the providence of God, for the express purpose of furnishing an illustration of this prophetic text. "Remember," said Abubeker, "that you are always in the presence of God, on the verge of death, in the assurance of judgment, and the hope of paradise. When you fight the battles of the Lord, acquit yourselves like men, without turning your backs; but let not your victory be stained with the blood of women or children. *Destroy no palm-trees, nor burn any fields of corn. Cut down no fruit-trees; nor do any mischief to cattle, only such as you kill to eat.* When you make any covenant, stand to it, and be as good as your word. As you go on, you will find some religious persons, who live retired in monasteries, and propose to themselves to serve God that way: let them alone, and neither kill them, nor destroy their monasteries. And you will find another sort of people, that belong to the synagogue of Satan, who have shaven crowns: be sure you cleave their skulls, and give them no quarter till they either turn Mahometans, or pay tribute."* It has accordingly been noticed, that those parts of the Roman empire which were left untouched by these Saracen hordes, were those in which it appears from history the remnant of the true church of God was still found residing: they were only to hurt the men who had not the mark of God on their foreheads.

Ver. 5. *And to them it was given that they should not kill them, but that they should be tormented five months; and their torment was as the torment of a*

* Ockley's History of the Saracens, vol. i.

scorpion, when he striketh a man.—Mr. Gibbon's undesigned commentary on these words will show how the commission was fulfilled. "The fair option of friendship or submission, a battle was proposed to the enemies of Mahomet. If they professed the creed of Islam, they were admitted to all the temporal and spiritual benefits of his primitive disciples, and marched under the same banners, to extend the religion they had embraced. The clemency of the prophet was decided by his interests; yet he seldom trampled on a prostrate enemy, and he seemed to promise, that on the payment of a tribute, the least guilty of his unbelieving subjects might be indulged in their worship."—The period assigned for the power of the locusts, in this prediction, is "five months." Prophecy has its peculiar mode of computing time. A day for the most part stands for a year. Five months, therefore, of thirty days each, amount, in the computation of prophecy, to one hundred and fifty years. As five literal months is the utmost term of the duration of the natural plague of the locusts, so the prophetic five months accurately denote the period of the main conquests of the Saracen empire, computing from the appearance of Mohammed to the foundation of Bagdad. "Read," says Bishop Newton, "the history of the Saracens, and you will find, that their greatest exploits were performed, and their greatest conquests made, within the space of five prophetic months, or one hundred and fifty years,—between the year 612, when Mahomet opened the bottomless pit, and began publicly to teach and propagate his imposture; and the year 762, when Almansor built Bagdad, and called it the city of peace." The comparison of the locusts' torments to that of the scorpion will be considered subsequently.

Ver. 6. And in those days shall men seek death, and shall not find it; and shall desire to die, but death shall flee from them.—This prediction has usually been

considered as awfully expressive of the hopeless sufferings and despair of Eastern Christendom, under the lawless insults, violences, and oppressions systematically practised by their Saracen masters. We would not deny that this may have been alluded to; yet, as it would seem that men desirous of escaping suffering by death, might easily, in a thousand ways have accomplished their object, it may be suggested, whether the Saracens themselves are not the persons here referred to, as coveting death in battle, from a view to the honour, and the rewards of such a decease. The following passage from the Koran, is worthy of special note in this connexion. "Moreover, ye did sometimes wish for death, before that ye met it."* On these words Sale remarks, in a note, "that several of Mohammed's followers, who were not present at Beder, wished for an opportunity of obtaining, in another action, the like honour as those had gained who fell martyrs in that event." The import of the language, therefore, may be, that God should give to the Moslem hosts such an uninterrupted tide of conquests, they should so uniformly come off victorious in their engagements, and that with such inconsiderable losses, that numbers, in the height of their enthusiasm, should pant in vain for the glorious privilege of dying in the field of battle.

Ver. 7. *And the shapes of the locusts were like unto horses prepared unto battle.*—"Arabia," says Gibbon, "is, in the opinion of naturalists,the native country of the horse." The horsemanship of the Arabs has ever been an object of admiration. "The martial youth, under the banner of the Emir, is ever on horseback and in the field, to practise the exercise of the bow, the javelin, and the scimitar." In correspondence, therefore, with the hieroglyphic of the prophet, the strength of the Saracens consisted very

* Koran, ch. iii

much in their numerous cavalry, and the unrivalled speed of the Arabian coursers forms the most striking possible emblem of the rapid career of the Saracen armies.

And on their heads were as it were crowns like gold, and their faces were as the faces of men.—"Make a point," says a precept of Mohammed, "of wearing *turbans;* because it is the way of angels." The turban, accordingly, has ever been the distinctive head-dress of the Arabs, and their boast has been, that they wore, as their common attire, those ornaments, which among other people are the peculiar badges of royalty. The notice of the "faces of men" seems to be intended merely to afford a clew to the meaning of the emblem; to intimate, that not natural locusts, but human beings, were depicted under this symbol.

Ver. 8. *And they had hair, as the hair of women, and their teeth were as the teeth of lions.*—The Arabs, as Pliny testifies, wore their beards, or rather mustachios, as men, while their hair, like that of women, was flowing or plaited. The "teeth like those of lions," has reference to the weapons and implements of war; and the "breastplates of iron" to the armour made use of by the Saracen troops in their expeditions. The "sound of their wings as the sound of chariots of many horses running to battle," is but a part of the same expressive imagery denoting warlike scenes and preparations.

Ver. 10. *And they had tails like unto scorpions: and there were stings in their tails.* The interpretation of the symbols of the Apocalypse must be sought for in the Old Testament. From the following words of Isaiah (ch. ix. 14, 15) it appears that the tail of a beast denotes the false doctrines or the superstition which he maintains:—"Therefore the Lord will cut off from Israel head and tail, branch and rush, in one day. The ancient and honourable, he is the head; and *the prophet that teacheth lies, he*

is the tail." The emblem, therefore, strikingly represents the infliction of spiritual wounds by the propagation of poisonous and deadly errors and heresies. And nothing is more evident from the page of history than that the Moslem followers of Mohammed have scattered, like scorpions, the venom of their doctrines behind them; and whether conquering or conquered, have succeeded in palming a new creed upon those with whom they have had to do. By this symbol, then, we are plainly taught, that the plague of the allegorical locusts consisted not only in the ravages of war, but in the successful propagation of a false religion, of which the doctrines should be as deleterious in a spiritual point of view, as the sting of a scorpion in a natural. In like manner, when it is said (ch. xii. 3, 4) of the "great red dragon having seven heads and ten horns, that his tail drew the third part of the stars of heaven, and did cast them to the earth," the explication is, that the Antichristian power shadowed out by this formidable monster should be permitted to instil the most pernicious errors into the minds of the professed ministers of the truth, and thus bring about their entire defection from Christianity.

Ver. 11. *And they had a king over them, which is the angel of the bottomless pit, whose name in the Hebrew tongue is Abaddon, but in the Greek tongue hath his name Apollyon.*—Both these terms signify *destroyer.* Since the locusts are at once secular conquerors and the propagators of a false religion, their king must stand to them in the double relation of a temporal and spiritual head. Such accordingly were Mohammed and the Caliphs his successors, who must be viewed as jointly constituting the locust-king Abaddon; for in the usual language of prophecy, a king denotes, not any single individual, but a dynasty or kingdom. The chief of the locusts, when they first issued from the pit of the abyss, was Mohammed himself; but during the allotted period of the wo which they occasioned, the reigning de

stroyer was, of course, the reigning Caliph. If therefore, we were to suppose *the genius of Mohammedanism* under the Caliphs to be personified, and this symbolical personage to be designated by the most appropriate title, Abaddon, the destroyer, would be the appellation.

As the portion of the prophecy thus far considered has reference to the origin of Mohammed's imposture, and to the rise, progress, and conquests of the Saracens, its earliest abettors and propagators, so the remaining part announces the commencement and career of the Turkish power, the principal of its later supporters.

Ver. 13. *And the sixth angel sounded, and I heard a voice from the four horns of the golden altar, which is before God, saying to the sixth angel which had the trumpet, Loose the four angels which are bound in* (rather *at, by, in the vicinity of*) *the great river Euphrates, and the four angels were loosed.*—It is impossible, from the train of events, and from the quarter of the world in which we are directed to look for the irruption of these prodigious multitudes of horsemen, to mistake to whom the prophecy refers. The four angels who are described as bound in the regions bordering on the river Euphrates, not *in* the river itself, are the four contemporary sultanies or dynasties, into which the empire of the Seljukian Turks was divided towards the close of the eleventh century: PERSIA, KERMAN, SYRIA, and RHOUM. These sultanies, from different causes, were long restrained from extending their conquests beyond what may be geographically termed the Euphratèan regions, but towards the close of the thirteenth century, the four angels on the river Euphrates were loosed in the persons of their existing representatives, the united Ottoman and Seljukian Turks. The historian of the Decline and Fall of the Roman Empire must of necessity be the guide to any English commentator on this part of the prophetic history. The following is his testimony as to the immense number of the

Turkish cavalry. "As the subject nations marched under the standard of the Turks, *their cavalry, both men and horses, were proudly computed by millions.*" "On this occasion, *the myriads of the Turkish horse* overspread a frontier of six hundred miles, from Taurus to Erzeroum."

Ver. 17. *And thus I saw the horses in the vision, and those that sat on them, having breastplates of fire and of jacinth, and brimstone.*—These prophetic characteristics of the Euphratèan warriors accord in the most perfect manner with the description which history gives of the Turks. They brought immense armies into the field, chiefly composed of horse, and from their first appearance on the great political stage of nations their costume has been peculiarly distinguished by the colours of scarlet, blue, and yellow, which are here denoted by the terms "fire," "jacinth," and "brimstone." Rycaut's "Present State of the Ottoman Empire," published towards the close of the seventeenth century, will satisfy the reader on this point.

And the heads of the horses were as the heads of lions, and out of their mouths issued fire and smoke and brimstone. We have here a symbol which is not elsewhere to be met with in the Scriptures. The prophetic horses are represented as vomiting out of their mouths "fire, and smoke, and brimstone," by which it is added, "the third part of men was killed." Mede, Newton, Faber, and most other eminent expositors of the Revelation, agree in supposing that the flashes of fire attended by smoke and brimstone, which seemed to proceed from the mouths of the horses, were in reality *the flashes of artillery.* The Turks were among the first who turned to account the European invention of gunpowder in carrying on their wars. Cannon, the most deadly engine of modern warfare, were employed by Mohammed II. in his wars against the Greek empire; and it is said that he was indebted to his heavy ordnance for the

reduction of Constantinople. The prophet, therefore, is to be considered as depicting the visionary scene of a field of battle, in which the cavalry and artillery are so mingled together, that while flashes of fire and dense clouds of smoke issued from the cannon, the horses' heads alone would be dimly discerned through the sulphureous mist, and would seem to the eye of the spectator to belch forth the smoky flames from their own mouths. As the design of this striking imagery is to describe the *appearances* rather than the *reality* of things, the prophet employs an expression,* "in the vision," or rather "in vision," i. e. *apparently*, *as it seemed*, which evidently conveys the idea that the phantasm of a battle scene was presented to the imagination. We may now see how far history confirms this interpretation. "Among the implements of destruction," says Mr. Gibbon, "he (Mohammed II.) studied with peculiar care the recent and tremendous discovery of the Latins; and his *artillery* surpassed whatever had yet appeared in the world." "The Ottoman *artillery* thundered on all sides, and the camp and city, the Greeks and Turks, *were involved in a cloud of smoke* which could only be dispelled by the final deliverance or destruction of the Roman empire." "The great cannon of Mohammed *has been separately an important and visible object in the history of the times.* But that enormous engine, which required, it is said, seventy yoke of oxen and two thousand men to draw it, was flanked by two fellows almost of equal magnitude: the long order of *Turkish artillery* was pointed against the wall; fourteen batteries thundered at once on the most accessible places; and of one of these it is ambiguously expressed, that it was mounted with a hundred and thirty guns, or that it discharged a hundred and thirty bullets."

Ver. 19. *For their power is in their mouth, and in*

* Ἐν ὁράσει

their tails: for their tails were like unto serpents, and had heads, and with them they do hurt.—The emblematic import of the tail of a beast we have already considered. The imagery in the present symbol is slightly different from that of the Saracen locusts, which had the tails of scorpions; but the import is the same. Here the tails of the horses terminated in a serpent's head; and it is not a little remarkable, that the Turks have been in the habit, from the earliest periods of their history, of tying a knot in the extremity of the long flowing tails of their horses, when preparing for war; so that their resemblance to serpents with swelling heads must have been singularly striking. Striking too is the fact, that so slight a circumstance should have been adverted to by the historian so often quoted, who thought as little of being an organ to illustrate the predictions of Scripture, as the Turks themselves did of being the agents to fulfil them. Speaking of Alp Arslan, the first Turkish invader of the Roman empire, he says, "With his own hands *he tied up his horse's tail*, and declared that if he were vanquished, that spot should be the place of his burial." The scope of the hieroglyphic here employed is to predict the propagation of a deadly imposture by the instrumentality of the same warlike power which should achieve such prodigious conquests. The event has corresponded with the prophecy. Like the Saracens of the first wo, the Turks were not merely secular conquerors. They were animated with all the wild fanaticism of a false religion; they professed and propagated the same theological system as their Arabian predecessors; they injured by their doctrines no less than by their conquests; and wherever they established their dominion, the Koran triumphed over the Gospel. Thus writes Mr. Gibbon: "The whole body of the nation embraced the religion of Mohammed." "Twenty-five years after the death of Basil, his successors were suddenly

assaulted by an unknown race of barbarians, who united *the Scythian valour* with the *fanaticism of new converts.*"

Sufficient proof has now been afforded, if we mistake not, that the appearance of the Arabian prophet in the world, and the rise, progress, and results of his imposture, are clearly foretold in the Sacred volume. Indeed, it would not be easy to specify any admitted subject of prophecy, upon which history and Providence have thrown a stronger or clearer light, than that which we have considered in the preceding pages. Interpreters have been justly struck at the surprising exactness of the delineations, and their perfect accordance with the details of history. "The prophetic truths," says Dr. Zouch, "comprised in the ninth chapter of the Apocalypse are, of themselves, sufficient to stamp the mark of divinity upon that book. When I compare them with the page of history, I am filled with amazement. The Saracens, a people which did not exist in the time of John, and the Turks, a nation then utterly unknown, are there described in language the most appropriate and distinct." If then the considerations commonly adduced to account for the rise, progress, and reign of Mohammedanism appear to be inadequate,—if the human causes usually quoted to explain the astonishing success of Mohammedan imposture still seem to us to leave many of the phenomena inexplicable, and the greatest revolution in the world connected with the history of the Church stands forth an unsolved problem,—why should we hesitate to ascribe it directly to the determinate will and counsel of the Most High, and thus find a clew to all the mysteries connected with it? Why should we be anxious to escape the recognition of a Divine interference in the rise of this arch-heresy? If we have been correct in our interpretation of the preceding predictions of Daniel and John, the Mohammedan delusion is as real and as prominent a subject of prophecy as

any in the whole compass of the Bible. Now, to insist upon the operation of merely human causes in the production of an event which is truly a subject of prophecy, is in fact to take the government of the world out of the hands of God. And this principle pushed to the extreme will inevitably lower and impugn the sure word of prophecy; for it makes God the predicter of events over which, at the same time, he has no special superintendence or control. Such a principle cannot stand the least examination. When Daniel foretels the fortunes of the four great empires; or when Isaiah speaks of Cyrus by name, as one who should accomplish certain great purposes of the Infinite Mind, is it to be supposed, that the events predicted were to happen exclusive of Providential agency? As easily and as justly then may we acknowledge a special pre-ordainment in the case of Mohammed, whose still more formidable dominion and more lasting and more fatal agency in the affairs of men, are equally the theme of unquestionable predictions. No admission of this nature militates with the free agency of man, or at all affects the moral character of his actions. The mere fact that an event is foreknown or foretold by the Deity, neither takes away nor weakens the accountability of the agents concerned. Of this, the whole Scripture is full of proofs. But the reflecting reader will desire no farther confirmation of so plain a position.

S 2

الملحق الثاني

الكعبة المشرفة

- مقدمة الترجمة العربية لتوضيح بعض ما ورد في ملحق چورج بوش وشرحه - الترجمة العربية الكاملة للنص - تعليقات شارحة - النص الانجليزي كاملا .

مقدّمة الترجمة العربية
لتوضيح بعض ما أورده چورج بوش وشرحه

يؤمن المسلمون إيماناً راسخًا بأن الكعبة المشرفة هي أول بيت وُضع للناس كما ورد في القرآن الكريم . وهذه - كما سبق القول - مسألة إيمانية خالصة ، لكن هذا لا يمنع من إجراء بحوث أثرية وجيولوجية حول الحرم . ويورد چورج بوش نقولاً عن كتّاب أوربيّين تؤكدّ قِدَم الكعبة المشرفة ، وأنها كانت موجودة قبل الإسلام بزمن بعيد .

ويؤمن المسلمون إيماناً راسخًا بأن الخليل إبراهيم وابنه اسماعيل رفعا القواعد من البيت ، وهذا يعني أنهما لم يضعا قواعده التي كانت موجودة قبل ذلك ، وإنما رفعا البناء فحسب .

ولم يقل المسلمون - كما أنه لم يرد في القرآن الكريم - أن هذا البيت (الكعبة) هو البيت الوحيد الذي وضعه الله للناس قبل ظهور الإسلام وبعده ، وإنما قيل هو أقدم بيت وُضع للناس ، فإذا كان يعقوب عليه السلام قد أقام عند الصخرة التي رأى عندها حُلما مبشّرا عموداً أسماه بيت إيل (أي بيت الله) فيما تقول التوراة ، فهذا لا يتناقض مع كون الكعبة هي أوّل بيت وُضِع للناس . وإذا كان اليهود بعد ذلك اعتادوا إقامة خيمة أو مسكن أو بيت حيثما حلوا يسمونه

بيت الله أو بيت الرب ليكون الله حالاً بينهم أو ساكنا في بيت بين بيوتهم ، فهذا - حتّى لو صح - لا يتعارض مع كون الكعبة المشرفة هي أقدم بيت وُضع للناس .

والمسلمون لا يعبدون الكعبة المشرفة ، وإنما يوقّرونها توقيراً شديداً ، وهم لا يعتقدون أن الله سبحانه يسكن داخلها ، وإنما هي رمز وذكرى وأثر له تقديره يبعث السكينة في النفوس . والمناسك المرتبطة بها مناسك طاعة لله وحب لدينه الحنيف وطاعة لأوامره . والمسلمون بشكل عام يؤمنون بأن الحجر الأسود (وحجر الركن اليماني) مجرد حجر لا يضر ولا ينفع - كما قال ابن الخطاب - ولولا أنه رأى رسول الله يقبّله ما قبّله . وعندما دخل نبينا عليه الصلاة والسلام الكعبة يوم الفتح حطّم ما بها من تماثيل بما في ذلك تمثالي إبراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكان في يد كل تمثال منهما مجموعة من الأزلام ، وكان مبعث غضب الرسول على نحو خاص ، هو أن صانعي التماثيل جعلوا إبراهيم يستقسم بالأزلام ، على حد ما ورد في كتاب الأزرقي «**أخبار مكة**» والطريف أن **الأزرقي (المتوفى 223هـ أو 212هـ على خلاف)** يقول إن الرسول غطّى بيديه الكريمتين صورة مريم ، وفي حجرها عيسى عليه السلام ، وطلب أن تمحى كل الصور إلاّ هذه (**أي إلا صورة مريم وابنها ، وكذلك تمثالهما**) . (راجع الأزرقي ص 166 وتعليق المحقق / طبعة مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة/ تحقيق رشدي الصالح ملحس) وهذا يدعونا إلى تحقيق كتب التراث وتصفيتها قبل الأخذ عنها ، فالأستاذ المحقق (رشدي الصالح ملحس) يقول في مقدمته إن كثيرين أضافوا إلى كتاب الأزرقي أي وضعوا فيه مالم يقله الأزرقي أو يكتبه وأنه استحال الفصل بين نص الأزرقي ، والنصوص التي أقحمت عليه . وكثير مما أورده الأزرقي منسوب إلى كعب الأحبار . كما أن الطبري صاحب التاريخ المشهور ذكر في مقدمته ما يفيد تبرُّؤه من كثير مما في كتابه : «**هكذا أتاني فنقلته لكم ، فمن وجد في كتابي هذا أمراً يستشنعه فليست العهدة عليّ وإنما نقلت لكم ما سمعت**» . والحقيقة أن

جزءاً كبيراً من الخرافات التي ترد في كتب المستشرقين والتي يغضب منها المسلمون إنما هي موجودة في كتب التراث التي يتكرر طبعها دون تنقية ولعل أبشع هذه الخرافات قصّة الغرانيق البشعة التي سمعها الطبري في القرن الرابع للهجرة فدوّنها في كتابه الشهير . وسيجد القارئ في كتاب الأزرقي أخباراً بل وأحاديث غير مؤكّدة تُغرق المسلم في متاهات لا أول لها ولا آخر ، والمسلم الآن في أشد الحاجة إلى الوقت يُعد فيه ما استطاع من قوّة لإرهاب أعداء الله أي للدفاع عن نفسه .

ومن كتاب أخبار مكة للأزرقي أخذت بعض الجماعات الإسلامية في مصر أن الكعبة المشرفة تحت عرش الرحمن مباشرة . لا بأس ! لكنهم توصلوا إلى أن أي طائرة تمر فيما بين الكعبة والعرش لابد أن تحترق أو تصاب بصاعقة من السماء . وهكذا - ببساطة - أمَّنوا المجالات الجوية برواية غير مؤكّدة . إنه استغلال لنصوص غير المؤكدة لإراحة النفس والإغراق في الكسل ، والأزرقي فيما يُقال أصله من الغساسنة ، ومعنى هذا أنه لم يبعد كثيرا عن تراثه المسيحي ، وهذا لا يُشكك في إسلام الرجل وإنما هو تراث تناقلته أسرته دون وعي .

ونؤكد هنا أن تشابه بعض الطقوس أو الشعائر والمناسك بين الإسلام وما سبقته من الأديان لا يعني أبدًا أنه ناقل عنهما ، وإنما يعني أن المصدر الذي أخذوا عنه جميعا واحد هو الله سبحانه ، غير أن الوحي الأخير (أي رسالة محمد ﷺ) أتت خالصة نقية مبرّأة من الشوائب تصحح الأخطاء التي وقعت فيها الديانتان السابقتان بسبب ضلال الذين كتبوا الكتاب بأيديهم ليقولوا هذا من عند الله ليبتغوا به ثمناً قليلاً .

وفي كتاب الأزرقي : (ص34 من الطبعة الآنف ذكرها) ما يفيد أنه بعد قراءة الكتابين (التوراة والانجيل) أن الله وضع تحت العرش بيتاً على أربع أساطين (أعمده) وغشاهن بياقوته . . إلخ .

وفيما يتعلق بالحجر الأسود ، فإن فريضة الحج كانت تؤدّى في فترة من الفترات دون وجوده . ففي الفترة من 317هـ إلى 339هـ احتفظ القرامطة بالحجر الأسود في البحرين (الأحساء حالياً) ، ولم يستطع إعادته إلاّ الخليفة العباسي المطيع لله (الأزرقي جـا ص 346/ حاشيه ، ومراجع أخرى كثيرة أكّدت هذا) .

نحن إذن لا نأخذ على المؤلف / بوش فيما ذكره عن الكعبة سوى زعمه بأن هذا كان تقليدا لبني إسرائيل . وقد أوضحنا الأمر في السطور السابقة .

الترجمة العربية الكاملة

للملحق الثاني

P.210 الكعبة (المشرفة) معبد قديم جداً في مكة (المكرمة)، ولا ندري أصل هذا البناء ومتى بدأ، فقد ضاع هذا في غياهب العصور البعيدة. وكانت الكعبة تحظى بتوقير خاص حتى قبل مولد محمد ﷺ عندما كان العرب لايزالون على الوثنية، إذ كانوا يحجون إليها قادمين من كل فج عميق، وكانت القبيلة أو الأسرة التي تحتفظ بمفاتيح الكعبة تُعد من أشرف القبائل أو الأسر. والكعبة بناء مستطيل، متماسك مبني من أحجار ضخام مختلفة أحجامها أُحكم ضمّها معاً بطريقة بسيطة، ويبلغ طولها حوالي ثماني عشرة خطوة، أما عرضها فأربع عشرة خطوة، أما ارتفاعها فبين خمسة وثلاثين قدما وأربعين قدما. وليس لها إلاّ باب واحد في الناحية الشمالية على ارتفاع سبعة أقدام من سطح الأرض، وهذا الباب مغطى كله بالفضّة، وبه زخارف ذهبية. ويبدو من وجود بابها بالقرب من أحد أركانها - وليس في الوسط - أنها لم تكن مصمّمة في الأساس لأغراض العبادة أو بتعبير آخر أنها في الأساس (أي عندما أنشئت) لم يكن مقصوداً بها أن تكون مكاناً مقدَّساً. ولا نستطيع الآن أن نقرر متى أصبحت مكاناً له قداسة، ولا سبب هذا. وبالقرب من بابها، يوجد في ركنها (زاويتها) الشمالية الشرقية، وعلى ارتفاع سبعة أشبار الحجر الأسود المشهور الذي يقبّله - بورع شديد - كل حاج يزور المدينة المشرّفة. وهذا الحجر ذو شكل بيضاوي، ويبلغ قطره حوالي سبع بوصات ويتكون من حوالي سبعة أحجار صغيرة مختلفة أحجامها ومختلفة أشكالها، أحكم وصلها بالأسمنت. وهو حجر ناعم تماما. ويبدو الأمر كما لو أن الحجر الأسود تعرّض لضربة عنيفة فتكسّر ثم

أعيد ضمّه مرة أخرى . والواقع أن المرويات تردد هذا بوصفه حقيقة وقعت . وثمة أسمنت من نوع ما استخدم في ترميم الحجر بعد كسره ، بارزاً قليلاً فوق سطح الحجر . وقد طوّق الحجر بما فيه من أسمنت ضَامٌّ من شريط من فضّة . **P.211**

وعلى وفق الحكايات الخرافية (هكذا في الأصل) التي يردِّدها المسلمون ، فإن الحجر الأسود جلبه جبريل من السماء عند خلق الكون ، وكان وقت جلبه أبيض ناصعا ، لكنه - أي الحجر - أسود بسبب ما اقترفه البشر من آثام . وعلى أية حال ، إن جاز لنا أن نخاطر بالتخمين ، فلن نتردد في إرجاع أصل الكعبة لصفات خاصة في شخصية بني اسماعيل Ishmaelites تجعلهم يقلدّون بني اسرائيل (**أو بني اسحاق فهذه العبارة تجعل السياق أوضح**) فقلما نجد ملمحا في المؤسسات الدينية لليهود أو في مروياتهم أو في ممارساتهم إلاّ ونجد نظيراً له عند أبناء هاجر (**أي عند نسل أم اسماعيل زوج ابراهيم الخليل**) فعمود يعقوب الحجري في بيت إيل[1] Bethel أصبح - بطبيعة الحال - مشهوراً بين نسله . وعلى النحو نفسه ، ولأسباب غير معروفة يمكننا أن نتخيل أن الحجر الأسود لاقى توقيراً وحظى بالقداسة نفسها بين العرب . وقد يكون ما قلناه هو الأكثر احتمالاً إذا عرفنا أن أحد أسماء الكعبة في اللغة العربية هو بيت الله ، وهي عبارة لها المضمون نفسه بل والصوت نفسه لعبارة بيت إيل Beth-el التي صاغ منها الأغريق المصطلح بيتوليا Baitulia وهو المصطلح الذي أطلقوه بشكل متتابع على الأحجار المقدسة للأعمدة التذكارية الشبيهة بعمود يعقوب .

والسقف المزدوج للكعبة ترفعه من الداخل ثلاثة أعمدة ثُمانية الزوايا من خشب الصّبار aloes ، يوجد بينها عدد من المصابيح الفضية مدلاّة من عارضة حديدية . وجدران الكعبة الأربعة الخارجية مغطاة بقماش من حرير أسود غال يمتد من أعلى الجدران حتى يصل إلى الأرض ويدور مداره من أعلى شريط من ذهب . هذا الغطاء (الكسوة) يجرى استبداله بآخر جديد في كل عام ، وكان الخلفاء هم الذين يزودون الكعبة به ، لكن سلاطين مصر بعد ذلك كانوا هم الذين يرسلونه

(أي هذا الغطاء أو الكسوة)، وترسله الآن مصر ويدفع تكاليفه الباب العالي، ويتم إرساله في موسم الحج حيث تقطع الكسوة القديمة (الغطاء) إلى قطع صغيرة يجري بيعها للحجاج بثمن يبلغ ثمن تكلفة الكسوة الجديدة (**ربما كان المقصود أن ثمن القطعة الصغيرة من الكسوة القديمة يباع بثمن تكلفة القطعة الصغيرة من الكسوة الجديدة لا ثمن الكسوة الجديدة، والآن لا يُباع وربما يُهدى بعض أجزاء منه لشخصيات إسلامية دولية، أو يحتفظ به في متحف حياكة كسوة الكعبة في مكة المكرمة**). هذه الستارة أو حجاب الكعبة Veil (**الكسوة**) **P.212** مزركشة - ببهاء - بهذه الكلمات: «لا إله إلا الله...» مكتوبة بحروف كبيرة من ذهب. ويبلغ من احترام المسلمين للكسوة أن الجمل الذي يحملها إلى مكّة يُعفى من العمل بقية عمره. هذه الطريقة التي تكسي (تغطّي) بها الكعبة والتي ذكرناها آنفا قُصد بها أن تكون محاكاة فجةً للخيمة اليهودية النقالة[2] Tubernacle فهذه الأخيرة أيضا مغطاة بستارة أو كسوة من الخارج، أما من الداخل فتضم شمعدانا ذهبا ذا ثماني شُعَب (فروع) تظل الشموع فيه موقدة دائماً.

والكعبة يحيط بها على بعد غير بعيد أروقة وتدور مدارها، بها اثنان وثلاثون عموداً نحيلا مذهّبا بين كل عمودين عارضة من فضة ناحية الأعلى، تتدلّى منها ثلاثة مصابيح، وتضاء هذه المصابيح دائما بعد الغروب. وهذا السياج paling (**ربما يقصد الأروقة**) يذكرنا مرّة أخرى بالخيمة اليهودية النقالة التي وإن كانت باحتها مستطيلة وليست دائرية، ففيها أعمدة وليس لها إلاّ مدخل واحد، وتعلّق فيها أيضا الستائر (**الكسوة**) وبين الكعبة والأروقة السابق ذكرها يوجد الحجر الأبيض الذي يُقال أنه ضريح Sepulture اسماعيل، ويقال إن هذا الحجر الأبيض متصل بأساسات الكعبة، ويتلقى هذا الحجر الأبيض مياه الأمطار النازلة على سقف الكعبة المسطح من خلال ميزاب كان فيما مضى مصنوعا من خشب، أما الآن فهو من ذهب. وعلى وفق ما أورده بوركهارت فإن أثر المشهد كله، والأقمشة الغامضة وكثرة الذهب والفضة، وأضواء المصابيح وسجود الساجدين وركوعهم يفوق تأثير أي شيء آخر يمكن تخيله.

وعلى مسافة يسيرة من الكعبة ، ناحية الشرق يوجد مقام إبراهيم Statien or place of Abraham الذي يؤكّد العرب أنه هو باني الكعبة بينما يوجد حجر آخر يحظى بتوقير المسلمين لوقوف الخليل (المؤسس the patriarch) فيه أثناء مباشرته بناء الكعبة وهم يؤمنون أن آثار قدميه لازالت موجودة حتى اليوم . ومباشرة وراء P.213 الباحة المستديرة ، ناحية جنوب الكعبة وشمالها وغربها توجد ثلاثة مبان مخصّصة للصلاة وتعبّد الحجاج ، وإلى جوارها توجد عدّة مبان صغيرة بالقرب من المبنى الرئيسي يوجد في واحد منها بئر زمزم الشهير التي يقول المسلمون عنها إنها النبع نفسه الذي كشفه المَلَك (بفتح الميم واللام) لهاجر ، في البريّة والذي تتسم مياهه - بالطبع - بخواص إعجازية لا مثيل لها . فمياهه تشفي كلّ أمراض الجسد والروح على سواء ، وتمد مكة كلها بما يلزم للشرب وبما يلزم للأغراض الدينية . ويقال إن هذا النبع (البئر) هو الوحيد الذي يتيح المياه العذبة في الوادي كله ، ولكن (جوزيف) بتس ، الرحالة الانجليزي وجد أن مياه بئر زمزم تعتريها ملوحة ، وهو يقول أن الحجاج يشربونها بتوْق شديد ، وبشكل يفوق الوصف فهم يقولون : إن هذه المياه « لا تطهر تطهيرا شديداً فحسب ، بل إنها تخرج كل ما في الجسم من أذى كما أنها تطهرهم من آثامهم الروحية» . وهم لا يكتفون بالشرب منها ، وإنما يملأ الواحد منهم دلوا ويصبه فوق رأسه ويظن - بهذا- أن آثامه قد زالت وسقطت في البئر . وأحد معجزات مكة (المكرمة) أن ماء هذا البئر لا يتناقص أبداً ، ولا يجد المؤمنون إيمانا حقيقياً عجبًا في هذا ، فهم يؤمنون بأن هذا البئر خُلق بشكل إعجازي لإنقاذ الطفل اسماعيل عندما كان على وشك الموت عطشاً في البريّة . وعلى أية حال فإن بوركهارت شرح وضع هذا البئر دون أن يُدخل الأمور الإعجازية في اعتباره إذ افترض أن المياه تنساب في قاع البئر عن طريق قناة صغيرة تحت الأرض . ويقول بوركهارت إن مياه البئر عذبة تماما لكن من الصعب استساغتها وهي فاترة شيئا ما وأحيانا يكون لونها مثل لون الحليب . ويتزاحم الحجاج تزاحماً شديداً على هذا البئر ليُعبّوا من مياهه المقدسة عبا ، فيدمرون أثناء تزاحمهم الحبال والدلاء وغيرها من الأشياء الموجودة حول البئر .

وحول كل ما ذكرناه آنفا ، وهو ما يكوّن مركز الساحة المكشوفة (الحَرَم) ، يوجد رواق به أعمدة يتكوّن من صف رباعي من الأعمدة في ناحية ، وصف ثلاثي الأعمدة في النواحي الثلاث الأخرى ، ويربط بين هذه الأعمدة أقواس مقنطرة يلتقي طرفا كل قوس في نقطة على الطراز القوطي ، وكل أربعة أعمدة تشكل دعامات لقبّة (توجد فوقها قبة) ، بالملاط الأبيض ، ويبلغ عدد هذه القباب مائة قبة واثنتين وخمسين قبة ، أما الأعمدة فيبلغ عددها **P.214** أربعمائة وأربعين وثمانية . ومن هذه الأقواس المقنطرة تتدلى مصابيح يوقد بعضها كل ليلة ، أما في ليالي شهر رمضان فتوقد جميعاً . ويبلغ ارتفاع كل عمود من الأعمدة الآنف ذكرها حوالي عشرين قدما ، ويزيد قطرها على قدم ونصف قدم ، وبعضها من جرانيت رمادي تعتريه حمرة وبعضها من رخام أحمر ؛ وباقي الأعمدة من رخام أبيض ، وليس هناك تاجان أو قاعدتان متماثلتين تماماً ، ففي بعض الحالات وضع العمال - جهلاً منهم - التاج مقلوباً فوق اسطوانة العمود . والأقواس المقنطرة وبعض أجزاء الجدران مزنية - بشكل فج - بخطوط صُفر وحُمر وزُرق ، وهي الألوان التي تميز المسلمين(*) ، كما سبق ورأينا . وفي كل ركن من أركان هذه المساحة الواسعة المربعة تسمو فوق القباب التي تدعمها أعمدة ، مئذنة شامخة يعلوها هلال مذهّب ، وهذه المآذن سمة من سمات المآذن الإسلامية .

يقول مستر فوستر : «لا جدال في عراقة الكعبة»(**) (المقصود قدمها الشديد) . وقد اتخذت الشعائر (الطقوس) المرتبطة بها طابعاً دائماً فلدينا معلومات عن ارتباط العرب بها في كل العصور على وفق عاداتهم القديمة .

(*) من الواضح أن المؤلف (بوش) ينقل عن الرحالة السويسري (يوركهارت) في مذكراته عن رحلته للجزيرة العربية ومكة المكرمة ، والإضافات التي تتضمن نقداً للمسلمين هي من اضافاته ، وإلا فإن الرحالة يوركهارت ، كان يتميز إلى حد ما باحترامه لمشاعر المسلمين ، وقد شاع عنه أنه أسلم فيما بعد (المترجم) .

(**) Mahometanism Unveiled. rol.II. p.404 .

لكن يبدو من خلال ما اتفق عليه الكتاب المسلمون أن تمثالي إبراهيم واسماعيل اللذين كانا منذ تاريخ سحيق يشغلان مكاناً بارزاً في الكعبة ، وكانا - أي التمثالان - هما محور العبادة الوثنية ، ظلاّ حتى زمن محمد (ﷺ) ووجدهما المسلمون في موضعهما عند فتح مكة (المكرمة) ، لكن محمداً - فيما يقول أبو الفدا - عندما فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة حطّم عند دخوله الكعبة تمثال إبراهيم الذي كان يحمل - أي التمثال - سبعة سهام بلا رؤوس ولا ريش ، كتلك السهام التي يستخدمها العرب في الاقتراع أو العرافة ، وكان يحيط بالتمثال عدد كبير من (تماثيل) الملائكة والأنبياء بوصفهم آلهة أقل درجة (من إبراهيم) ، وكان من بينهم فيما يقول الجنابي (أو الجنبي Janabi) وكتاب آخرون تمثال اسماعيل وفي يده أيضا هذه الأسهم التي ليس لها رأس ولا ريش ، والتي تستخدم في الاقتراع أو في العرافة والرجم بالغيب .

ويمكن تتبع علامات خارجية مختلفة لعبادات سابقة على الإسلام في الكعبة تعود - أي هذه العبادات - أصولها لأحد الآباء المؤسسين . وقد أشار القرآن (الكريم) إلى أحد هذه الممارسات العبادية واستهجنها(*) ، وهي ممارسة جديرة بالملاحظة إذ تدل على ما كان يحدث في هذا المكان قبل الإسلام .

لقد اعتاد العرب الوثنيون أن يطوفوا حول الكعبة ، عُراة ، لأن الملابس - كما يقولون - علامة من علامات عصيان أوامر الله . ويشير الحجر الأسود الشهير الذي كان هدفا من أهداف العبادة الوثنية (قبل الإسلام) إشارة واضحة إلى الأصل الذي يشيرون به إليه . فالعرب (المقصود : الجاهليون) يعزون إدخاله

(*) القرآن (الكريم) سورة (الأعراف) . (المترجم : يشير المؤلف هنا إلى ما ورد في هذه السورة الكريمة عن المعتقدات التي ظهرت قبل ظهور الاسلام ، ونورد منها الآيات الكريمة التالية : .
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ... (59) ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ...(73) ﴾ ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (80) ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ...(85) ﴾ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ...(103) ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ...(194) ﴾ . ومن الواضح من هذه الآيات أن الله لا يستهجن الأنبياء والمرسلين ، وإنما يستهجن الذين لم يطيعوا الأنبياء والمرسلين) .

في بناء الكعبة إلى ذرية اسماعيل التي أعقبته مباشرة . ونوع الخرافة الذي يمكن أن نتوقّع انبثاقه من سوء فهم هذه الأديان السابقة على الإسلام (أو بتعبير آخر أديان الآباء السابقين) هو إقامة أحجار في مواضع بعينها تكريما للإله الحق . وبينما يدلنا السياق على صلة وثيقة في هذه الجزئية خاصة بين وثنية الاسرائيليين القدماء ووثنية العرب قبل الإسلام (النص قبل محمد : **Ante- Mahometan**) ، فإن تماثلهما يمكن أن يظهر إلى حد كبير جداً من خلال العهد القديم ، لكن يكفينا هنا أن نورد فقرة من سفر أشعياء . يقول النبي : (المقصود أشعياء) مستهجنا اليهود بسبب وثنيتهم : «وامتلأت أرضهم أوثانا ، يسجدون لعمل أيديهم ، لما صنعته أصابعهم ، وينخفض الإنسان وينطرح الرجل فلا يُغفر له» أشعياء 2/ 8 .

وقد يهتم القارئ في سياق حديثنا عن الكعبة التي تحظى بتوقير المسلمين ، بهذه اللقطات الحية من موسم الحج ، عن تجربة الرحّالة بوركهارت في شبه الجزيرة العربية نشرت في دورية لندن ربع السنوية London Quarterly : « وعلى بعد مسافة معينة من المدينة المقدسة (مكة) يتجرد كل الحجاج من ملابسهم ويرتدون (ملابس) الإحرام ، وهي قطعتان من الكتان أو القطن تكونان بشكل عام بيضاوين ، فيلف كل حاج منهم قطعة منهما حول خاصرته ، ويطرح القطعة الأخرى - دون رباط - على عنقه وكتفيه ، ولا يُغطي رأسه أبداً . وقد مارس بوركهارت ذات مرة هذه العادة (ارتداء ملابس الإحرام) التي تسبّبت في موت كثيرين ، فقد يحدث أن يكون موسم الحج في الشتاء مما يسبب مشقّة ما بعدها مشقة خاصة بالنسبة للحجاج القادمين من الشمال والذين اعتادوا ارتداء الملابس الصوفية السميكة . ويقول بوركهارت أيضا : «بل إن الحماس الديني لبعض ممن يزورون الحجاز ، يكون شديداً جداً لدرجة أنهم حتى لو وصلوا إلى مكة قبل موسم الحج بعدة أشهر يظلون مرتدين ملابس الإحرام لا يخلعونها إلاّ بعد أن يكملوا (مناسك) الحج بالوقوف فوق جبل عرفات . . .» . ويقال أن هارون

الرشيد وزوجته زبيدة أديا فريضة الحج سيراً على الأقدام من بغداد إلى مكة ، ولم يكن هارون يرتدي سوى ملابس الإحرام طوال هذه الأثناء ، لكنه نعم بالسير فوق السجّاد الفاخر طوال مراحل الطريق (*) (إلى مكة كرمها الله) والعرب القدماء (المقصود : الجاهلبون) ، وهم يؤرخون بالتقويم القمري أو بتعبير آخر يتخذون الشهور القمرية أساساً لتقويمهم ، كانوا يزيدون (أو يُقحمون) شهراً كل ثلاث سنين ، ليجعلوا الحج في موسم بعينه (في فصل محدّد) لكن عندما سنّ محمد ضرورة استمرار فريضة الحج باسم الله الحي كما كانت في الأصل ، لا باسم الأوثان التي لا تحس إذ كانت عقيدة الحج طاعة لله قد تلوّثت في الأديان السابقة عليه (أديان الآباء الآنف ذكرها) فتحولت إلى حج باسم الأوثان أو إكراما لها- عندما سنَّ محمد هذا ، حدَّد ميقاتاً زمنياً للحج على وفق الشهور القمرية ، ولأن العرب المعاصرين لا يُقحمون (يدخلون) شهراً زائداً ، فإن موسم الحج يتراوح بين ذروة الصيف (شدة حرارته) إلى عمق الشتاء (شدة برودته) ، وفي غضون ثلاث وثلاثين سنة نجد موسم الحج يتوزع على كل شهور السنة ، وبالتالي لا تكون له أيام محدّدة (في شهور السنة الميلادية) .

وعند دخول مكة ، لابد أن يتوجه الداخل لزيارة المسجد الحرام أو الكعبة سواء اعتزم الحج أم لا . وتتطلب هذه الزيارة ترديد بعض الدعوات في مواضع مختلفة ، ومن ثم يبدأ الطواف أي الدوران حول الكعبة سبع مرات (**أشواط**) وتقبيل الحجر الأسود عند تمام كل دورة (**شوط**) . ومن ثمّ يتوجه إلى بئر زمزم ويشرب من مائه ما وسعه الشرب أو بقدر ما يتيسّر له منه . وعلى الحاج بعد ذلك أن يتوجه إلى تل الصفا Szafa ويردد هناك بعض الأدعية المحدّدة ومن ثم يسعى مسافة تبلغ حوالي ستمائة خطوة إلى أن يصل لمسطح حجري مرتفع هو المروة

(*) هذه من الخرافات والاسرائيليات الكثيرة التي حيكت حول تاريخ وحياة هارون الرشيد ، والغريب أن المؤلف الذي كان يستهجن كثيراً من الخرافات (من وجهة نظره) لا يستهجن هذه الدعاية الفجة . لقد كان الرشيد فيما هو مشهور عنه يحج عاماً ويغزو عاماً في سبيل نشر دولة الإسلام . (المترجم)

Meroua . وهو يكرر هذا السعي (بين الصفا والمروة) سبع مرّات ، وهو لابد أن يهرول must be run في مواضع بعينها عند السعي ، ويظل الحجاج - أثناء السعي - يرددون - بصوت عال ، وطوال الوقت - الدعوات والتسابيح . والنُّسُك الثالث هو أن يحلق الواحد منهم شعر رأسه ويتوجه إلى العمرة Omra (كذا) على بعد حوالي الساعة ونصف الساعة من مكة مرددا الدعوات والتسابيح بصوت عال طوال الطريق . وسيتكرر الطقسان (النّسُكان) الأوليان مرة أخرى بعد ذلك . وللحاج أن يطوَّف حول الكعبة ما شاء له أن يطوّف (سبعة أشواط في كل مرة) على وفق ما يراه ملائما ، فكلما كثر تطوافه وتتابع ، كلما كثر ثوابه(*) .

تجمّع في مكة وقت أداء بوركهارت (فريضة) الحج حوالي سبعين ألف شخص ، انخرطوا في أداء هذه المناسك . لقد قال المسلمون لعلي بيك Ali Bey(**) إن هذا العدد المذكور آنفا هو الحد الأدنى للحجاج المسلمين الذين يتجمعون في عرفات ، فإذا ما قل العدد عن هذا نزلت الملائكة من السماء لإكماله (أي إكمال هذا العدد :70 000) . ويقول جوزيف بيتس الشيء نفسه بدقة . وعندما ذهب علي بيك إلى موضع هذه المناسك أخبرنا عن وجود 80000 رجل و 2000 امرأة وألف طفل ، وحوالي ستين ألف أو سبعين ألف جمل وبغل وحمار وحصان - يتجهون جميعًا عبر الوادي الضيق خارجين من عرفات تُظللهم غمامة من تراب حاملين مالا يحصى من رماح وبنادق ومراود Swivels . . .إلخ ، ومع هذا لم يعلم بحوادث وقعت إلاّ الحادثة التي وقعت له شخصيا إذ **P.218**

(*) حديث المؤلف عن شعائر الحج لا يتعتمد عليه ، وهو لا يميز بين الحج والعمرة ، إذ يعتبر العمرة موضعاً يذهب إليه الحاج أو المعتمر ، وهو ينقل عن الرحالة «بوركهارت» لكنه فيما يبدو لم يحسن النقل عنه (المترجم)

(**) علي بك هذا ، هو الرحالة الأسباني «دومنغو باديا اي لبليخ» الذي قام برحلته كأول أوروبي إلى مكة سنة 1807 ، وقدم نفسه إلى شريف مكة ، على أنه سليل العباسيين ، فنال حفاوة الشريف ورعايته ومنحه شرف لم ينله كثير من المسلمين فأشركه معه في غسل الكعبة المشرّفة ، فكان بذلك أول وآخر أوروبي يدخل الكعبة ويُصلي بداخلها ، وقد شاع أن علي بيك ، لم يكن سوى جاسوس لنابليون ، لكنه قدم نفسه في مذكراته عن رحلته التي نشرت لأول مرة في باريس سنة 1814 وفي لندن 1816 ، على أنه مسلم ، وإن كان كذلك فإن مذكراته هذه مليئة بكثير من المعلومات والخرافات التي تحتاج إلي أسانيد وثقافة إسلامية (الناشر) .

أصيب بجرحين في ساقه . ويمكن للمرء أن يعتبر تقدير بوركهارت (سبعين ألف) تقديراً استثنائياً ، بل أنه يخبرنا أن اثنين فقط من بين الخمس أو الست قوافل المنتظمة (أي التي تصل بانتظام) كل عام هي التي وصلت - وهما قافلتا الحج الشامي والمصري . فهناك حوالي أربعة آلاف حاج يأتون من تركيا بحراً ، وربما يصل أيضا نصف هذا العدد من أنحاء أخرى من العالم الإسلامي . وكانت قافلة الحج القادمة من الشام هي التي تعتبر الأكثر عدداً . ويروي أنه عندما قامت أم المعتصم بالله آخر الخلفاء العباسيين بأداء فريضة الحج في سنة 631هـ كانت قافلتها تضم مائة وعشرين ألف جمل ، لكن في سنة 1814 لم تكن قافلة الحج تضم أكثر من أربعة آلاف أو خمسة آلاف شخص وخمسة عشر ألف جمل . ويقول ڤارتيما (**الرحالة بارتيما الذي تسمى باسم يونس المصري والذي ترجمت رحلته إلى العربية ونشرتها الهيئة المصري العامة للكتاب/ المترجم**) أن قافلة الحاج المصري (الخارجة من القاهرة) بلغ عدد جمالها - عندما كان ڤارتيما في مكة - حوالي أربعة وستين ألفا ، لكن في سنة 1814 كانت هذه القافلة نفسها تتكون في غالبها من عساكر محمد علي بالإضافة إلى عدد قليل جداً من الحجاج . لكن بوركهارت يقول : أنه في سنة 1816 انضم نبيل قاهري واحد إلى قافلة الحج بمائة جمل وعشر لنقل أمتعته وحاشيته ، وتكلف هذا - وفق تقدير بوركهارت - مالا يقل عن عشرة آلاف جنيه . وكانت خيام النساء العموميات public wemen والفتيات الراقصات dancing girls والتجهيزات الخاصة بهن من بين أكثرها بهاء في هذه القافلة (المقصود قافلة الحاج المصري)(*) . أما القافلة المغاربية (القادمة من الغرب أو من بلاد البربر Barbary)فتتكون في الأعوام الأخيرة من حوالي ستة آلاف أو ثمانية آلاف (وكانت فيما مضى تضم أربعين ألفا) ، وفي سنة 1814 لم ينضم إليها إلاّ عدد قليل . أما القافلة الشرقية في هذا

(*) ربما كان المقصود المتشددين وحاملي الدفوف ، وهي مظاهر كانت ترافق محمل الحجاج ، وقد زالت هذه المظاهر ولم يعد لها وجود الآن . (الناشر) .

العام الآنف ذكره فكانت تتكون في غالبها من مالاوين من جاوة وسومطرة وسواحل المالابار . وكان هناك حاج أفغاني متقشف كبير السن ذو قوة غير عادية قد قطع كل الطريق من كابول إلى مكة ، وكان يعتزم العودة إلى بلاده مشياً على قدميه أيضا . ويأتي إلى مكة عدد كبير من البدو أثناء موسم الحج ، ويأتي إليها أيضا عدد من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية . ويعتمد كثيرون من هؤلاء الحجاج **P.219** اعتماداً كاملاً في تدبير أمور معيشتهم على التسوّل (**طلب الإحسان**) لا أثناء الرحلة فحسب ، وإنما عند إقامتهم في مكة ، وبعضهم يكونون قد جلبوا من بلادهم بعض الأشياء الصغيرة ليبيعوها في مكة .

والمغاربة - على سبيل المثال- يجلبون معهم طواقيهم الحمراء ومعاطفهم الصوفية ، والأتراك الأوربيون يجلبون معهم الأحذية والصنادل (الشباشب أو الأخفاف) والخردوات (المصنوعات الصغيرة) والأقمشة المزخرفة (المشغولة) والمربى (الحلوى) والعنبر Omber وحلي مصنوعة في أوربا ، وأكياس محبوكة لحفظ النقود . . .إلخ ، أما أتراك الأناضول فيجلبون السجاجيد والحرير وشيلان أنقرة ، أما الفرس فيجلبون الشيلان الكشميرية والمناديل الحريرية الكبيرة (أو الايشاربات الحريرية الكبيرة) ويجلب الأفغان السواك من أشجار تنمو في بخارا وخرزات من حجر صابوني أصفر ، وشيلان خشنة غير مزخرفة مصنوعة في بلادهم ، ويجلب الهنود العديد من منتجات بلادهم الشاسعة الثرية ، ويجلب أهل اليمن خراطيم (المفرد خرطوم ويُقال له لَيّ) للشيشات العجمية ، وصنادل Sandals (الكلمة لا تعني خشب الصندل كما يفيد السياق بعد ذلك) وغيرها من المصنوعات الجلدية ، ويجلب الأفارقة أدوات مختلفة تستخدم في تجارة الرقيق .

وعندما تتم كل المناسك المطلوبة داخل مكة يتجه الحجاج جميعاً معاً في يوم محدد إلى جبل عرفات بعضهم راكبا جمالا ، وبعضهم راكباً بغلا أو حمارا وأغلبهم يسيرون حفاة على أقدامهم ، وهؤلاء يحظون بثواب أكثر لقطعهم رحلة مسافتها ثمانية عشر ميلا أو عشرين ميلا على أقدامهم . يقول بوركهارت :

لقد قضينا عدة ساعات قبل أن نتمكن من الوصول إلى أطراف (ضواحي) البلدة . لقد كان زحام الجمال شديداً . وكان الحجاج نصف العراة وقد ارتدوا جميعا لباس الإحرام الأبيض ، وقد جلس بعضهم فوق جمالهم أو بغالهم أو حسيرهم وراحوا يقرأون القرآن ، وراح بعضهم يسبح ويدعو بصوت عال ، وراح آخرون يسبّون السائقين (المقصود : الذين يقودون الجمال) ويتعاركون مع القريبين منهم ممن يعوقون المسير (يسدّون الطريق) وبعد أن قطعنا الممر الضيق في الجبال ظهر سهل عرفات . هنا بدأت القوافل المختلفة تنتشر بحثا عن مواضع تُضرب فيها الخيام . ويرى المرء الحجاج في كل اتجاه يتجولون بين الخيام بحثا عن رفاقهم الذين ابتعدوا عنهم (تاهوا) في الزحام أثناء الطريق ، ومضت **P.220** ساعات عديدة قبل تلاشي الضوضاء والجلبة .

وفي الصباح صعد بوركهارت قمة جبل عرفات وأحصى من فوقه حوالي ثلاثة آلاف خيمة متناثرة فوق السهل ، ثلثاها تابعة لقافلتي الحاج (الشامي والمصري) وتابعة لحاشية محمد علي وعساكره . يقول رحالتنا بوركهارت : «لكن العدد الأكبر من هذا الحشد كان بلا خيام ، مثل بوركهارت نفسه فلم يكن لديه خيمة . وكانت خيمة زوجة محمد على (أم طوسون وإبراهيم باشا) خيمة رائعة ، وقد تطلب نقل أمتعتها - فقط - من جده إلى مكة خمسمائة جمل . لقد كانت خيمتها في الحقيقة مخيماً كاملاً إذ كان حولها حوالي اثنتي عشرة خيمة ذوات أحجام مختلفة تقيم فيها النسوة التابعات لها ، ويحيط بهذه الخيام جميعاً ستار من قماش كتّاني يبلغ محيطه ثمانمائة خطوة ، وليس له إلاّ مدخل واحد يحرسه خصيان (طواشية) يلبسون ملابس رائعة . وحول هذا التجمع الذي تقطنه زوجة محمد على ومن معها من النساء ضُربت خيام الرجال من حاشيتها كثيرة العدد . لقد كان هذا القصر الكتاني (المحاط

بسور من قماش كتاني) المزركش بشكل جميل ، بالإضافة للألوان المختلفة الظاهرة في كل مكان فيه ، يذكرني في بعض جوانبه بما ورد في حكايات ألف ليلة وليلة .

ويقول السيد بوركهارت أنه قدَّر عدد الحجاج المتجمعين في السهل بسبعين ألفا ، لكن كم منهم من الملائكة الذين نزلوا لإكمال العدد ، هذا ما لم يقله ، كما أنه لم يقل إذا كان من بين هذا العدد ملائكة أم لا . وعلى أية حال ، فالجدير بالملاحظة أنه هو ثالث رحّالة يذكر هذا العدد نفسه (70000) . وبعد أن يتوضّأ (أي يغتسل هذا الجمع الحاشد على وفق الشريعة) أو بعد أن يتيمّم إذا عزّ الماء(*) ، يتجه – الآن– بتزاحم شديد على جبل عرفات فيغطونه كله من قمته إلى سفحه من كل ناحية . وفي ساعة محدّدة يقف قاضي مكة على منصّة حجرية مسطحة فوق جبل عرفات ، ويبدأ في إلقاء المواعظ التي يستمع إليها الحشد في صمت وقور وباحترام . وعلى أية حال ، فكلما توقف القاضي (الآنف ذكره) عن الحديث ، حركت الجموع المحتشدة الجزء السفلي من لباس الإحرام Skirt فوق رؤوسهم جلباً للهواء (**لعلّه يقصد الجزء العلوي/ المترجم**) وراحوا يرددون بصوت عالٍ عبارة : لبيك اللهم لبيك وهي عبارة تعني أننا هنا بناء على أوامر الله لنا أو استدعائه لنا . يقول بوركهارت : إنهم أثناء تحريكهم ملابس الإحرام البيضاء يبدو جبل عرفات الغاص بالحجاج ، وكأنه شلاّل أبيض أو طوفان ، بينما المظلاّت الخُضر التي ينصبها عدة آلاف من الحجاج الجالسون فوق جمالهم في السهل (**أي الذين ليسوا فوق جبل عرفات وإنما في المساحة المستوية نسبيا حوله**) تبدو وكأنها سهل مزروع . ولابد أن مثل هذا الحشد الضخم الذي تدل

(*) النص الانجليزي : ...or going through the motions where water was not to be had .
والترجمة :

كل المظاهر أنهم يتعبدون لله ويخضعون له ، يؤثر تأثيراً هائلا فيمن يشهده لأول مرّة سواء كان مسلماً (محمدياً) أو مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً . يقول الرحالة (چوزيف) بتس : «أنه مشهد يمكن أن يتغلغل في القلب حقاً ، فهذا العدد الغفير قد أتوا بملابس الإحرام الدالة على التواضع والتخلي عن أمور الدنيا ، وبرؤوسهم العارية والدموع المنسابة على خدودهم (وجناتهم) وراحوا يجأرون وينتحبون طالبين الغفران» . ويذكر بوركهارت وصول حاج أسود من دارفور لأول مرّة إلى الكعبة في الوقت الذي كان فيه الحرم مُضاء ، حيث كان يوجد ما بين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف منهمكين في العبادة (وأداء الصلاة) . لقد غلب التأثر على هذا الحاج الدارفوري الأسود ، فبعد أن ظل ساجدا لفترة ، انفجرت عيناه بفيض من الدموع وبلغ تأثره الذروة ، وبدلاً من ترديد الدعوات التي يقولها الزائر لأول مرّة ، راح يقول بصوت عال : «يارب خذ روحي الآن ، فأنا في الفردوس الآن» .

وحالما تهبط الشمس وراء الجبال الغربية يغلق القاضي كتابه ، فتتدافع الجموع فوراً هابطة من الجبال ، وتُطوى الخيام ويتوجه الحجاج جميعهم عابرين السهل في طريقهم للعودة . توقد الآن آلاف من المشاعل ، ويتم إطلاق وابل من طلقات المدافع والبنادق الصغيرة وما لا يحصى من الأسهم النارية . P.222 وظلت فرقة الباشا الموسيقية تعزف حتى وصولهم إلى مكان يُقال له المزدلفة حيث انطرح كل فرد في هذا الحشد على الأرض الجرداء في أيّ مكان أتيح له . هنا (أي في المزدلفة) يبدأ نُسُك (شعيرة) آخر بدءاً من طلوع الفجر ، ويستمر حتى طلوع الشمس ، بعدها يتحرك الجمع الغفير مرة أخرى بخطو وئيد إلى وادي مِنَى Muna على بعد ثلاثة أميال لرمي الأحجار (الجمرات) على الشيطان Devil ، إذ لابد أن يرمى كل حاج سبعة أحجار صغيرة في ثلاثة مواضع مختلفة

في وادي مِنى ، فيصبح مجموع هذه الأحجار الصغيرة (الجمرات) كلها إحدى وعشرون جمرة (حجراً صغيراً) . والحاج عند إلقائه هذه الجمرات يردد هذه الكلمات : «بسم الله . الله أكبر ليحمينا الله من شر الشيطان وجنده» . ويقول (چوزيف) بتس : « وبينما أنا ذاهب لرمي الجمرات (الأحجار) قابلني حاج ظريف وقال لي : يمكنك أن تؤدي عملك الآن إن أردت ، فقد أخرجتُ بالفعل عيني الشيطان من محجريهما» . ويرى الحجاج هنا صخرة بها شق عميق في وسطها ويُقال لهم إنها من فعل الملك (بفتح الميم واللام) الذي أزاح جانبا سكين إبراهيم (الخليل) عندما كان على وشك التضحية بابنه اسحاق Isaac (من المفهوم طبعًا أن المسلمين - كما ورد في القرآن - يَعْتبرون أن اسماعيل هو الذي كان إبراهيم الخليل على وشك التضحية به) ويلاحظ بتس أن هذا الشّق لابد أنه ناتج عن ضربة شديدة حقاً . ويلقَّن الحجاج أيضا أن عملية الرجم بالجمرات ، إنما هي إحياء لذكرى بثّ الشيطان في أذن اسحاق ألاّ يتبع أباه لأنه سيذبحه .

وتستمر عملية الرجم في وادي منى يوما أو يومين(*) ، وبعدها يأتي وقت التضحية الكبيرة بذبح الأضاحي animals التي كان بعض الحجاج قد جلبوها معهم بينما اشتراها حجاج آخرون من البدو . ولابد من ذبح الأضحية ووجهها موجّهة نحو الكعبة . وفي موسم الحج الذي نتحدث عنه بلغ عدد الخراف التي نُحرت باسم الله لا يزيد عن عدد يتراوح بين ستة آلاف وثمانية آلاف . وقد نقل بوركهارت عن المؤرخ قطب الدين أنه عندما حجّ الخليفة المقتدى في **P.223** سنة 350هـ ضحّى بأربعين ألف جمل وبقرة وخمسين ألف خروف . أما بارتيما (ڤارتيما) فحدثّنا عن التضحية بثلاثين ألف ثور تم توزيع لحومها على الفقراء

(*) المعروف أن أيام الرجم ثلاثة أيام ، ومن تعجل في يومين فلا إثم عليه . (المترجم)

الذين «بدا توقهم لملء بطونهم أكثر من توقهم لغفران ذنوبهم»(*) إن المرء لتتملكه الحيرة فمن أين - في هذه البلاد البائسة - يمكن تقديم الأعلاف لهذه الآلاف وعشرات الآلاف من الجمال والأبقار والأغنام. قد تكون الأرقام مبالغا فيها، لكن المؤكّد أن أعدادها كبيرة جداً. لقد انتهى العيد Feast فكل الحجاج قد حلقوا رؤوسهم وخلعوا لباس الإحرام وارتدوا ملابسهم المعتادة، وانعقد الآن سوق كبير، وتألق الوادي طوال الليل بالأضواء والمشاعل وطلقات المدفعية والألعاب النارية، ومن ثم عاد الحجاج إلى مكة. وعلى أية حال فإن كثيرين من الحجاج الأكثر فقرا ظلوا ليتناولوا ما تبقّى من لحوم أغنام الأضحيات. وفي مكة تتكرر المناسك المرتبطة بالكعبة والـ Drura وبذا تنتهي شعيرة الحج فعلا. ولم يذكر بوركهارت أيّ حاجّات أتممن حجهن بالوقوف في عرفة، رغم أن علي بيك حدثنا عن ألفي امرأة (وقفن في عرفة). وقيام النساء بالحج ليس ممنوعاً لكن من خلال ما سنذكره فيما بعد لا يحظى قيام النساء بالحج بالتشجيع. «فالشريعة الإسلامية لا تجيز للمرأة غير المتزوجة أن تحج بل ولابد لكل امرأة متزوجة إن أرادت الحج أن يصحبها زوجها أو على الأقل أحد أقاربها المقرّبين (والمذهب الشافعي لا يسمح لها بالحج في هذه الحال الأخيرة) وتصل بعض النسوة - أحيانا - من تركيا لأداء (فريضة) الحج؛ نسوة أرامل ثريات يردن رؤية مكة قبل أن يوافيهن الأجل أو نسوة خرجن مع أزواجهن الذين ماتوا أثناء الطريق. وفي مثل هذه الحالات تجد الواحدة منهن في جدّة دليلا (وهو في هذه الحال يقال له محلّل Muhallil) يكون على استعداد لتسهيل مهمتها في التقدم في الأراضي المقدسة (نحو مكة) بأن يكون زوجًا لها. فيتم عقد الزواج **P.224**

(*) نُنبه القارئ أنه لا يُعتد بنقولات المؤلف عن شعائر الحج، ففيها أغلاط كثيرة، وهي معروفة لكل مسلم فضلاً لكل قارئ. ويتضح بجلاء ما يُعبر عنه المؤلف من حَنق وإبداء مشاعر الضيق بالمؤمنين الذين جاءوا طلباً لغفران ربهم من كل فج عميق. (المترجم)

أمام القاضي وتقوم السيدة (اللّيدي) مصحوبة بدليلها her delyl بأداء الحج في الأماكن المقدسة ؛ الحرم المكي وعرفات وغيرهما . (المقصود مطوف أما مسألة الزواج فهي بدعة مغلوطة واجتهادات مغرضة مغرفة من الرحالة والمستشرقين/ المترجم) وعلى أية حال فمن المفهوم أن هذا مجرد زواج شكلي أو اسمي . ولابد أن يطلّق الدليل (المحلّل) المرأة عند عودتها إلى جدّة ، لكن إن رفض الطلاق فالشريعة لا تجبره على ذلك ، وفي هذه الحال يعتبر الزواج قائما ، لكن لا يسمح له بعد ذلك بممارسة مهنة الدلاله المربحة . ولا يذكر الراوي الذي روى لي هذه الأمور إلاّ دليلين أصرًا على عدم التطليق . وأعتقد أنه ليس هناك أية مبالغة في حديث من حّدثني قائلا : بأن عدد الأدلاّء يبلغ ثمانمائة بالإضافة إلى الصبية الذين يتعلمون المهنة . وعندما يفقد صاحب الدكان زبائنه فإنه يتحول إلى دليل (مرشد) ، وكذلك الأمر عندما يود رجل بائس مشتغل بالأدب أن يشتري جارية حبشية (أو عبداً حبشياً) . وهذه المهنة ليس لها من السمعة الحسنة إلاّ القليل ، لكن كثيرين من أهل مكة ممن ازدهرت أحوالهم كانوا في بعض مراحل حياتهم أدلاّء» .

وقد بقي بوركهارت في مكة شهراً كاملاً بعد انتهاء الحج ، فوجدها - أي مكة - وكأنها مدينة مهجورة .

«لم يبق من محلاّتها العامرة المتألقة سوى الربع ، أما الشوارع التي كانت غاصّة منذ أسابيع قليلة حتى أنه كان يتعين على المرء أن يشق طريقه بالقوة وسط الزحام الشديد ، فقد أصبحت الآن وقد خلت من أيّ حاج خلا بعض المتسوّلين الذين راحوا يجأرون بأصواتهم الناضحة بالألم نحو نوافذ المنازل التي افترضوا أنها لاتزال مأهولة بالسكان . وغطت القمامة والقاذورات كل الشوارع ، ولم يظهر أحد يرتب لأمر إزالتها . وكانت ضواحيها غاصة بجثث الجمال الميتة ، فجعلت الروائح المنبعثة منها الهواء كريها - حتى في وسط مكة - فأسهمت - بالتأكيد في تفشّي الأمراض .

P.225 فالأمراض والموت الجماعي الذي نتج عن مشاق رحلة الحج أو عن ملابس الإحرام الخفيفة (غير الثقيلة أو غير المحكمة) أو عن محال الإقامة غير الصحية في مكة، أو عن ظروف السفر السيئة أو - في بعض الأحيان - عن العوز الشديد- كل هذا جعل المسجد (المقصود الحرم) ممتلئاً بجثث الموتى الذين نُقلوا هنا ليصلّوا عليهم صلاة الجنازة (الصلاة على الميت) أو أن يكونوا أتوا بهم مرضى. ووضعوهم في الرواق (بين الأعمدة) فإما أن تشفيهم رؤيتهم للكعبة، وإما أن يرضوا - على الأقل - بالموت في الحرم المقدس. والحجاج الفقراء الذين أنهكهم المرض والجوع، يراهم المرء وهم يسحبون أبدانهم الهزيلة بين الأعمدة (في الأروقة) وعندما يفقدون القدرة على مد أيديهم طلبًا للإحسان يضع الواحد منهم آنية (صحنا) بالقرب من الحصيرة التي تمدد عليها ليضع فيها المحسنون ما يجودون به. وعندما يحسّون أن أجلهم قد دنا وأنهم في آخر لحظات أعمارهم يغطي الواحد منهم بدنه بعباءته الرثّة، وغالباً ما يمر يوم كامل قبل أن يكتشف الناس أنه مات. لقد وجدت طوال شهر من انتهاء مناسك الحج - في الغالب كل صباح- جثث الحجاج مطروحة في المسجد الحرام، وقد حدث أنني وحاج يوناني قمنا بإغلاق عيني حاج مغربي فقير كان يزحف بالقرب من الكعبة ليتنفّس آخر أنفاسه - كما يقول المسلمون- بين ذراعي النبي والملائكة الحارسين. وقد أبدى هذا الحاج المغربي المحتضر بالإشارة رغبته في أن نرش عليه ماء زمزم، وبينما كنا ننفذ ما طلب، صعدت روحه. وبعد نصف ساعة جرى دفنه.

الوضع في مكة لا يدعو للمسرّة أبداً وقد ترصَّد الموت لعدد كبير من المسلمين الأتقياء الذين أتوا هنا لأداء مناسك الحج. ومكة مشيدة في واد ضيق تحفه الجبال القاحلة، ومياه الآبار إما تعتريها المرارة أو الملوحة وليس هناك مراع

بالقرب منها ، وليس ثمة أرض صالحة للزراعة ، فليس أمام أهل مكة مصدر للعيش إلاّ من خلال الحركة التجارية البسيطة وخدمة القوافل العابرة ، **P.226** وموسم الحج . ويقدر السيد بوركهارت عدد سكان مكة وضواحيها ممن هم مستقرون بما يتراوح بين 25000 و 30000 بالإضافة إلى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من العبيد الأحباش والسود .

وبشكل عام ، فمع كل ما سجّله بوركهارت من مظاهر الحماس الديني التي لاحظها أثناء أدائه للحج ، فمن الواضح بشكل كاف أنّه حتى في مكة قاعدة الإسلام الرئيسية ، بردت المشاعر الدينية للناس بدرجة ملحوظة . والمسلمون المتعلمون في كل مكان ، غالبهم على مذهب محمد علي والي مصر ، ولا يعترينا شك في أن كل الأمور التي تجرى على هذا النحو لإعادة تأثيل الدين الحقيقي في المناطق التي شهدت تحضر الإنسان لأول مرة والتي كانت مهبط الوحي (أو التي تردّدت فيها كلمات الله للمرّة الأولى) . في غضون ذلك فإن أفول الهرطقة الأساسيّة في الشرق لن تكون خافية على بصيرة كل من يحكم على الشجرة من خلال ثمارها . يقول بوركهارت : «طول الإقامة بين الأتراك والشوام أوالمصريين (ولا أحد يعرفهم أفضل مما يعرفهم بوركهارت) جعلتني أعلن أنهم جميعًا تنقصهم الفضيلة والشرف والعدالة . ليس فيهم من التقوى الحقيقية سوى القليل ، ولا يزالون ينقصهم الصبر والإحسان والمحبّة ، ولا يجد المرء عندهم صفة الأمانة إلاّ بين المتسوّلين (والذين يعيشون على الصدقات والحمقى (المعتوهين))»[3] .

تعليقات شارحة من وضع المترجم

(1) **عمود بيت إيل** : (والكلمة تعني بيت الله- حسب معتقدهم-) الذي أشار إليه المؤلف هنا شيّده يعقوب عليه السلام بعد خروجه من بئر سبع إلى حاران ، وبينما هو في الطريق أدركه التعب فأخذ حجراً ووضعه تحت رأسه ونام فرأى حُلما أعجبه ، إذ رأي سلما بينه وبين السماء ، ورأى الملائكة صاعدة ونازلة على هذا السلّم . . فلما استيقظ من نومه أخذ الحجر الذي كان قد اتخذ منه وسادة له وأقامه عموداً وصب زيتا على رأسه وسمّى المكان باسم بيت إيل أي بيت الله . . .

هذه باختصار رواية سفر التكوين 28/ 10-15 وانظر أيضا دائرة المعارف الكتابية مادة : يعقوب ، ص 288 .

(2) **الخيمة اليهودية** : هي خيمة كان بنو اسرائيل يقيمونها أثناء ترحالهم «ليسكن فيها الرب» (كما يَدعّون) ليكون موجوداً بينهم (سفر الخروج 25/ 8 و 21/ 22 ، وكان بداخل هذه الخيمة موضعان يفصلهما حجاب أو ستارة أو كسوة ، وكانت مستطيلة ، وكانت نقّالة لأنهم كانوا ينصبونها حيث حلّوا . ويرى يهود ومسيحيون آخرون أن هذه الخيمة لا تعدو أن تكون خيمة اجتماع ، ويطلق على هذه الخيمة أحيانا مظلة (والجمع مظال) .

عن تفاصيل ذلك يمكن مراجعة مادة (خيمة) دائرة المعارف الكتابية التي ألفها مسيحيون جـ3 .

(3) الرحلات التي نقل عنها المؤلف ترجمت جميعًا إلى العربية :

- **رحلة ڤارتيما (بارتيما) .**
- **رحلة بيتس (چوزيف بيتس) .**
- **رحلة بوركهارت لشبه الجزيرة العربية .**
- **رحلة علي بك (دومنغو باديا اى لبليخ) .**

ونشرت الرحلتان الأوليان الهيئة المصرية العامة للكتاب . أما رحلة بوركهارت فنشرتها دار النفائس في بيروت ، وحكمتها علمياً جامعة الملك سعود بالرياض . وقد قام مترجم هذا الكتاب بترجمة الرحلة الأولى والثانية ، واشترك مع زميله الدكتور عبد العزيز الهلابي في ترجمة الرحلة الثالثة (رحلة بوركهارت) .

[B]

THE CAABA.

CAABA is the name given to a very ancient temple, in the city of Mecca, the origin of which is lost in the darkness of remote ages. Centuries before Mohammed was born, and while the Arabs were yet pagans, this building was held to possess a peculiar sanctity: pilgrimages were made to it from distant regions; and that tribe or family was accounted the most honourable, who were the keepers of its keys. It is an oblong, massive structure, built of large blocks of different sized stones, joined rudely together, and is about eighteen paces in length, fourteen in breadth, and from thirty-five to forty feet in height. It has but one door, on the north side, seven feet above the ground, wholly plated with silver, and embellished with gilt ornaments. From the door's being placed, not in the centre, but near to one corner of the building, it appears not to have been originally designed for a sacred use; but at what time, or for what reasons, it became thus appropriated, it is not possible now to determine. Near the door, in the angle of the wall of the north-east corner of the Caaba, about seven spans from the ground, is the celebrated "black stone," so devoutly kissed by every pilgrim visiting the sacred city. It is of an oval shape, about seven inches in diameter, composed of about seven small stones, of different sizes and shapes, well joined together with cement, and perfectly smooth; appearing as if the original stone had been broken into many pieces by a violent blow, and then united again, which indeed is reported to have been the fact. A border of some kind of cement, rising a little above the surface of

the stone, surrounds it, and both this and the stone are encircled by a silver band.

According to the fabulous legends of the Mussulmans, the "black stone" was brought down from heaven by Gabriel, at the creation of the world; and was then of a pure white, but has contracted its present sable hue from the guilt of the sins committed by the sons of men. If a conjecture, however, may be hazarded, we should not hesitate to refer its origin to that peculiar trait in the character of the Ishmaelites, which has ever led them to imitate the Israelites. Scarcely a feature in the religious institutions, usages, or traditions of the Jews, but has its spurious counterpart in those of the seed of Hagar. Jacob's pillar of stone, at Bethel, would of course become celebrated among his descendants. In like manner, from causes now unknown, we may imagine this stone to have received a similar sanctity among the Arabs. This is rendered more probable from the circumstance, that one of the names given to the Caaba, in the Arabic language, is *Beit-Allah, house of God;* a word of the same import and similar sound with Beth-el, from which the Greek term *Baitulia* was frequently applied to sacred stones or memorial-pillars, like that of Jacob.

The double roof of the Caaba is supported within by three octangular pillars of aloes-wood, between which, on a bar of iron, hang a number of silver lamps. The four sides without are covered with a rich black silk stuff hanging down to the ground, and encircled near the top with an embroidered band of gold, which compasses the whole building. This covering, which is renewed every year, was formerly supplied by the Caliphs, afterward by the Sultans of Egypt; but is now sent from Cairo, at the expense of the Grand Seignior, at the time of the Hadj, when the old one is cut into small pieces and sold to the pilgrims for nearly as much money as the new one costs. This curtain or veil, called

Kesoua, is blazoned all over with the words, "There is no God, but God," &c. in gold letters of great size; and such a sacredness attaches to it, that the camel which transports it to Mecca is ever after exempted from labour. This circumstance of the Caaba being covered in the manner described suggests the probability, that the structure was intended as a rude imitation of the Jewish Tabernacle, which was also enveloped in embroidered curtains without, while within was a golden candlestick, with seven branches, kept constantly burning.

The Caaba, at a slight distance, is surrounded with a circular enclosure of thirty-two slender gilt pillars, between every two of which are suspended seven lamps, upon small bars of silver connecting the pillars towards the top. These lamps are always lighted after sunset. This sacred paling reminds us again of the Tabernacle; the court of which, though of an oblong instead of a circular form, was constructed of pillars, and hung with curtains, with only a single place of entrance. Within this enclosure of the Caaba, and almost contiguous to its base, lies the "white stone," said to be the sepulchre of Ishmael, which receives the rain-water falling off the flat roof of the edifice through a spout, formerly of wood, but now of gold. According to the account of Burckhardt, the effect of the whole scene, the mysterious drapery, the profusion of gold and silver, the blaze of lamps, and the kneeling multitudes, surpasses any thing the imagination could have pictured.

At a small distance from the Caaba, on the east side, is the station or place of Abraham, whom the Arabs affirm to have been the builder of the temple, where there is another stone much respected by the Moslems, as they pretend that the patriarch stood upon it while employed about the building, and profess to show the prints of his footsteps to this day. Just without the circular court, on its south, north,

and west sides, are three buildings designed as oratories, or places of prayer, where the pilgrim worshippers perform their devotions. Besides these there are several small buildings near to the main structure, in one of which is the famous well of Zemzem, said by the Mussulmans to be the very spring which the angel discovered to Hagar in the wilderness, and whose waters of course possess the most miraculous virtues. They cure all diseases, both of body and spirit, and supply the whole town for drinking and oblation. It is said to be the only sweet water in the whole valley; but Pitts, an English traveller, found it brackish, and says, the pilgrims drink it so inordinately, that "they are not only much purged, but their flesh breaks out all in pimples; and this they called the purging of their spiritual corruption." They not only drink, but have buckets of water poured over them, and then think their sins are washed into the well. One of the miracles of Mecca is, that the water of this well never diminishes; but this is not surprising to the true believers, who regard it as having been miraculously created to save the infant Ishmael when dying of thirst in the wilderness. Burckhardt, however, explains it without a miracle, by supposing that the water flows through the bottom, being supplied by a subterraneous rivulet. The water, he says, is perfectly sweet, but heavy to the taste, slightly tepid, and sometimes in its colour resembles milk. The pilgrims frequently destroy the ropes, buckets, and other appendages of the well in their eagerness to quaff its holy water.

Surrounding all the objects now described, which occupy the centre of an open space, is the square colonnade or grand piazza, consisting of a quadruple row of columns on one side, and a triple row on the other three sides, united by pointed or Gothic arches, every four of which support a dome, plastered white—the number of these domes amounting

to one hundred and fifty-two, and the pillars to four hundred and forty-eight. From the arches of these colonnades are suspended lamps, some of which are lighted every night, and the whole of them during the nights of the Ramadan. The columns are upwards of twenty feet high, and somewhat more than a foot and a half in diameter; some are of a reddish-gray granite, some of red porphyry, and others of white marble. No two capitals or bases are exactly alike; in some cases, by the ignorance of the workmen, the former have been placed upside down on the shafts. The arches and some parts of the walls are gaudily painted in stripes of yellow, red, and blue, which, as we have already seen, are colours peculiar to Mohammedanism. At each of the four corners of this immense quadrangular court, towering above the pillared domes, rises a lofty minaret, surmounted with a gilded crescent, the invariable accompaniment of the Moslem temple.

"The high antiquity of the Caaba," says Mr. Forster,* "is undisputed. The permanent character of its rites is certified by our knowledge of the adherence of the Arabs, in every age, to their ancient customs. But, from the uniform consent of Mahometan writers, it farther appears that the statues of Abraham and Ishmael, which from remote antiquity had held a conspicuous place in the Caaba, and constituted the principal object of its idol worship, remained to the time of Mahomet, and were there found by the Mussulmans after the capture of Mecca. Mahomet, Abulfeda tells us, when he took Mecca in the eighth year of the Hejira, found and destroyed in the Caaba, on his entering the temple, the image of Abraham holding in his hand seven arrows without heads or feathers, such as the Arabs use in divination, and surrounded with a great number of angels and prophets, as inferior deities, among

* Mahometanism Unveiled, vol. ii. p. 404.

whom, as Al Janabi and other writers add, was Ishmael with divining arrows also in his hand.

"Various external signs, betokening its patriarchal origin, may be traced in the Ante-Mahometan worship of the Caaba. Among these one custom is sufficiently remarkable to claim distinct notice in this place, inasmuch as it has been alluded to and censured in the Koran.* The pagan Arabs were used to compass the Caaba naked, because clothes, they said, were the signs of their disobedience to God. The celebrated black stone of the Caaba also, the primitive source and object of Arabian idolatry, strongly indicates the origin to which it has been uniformly referred. The Arabs attribute its introduction into the temple of Mecca to the immediate posterity of Ishmael. The peculiar kind of superstition is just what might be expected to arise from the abuse of an early patriarchal custom—that of setting up stones on particular spots in honour of the true God. While the connexion is farther made out by the exact correspondence in this particular between the idolatry of the ancient Israelites and that of the Ante-Mahometan Arabians, their identity might be largely shown from the Old Testament; but a passage from the prophecy of Isaiah will suffice. The prophet thus indignantly reproves the Jews for their idolatry:—'Among *the smooth stones* of the stream is thy portion: they, they are thy lot: even to them thou hast poured a drink offering, thou hast offered a meat offering.'"

In connexion with the preceding account of the Caaba, the place of the Moslem solemnities, the reader may be interested by the following animated sketch of the pilgrimage to Mecca, from the

* Koran, ch. vii.

Review (in the London Quarterly) of Burckhardt's Travels in Arabia.

"At a certain distance from the Holy City, all pilgrims are required to strip themselves naked, throw away their garments, and put on the *ihram*, or *ehram*, two pieces of linen or cotton cloth, generally white, one of them wrapped round the loins, the other thrown loosely over the neck and shoulders, while the head remains wholly uncovered. Burckhardt at once complied with this custom, which has occasioned the death of many; for when the pilgrimage happens in winter, the assumption of the *ihram* is extremely prejudicial to the most robust constitution,—more especially to that of the northern Mussulmans, who have been accustomed to thick woollen clothes; 'yet,' says Burckhardt, 'the religious zeal of some who visit the Hedjaz is so ardent, that if they arrive even several months previous to the Hadj, they vow, on taking the *ihram*, not to throw it off till after the completion of their pilgrimage to Arafat.' It is said, that Haroun Al Raschid and his wife Zobeyda once performed the pilgrimage on foot from Bagdad to Mekka, clothed only with the *ihram;* but indulged in the luxury of walking on splendid carpets the whole way.

"The ancient Arabs, who reckoned time by lunar months, and intercalated a month every three years, had the pilgrimage fixed to a certain season, for the Hadj is not a Mussulman invention; but when Mahomet ordained that the same pilgrimage should be continued, in honour of the living God, which, for ages before him, had been, in forgetfulness of the original patriarchal faith of the race, performed in honour of senseless idols, he prescribed the ceremony to a particular lunar month; and as the modern Arabs do not intercalate, its periodical returns became irregular, and in thirty-three years shifted through all the months of the year, from the height of summer to the depth of winter.

"On entering Mekka, the temple or mosque must be immediately visited, whether the stranger be pilgrim or not. The prescribed ceremonies are, first, to repeat certain prayers, in different parts of the temple; then to begin the *towaf*, or walk round the Kaaba seven times, kissing the black stone at each circuit; then to proceed to the well of Zemzem, and drink as much water as they wish or can get. The second ceremony which the pilgrim has to perform is, to proceed to the hill of Szafa, and there repeat certain prescribed prayers before he sets out on the holy walk, or *say*, which is along a level spot, about six hundred paces in length, terminating at a stone platform, called Meroua. This walk, which in certain places must be a run, is to be repeated seven times, the pilgrims reciting prayers uninterruptedly, with a loud voice the whole time. The third ceremony is that of shaving the head and walking to the Omra, about one hour and a half from Mekka, chanting pious ejaculations all the way. The two former ceremonies must, after this, be again repeated. The walk round the Kaaba seven times, may be repeated as oft as the pilgrim thinks fit, and the more frequently the more meritorious.

"About seventy thousand persons assembled at Mekka, when Burckhardt made his pilgrimage, and submitted to the performance of these ceremonies. This is the least number which the Mussulmans told Ali Bey there must necessarily be assembled at every pilgrimage, on Mount Arafat; and that in case any deficiency should occur, angels are sent down from heaven to complete the number. Pitts says precisely the same thing. When Ali Bey went through this part of the ceremony, he tells us, an assemblage of eighty thousand men, two thousand women, and one thousand little children, with sixty or seventy thousand camels, asses, and horses, marched through the narrow valley leading from Arafat, in a cloud of dust, carrying a forest of lances, guns, swivels, &c.

T

and yet no accident occurred that he knew of, except to himself,—he received, it seems, a couple of wounds in his leg. One would have thought that Burckhardt's seventy thousand was a prodigious number; yet he tells us, that two only of the five or six regular caravans made their appearance this year,—the Syrian and the Egyptian. About four thousand pilgrims from Turkey came by sea; and perhaps half as many from other distant quarters of the Mahommedan world. The Syrian was always considered the most numerous. It is stated, that when the mother of Motessem b'Illah, the last of the Abbassides, performed the pilgrimage in the year of the Hejira 631, her caravan was composed of one hundred and twenty thousand camels—that in 1814 consisted of not more than four or five thousand persons, and fifteen thousand camels. Barthema states the Cairo caravan, when he was at Mekka, to have amounted to sixty-four thousand camels;—in 1814 the same caravan consisted mostly of Mahomet Ali's troops, with very few pilgrims. But Burckhardt says, that in 1816, a single grandee of Cairo joined the Hadj with one hundred and ten camels, for the transport of his baggage and retinue, whose travelling expenses alone, he supposes, could not have been less than ten thousand pounds. The tents and equipage of the public women and dancing girls were among the most splendid in this caravan. The Moggrebyn (i. e. *Western*, or Barbary) caravan, comprised, of late years, altogether from six to eight thousand men (it has been forty thousand); in the year 1814 very few joined it. The Eastern caravan of this year consisted chiefly of a large party of Malays from Java, Sumatra, and the Malabar coast. A solitary Afghan pilgrim, an old man of extraordinary strength, had walked all the way from Caubul to Mekka, and intended to return in the same manner. Vast numbers of Bedouins flock to Mekka at the time of the pilgrimage; and others from every part

of Arabia. Many of these pilgrims depend entirely for subsistence, both on the journey and at Mekka, on begging; others bring some small productions from their respective countries for sale.

"The Moggrebyns, for example, bring their red bonnets and woollen cloaks; the European Turks, shoes and slippers, hardware, embroidered stuffs, sweetmeats, amber, trinkets of European manufacture, knit silk purses, &c.; the Turks of Anatolia bring carpets, silks, and Angora shawls; the Persians, Cashmere shawls and large silk handkerchiefs; the Afghans, tooth-brushes, made of the spongy boughs of a tree growing in Bokhara, beads of a yellow soapstone, and plain coarse shawls, manufactured in their own country; the Indians, the numerous productions of their rich and extensive region; the people of Yemen, snakes for the Persian pipes, sandals, and various other works in leather; and the Africans bring various articles adapted to the slave trade.

"When all the required ceremonies have been gone through at Mekka, the whole concourse of pilgrims repair together on a certain day to Mount Arafat, some on camels, some on mules, or asses, and the greater number barefooted, this being the most meritorious way of performing a journey of eighteen or twenty miles. 'We were several hours,' says Burckhardt, 'before we could reach the outskirts of the town, so great was the crowd of camels. Of the half-naked Hadjis, all dressed in the white *ihram*—some sat on their camels, mules, or asses, reading the Koran,—some ejaculated loud prayers, while others cursed their drivers, and quarrelled with those near them, who were choking up the passages.' Having cleared a narrow pass in the mountains, the plain of Arafat opened out. Here the different caravans began to disperse in search of places to pitch their tents. Hadjis were seen in every direction wandering among the tents in search of their

companions, whom they had lost in the confusion along the road; and it was several hours before the noise and clamour had subsided.

"In the morning, Burckhardt ascended the summit of Mount Arafat, from whence he counted about three thousand tents, dispersed over the plain, of which two-thirds belonged to the two Hadj caravans, and to the suite and soldiers of Mohammed Ali; but the greatest number of the assembled multitudes 'were,' says our traveller, 'like myself, without tents.' Those of the wife of Mohammed Ali, the mother of Tousoun and Ibrahim Pasha, were magnificent,—the transport of her baggage alone, from Djidda to Mekka, having required five hundred camels.

"'Her tent was in fact an encampment, consisting of a dozen tents of different sizes, inhabited by her women; the whole enclosed by a wall of linen cloth, eight hundred paces in circuit, the single entrance of which was guarded by eunuchs in splendid dresses. Around this enclosure were pitched the tents of the men who formed her numerous suite. The beautiful embroidery on the exterior of this linen palace, with the various colours displayed in every part of it, constituted an object which reminded me of some descriptions in the Arabian Tales of a Thousand and One Nights.'

"Mr. Burckhardt says, he estimated the number of persons assembled on the plain at seventy thousand; but whether any, or how many of them, were supplied by 'angels,' he does not say: it is, however, deserving of remark, that he is the *third* traveller who mentions the same number. This enormous mass, after washing and purifying the body according to law, or going through the motions where water was not to be had, now pressed forwards towards the mountain of Arafat, and covered its sides from top to bottom. At the appointed hour, the Cadi of Mekka took his stand on a stone plat-

form on the top of the mountain, and began his sermon, to which the multitude appeared to listen in solemn and respectful silence. At every pause, however, the assembled multitudes waved the skirts of their *ihrams* over their heads and rent the air with shouts of 'Lebeyk, allahuma lebeyk!'—'Here we are, at thy commands, O God!' 'During the wavings of the *ihrams*,' says Burckhardt, 'the side of the mountain, thickly crowded as it was by the people in their white garments, had the appearance of a cataract of water; while the green umbrellas, with which several thousand hadjis, sitting on their camels below, were provided, bore some resemblance to a verdant plain.' The assemblage of such a multitude,—to every outward appearance humbling themselves in prayer and adoration before God,—must be an imposing and impressive spectacle to him who first observes it, whether Mahommedan, Christian, Jew, or Pagan. 'It was a sight, indeed,' says Pitts, 'able to pierce one's heart, to behold so many in their garments of humility and mortification, with their naked heads and cheeks watered with tears, and to hear their grievous sighs and sobs, begging earnestly for the remission of their sins.' Burckhardt mentions the first arrival of a black Darfoor pilgrim at the temple, at the time when it was illuminated; and from eight to ten thousand persons in the act of adoration, who was so overawed, that, after remaining prostrate for some time, 'he burst into a flood of tears; and in the height of his emotion, instead of reciting the usual prayers of the visiter, only exclaimed—"O God! now take my soul, for this is paradise!"'

"As the sun descended behind the western mountains, the Cadi shut his book: instantly the crowds rushed down the mountains: the tents were struck, and the whole mass of pilgrims moved forward across the plain on their return. Thousands of torches were now lighted; volleys of artillery and

of musketry were fired: sky-rockets innumerable were let off; the Pasha's band of music were played till they arrived at a place called Mezdelfé, when every one lay down on the bare ground where he could find a spot. Here another sermon was preached, commencing with the first dawn, and continuing till the first rays of the sun appear, when the multitude again move forward, with a slow pace, to Wady Muna, about three miles off. This is the scene for the ceremony of 'throwing stones at the Devil;' every pilgrim must throw seven little stones at three several spots in the valley of Muna, or twenty-one in the whole; and at each throw repeat the words, 'In the name of God; God is great; we do this to secure ourselves from the Devil and his troops.' Joseph Pitts says, 'as I was going to throw the stones, a facetious hadji met me; saith he, "You may save your labour at present, if you please, for I have hit out the Devil's eyes already."' The pilgrims are here shown a rock with a deep split in the middle, which was made by the angel turning aside the knife of Abraham, when he was about to sacrifice his son Isaac. Pitts, on being told this, observes, 'it must have been a good stroke indeed.' The pilgrims are taught also to believe, that the custom of 'stoning the Devil' is to commemorate the endeavour of his satanic majesty to dissuade Isaac from following his father, and whispering in his ear that he was going to slay him.

"This 'stoning' in the valley of Muna occupies a day or two, after which comes the grand sacrifice of animals, some brought by the several hadjis, others purchased from the Bedouins for the occasion; the throats of which must always be cut with their faces towards the Kaaba. At the pilgrimage in question, the number of sheep thus slaughtered 'in the name of the most merciful God,' is represented as small, amounting only to between six and eight thousand. The historian Kotobeddyn, quoted by

Burckhardt, relates, that when the Caliph Mokteda performed the pilgrimage, in the year of the Hejira 350, he sacrificed on this occasion forty thousand camels and cows, and fifty thousand sheep. Barthema talks of thirty thousand oxen being slain, and their carcasses given to the poor, who appeared to him 'more anxious to have their bellies filled than their sins remitted.' One is at a loss to imagine where, in such a miserable country, all these thousands and tens of thousands of camels, cows, and sheep can possibly be subsisted; the numbers may be exaggerated, but there is no question of their being very great. The feast being ended, all the pilgrims had their heads shaved, threw off the *ihram*, and resumed their ordinary clothing; a larger fair was now held, the valley blazed all night with illuminations, bonfires, the discharge of artillery, and fireworks; and the hadjis then returned to Mekka. Many of the poorer pilgrims, however, remained to feast on the offals of the slaughtered sheep. At Mecca the ceremonies of the Kaaba and the Drura were again to be repeated, and then the hadj was truly perfumed. Burckhardt makes no mention of any females becoming hadjis by a visit to Arafat, though Ali Bey talks of two thousand. There is no absolute prohibition; but from what follows, no great encouragement for the fair sex to go through the ceremonies.

"'The Mohammedan law prescribes, that no unmarried woman shall perform the pilgrimage; and that even every married woman must be accompanied by her husband, or at least by a very near relation (the Shaffay sect does not even allow the latter). Female hadjis sometimes arrive from Turkey for the hadj; rich old widows who wish to see Mekka before they die; or women who set out with their husbands, and lose them on the road by disease. In such cases the female finds at Djidda delyls (or, as this class is called, Muhallil) ready to

facilitate their progress through the sacred territory in the character of husbands. The marriage contract is written out before the Kadhy; and the lady, accompanied by her delyl, performs the pilgrimage to Mekka, Arafat, and all the sacred places. This, however, is understood to be merely a nominal marriage; and the delyl must divorce the woman on his return to Djidda: if he were to refuse a divorce, the law cannot compel him to it, and the marriage would be considered binding: but he could no longer exercise the lucrative profession of delyl; and my informant could only recollect two examples of the delyl continuing to be the woman's husband. I believe there is not any exaggeration of the number, in stating that there are eight hundred full-grown delyls, besides boys who are learning the profession. Whenever a shop-keeper loses his customers, or a poor man of letters wishes to procure as much money as will purchase an Abyssinian slave, he turns delyl. The profession is one of little repute; but many a prosperous Mekkawy has, at some period of his life, been a member of it.'

"Burckhardt remained at Mekka a whole month after the conclusion of the hadj, at which time it appeared like a deserted town.

"'Of its brilliant shops one-fourth only remained; and in the streets, where a few weeks before it was necessary to force one's way through the crowd, not a single hadji was seen, except solitary beggars who raised their plaintive voices towards the windows of the houses which they supposed to be still inhabited. Rubbish and filth covered all the streets, and nobody appeared disposed to remove it. The skirts of the town were crowded with the dead carcasses of camels, the smell from which rendered the air, even in the midst of the town, offensive, and certainly contributed to the many diseases now prevalent.'

"Disease and mortality, which succeed to the

fatigues endured on the journey, or are caused by the light covering of the ihram, the unhealthy lodgings at Mekka, the bad fare, and sometimes absolute want, fill the mosque with dead bodies carried thither to receive the Imam's prayer, or with sick persons, many of whom when their dissolution approaches, are brought to the colonnades, that they may either be cured by the sight of the Kaaba, or at least to have the satisfaction of expiring within the sacred enclosure. Poor hadjis, worn out with disease and hunger, are seen dragging their emaciated bodies along the columns; and when no longer able to stretch forth their hand to ask the passenger for charity, they place a bowl to receive alms near the mat on which they lay themselves. When they feel their last moments approaching, they cover themselves with their tattered garments; and often a whole day passes before it is discovered that they are dead. For a month subsequent to the conclusion of the hadj, I found, almost every morning, corpses of pilgrims lying in the mosque; myself and a Greek hadji, whom accident had brought to the spot, once closed the eyes of a poor Moggrebyn pilgrim, who had crawled into the neighbourhood of the Kaaba to breathe his last, as the Moslems say, 'in the arms of the prophet and of the guardian angels.' He intimated by signs his wish that we should sprinkle Zemzem water over him; and while we were doing so he expired: half an hour afterward he was buried.

"The situation of Mekka is singularly unhappy, and ill adapted for the accommodation of the numerous votaries of Islam that flock thither to perform the rites of the pilgrimage. The town is built in a narrow valley, hemmed in by barren mountains; the water of the wells is bitter or brackish; no pastures for cattle are near it; no land fit for agriculture; and the only resource from which its inhabitants derive their subsistence is a little traffic, and the visits of the hadjis. Mr. Burckhardt estimates

the population of the town and suburbs at twenty-five to thirty thousand stationary inhabitants, to which he adds three or four thousand Abyssinian and black slaves.

"On the whole, notwithstanding all that Burckhardt records as to certain symptoms of enthusiasm in the course of his hadj, it is sufficiently plain, that even in the original seat of Mahommedanism, the religious feelings of the people have cooled down considerably. The educated Moslems every where are mostly of the sect of Mahomet Ali of Egypt, nor can we have any doubt that all things are thus working together for the re-establishment of the true religion in the regions where man was first civilized, and where the oracles of God were uttered. In the mean time, the decline of the arch-heresy of the East will be regretted by no one who judges of the tree by the fruit. 'A long residence,' says Burckhardt, 'among Turks, Syrians, and Egyptians' (and no man knew them better) 'justifies me in declaring that they are wholly deficient in virtue, honour, and justice; that they have little true piety, and still less charity or forbearance; and that honesty is only to be found in their paupers or idiots.'"

- الملحق الثالث

القرآن (الكريم)

مقدمة شارحة للمترجم لتوضيح بعض ما ورد في النص مع استطرادات مفيدة - الترجمة الكاملة للنص - تعليقات شارحة - النص الانجليزي كاملا .

مقدّمة شارحة للمترجم
لتوضيح بعض ما ورد في النص مع استطرادات مفيدة

يكتفي المسلمون - أو لنقل أنهم يجب أن يكتفوا- بالقول بأن القرآن الكريم هو كلام الله ، أما الخوض في مسائل فلسفية أو لنقل لاهوتية أو جدلية أو متعلقة بعلم الكلام فلن يكون لها أيّ سند علمي ، والقول بأن القرآن الكريم مخلوق يعني من بين ما يعني أنه يسري عليه ما يسري على المخلوقات من شيخوخة وموت ، وقابلية للتعديل والتبديل ، ونستعيذ بالله من ذلك ، وها هو القرآن الكريم شامخ يُتلى بكرة وأصيلا ، وقد اتفق كل المسلمين - على اختلاف مذاهبهم - عليه . وسواء كان الخطاب في القرآن الكريم موجهاً للنبي أو للذين آمنوا أو للكفار أو لليهود أو للنصارى أو لغيرهم فالمتحدث دائماً هو الله . وعندما يروي القرآن الكريم قصة موسى أو عيسى عليهما السلام فالراوي هو دائما الله سبحانه وتعالى ، وعندما ترد كلمات في القرآن الكريم على لسان فرعون أو غير فرعون ، فالله سبحانه هو المخبر بها . فتغير المخاطبين لا يشكل مشكلة عند المسلمين أبداً .

ووجود تشابه في حالات كثيرة ولا أقول قليلة بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في التوراة والانجيل ، أمر يؤكّد إسلام المسلم وصحّة دينه وليس العكس ، ولو أنّ القرآن الكريم كان منقولا من التوراة والأناجيل - كما يدّعي البعض لأغفل - أي القرآن - ذكرهما ، لكن القرآن الكريم ذكر التوراة ثمانية عشر مرّة ،

وذكر أن ﴿ ... فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ (التوبة) . كما أنّ القرآن الكريم ذكر الانجيل 12 مرّة ، بل وذكر أن ﴿ ... فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ... ﴿٤٦﴾ ﴾ (المائدة) . بل إن القرآن الكريم يذكر أنّ البشارة بالنبي محمد ﷺ يجدها أهل الكتاب مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل . جاء ذلك في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف : 157) والغريب أن المؤلف بوش يذكر هذا في الملحق الأول من هذا الكتاب مؤكّدا أن تفسير النجم الهابط من السماء في رؤيا دانيال يعني محمداً ﷺ كما فسرّ رؤيا يوحنا اللاهوتي بالشيء نفسه .

لا يمكن أن يكون القرآن الكريم ناقلاً عن التوراة والإنجيل ، ثم يذكرهما إنَّ طبيعة الأشياء أن يخفي الناقلون المصدر الذي نقلوا عنه وأن يُخفي السارق سرقته . ونعلم أنَّ بعض مدّعي العلم يسرقون أبحاث غيرهم ، وهم عندما يفعلون ذلك يذكرون ثبتا طويلا من المراجع ليس من بينها المرجع الذي سرقوا منه . وأذكر أنني نشرتُ بحثا في مجلّة عالم الكتب المنشورة في السعودية عن كُتب «الأمالي والمجالس والمحاضرات» فنقلتها بحذافيرها ومنهجها ومراجعها أستاذة كويتية وكتبت ثبتا طويلا بالمراجع ليس من بينها مرجعي هذا الآنف ذكره ، ولأن أساليب القضاء مكلّفة فقد آثرتُ الصمت لأنه لا يصح إلاّ الصحيح . وقد صحّ الصحيح وهو القرآن الكريم في سياقنا هذا ، ويكاد القرآن الكريم يَردُ بالترتيب على ما ورد في الكتب السابقة عليه من أخطاء . لقد خلق الله الكون في ستة أيام (واليوم هنا رمز لا ندري مدَّته على الحقيقة) لكن التوراة تذكر أنّ الله بعد أن خلق الكون تعب واستلقى ليستريح . هنا يقول القرآن الكريم مُصححا : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن

لُغوبٍ ﴿٣٨﴾ (ق :38) واللغـوب تعني التعب . لم يرفض القرآن الكريم الرواية التوراتية عن الخلق ولكنه صحَّحها . ويسوع المسيح هو روح الله وكلمة الله ، وأبرأ الأكـمه والأبرص بإذن الله وأحيى الموتى بإذن الله . كلُّ هـذا يُقرّه القرآن الكريم ولا يُعارض الأناجيل فيه ، لكنه يُصحح فرغم كل هذا فإن عيسى ابن مريم ليس هو الله ، وليس هو الرب إلاّ إذا كانت الرب تعني السيد أو العالي الشأن على نحو ما نقول رب الدار ورب الصنعة ورب الإبل . . . إلخ .

المهم أنَّ مؤلّف هذا الكتاب (بوش) لم ينقد المحتوى القرآني نقداً موضوعيًا وإنما هو موافق على ما جاء به ، كلّ ما في الأمر أنه يزعم أنّه منقول من التوراة والأناجيل ، مع أنه بشكل أو بآخر اعترف بأن محمداً عليه الصلاة والسلام نزل بأمر ربه ليقوِّم ما انحرف من الأديان السابقة .

ويعترف بوش بأن ما ورد في القرآن الكريم مما يخالف ما هو موجود في التوراة والأناجيل موجود أيضًا في أناجيل وأسفار شاعت في القرون الأولى للمسيحية ، ويصف هذه الأناجيل بأنها خاطئة . والسؤال هنا هو : لم لا تكون هي الصحيحة؟

والواقع أن المؤلف چورچ بوش أعفانا من التعليق على صحّة النص القرآني وكونه كاملا موثقا لم يعبث به أحد ، بل ولم يترجمه أحد لاستحالة ترجمته ، كما أنه أعفانا من ردّ بعض من قال إن الراهب بحيْرا ساعد محمد ﷺ على وضعه ، فبوش نفسه ينكر هـذا ويستشهد بباحث مسيحي آخر أثبت أن بحيْرا أو سرجيوس لم يغادر مكانه في الشام متوجها لشبه الجزيرة العربية . والأهم من كل هذا أن القرآن الكريم نزل منجّما أي مفرّقا وليس دفعة واحدة ، فهل كان الرسول ﷺ كلّما أراد (تأليف) آية (والعياذ بالله) ارتحل إلى الشام ليستعين ببحيْرا هذا أم أنه كان يستدعيه بشكل سري ليأتي إليه قاطعا الفيافي مارّاً بكل هذه القبائل التي تتشمّم ريح الغريب من بعد فرسخ !؟ !

وبعد أن انتشر القرآن الكريم هذا الانتشار الواسع وحقق الإسلام النصر بإذن الله ، ألم يكن من الطبيعي أن يأتي بحيْرا أو غير بحيْرا طالبا نصيبه في العائد الذي حقّقه هذا الكتاب ؛ لكننا لم نسمع شيئا كهذا من مصادر إسلامية أو مسيحية أو يهودية .

ليس هناك الآن اتفاق كامل ولا حتى شبه كامل على نص التوراة والأناجيل ، فقد ظلت تروى شفاهة ويُلقّن الناس معانيها على وفق فهم الراهب أو الحبر أو القس مدّة طويلة ، وبالنسبة للنسخ العربية التي يتداولها الناس لم تتم إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهي ترجمة ركيكة غير مفهومة حتى بالنسبة لبعض المسيحيين ، والأمر فيما نظن بحاجة إلى ترجمة أوضح . ونفضل هنا نقل مقدمة فهرس الكتاب المقدس المسيحي كما هي :

«في 23 أغسطس سنة 1864 تم إنجاز الترجمة العربية للكتاب المقدس بكامله ، واشترك في هذا العمل الجليل الدكتور عالي سمث والمعلم البستاني والشيخ ناصيف اليازجي والدكتور كرنيليوس فان ديك والشيخ يوسف الأسير الأزهري .

وفي 29 مارس سنة 1865 تم الاحتفال بإنجاز الطبعة الأولى الكاملة من الكتاب المقدس . وعلى إثر انتشاره بدت الحاجة ماسة إلى إعداد فهرس للكتاب المقدس يكون معوانا للدارسين والباحثين من اللاهوتيين والعلمانيين» .

أين هذا من النص القرآني الذي حاول كثيرون أن يجدوا فيه اختلافا فاستحال هذا ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . لازالت التوراة والأناجيل تُترجم حتى الآن ولازال التعديل فيها جارياً حتى الآن ، ومخافة أن تطول هذه المقدمة أكثر مما هو مقدّر لها ، أحيل القارئ المهتم بالموضوع إلى القسم الخاص بالتفسير الديني للتاريخ في كتاب **(المدخل إلى علم التاريخ)** الذي نشرته مكتبة دار المريخ في كل من القاهرة والرياض منذ عدة سنوات .

ولمن أراد دراسة توثيق النص القرآني المكتوب فنحيله إلى كتاب : **المصاحف لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني** ، رغم ما فيه من تفاصيل غير مؤكّدة وهي سمة من سمات كتب التراث التي تستخدم منهج العنعنة في نقل أخبارها . ولم يعتبر الشيعة اختلاف طريقة قراءة القرآن فيما يعرف بالقراءات ، اختلافا ولم يعترفوا بنزول القرآن على «**سبعة أحرف**» وإنما اعتبروا هذه القراءات جميعا واحدة ، وقد بين هذا أبو القاسم الموسوي الخوئي في كتابه : (**البيان في تفسير القرآن ، جـ١ ، ص ١١٩ ، طبعة المطبعة العلمية بالنجف**) وبصرف النظر عن منهجه في اعتماد الأحاديث أو رفضها ، نرانا لا نعترض على تأكيده على مقالة جعفر الصادق «**نزل القرآن على حرف واحد من عند الواحد**» ، «إن القرآن واحد ، نزل من عند الواحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة» .

والذي نفهمه أن الرجل لا ينكر اختلاف طريقة النطق بين الناس ترقيقاً وتخفيفاً ومداً وإمالة وفصلا ووصلا وغُنّة وما إلى ذلك ، وإنما يريد أن يقول إن النص القرآني واحد ؛ كلماته واحدة ، وفقراته واحدة ومعناه واحد . . . إلخ .

الترجمة الكاملة للنص

P.227 كلمة (قرآن) مشتقّة من الفعل (قرأ) أو كما نقول بالانجليزية to read وهذا يعني القراءة أو المفتاح أو الدليل التفسيري (النص : Legend **والكلمة تعني أيضا الأسطورة أو الخرافة ولا ندري علاقة هذا بالفعل قرأ)** أو النص الذي يجب أن يُقرأ . والمسلمون عندما ينطقون كلمة قرآن لا يَعْنون النص كله (المصحف بكامله) فحسب وإنما أيَّ سورة فيه أو أيّ قسم منه وهم في هذا مثل اليهود الذين يطلقون - في لغتهم - على كتابهم المقدس كله أو أيّ جزء منه كلمة قراه Karah أو مقراه Mikra ، وهما كلمتان مشتقّتان من الأصل اللغوي نفسه الذي اشتق منه القرآن ، كما أنهما تحملان المفهوم نفسه . ولابد أن نعتبر هذا الكتاب (القرآن الكريم) مصدراً للشريعة والدين والأخلاق التي نشرها محمد بين أهل شبه الجزيرة العربية بوصفه مشرِّعا ونبيّا . ولا تنفصل الشريعة الإسلامية عن العقيدة (الثيولوجيا الإسلامية) فالإختصاصي في الشريعة هو أيضا إختصاصي في العقيدة والعكس بالعكس ، فالفاصل بينهما لا وجود له ذلك لأن القرآن (الكريم) هو كتاب الشريعة الوحيد عند المسلمين ، كما أنه يضم أيضا عقائدهم الدينية . فالشريعة Law التي قامت عليها كل عقائدهم Their theology واجتهاداتهم وقوانينهم موجودة في القرآن (الكريم) تماما كما أن الشريعة المدنيّة عند اليهود موجودة في أسفار موسى الخمسة .

ومجموعة الأحاديث المروية عن النبي (محمد ﷺ) التي تشمل أقواله وأفعاله هي بمثابة ملحق للقرآن (الكريم) ويُطلق عليها المسلمون اسم السنَّة . وهذا الوضع يشبه تماما المشناه Mishna التي عند اليهود والتي تضم تراثهم الشفهي (أو مروياتهم الشفهيَة) .

(*) ما بين قوسين ، والاسود توضيح من (المترجم) .

وينقسم القرآن (الكريم) إلى 114 سورة portions ، وكل سورة تنقسم إلى آيات ، والتقسيم إلى آيات يشبه على وجه التقريب ما عندنا من آيات verses (في كتابنا المقدس المسيحي) لكن ليس بالضبط .

ومن الواضح أنه ليس هناك شيء يشبه التخطيط أو المنهج في ترتيب السور أو الآيات . وليس هناك بيان بوقت نزولها ولا بموضوعها (محتواها) ، P.228 فليس أي منهما هو أساس الترتيب ، فالآيات والسور - في الحقيقة - موضوعة كيفما اتفق دون نظام أو معنى . فقلما ترتبط آية بالتي تليها ، فليست هناك حالة واحدة ارتبطت فيها اثنتا عشرة آية إلاّ في حالة القصص القرآني (السور التي تناولت قصص الأنبياء مثلا) مثل قصة إبراهيم وقصة يوسف وفرعون ، وكلا القصتين محرّفتان عن الكتب المقدسة المسيحية واليهودية ،(هكذا يعتقد المؤلف) وفيما عدا هذا فالآيات تبدو فرادى منعزلة عن أيّ سياق ، ومن الصعب - بل من المستحيل - أن نكتشف الصلة بينها . كذلك من الصعب فهم تتابع السور في القرآن (الكريم) ويكفي أن نذكر للقارئ عناوين السور التسع الأولى فهذا يعطيه فكرة حرَّة عن ترتيب السّور وطبيعة الموضوعات التي تعالجها :

1- الفاتحة 2- البقرة 3- آل عمران 4- النساء 5- المائدة

6- الأنعام 7- الأعراف 8- الأنفال 9- براءة (التوبة)

وبالنسبة لخطة هذا الوحي الزائف وتكوينه ، يُلاحظ أنَّ محمدّاً جعل الله هو المتكلّم في هذا النص (القرآني)(*) . هذا ما يتبادر للقارئ عندما يقرأ - بتمعن - المقتطفات القرآنية التي أوردناها فالخطاب في القرآن موجّه - مباشرة - للنبي (محمد ﷺ) مخبراً إيّاه بما يُبلغه لأهل بلده وللعالم ، وفي حالات أخرى يوجّه القرآن (الكريم) أوامره ووصاياه ووعوده وتهديداته - مباشرة- إلى غير المؤمنين أو إلى المؤمنين على وفق ما يقتضيه السّياق . والأمثلة التي سنوردها قد تكون عيِّنةً دالة على الكتاب كله (القرآن) .

(*) هذا إدعاء المؤلف السافر الزائف ، وهو يختلف مع إيمانه بالتوراة والإنجيل ككتب مقدسة (أي منزله) وقد رددنا عليه في المقدمه الشارحه لهذا الملحق . إنه لمن الظالمين . (المترجم)

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) ﴾ (الأنعام: 33، 34).

P.229 ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨) ﴾ (الأنعام: 56-58).

وكلمة «قل» التي ترد كثيراً في القرآن (الكريم) تسبق بشكل عام العبارات أو الفقرات التي تضم رسالة للناس وإن كان معناها «أجب Answer» فإنها تستخدم لتحاشي اعتراضات (حول أمور) افتراضية أو غَيْبية أو لتحاشي المسائل المشكوك فيها والتي لا حلّ لها. ﴿ ... وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) ﴾ (البقرة: 219، 220). وعادة ما تُصاغ الأوامر الإلهية الأخرى في صياغة كالتالي:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾ (يونس: 108).

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ﴾ (يونس: 13). (النص الإنجليزي: ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة . . .) «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا . . . الخ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) ﴾ (التوبة: 123).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الحجرات : 2) .

وفي صدر كل سورة من سور القرآن - خلا السورة التاسعة - نقرأ هذه الصيغة الوقورة «بسم الله الرحمن الرحيم» ويسمى المسلمون هذه **P.230** العبارة بالبسملة ، ويُصدِّرون بها بشكل عام كل كتبهم ورسائلهم لتكون سمة مميّزة لدينهم لدينهم ، ويعتبر حذفها دالاً على عدم التقوى ، ويستخدم اليهود للغرض نفسه عبارة «باسم الله» أو باسم الله العظيم» أما المسيحيون الشرقيون فيستخدمون عبارة «باسم الآب والابن والروح القدس» .

ويشكل عام نجد أن القرآن (الكريم) يتفق مع العهد القديم في التفاصيل التاريخية التالية : قصة الخَلْق ، وعصيان آدم لربّه ، ونجاة نوح وأهله بركوبهم الفُلك Ark ، وبدعوة إبراهيم ، وقصتي إسحاق وإسماعيل ، وقصة يعقوب وآباء البشر ، واعتبار اليهود هم شعب الله المختار (*) ، وبنبوَّة موسى ومعجزاته ، وبصحة ما قاله المؤرخون والأنبياء وأصحاب المزامير اليهود خاصة داود وسليمان وأخيراً يقول الإسلام بعودة المسياه Messiah وما يرتبط به من نبوءات .

ومرة أخرى نجد القرآن (الكريم) يتفق مع العهد الجديد (الأناجيل) في الاعتراف بأن يسوع المسيح هو نفسه المسياح Messiah المنتظر الذي ينتظره اليهود ، ويتفق مع العهد الجديد في الحمل الإعجازي بالمسيح ، وأن هذا تم بالنفخ breath أو بتعبير آخر النفخ من روح الله ، وفي طهارة مريم العذراء ، وفي تسمية المسيح بكلمة الله Logos وفي الميلاد الإعجازي ليوحنا المعمدان ابن زكريا الذي مهَّد الطريق لعيسى (بن مريم) أو بتعبير آخر كان بشيراً به ، وفي قيام المسيح بكثير من المعجزات كإبراء المريض وإحياء الموتى وإخراج الشياطين

(*) هذه الآية منسوخة ، فالله سبحانه في الإسلام هو رب العالمين ، وكان تفضيل اليهود في مرحلة من المراحل . (المترجم) .

وإصدار الأوامر لهم(*) ، وفي معارضة قومه (أهل بلده his own Countrymen) له واضطهاده ، وفي إدانة الصلب ، وفي القول برفع جسده إلى السماء ، وفي قيامه - في السماء - بدور الوسيط والشفيع بين الله والإنسان ، وفي قيامه **P.231** بالحكم to Judge بين الناس يوم القيامة At the iast day .

وعلى أية حال فإن محمداً (ﷺ) بعد أن تأثر ببعض الهرطقات القديمة - كما سيظهر من الفقرات (يقصد الآيات) التالية ، عاد فأنكر صلب المخلّص (المقصود المسيح Saviour) :

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ (النساء : 156-158) .

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)﴾ (آل عمران : 52-54) .

(المترجم : النص الانجليزي للآية كما أوردها المؤلف يختلف شيئا ما إذ يجري هكذا : وحَبَكَ اليهود المؤامرات ضده ، وحَبَكَ الله المؤامرات ضدهم والله هو خير الماكرين) . وكلمة «المكر Stratagem» على وفق فهم المسلمين لها تعني رفْع الله المسيح إلى السماء وإلقاء شبهه على شخص آخر فتم صَلْبه (أي هذا الشخص الآخر) بدلاً من المسيح (عليه السلام) .

هذا التوافق بين القرآن (الكريم) والأناجيل في مواضع كثيرة قد اختلط بشكل غريب بأمور متضاربة تضارباً شديداً أدّت إلى تحريف غريب ومبالغات لا محل لها . وهذا يجعلنا نقول إن الحقائق الصادقة التي أوردها

(*) يشير القرآن الكريم إلى أن هذا لا يكون إلاّ بإذن الله وأمره . (المترجم) .

القرآن عن المسيح ، استقاها مباشرة من الأناجيل القانونية (المعتمدة) ، أما القصص والحكايات غير الصادقة فقد استقاها - في جانب منها- من الروايات التلمودية وكتابات الرابيين (الحاخامات) اليهود ، واستقى بعضها الآخر من الأناجيل غير المعترف بها (الأبوكريفا) أو من أسفار آدم وسيث . Enoch , Seth ونوح وغيرها من الأسفار الموضوعة (الكاذبة أو المفبركة) المعروفة جيداً في تاريخ الكنيسة والتي انتشرت بين الهراطقة في القرون الأولى ، انتشاراً كبيراً .

وقد لا يبعد عن سياقنا هذا أن نذكر نموذجا أو نموذجين يبيّنان نصّين مشهورين من العهد القديم (التوراة وملحقاتها) قد تكرر ورودهما في القرآن (الكريم) .

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ (هود :70- 80) .

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ (الصافات : 99- 106) .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (آل عمران : 38 - 49) .

مع اتفاق القرآن الكريم مع العهدين القديم (التوراة وملحقاتها) والجديد (الأناجيل وملحقاتها) فإنه - أي القرآن (الكريم) يضل عن التزامه بما ورد في الكتاب المقدس المسيحي (بعهديه القديم والجديد) بسبب إغفاله ما ورد به من مشاعر ودلالات خيالية وأسلوب مميز . الحقيقة أن أفضل منظور ننظر منه للقرآن هو أنه تقليد زائف للوحيين اليهودي والمسيحي . وقلما يتبين المرء الذي لم يدرس محتوى كليهما (القرآن ، والكتاب المسيحي المقدس بعهديه) مدى التشابه بينهما بمعنى مدى انتحال القرآن لما ورد فيهما(*) . وعلى أية حال ، فإن القرآن قد تمت صياغة محتواه - إلى حد كبير - من مواد من العهدين القديم والجديد ، وهذا أمر لا جدال فيه ولا يمكن لأحد أن ينكره ، ونورد فيما يلي أمثلة على ذلك لكنها ليست الأمثلة الوحيدة ، فهناك مئات أخرى من الأمثلة التي تؤكد التشابه بينهما بل التماثل أيضًا . طالع الجدول التالي :

(*) لقد حفظ الله سبحانه وتعالى القرآن من الإنتحال والزيف ، فيسر لكثيرين من المسلمين حفظه في صدورهم . وما ذلك إلا لإنه الدين الخاتم . (المترجم)

P.234

القرآن الكريم

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ﴾

(البقرة : 262) .

﴿ . . .وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ . . . (٨٧) ﴾

(البقرة : 87) .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ . . .(٤٥) ﴾

(المائدة : 45) .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا

الكتاب المقدس المسيحي

«احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم (أي تقدموا صدقتكم) قُدّام الناس لكي ينظروكم وإلاّ فليس لكم أجرٌ عند أبيكم الذي في السماوات» .

(متى : 1/6) .

«يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوّات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون»

(أعمال الرسل : 2/ 22) .

«وإن حصلت أذية تُعطي نفسًا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدًا بيد ورجلا برجل وكيًا بكي وجرحًا بجرح ورضًا برض»

(سفر الخروج : 21/ 23، 24، 25) .

« . . بل أغلظت أذهانهم لأنّه حتى اليوم ذلك البُرقع نفسه عند قراءة

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ... (٢٥)﴾

(الأنعام : 25) .

العهد العتيق باق غير منكشف ، الذي يُبْطل في المسيح ، لكن حتى اليوم حين يُقْرأ موسى (يُقرأ بضم القاف وفتح الراء) البرقع موضوع على قلبهم»

(رسالة بولس الثانية : 3/ 14 وما بعدها) .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)﴾

(الأنعام : 37) .

«فقالوا له فأيّة آية تَصْنع لنرى ونؤمن بك»

(يوحنا : 6/ 30) .

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧)﴾

(آل عمران : 47) .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

(الأنعام : 73) .

«في البدء خلق الله السماوات والأرض . . . وقال الله ليكن نور ، فكان نور . .»

(تكوين : 1/1) .

﴿... فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ (يونس : 16) .

(المترجم : أورد المؤلف ما يفيد أن الآية تشير إلى أنه لبث فيهم أربعين

«في ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلاً جداً . . . ولما كملت لله مدّة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بني اسرائيل»

عاما ، وليست هناك آية بهذا المعنى .

النص كما أورده المؤلف :

I have already awelt among you to the age of forty years...)

(أعمال : 7/ 20 وما بعدها) .

«وفي آخر مملكتهم عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه وفاهم الحِيَل . .»

(دانيال : 8/ 23)

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ... ﴿١٠١﴾ ﴾

(يوسف : 101) .

«أميلوا آذانكم إلى كلام فمي ، افتح بمثل فمي . أذيع الغازا منذ القدم»

(مزامير : 78/ 1-2) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾

(الأنعام : 73) .

«والملاك الذي رأيته واقفاً على البحر وعلى الأرض رفع يده إلى السماء وأقسم بالحي إلى أبد الآبدين . . ألا يكون زمان بعد ، بل في أيام صوت الملاك السابع حتى أزمع أن يبوّق يتم أيضا سر الله . .»

(رؤيا يوحنا : 10/ 6-7) .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ

«لأنه كما أن السماوات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم وأحكم ، ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد

﴿اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾

(إبراهيم :48-51) .

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

(الكهف :28) .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ... ﴿٦١﴾﴾

(النحل :61) .

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

(طه :55) .

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ...﴾

(الإسراء :7) .

﴿... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾

(فصلت :34) .

يأتي ليسجد أمامي . . .»

(أشعياء :22-23) .

«ينكسر قلبي عندما أرى ازدهار أحوال الأشرار»

هذا هو المعنى الذي أورده المؤلف :

I'was envious at the foolish when I saw the prosperity of the wicked. Thus my heart was grieved.

إن أنت يارب آخذت الآثم ، فمن سيبقى

If thou, Lord, shouldst mark iniquities,o Lord who Shall stand.

« . . حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب وإلى تراب تعود»

(التكوين :3/ 19) .

«الشاكر يفيد روحه ، وقاس القلب يؤذي بدنه»

The merciful does good to his own soul but he that is cruel troubleth his own flesh.

«لا تردون الشر بالشر»

not rendering evil for evil, but contrariwise, blessing

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) ﴾

(الأعراف : 194) .

«ادعوا أسماء أربابكم ، وسأدعو اسم إلهي ، فلما دعوا بصوت عال لم يتلقوا أية إجابة»

Call ye on the name of your Gods, and I will Callon the name of the Lord. And I will Callon the name of the Lord. And they Cried aloud. And it Came to pass that there was neither voice nor any to answer.

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) ﴾ (المعارج : 43) .

«وسيسمع كل من في القبور صوته ، فيقومون ، وتمثل كل الأمم والشعوب أمامه

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) ﴾ (الحج : 47) .

.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس . .» (المزامير : 90/ 4) .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ... (٢٤) ﴾

(الكهف : 23) .

«والجاهل يُكثر الكلام . لا يعلم إنسان ما يكون وماذا يصير . . . تَعَبُ الجهلاء يعيبهم لأنه لا يعلم كيف يذهب إلى المدينة»

(الجامعة : 14-15) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ... (١٨٧) ﴾

(الأعراف : 187) .

ليس من إنسان يعرف هذا اليوم وهذه الساعة . ، ولا يعلمها الملائكة في السماء ، ولا يعلمها الابن Son فالعالم بها هو الآب Father وحده .

But of that day and that hour knoweth no man; no, not the angels which are in heaven, neither the Con, but the Father.

سيظهر من الأمثلة التي سقناها آنفا مدى وضوح انتحال القرآن الكريم ، وأن كوْن القرآن منحولا ليس قصراً على حقائق التوراة والأناجيل ورواياتهما ، وإنما يمتد إلى كثير مما ورد بهما من تفاصيل دقيقة : في منهج التفكير والشخوص (الأعلام) بل وحتى في أشكال التعبير . بل إننا نقابل أمثلة عديدة تدل على هذا الانتحال الغريب تدين هذا الناسخ (أو الناقل) ووقوعه في تزييفات محضة تدل على الجهل ، فهو يجعل النبي إيليا[1] EliJah (الخضْر) معاصراً لموسى ، ويجعل إبراهيم الخليل على وشك ذبح ابنه إسماعيل بَدلا من إسحاق[2] ، ويجعل شاول[3] Saul هو الذي قاد العشرة آلاف إلى حافة النهر بدلا من جدعون ، بل ويقع في خطأ شنيع بأن جعل مريم أم يسوع هي نفسها مريم أخت موسى[4] !

إن الاحتذاء الواضح لهذا الوحي الزائف للكتب المقدسة السابقة عليه ، والعجز الحقيقي أو المفترض لمؤلّفه (مفبركه) كان - وهذا طبيعي تمامًا- من المحتّم أن يثير قضايا وأسئلة عن تاريخ تأليفه (يقصَد القرآن الكريم) . غالبية من كتب عن الإسلام (يقصد من الأوربيين) يأخذون بما أخذ به المسيحيون الشرقيون إذ يتفقون بشكل عام على الافتراض القائل بأن محمداًﷺ عند تأليفه القرآن كان يلجأ لمساعدة واحد أو أكثر اشتركوا معه . ومن المؤكد - من خلال النص القرآني نفسه - أن هذا الاتهام قد واجهه في مستهل الدعوة .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ (الفرقان : 4) .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل : 103) .

لكن هذا الإنكار المتشدِّد الذي أبداه هذا النبي لم يكن مُقْنعًا ، فغير المصدِّقين في المملكة المسيحية استمروا إلى جانب أهل مكة ، فلم يدخل الدين الدَّعى ولم يشترك في الدعوة إليه إلاّ عدد لا يتجاوز الثمانية أشخاص أو العشرة . (المقصود

في المرحلة المكية) . والاعتقاد الأكثر شيوعا هو أنَّ محمداً تلقّى العون الرئيسي (على وضع القرآن أو تأليفه) من راهب مسيحي على المذهب النَّسطوري اسمه سرجيوس Sergius يُفترض أنه هو نفسه بُحيْرا الذي تعرف به - أي محمد ﷺ - في فترة باكرة من حياته ، في بُصْرى Bosra في الشام Syria وعن هذه المسألة يحدثنا الكاتب سيل Sale فيقول : «إن كان بحيْرا وسرجيوس اسمين لشخص واحد ، فإنني لا أجد أدنى اشارة لدى الكتاب المسلمين أنه ترك ديره ليتوجه إلى شبه الجزيرة العربية ، كما أنّ تعرّفه على محمد في بُصرى كان في فترة باكرة جداً مما يدحض القول بأنه ساعده في (إعداد) النص القرآني ، رغم أنّ محمداً ربما يكون قد علم بعض المعارف عن المسيحية والكتاب المقدس المسيحي استخدمها في هذا الأمر» .

وعلى أية حال فإن هذا الكاتب نفسه يتفق مع الكاتب بريدو Prideaux وغيره في أن محمداً ﷺ يعتبر هو المخطّط الأصلي للقرآن ومؤلّفه ، وربما أعانه في ذلك- على نحو ما - آخرون ، رغم حذره الشديد- أي محمد- الذي جعلنا حتى هذا اليوم غير قادرين على معرفة هؤلاء الذين ساعدوه ولا إلى أيٍّ مدى كانت هذه المساعدة . فلم تتأكد أبدا هذه الدعوى القائلة بأن آخرين ساعدوا محمداً على تأليف القرآن ، وليست هناك أدلة مقنعة على هذا ، فالمسألة كلها لا تعدو قصصاً افتراضيّة صيغت لمواجهة صعوبة تفسير هذه المسألة (مسألة النص القرآني وكيفية ظهوره) ، فالصعوبات حول هذا الموضوع لم تنقشع جميعا رغم الاعتقاد العام السائد (بين الكتاب المسيحيين الذين أوردناهم آنفا) . فمن هو هذا القادر في هذه الفترة الحالكة على وضع نص كهذا؟ (التساؤل هنا يعني : كهذا النص الراقي) . هذا الوحي المدَّعى بادعائه استقلاليته عن كتبنا المقدسة ، يضم - رغم هذا - فقرات (آيات) أرقى كثيراً من أيّ بقايا أدبية تعود للقرن السابع - سواء كانت يهودية أو مسيحية ، فهذه الآثار الأدبية أدنى كثيراً بلا شك من محتويات ذلك الكتاب المقدس Sacred Volume الذي يفترض القرآن - مجدّفا-

أنه يشبهه ويكمله . وعلى هذا فستظل مسألة حقيقة القرآن مسألة لا حلَّ لها إلى الأبد ، فليس لدينا أدلة حاسمة على تاريخ «وضع» القرآن (الكريم) ولا نعرف إلى أي مدى كان محمد عارفا بالكتب المسيحية المقدسة .

وليس من السهل ترجمة القرآن (**الكريم**) وبالنسبة للذين تعرّفوا عليه في لغته الأصلية ، فهناك اعتراف عالمي بأنه - أي القرآن - يتّسم بامتياز لا حدّ له لدرجة أنه لا يمكن ترجمته لأية لغة أخرى . انه - أي القرآن (**الكريم**) - نموذج يحتذيه اللسان العربي . انه مكتوب في معظمه بأسلوب نقى أنيق ، تكثر فيه الشخصيات الجريئة على النسق الشرقي ، ويجنح إلى الإيجاز مما يؤدي به - غالبا - إلى الغموض . ورغم أنه مكتوب بالنثر ، إلاّ أن آياته عادة ما تنتهي بسجع (كأنه قافية) ، وقد تتباعد القوافي مما يؤدي إلى تداخل المعاني وإلى تكرار لا مبرر له . وخصائص النص القرآني برغم استعصائه على الترجمة - تحظى بتقدير يفوق الوصف لدى العرب الذين ألِفت آذانهم إيقاعه وتكوين فقراته وكيفية انتهاء آياته .

وإذا ما انتقلنا من مجرد الصوت إلى طريقة الأداء التي تَسم «الكتاب الثاقب أو الحاد ذهنه The perspicuous book» وجدنا من الثابت أن أجمل آياته هي تلك التي لا تتسم بالأصالة . (**ربما يقصد : غير المستقاة من الكتب المقدسة السابقة عليه**) . يلاحظ السير وليم جونز أن «القرآن - حقا - يتألّق بنور مستعار ، طالما أن معظم ما فيه من جمال مأخوذ من كتبنا المقدسة لكنه يتسم بجمال عظيم لدرجة أن المسلمين لن يقتنعوا بأنه جمال مستعار» فعند تعرّضه لجلال الله وصفاته وتنوع الخَلْق وعظمته ، نجده - أي القرآن - غالبًا ما يسمو سموًا هائلا لدرجة مؤثّرة تفوق الوصف . ومع هذا ففي معظم الأمثلة من هذا النوع يجد الكاتب أنها دائما أدنى من الأصل المأخوذة عنه . بل إن نتيجة الفحص النزيه غير المتحيز لكتاب المسلمين المدَّعى (**بقصد القرآن الكريم**) حتى في طبعته الإنجليزية ، كما توصّل إليها الكتاب المسيحيون سواء فيما يتعلق بما فيه من جمال

أو فيما يتعلق بالمعاني المبثوثة فيه ، قلّما تكون عادلة رغم ما يعتري تأليفه من عيوب ورغم الاقتناع بما فيه من نقص شائن . وعلى أية حال فإنه (**يقصد القرآن**) أدنى من مستوى كثير من الانتاج (**الأدبي**) البشري الموجود بمختلف اللغات وفي أنحاء الأرض ، بصرف النظر عن دعواه بأنّه ليس من كلام البشر بلاغةً ومعنى .

فمع وجود آيات ذوات جمال حقيقي وقوة يصادفها المرء فيه ، إلاّ أنه بشكل عام مختلط اختلاطًا غريبا ففيه ما هو سام . وقد ارتبط أيضا ارتباطا وثيقا بما هو سخيف ، مضحك ، مرعب ، حتى أنّ كل سورة فيه بل وكل صفحة أو فقرة فيه ، كثيرا ما تضم بالتأكيد عواطف متناقضة كأشد ما يكون التناقض . فمشاعر الاحترام والازدراء والإعجاب والاشمئزاز تتوالى توالياً سريعاً ، أو بتعبير آخر يعقب بعضها بعضا في نفس المرء بشكل متوال ، بحيث لا تترك انطباعا ثابتاً واحداً في النفس (أو العقل)» .

تعليقات شارحة من وضع المترجم

(1) من الذي جعل المؤلف يقول إن النبي إيليا هو الخضر عليه السلام ، فالخضر في التراث الإسلامي مجرد عبد صالح آتاه الله علما من عنده ، ولا أحد يعرف مكان ميلاده ولا متى كان ، ولا أحد يعرف مكان موته ولا متى كان ، أما إيليا فقد ورد في سفر الملوك منسوبا إلى فترة بعينها ومكان بعينه ، وورد اسم إيليا كذلك في الأناجيل .

وعلى فرض أن إيليا هو بالفعل الخضر عليه السلام فإن باحثين مسيحيين يقولون إنه كان معاصراً لموسى وأنه ظهر معه على جبل التجلّي . راجع في هذا : دائرة المعارف الكتابية ج 1 مادة إيليا ، ص 574 وقد ذكرت الدائرة أن هذا ثابت في إنجيل متى .

(2) اختلاف الروايات حول من اعتزم ابراهيم الخليل التضحية به ، هل هو إسماعيل أم إسحق ، لا يعني بالضرورة أن الكتاب المقدس المسيحي هو الصحيح ، فكل الأدلّة المتوارثة والتي لازالت موجودة ، تشير إلى تراث تناقله العرب على أن اسماعيل عليه السلام هو المقصود ؛ فها هو بئر زمزم لايزال موقراً تخليداً لذكرى الإنقاذ الإعجازي للرضيع ، وها هو مكان رمي الجمرات تذكيراً بطاعة ابراهيم لربه وتصديقه للرؤيا ، وها هو المكان الذي رفع فيه إبراهيم وابنه اسماعيل القواعد من البيت ، وها هو الشاهد الجغرافي الساطع بأن إبراهيم أسكن من ذريته بواد غير ذي زرع . أبعد كل هذا التراث المتناقل المحدد المعالم ، ننكر اسماعيل ، فأين كل هذا من القول بأن اسحاق هو الذبيح . ترجيح رواية العهد القديم هنا خروج عن المنهج العلمي القويم .

(3) عن **جدعون وشاول** ، انظر التناقض الواضح في الروايات . راجع : دائرة المعارف الكتابية وقاموس الكتاب المقدس .

(4) لم يرد في تفاسير القرآن الكريم (**ابن كثير مثلاً**) أن مريم ابنة عمران هي مريم أم موسى . بل إن ابن كثير يقول : **امرأة عمران** هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنّة بنت فاقوذ . . . إلخ . راجع التفسير المذكور (سورة آل عمران آية 35 و36) .

[C]

THE KORAN.

THE word KORAN, derived from the verb KARA, *to read*, properly signifies *the reading*, *legend*, or *that which ought to be read*; by which name the Mohammedans denote not only the entire book or volume of the Koran, but also any particular chapter or section of it, just as the Jews, in their language, call the whole Scripture, or any part of it, by the name of *Karah*, or *Mikra*, words of precisely the same origin and import as Koran. This book must be regarded as the code of laws, religion, and morality, which Mohammed, in his character of legislator and prophet, promulgated to the people of Arabia. As it is therefore the only book of law among the Mussulmans, and comprehends also the religious doctrines which they are taught to believe, it follows, that with them a doctor in the law is also a doctor in theology, which two professions are wholly inseparable. This law, upon which is founded all their theology and jurisprudence, is comprised in the Koran, in the same manner as the civil code of the Jews is comprised in the five books of Moses.

The collection of moral traditions, composed of the sayings and actions of the prophet, and forming a kind of supplement to the Koran, the Moslems call the *Sonnah;* just as the Jews have denominated the book containing their oral traditions, the *Mishna.*

The entire Koran is divided into one hundred and fourteen portions, which are denominated *Suras*, or chapters; and these again into smaller divisions, called *Ayat*, answering nearly, though not exactly, to our verses.

There appears to be an entire absence of any thing like design or method in either the larger or the

smaller divisions. Neither the time at which they were delivered, nor the matter they contain, was the rule by which they were arranged. They were, in fact, apparently thrown together without order or meaning. One verse has seldom any connexion with the preceding; and the same subject, unless it be some narrative, such as that of Abraham, Joseph, or Pharaoh, distorted from the Sacred Scriptures, is in no case continued for a dozen verses in succession; each one appears an isolated precept, or exclamation, the tendency and pertinence of which it is often difficult and frequently impossible to discover. The first nine titles will convey to the reader a fair conception of the arrangement, and something of the nature, of the subjects enbraced in the whole. 1. The Preface. 2. The Cow. 3. The Family of Iram. 4. Women. 5. Table. 6. Cattle. 7. Al Araf. 8. The Spoils. 9. The Declaration of Immunity.

As to the plan or structure of this pseudo-revelation, it is remarkable that Mohammed makes God the speaker throughout. This should be borne in mind by the reader in perusing the extracts given in the preceding work. The addresses are for the most part made directly to the prophet, informing him what he is to communicate to his countrymen and the world; in other cases, the precepts, promises, or threatenings are addressed immediately to the unbelievers, or the faithful, according as the burden of them applies to the one or the other. The following citations may serve as a specimen of the whole book. "Now we know that what they speak grieveth thee: yet, they do not accuse thee of falsehood; but the ungodly contradict the signs of God. And apostles before thee have been accounted liars: but they patiently bore their being accounted liars, and their being vexed, until our help came unto them." "Say, Verily I am forbidden to worship the false deities which ye invoke besides God. Say, I

will not follow your desires; for then should I err, neither should I be one of those who are rightly directed. Say, I believe according to the plain declaration which I have received from my Lord; but ye have forged lies concerning him." The word "Say," which is almost of perpetual occurrence in the Koran, is generally prefixed to the sentences or paragraphs containing a message to the people; and the word "Answer" is employed wherever any hypothetical or foreseen objections are to be obviated, or any doubtful questions to be resolved. "They will ask thee also what they shall bestow in alms: answer, What ye have to spare. They will also ask thee concerning orphans: answer, To deal righteously with them is best; and if ye intermeddle with the management of what belongs to them, do them no wrong; they are your brethen: God knoweth the corrupt dealer from the righteous; and if God please he will surely distress you, for God is mighty and wise." To others the Divine mandates are usually couched in the following style: "O men, now is the apostle come unto you with truth from the Lord; believe, therefore; it will be better for you." "We have formerly destroyed the generations who were before you, O men of Mecca, when they had acted unjustly, and our apostles had come unto them with evident miracles, and they would not believe. Thus do we reward the wicked people." "O true believers, wage war against such of the infidels as are near you; and let them find severity in you: and know that God is with those that fear him." "O true believers, raise not your voices above the voice of the prophet; neither speak loud unto him in discourse, as ye speak loud unto one another, lest your works become vain, and ye perceive it not."

Immediately after the title, at the head of every chapter, with the single exception of the ninth, is prefixed the solemn form, "In the name of the

U

MOST MERCIFUL GOD." This form is called by the Mohammedans, *Bismillah*, and is invariably placed by them at the beginning of all their books and writings in general, as a peculiar mark or distinguishing characteristic of their religion: it being deemed a species of impiety to omit it. The Jews, for the same purpose, make use of the form, "In the name of the Lord," or, "In the name of the great God:" and the Eastern Christians that of, "In the name of the Father, and of the Son, and of the Holy Ghost."

In its general outline of facts, the Koran corresponds with the Old Testament in the following historical details: the accounts of the creation of the world; of the fall of Adam; of the general deluge; of the deliverance of Noah and his family in the ark; the call of Abraham; the stories of Isaac and Ishmael; of Jacob and the patriarchs; the selection of the Jews as God's chosen people; the prophetic office, miracles, and administration of Moses; the inspiration and authority of the Hebrew historians, prophets, and psalmists, especially of David and Solomon; and, lastly, of the promise of the advent of the Messiah, with many of the accompanying predictions respecting it.

Again, with the New Testament the Koran concurs in the recognition of Jesus Christ as the promised Messiah of the Jews; in his miraculous conception by the breath or Spirit of God; his immaculate nativity of the Virgin Mary; his title of Logos, or Word of God; in the miraculous birth of John the Baptist, son of Zecharias, as his forerunner; in his performance of many mighty signs and miracles, such as healing the sick, raising the dead, and controlling and casting out devils; in his rejection and persecution by his own countrymen; his condemnation to the death of the cross; his bodily ascension into heaven; his officiating there as a Mediator and Intercessor between God and man, and

as Judge of all men at the last day. After the example, however, of some of the ancient heretics, Mohammed, as appears from the following passages, denied the reality of the Saviour's crucifixion:—"And for that they have not believed in Jesus, and have spoken against Mary a grievous calumny; and have said, Verily we have slain Christ Jesus, the son of Mary, the apostle of God; yet they slew him not, neither crucified him, but he was represented by one in his likeness. They did not really kill him; but God took him up to himself: and God is mighty and wise." "And the Jews devised a stratagem against him; but God devised a stratagem against them; and God is the best deviser of stratagems." This stratagem, according to the Moslems, was God's taking Jesus up into heaven, and stamping his likeness on another person, who was apprehended and crucified in his stead. Their constant tradition is, that it was not Jesus himself who underwent that ignominious death, but somebody else in his shape and resemblance.

These numerous coincidences of the Koran with the facts and doctrines of the Bible are strangely interspersed with matter the most incongruous; with extravagant fables, monstrous perversions of the truth, and ridiculous and endless puerilities. This is accounted for on the supposition, that while the authentic facts were derived immediately from the canonical Scriptures, the fictions and absurdities were deduced in part from the traditions of the Talmudic and Rabbinical writers; and in part from the apocryphal Gospels, or from the books of Adam, of Seth, of Enoch, of Noah, and other similar fabrications, well known in church history as having been extensively in use among the heretics of the first centuries.

A specimen or two of the manner in which some of the best-known narratives of the Old Testament appear in the Koran, may not be unsuitably adduced here

"Our messengers also came formerly unto Abraham with good tidings. They said, Peace be upon thee. And he answered, And on you be peace! and he tarried not, but brought a roasted calf. And his wife Sarah was standing by; and she laughed: and we promised her Isaac, and after Isaac, Jacob. She said, Alas! shall I bear a son, who am old: this my husband also being advanced in years? Verily, this would be a wonderful thing. The angels answered, Dost thou wonder at the effect of the command of God? The mercy of God and his blessings be upon you. And when his apprehension had departed from Abraham, and the good tidings of Isaac's birth had come unto him, he disputed with us concerning the people of Lot; for Abraham was a pitiful, compassionate, and devout person. The angels said unto him, O Abraham, abstain from this; for now is the command of thy Lord come, to put their sentence in execution, and an inevitable punishment is ready to fall upon them. And when our messengers came unto Lot, he was troubled for them; and his arm was straitened concerning them; and he said, This is a grievous day. And his people came unto him, rushing upon him: and they had formerly been guilty of wickedness. Lot said unto them, O my people, these my daughters are more lawful for you: therefore fear God, and put me not to shame by wronging my guests. Is there not a man of prudence among you? They answered, Thou knowest that we have no need of thy daughters; and thou well knowest what we would have. He said, If I had strength sufficient to oppose thee, or I could have recourse unto a powerful support, I would certainly do it. The angels said, O Lot, verily we are the messengers of thy Lord; they shall by no means come in unto thee. Go forth, therefore, with thy family, in some part of the night, and let not any of you turn back: but as for thy wife, that shall happen unto her which shall happen unto them. Verily, the predic-

tion of their punishment shall be fulfilled in the morning.

"And Abraham said, Verily, I am going unto my Lord who will direct me. O Lord, grant me a righteous issue! Wherefore we acquainted him that he should have a son, who should be a meek youth. And when he had attained to years of discretion, and could join in acts of religion with him, Abraham said unto him, O my son, verily I saw in a dream that I should offer thee in sacrifice: consider therefore what thou art of opinion I should do. He answered, O my father, do what thou art commanded: thou shalt find me, if God please, a patient person. And when they had submitted themselves to the divine will, and Abraham had laid his son prostrate on his face, we cried unto him, O Abraham, now hast thou verified the vision. Thus do we reward the righteous. Verily, this was a manifest trial. And we ransomed him with a noble victim."

The following passage may serve to illustrate the correspondence of the Koran with the historical relations of the New Testament:—

"Zacharias called on his Lord, and said, Lord, give me from thee a good offspring, for thou art the hearer of prayer. And the angels called to him, while he stood praying in the chamber, saying, Verily, God promiseth thee a son, named John, who shall bear witness to THE WORD which cometh from God; an honourable person, chaste, and one of the righteous prophets. He answered, Lord, how shall I have a son, when old age hath overtaken me, and my wife is barren? The angel said, So God doth that which he pleaseth. Zacharias answered, Lord, give me a sign. The angel said, Thy sign shall be, that thou shalt speak unto no man for three days, otherwise than by gesture. And when the angels said, O Mary, verily, God hath chosen thee, and hath purified thee, and hath chosen thee above all the women of the world: when the angels said, O Mary,

verily, God sendeth thee good tidings, that thou shalt bear THE WORD, proceeding from himself; his name shall be Christ Jesus, the son of Mary; honourable in this world and in the world to come, and one of those who approach near to the presence of God: She answered, Lord, how shall I have a son, since a man hath not touched me? The angel said, So God createth that which he pleaseth: when he decreeth a thing, he only saith unto it, Be, and it is: God shall teach him the Scripture, and wisdom, and the law, and the Gospel; and he shall appoint him his apostle to the children of Israel."

But besides agreements with the Old and New Testaments of this palpable kind, the Koran betrays its obligations to the sacred volume by numerous coincidences, more or less direct, with the sentiments, the imagery, and the phraseology of Scripture. Indeed, the most interesting light in which the Koran is to be viewed is as a spurious resemblance of the inspired oracles of Jews and Christians. The extent to which the Bible of Mohammedans is made up of plagiarisms from the true revelation can scarcely be conceived by one who has not instituted a special inquiry into the contents of each, with the express design of tracing the analogy between them. Of the fact, however, of the Koran being constructed, in great measure, from the materials furnished by the Old and New Testaments, no one can doubt, who is assured that the following is but a specimen of hundreds of similar correspondencies which might easily be made out between the two.

BIBLE.	KORAN.
Take heed that ye do not your alms before men to be seen of them; otherwise ye have no reward of your Father which is in heaven.	Make not your alms of none effect, by reproaching or mischief; as he that layeth out what he hath, to appear unto men to give alms.
Jesus of Nazareth, a man approved of God among you by miracles and wonders, and signs which God did by him.	We gave unto Jesus, the son of Mary, manifest signs, and strengthened him with the Holy Spirit.

BIBLE.	KORAN.
Thou shalt give life for life, tooth for tooth, foot for foot, burning for burning, wound for wound, stripe for stripe.	We have therein commanded them that they should give life for life, and eye for eye, and nose for nose, and ear for ear, and tooth for tooth, and that wounds should be punished by retaliation.
But their minds were blinded: for until this day remaineth the same veil untaken away in the reading of the Old Testament. But even unto this day when Moses is read, the veil is upon their heart.	There is of them who hearkeneth unto thee when thou readest the Koran; but we have cast veils over their hearts, that they should not understand it, and deafness in their ears.
They said therefore unto him, What sign shewest thou then, that we may see and believe thee?	The infidels say, Unless some sign be sent down unto him from his Lord, we will not believe.
In the beginning God created the heaven and the earth. And God said, Let there be light, and there was light.	It is he who hath created the heavens and the earth: And whenever he sayeth unto a thing, Be, it is.
And when he (Moses) was full forty years old, it came into his heart to visit his brethren, the children of Israel.	I have already dwelt among you to the age of forty years before I received it (the Koran). Do ye therefore not understand?
And in the latter time of their kingdom, when the transgressors are come to the full, a king of fierce countenance, and understanding dark sentences, shall stand up.	According to thy dream shall thy Lord choose thee and teach thee the interpretation of dark sayings. We taught him the interpretation of dark sayings, but the greater part of men do not understand.
I will open my mouth in parables; I will utter things which have been kept secret from the foundation of the world.	O Lord, thou hast given me a part of the kingdom, and hast taught me the interpretation of dark sayings.
And the seventh angel sounded; and there were great voices in heaven, saying, The kingdoms of this world are become the kingdoms of our Lord and of his Christ.	And his will be the kingdom on the day whereon the trumpet shall be sounded.
For behold, I created new heavens and a new earth. We look for new heavens and a new earth. I will cause you to come up out of your graves. And every man shall receive his own reward according to his own labour.	The day will come when the earth shall be changed into another earth, and the heavens into other heavens; and men shall come forth from their graves to appear before the only, the mighty God. That God may reward every soul according to what it shall have deserved.
I was envious at the foolish when I saw the prosperity of the wicked. Thus my heart was grieved.	Cast not thine eyes on the good things which we have bestowed on several of the unbelievers, so as to covet the same; neither be thou grieved on their account.
If thou, Lord, shouldst mark iniquities, O Lord who shall stand?	If God should punish men for their iniquity, he would not leave on the earth any moving thing

BIBLE.	KORAN.
Dust thou art, and unto dust shalt thou return.	Out of the ground have we created you, and to the same will we cause you to return.
The merciful doeth good to his own soul; but he that is cruel troubleth his own flesh.	If ye do well, ye will do well to your own souls; and if ye do evil, ye will do it unto the same.
Not rendering evil for evil, but contrariwise, blessing.	Turn aside evil with that which is better.
Call ye on the name of your gods, and I will call on the name of the Lord. And they cried aloud. And it came to pass that there was neither voice nor any to answer.	And it shall be said unto the idolaters, call now upon those whom ye have associated with God: and they shall call upon them but they shall not answer.
All that are in the graves shall hear his voice, and shall come forth. All nations shall be gathered before him.	And the trumpet shall be sounded again, and behold they shall come forth from their graves, and shall hasten unto the Lord.
But, beloved, be not ignorant of this one thing, that one day is with the Lord as a thousand years, and a thousand years as one day.	But God will not fail to perform what he hath threatened: and verily one day with the Lord is as a thousand years of those which ye compute.
Go to, now, ye that say, To-day or to-morrow we will go into such a city, and continue there a year; and buy and sell and get gain: Whereas ye know not what shall be on the morrow. For that ye ought to say, If the Lord will, we shall live and do this or that.	Say not of any matter, I will surely do this to-morrow; unless thou add, If God please.
But of that day and that hour knoweth no man; no, not the angels which are in heaven, neither the Son, but the Father	They will ask thee concerning the last hour; at what time its coming is fixed? Answer, Verily, the knowledge thereof is with my Lord; none shall declare the fixed time thereof except he.

From the foregoing examples it will appear manifest, that the plagiarisms of the Koran are not limited to the leading facts and narratives of the Bible, but extend to many of its minuter peculiarities; to its modes of thought, its figures of speech, and even to its very forms of expression. Yet, in several instances, we meet with such egregious blunders, as to plain matters of fact, stated in the sacred volume, as must convict the copyist of the most arrant ignorance, or of downright falsification. Thus he makes the prophet Elijah (Al Kedr) contemporary with

Moses, Ishmael to have been offered in sacrifice instead of Isaac, Saul to have led the ten thousand down to the river's brink instead of Gideon, and, by the most monstrous anachronism represents Mary, the mother of Jesus, to have been the same person with Miriam, the sister of Moses!

The palpable obligations of this spurious revelation to Holy Writ, and the real or supposed incompetence of its nominal fabricator, have very naturally given birth to inquiries into the history of its composition. The great mass of writers on Mohammedanism, following the opinion of the Eastern Christians, have generally agreed in supposing that in the construction of the Koran, the Prophet was indebted to the assistance of one or more accomplices. It is certain, from the pages of the work itself, that this was objected to him at the outset of his career. "We also know that they say, Verily a certain man teacheth him to compose the Koran." "And the unbelievers say, This Koran is no other than a forgery, which he hath contrived: and other people have assisted him therein: but they utter an unjust thing and a falsehood." But this emphatic disclaimer of the Apostle has failed to produce conviction. The unbelievers of Christendom have continued to side with those of Mecca, and as many as eight or ten different persons have been designated as having been, some one or more of them, associated with the impostor in the promulgation of his counterfeit oracles. The more general belief has been, that Mohammed received his principal aid from a Nestorian monk, named Sergius, supposed to be the same person as the Boheira, with whom he became acquainted at an early period of his life, at Bosra, in Syria. On this, the learned Sale remarks: "If Boheira and Sergius were the same men, I find not the least intimation in the Mohammedan writers, that he ever quitted his monastery to go into Arabia, and his acquaintance with Mohammed at Bosra was

too early to favour the surmise of his assisting him in the Koran, though Mohammed might, from his discourse, gain some knowledge of Christianity and the Scriptures, which might be of some use to him therein." The same writer, however, admits with Prideaux and others, that while Mohammed is to be considered as the original projector and the real author of the Koran, he may have been assisted, in some measure, by others, though his successful precautions of secrecy make it impossible to determine, at this day, by what agents, or to what extent, this was done. After all, the assertions advanced in respect to the part borne by others in the composition of the Koran have never been authenticated by proofs, and the whole story has the air of an hypothesis framed to meet the difficulties of the case. And even were the popular belief on this question to be admitted, it would not do away all the difficulties which embarrass the subject. For who was capable, in that dark period, of producing such a work? This pretended revelation, independently of its plagiarisms from our Scriptures, contains passages as much superior to any remains, whether Jewish or Christian, of the literature of the seventh century, as they are utterly inferior to the contents of that sacred volume which the Koran blasphemously assumes to resemble and supplant. The whole subject, therefore, of the origin of this remarkable book, with the history of its composition, as well as the question how far Mohammed was acquainted with the Christian Scriptures, must doubtless remain an unsolved problem to the end of time.

Of the literary merits of the Koran, a fair estimate is not easily to be formed from a translation. By those who are acquainted with the original, it is universally acknowledged to possess distinguished excellences, which cannot be transfused into any other language. It is confessedly the standard of the Arabic tongue; is written, for the most part, in

a pure and elegant style, abounding with bold figures after the oriental manner; and aiming at a conciseness which often renders it obscure. Though written in prose, the sentences usually conclude in a long continued rhyme, for the sake of which, the sense is often interrupted, and unnecessary repetitions introduced. This feature of the composition, though a disadvantage and a deformity to a translation, is one of its superlative charms in the estimate of the native Arabs, whose ear is singularly susceptible to the harmony of the rhythmical cadences with which the periods conclude.

When we pass from the mere sound and diction which mark "the perspicuous book," it is indubitable that its finest passages are devoid of the merit of originality. Sir William Jones remarks; "The Koran indeed shines with a borrowed light, since most of its beauties are taken from our Scriptures; but it has great beauties, and the Mussulmans will not be convinced that they are borrowed." In describing the majesty and the attributes of God, and the variety and grandeur of the creation, it often rises to an impressive elevation; but in almost every instance of this kind, it is evident that some passage of inspiration of corresponding import was in the eye of the writer, and the copy is invariably inferior to the original. Yet the result of a candid examination of this pseudo-bible of Mohammedans, even in our English version, would probably be a more favourable impression of the book on the score of its composition, and a conviction that amid the multitude and heinousness of its defects, scarcely common justice had been done by Christian writers either to the character of its beauties, or the extent in which they obtain. Taken however as a whole, so far from supporting its arrogant claims to a superhuman origin and eloquence, it sinks below the level of many confessedly human productions, to be found in different languages and regions of the earth.

"With occasional passages of real beauty and power, it is, on the whole, a strange medley, in which the sublime is so nearly allied to the bombastic, the pathetic to the ludicrous, the terrible to the absurd, that each chapter, each page, almost each paragraph, is sure to give rise to the most opposite emotions. Respect, contempt, admiration, abhorrence, so rapidly succeed each other, in the perusal, as to leave no fixed or uniform impression on the mind."*

* Ferster.



الملحق الرابع

مبادئ العقيدة الإسلامية

نقلا عن كتاب مرجان Morgan : «شرح الإسلام»
ترجمها المؤلف عن العربية من الكتاب الآنف ذكره
مقدمة المترجم - الترجمة الكاملة للنص - النص الانجليزي كاملا

مقدّمة المترجم

المؤلف چورج بوش لم يأت بشيء من عنده في هذا الملحق، فهو قد نقل نصا لمؤلف يقال له مرجان شرح فيه الجانب العقدي في الإسلام، أي ما يجب أن يعتقده المؤمن في قلبه أو بتعبير آخر الجانب الإيماني في الإسلام. والكتب التي تناولت الصراط، وعذاب القبر والجنة والنار، والإيمان بالقضاء والقدر أكثر من أن تدخل تحت حصر، لكننا سنتوقف قليلا أمام ضرورة إيمان المسلم بالشفاعة كما عرضها المؤلف مرجان، مع تعليقات يسيرة.

إن الشفاعة عند السيد مرجان كاتب هذا المقال والذي ترجمه المؤلّف أو تُرجم له. لا تمنع المؤمن الحق من عمل الصالحات في الدنيا، اتكالاً على شفاعة نبينا ﷺ، لأن الشفاعة - على حد قول مرجان- تتأخر شيئا ما ولا تأتي إلاّ بعد لأي، فمن حسنت أعماله قصرت - بالنسبة له- فترة العذاب السابقة على الشفاعة.

ومن الضروري على أية حال أن نقول أن فكرة الشفاعة يقابلها في الدين المسيحي فكرة الفداء، فالمسيح عليه السلام - على وفق الفكر المسيحي- وافق على الموت على الصليب بإرادته ليفدي أمته أو بتعبير آخر ليشفع فيها أو بتعبير ثالث ليتحمل عن أمته أو عن البشرية آثامها. وكانت هذه الفكرة في الحقيقة

أحد أهم أسباب انتشار المسيحية في وقت من الأوقات ، فمن من الناس بلا آثام؟ كما كانت هذه الفكرة - عند ترديدها- في الكنائس والمجامع الدينية - ولا زالت - مصحوبة ببكاء ونحيب شديدين .

كذلك لاقت فكرة الشفاعة في الإسلام ترحيباً من الجمهور ، فإذا ذُكر الشفيع رقت قلوبهم وتحدثوا عن الرسول ﷺ بوجد شديد .

ومع أن آيات القرآن الكريم تنكر الشفاعة بمعنى التدخل لتخليص الإنسان من ذنوبه كما يتضح من الآيات الكريمة التالية :

- ﴿ ... مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ... (٢٥٥) ﴾ (البقرة :255) .

- ﴿ ... فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ... (٥٣) ﴾ (الأعراف :53) .

- ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ... (٢٨) ﴾ (الأنبياء :28) .

- ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) ﴾ (الشعراء :100) .

- ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾ (المدثر :48) .

- ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) ﴾ (الأنعام :51) .

- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣) ﴾ (يونس : 3) .

- ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) ﴾ (غافر :18) .

وكان الرسول ﷺ يذكّر ابنته فاطمة بأنه لن يغني عنها من الله شيئاً .

إلاّ أن هذه الفكرة - على أية حال- كانت فكرة مريحة ساعدت على نشر الإسلام بعد القرن الثاني للهجرة خاصة بين أصحاب الديانات الأخرى، الذين تشبّعوا بفكرة الفداء المسيحية خاصّة، كل هذا مع أن الدعاة المسلمين كانوا يهاجمون فكرة الفداء المسيحية مدلّلين على خطئها بقوله تعالى:

﴿ ... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ...(١٦٤) ﴾ (الأنعام: 164).

والمطالع لسير الصحابة رضوان الله عليهم والرّاصد لكلماتهم ودعائهم لا يجد فيها طلبًا للشفاعة من النبيﷺ ، ولا طلبًا من الله سبحانه أن يرزقه الشفاعة. وعلى أية حال فهناك أحاديث وردت في الصِّحاح عن الشفاعة (دُوّنت الصّحاح في القرن الثالث للهجرة). كما أفاضت كتب العقيدة الإسلامية في موضوع الشفاعة، وفيما يلي ما ورد عنها في شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (792هـ) الذي حققه عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط (نشر 1996، وطبع منه أكثر من عشر طبعات) وها هو النص كما ورد في الكتاب:

قوله: «والشَّفاعةُ التي ادَّخرها لهم حقٌّ، كما رُوي في الأخبار».

ش: الشفاعة أنواع [1]: منها ما هو مُتَّفَقٌ عليه بَيْنَ الأُمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلةُ ونحوهم مِن أهلِ البدع:

---

(1) انظر: «مجموع الفتاوى» 147/3 - 148 و«فتح الباري» 429/11 - 430.

النوعُ الأوَّلُ: الشفاعةُ الأُولى، وهي العُظْمَى، الخَاصَّةُ بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه مِن الأنبياء والمرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين.

في «الصحيحين» وغيرهما عن جماعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين أحاديثُ الشفاعة.

منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بلَحْمٍ، فَدُفِعَ إليه مِنْهَا الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرونَ مِمَّ ذاكَ؟ يَجْمَعُ الله الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ (وَاحِدٍ يَسْمَعُهُم الدَّاعي وينفذُهُم البَصَرُ، وتدنُو الشمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ والكرْب مَا لا يُطِيقون ولاَ يَحْتَمِلُونَ) فَيقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْض: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُم فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْن مَا قَدْ بَلَغَكُم؟ ألا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُم إلى ربِّكُم؟ فَيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُم آدَمُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يا آدَمُ، أَنْت أَبُو البَشر، خَلَقَكَ الله بِيَدِه، وَنَفَخَ فِيْكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَع لَنَا إلى ربِّك، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيقُولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنَّهُ نَهَانِي عَن الشَّجَرةِ فعصيتُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهَبُوا إلى غَيْرِي، اذهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُل إلى أَهْل الأَرْضِ، وسَمَّاكَ الله عَبْداً، شَكُوراً، فاشْفَعْ لَنَا إلى ربِّكَ، أَلاَ تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ نُوحٌ: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنَّهُ كَانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، نَفْسِي، اذهَبُوا إلى غَيْرِي، اذهَبُوا إلى إبْرَاهِيْمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ،

فَيَقُـولُونَ: يا إبراهيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ الله وخَلِيلُهُ مِـنْ أَهْـلِ الأرْضِ، أَلاَ تَـرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَـا قَدْ بلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: إنَّ ربِّي قَدْ غَضِبَ اليَـوْمَ غَضَباً لَمْ[1] يَغْضَبْ قَبْلَـهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْـلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِه[2]، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهَبُوا إلى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى: فَيَقُولُونَ: يا مُوسَى، أَنْتَ رَسُـولُ الله، اصطَفَاكَ الله بِرِسَـالاتِهِ وبِتَكْلِيـمِهِ علَى النَّاسِ، اشْـفَعْ لَنَا إلى ربِّكَ، أَلا تَرَى ما نَحْنُ فِـيهِ؟ ألا تَرَى ما قَـدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُـولُ لَهُم مُوسَى: إنَّ ربِّي قَدْ غَضِبَ الـيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْـضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَـعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قَتَلْتُ نَفْـساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَـفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهَبُـوا إلى غَيْرِي، اذهَبُوا إلى عِـيسَى، فَيَـأْتُونَ عِيسَى، فَيَـقُولُون: يا عِيـسَى، أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَـاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ[3]، قَالَ: هَكَذا هُوَ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ، فَـاشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّـكَ، أَلا تَرَى ما نَحْنُ فِـيهِ؟ أَلا تَرَى مَا قَـدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُم عِيسَى: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبلَهُ مِثْلَهُ، ولَن

---

(1) تحرفت في الأصول إلى: «لك» والتصويب من «المسند» و«الصحيحين».

(2) في البخاري (3358) من طريق أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معهُ امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأُخذَ، فقال: ادعي الله ولا أضرُك فدعت الله، فأطلق، ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت، فأطلق، فدعا بعض حجَبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، فأخدَمَها هاجرَ، فأتته وهو قائمٌ يصلي، فأومأ بيده: مَهْيَمْ؟ قالت: ردَّ الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره وأخدَمَ هاجر، قال أبو هريرة: تلك أمُّكم يا بني ماء السماء. وانظر «فتح الباري» 291/6 - 294.

(3) انظر بسط ذلك في «الجواب الصحيح» 138/2 - 142.

يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ولم يذكر ذنباً[1] اذهبوا إلى غَيْرِي، اذهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَأْتُونِي، فَيقولونَ، يا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رسُولُ الله، وخَاتَمُ الأنْبِيَاءِ، غفَرَ الله لَكَ ما تقدم من ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، فاشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّك، أَلا تَرَى ما نَحْنُ فيه؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فأَقُومُ، فآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ ساجداً لِرَبِّي عزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ، ويُلْهِمُني مِنْ مَحَامِدِه، وَحُسْنِ الثَّنَاء عَلَيْهِ مالَمْ يفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَه، اشْفَعْ تُشفَّعْ، فَأَقُولُ: [يا] رَبِّ أمتي أُمَّتِي، يَارَبِّ أُمَّتى أُمَّتي، يَارَبِّ أُمَّتي أُمَّتي، فيقال: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيه مِنَ البَابِ الأيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجنّة، وَهُم شُرَكَاءُ النَّاسِ فيما سِواهُ من الأبوابِ، ثُم قَال: والذي نَفْسي بِيدِه، لما بَيْنَ مصْراعَين مِنْ مَصَاريعِ الجَنّةِ كَما[2] بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أو كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرى». أخرجاه في «الصحيحين». بمعناه، واللفظ للإمام أحمد[3].

والعجبُ كل العجبِ، من إيرادِ الأئمة لهذا الحديثِ من أكثر طُرُقه، لا يذكرون أمرَ الشفاعة الأولى في أن يأتي الرَّبُّ تعالى لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصُّور[4]. فإنه المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أولِ الحديث، فإنّ الناسَ إنما يَسْتَشْفعونَ إلى آدم فَمَنْ بعده من الأنبياء في أن يفْصِل بين الناس، ويستريحوا من مقامهم، كما دَلّتْ عليه سِياقاتُه من سائر

(1) جملة: «ولم يذكر ذنباً» سقطت من (ب).

(2) في الأصول: «لكما» وهو خطأ، والمثبت من «المسند» ولفظ مسلم: إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر.

(3) هو في «المسند 435/2 - 436، والزيادات منه، وأخرجه البخاري (4712)، ومسلم (194).

(4) كذا في (أ) و(ب) و(د) وفي (ج): المحشر، وفي مطبوعة مكة: الجزاء.

طُرُقه، فإذا وصلُوا إلى المحز إنما يذكرون الشفاعة في عُصاة الأمة وإخراجهم من النار.

وكأن مقصود السلف، في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث، هو الرد على الخوارج ومَنْ تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروجَ أحدٍ من النار بَعْد دخولها، فيذكرون هذا القدرَ من الحديث الذي فيه النصّ الصريحُ في الرّدِّ عليهم، فيما ذهبوا إليه من البِدعة المخالفة للأحاديث.

وقد جاء التّصريحُ بذلك في حديث الصُّورِ، ولولا خَوْف الإطالة، لسُقُته بطوله، لكن من مضمونه: أنهم يأتونَ آدم ثم نوحاً، ثم إبراهيمَ، ثم موسى، ثم عيسى، ثم يأتون رَسُول الله محمداً ﷺ، فَيذْهب، فَيَسجُدُ تحت العرشِ في مكان يُقالُ له: الفَحْصُ، فيقول الله: ما شأنُكَ؟ وهو أعلمُ، قال رسولُ الله ﷺ، فأقولُ: ياربِّ، وعدتني الشفاعة، فشفّعني في خلقك، فاقْضِ بينهم، فَيَقُول سبحانه وتعالى: شفّعْتُك، أنا آتيكم فأقضي بينكم، قال: فَأَرْجعُ، فَأَقِفُ مع الناس، ثم ذكر انشقَاق السماوات، وتنزلَ الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرّبُّ سبحانه وتعالى لِفصل القضاء، والكَرُوبيون[1] والملائكة المقربون يُسَبّحونهُ بأنواع التسبيح، قال: فَيضعُ الله كُرْسيه حيث شاءَ من أرضه، ثم يقولُ: إني أَنْصَتُّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أَسْمَعُ أَقوالكم، وأرى أَعمالكم، فأنصتوا لي، فإنما هِيَ أعمالكمْ، وصُحُفُكم تُقْرأُ عَلَيْكُم، فمنْ وَجدَ خَيْراً، فليحْمَدِ الله، وَمنْ وجدَ غَيْر ذلكَ فلا يَلُومنّ إلا نفسهُ، إلي أن قال: فإذا أفضى أَهْلُ الجنةِ إلى الجنةِ، قالوا: من يشفع لنا إلى ربِّنا فندخل الجنة؟ فيقولُونَ: مَنْ أحقُّ بذلك

---

(1) هم المقرَّبون.

مِنْ أبيكم، إنه خَلَقَهُ اللهُ بيده، ونَفَخَ فيه من روحه، وكلّمه قُبُلاً[1].
فيأتون آدم، فيُطلب ذلك إليه، وذكر نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثُم عيسى، ثم محمداً ﷺ .. إلى أن قال: قال رسُولُ الله ﷺ : «فآتي الجنّة، فآخُذ[2] بحلقةِ الباب، ثُمَّ أسْتفتِحُ، فَيُفْتحُ لي، فأُحَيّي ويُرحّبُ بي، فإذا دَخلتُ الجنةَ فنظرْتُ إلى ربّي عز وجل، خَرَرْت لهُ ساجداً، فَيَأْذَنُ لي مِنْ حَمدِهِ وتَمْجيده بشيءٍ ما أَذِنَ بهِ لأحدٍ منْ خلقِهِ، ثُم يَقُولُ الله لي: ارفَعْ يا مُحَمدُ، واشفَعْ تُشفّعْ، وَسلْ تُعْطه، فإذا رفعت رأسي، قال الله ـ وهو أعلمُ: ما شأنُكَ؟ فأقُولُ: يارِبّ، وَعَدْتني الشّفاعة، فشفّعْني في أهل الجنّةِ يدخلُون الجنةَ، فيقُولُ الله عزّ وجلّ: قَدْ شَفّعْتُكَ، وأَذِنْتُ لهُم في دُخُولِ الجنةِ»[3]، الحديث. رواه الأئمة: ابنُ جريرٍ

---

(1) أي: عياناً ومقابلة.

(2) في (ب): وآخذ.

(3) هو حديث مطول جداً، وفي سنده إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف، ومحمد بن يزيد أو زياد: هو مجهول، وهو في المطولات للطبراني 266/25 (36) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة... وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره 146/2 ـ 148 عن الطبراني، وقال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص علي نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن على الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قلت: (القائل ابن كثير): وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه، فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيره، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك. ورواه مختصراً ومطولاً ابن جرير في «جامع البيان» 330/2 ـ 331 و186/30 ـ 188 من طريق أبي كريب، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المديني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن أبي =

في تفسيره، والطبراني[1]، وأبو يعلي المَوْصلي[2]، والبيهقي، وغيرهم.

النوعُ الثاني والثالثُ من الشفاعة: شفاعتُه ﷺ في أقوامٍ قد تساوت حَسناتُهم وسيئاتُهُم، فيشْفَعُ لهم لِيدخُلُوا الجنة[3]، وفي أقوامٍ آخرين قد أُمِرَ بهم إلى النارِ أنّ لا يدخلوها.

النوعُ الرابعُ: شفاعتُه ﷺ في رفع درجات منْ يدخل الجنة فيها فوقَ ما كان يقتضيه ثوابُ أعمالهم، وقد وافقت المعتزلةُ على هذه الشفاعة خاصة، وخالفُوا فيما عداها من المقامات، مع تواتُر الأحاديث فيها.

= هريرة، فذكره، ورواه أيضاً 110/17 و30/24 و26/30 و31 - 32 بهذا الإسناد إلا أنه قال: عن رجل، عن محمد بن كعب عن رجل من الأنصار، ورواه أيضاً بالإسناد ذاته 41/29 - 42، والبيهقي في «البعث والنشور» ورقة 167/1 إلا أنه عندهما قال: عن يزيد، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» 339/5 - 342، وزاد نسبته إلى أبي يعلي، وأبي الحسن القطان في «المطولات» وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي موسى المديني في «المطولات»، وأبي الشيخ في «العظمة». وانظر «النهاية» 253/1، لابن كثير.

(1) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوّال، محدث الإسلام، علم المعمرين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة، المتوفى سنة 360هـ. مترجم في «السير» 16/ رقم الترجمة (86).

(2) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، محدّث الموصل، وصاحب «المسند»، كان عاقلاً، حليماً، صبوراً، حسن الأدب، توفي سنة (307هـ). مترجم في «السير» 14/(100).

(3) ومستند هذا النوع قول ابن عباس الذي رواه الطبراني في «الكبير» (11454) ولفظه: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد» وفي سنده موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، قال الذهبي في «الميزان»: معروف ليس بثقة، فإن ابن حبان قال فيه: دجال، وقال ابن عدي: منكر الحديث، وعد هذا الخبر من منكراته، وقال الهيثمي في «المجمع» 378/10 بعد أن نسبه للطبراني في «الكبير» والأوسط: وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو وضاع.

النوعُ الخامسُ: الشفاعةُ في أقوامٍ أن يدخلوا [1] بغيْر حسابٍ، ويَحْسُنُ أن يُسْتَشْهَدَ لهذا النوع بحديث عُكاشة بن محصن، حين دعا له رسولُ الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخُلون الجنةَ بغير حسابٍ، والحديثُ مُخرّجُ في «الصحيحين»[2].

النوعُ السادس: الشفاعةُ في تخفيفِ العذابِ عمن يستحِقّه، كشفاعته في عمِّه أبي طالب أن يُخفف عنه عذابه[3].

ثم قال القرطبي في «التذكرة» بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. قيل له: لا تَنْفَعُهُ في الخروج من النار كما تَنْفعُ عُصاةَ الموحدين الذين يُخْرَجُونَ منها ويُدْخَلُونَ الجنة[4].

النوعُ السابعُ: شفاعُتهُ أن يُؤذنَ لجميعِ المؤمنين في دخول الجنة، كما

(1) في (ب): يدخلون.

(2) أخرجه البخاري (5811) و(6542)، ومسلم (216) و(217) من حديث أبي هريرة بلفظ: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله منهم»، ثم قام رجل من الأنصار، فقال، يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «سبقَك عكاشة»، وأخرجه ابن منده في «الإيمان» (970) و(971) و(973) و(974) و(975). وأخرجه مسلم (218) بنحوه من حديث عمران بن حصين، رضي الله عنه.

(3) أخرج البخاري (3883) و(6208)، ومسلم (209)، عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحْضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»، ورواه أحمد 206/1 و207، و210، وابن منده في «الإيمان» (957) و(958) و(959) و(960) و(961)، والحميدي (460). والضحضاح: ما رَقّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين.

(4) «التذكرة» 249/1، وانظر «فتح الباري» 431/11.

تقدَّم، وفي «صحيح مسلم» عنْ أنسٍ رضي الله عنه، أنَّ رسُول الله ﷺ قال: «أنا أوَّلُ شفيعٍ في الجنَّةِ»[1].

النوعُ الثامنُ: شَفاعَته في أهل الكبائر مِنْ أمته، ممن دَخَل النار، فيخرجون منها، وقد تَوَاترت بهذا النوع الأحاديثُ، وقد خَفي علمُ ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحَّةِ الأحاديث، وعِناداً ممن علِم ذلك، واستمر على بدعته.

وهذه الشفاعةُ تُشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً.

وهذه الشفاعة تتكرّرُ منه ﷺ أرْبَعَ مراتٍ.

ومنْ أحاديثِ هذا النوعِ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «شَفاعَتي لأهلِ الكبائرِ من أُمّتي»[2]. رواه الإمام أحمد رحمه الله.

وروى البخاريُّ رحمه الله في كتاب «التوحيد»: حدثنا سليمانُ بنُ حرْبٍ، حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ، حدثنا مَعْبدُ بنُ هلال العَنَزِيُّ[3]، قال:

---

(1) أخرجه مسلم(196)، والدارمي 27/1، وأحمد 140/3، وابن منده (885) و(886) و(889) و(890)، والخطيب في «تاريخه» 400/12.

(2) حديث صحيح بطرقه وشواهده، أخرجه أبو داود (4739)، والترمذي (2435)، وأحمد 213/3، والطيالسي (2026)، وأبو نعيم في «الحلية» 261/7، والطبراني في «الصغير» 160/1 من حديث أنس، وصححه ابن حبان (2596)، والحاكم 69/1. وأخرجه الترمذي (2436)، وابن ماجه (4310)، والطيالسي (1669) وأبو نعيم في «الحلية» 200/3 - 201 من حديث جابر بن عبد الله، وصححه الحاكم 69/1، وأخرجه الطبراني (11454) من حديث ابن عباس، والخطيب البغدادي 11/8 من حديث ابن عمر.

(3) نسبة إلي عَنَزة حيٍّ بن ربيعة، وقد تحرف في (أ) و(ج) و(د) إلي «الغزي».

اجْتَـمَعْنَا نَاسٌ[1] مِنْ أهلِ البَصْـرةِ، فذهبنا إلي أنسِ بنِ مـالك، وذهبنا مَعَنَا بثابتٍ البُناني، يسأله لنا عن حَديثِ الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافيناه[2] يُصلِّي الضحى، فاستأذنا، فـأَذِن لنا وهُو قاعـدٌ في فـراشه، فقلنا لثـابتٍ: لا تسأله عن شيءٍ أوّلَ مِنْ حديثِ الشَّـفاعَةِ، [فقال: يا أبـا حمزة، هؤلاء إخوانُك من أهلِ البصرة، جاؤوك يسألونك عن حديثِ الشفاعة][3]، فقال: حدثنا مُـحمّدٌ ﷺ، قالَ: إذا كانَ يومُ القـيامةِ، مَاجَ الناسُ بعـضُهم في بَعْضٍ، فيـأتُون آدَمَ، فيـقُولُون، اشفَعْ لنا إلي ربّك، فـيقـولُ: لستُ لها، ولكنْ عليكم بإبراهيم، فإنّه خليلُ الرحمنِ، فيـأتُون إبراهيمَ، فيقولُ: لستُ لها، ولكِنْ عَلَيْكُم بِمُـوسى، فإنَّه كَلِيمُ الله، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فـيقولُ: لَسْتُ لَهَا ولكنْ عَلَيْكُم بعـيسى، فإنه روحُ الله وكَلِمتُه، فَـيَأْتُونَ عِيسى، فـيقولُ: لستُ لها، ولكنْ عَلَيْكُم بِمُحَمَّدٍ، فَيَـأْتُوني، فأقولُ: أنا لَهَا، فَأَستأذنُ عَلَى ربِّي، فيُـؤذن لي، ويُلهِـمني محَـامِد[4] أَحْمَـدُهُ بها، لا تَحْـضُرُني الآنَ، فأَحْمَدُهُ بتلك المحَـامِدِ، وأخرُّ له ساجداً، فيقـال: يا مُحَمَّدُ، ارفَعْ رَأْسكَ، وقلْ يُسمعْ لك، واشْـفعْ تشفَّعْ، وسلْ تُعْط، فأقولُ: يارب، أُمـتي أُمّتي، فيُـقالُ: انطلقْ فأخـرج من كان في قلبـه مِثقـالُ شعيـرة من إيمان، فأنطلقُ فَأَفعَلُ، ثُم أَعُـودُ فأحمـدُهُ بتلكَ المحـامـدِ، ثُمّ أخـرُّ له ساجداً، فيقالُ: يا مـحمّـدُ، ارفَعْ رأسكَ، وَقُلْ يُسْـمَعْ لَكَ، واشـفَعْ تُشْـفَّعْ، وسَلْ تُعْطَ،

(1) سقطت من (ب) وهي موجودة في صحيح البخاري، قال العيني في «عمدته» 166/25 ونقله عن القسطلاني في «إرشاد الساري» 441/10 : ناس من أهل البصرة بيان لقوله : اجتمعنا، وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي : نحن ناس من أهل البصرة، ليس فيهم أحد من غير أهلها .

(2) في البخاري : فوافقناه .

(3) الزيادة من الصحيح، ولم ترد في الأصول .

(4) في (ب) : محامداً، وهو خطأ .

فأقولُ: يَاربّ، أُمّتي أُمّتي، فيُقالُ: انطلقْ فَأَخرِجْ مَنْ كَانَ في قلْبِه مِثْقالُ ذَرّة، أوْ خَرْدلة منْ إيمان، فأنطلقُ فأفعلُ، ثُمّ أعُودُ فأَحْمَدُه بتلكَ المَحامد، ثُمّ أخرُّ لهُ سَاجِداً، فيُقالُ: يا مُحَمّدُ، ارفعْ رأسَكَ وقُلْ يُسْمَعْ لكَ، وَسَلْ تُعْطَ، واشفعْ تُشَفّعْ، فأقولُ، يَاربّ، أُمّتي أُمّتي، فيقولُ: انطَلقْ فأخرِجْ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ أدنى أدنى أدنى[1]، مثْقالِ حبّة خَرْدلٍ منْ إيمان، فأخْرِجْهُ منَ النّارِ، فأنْطلِقُ فَأفْعَلُ. قَال: فَلمّا خَرجْنا منْ عندِ أنس، قُلتُ: لوْ مَررْنا بالحسن، وهو مُتوارٍ في منزلِ أبي خَليفة[2] [وهو جميع][3] فحَدّثْناهُ بما حدّثنا به أنس بنُ مالكٍ، فأتيناه، فَسلّمنَا عليه، فأذنَ لنا، فَقُلْنَا لهُ: يا أَبَا سَعيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عند أخيكَ أَنَسِ بنِ مالكٍ، فلمْ نَرَ مِثْلَ مَا حدّثنا في الشّفاعة، فقال: هيه؟ فَحَدّثْناهُ بالحديث، فأتينا[4] إلى هذا الموْضِع، فقالَ: هِيه؟ فقُلْنا لم يَزِدْ لَنَا على هذا، فقال: لقدْ حدثني وهُوَ جميعٌ، مُنذُ عشرين سنةً، فما أدْرِي، أنَسِي أمْ كَرِهَ أنْ تتّكِلُوا فقُلْنا: يا أبا سعيد، فحدثنا، فضَحِكَ وقال[5]: خُلِقَ الإنسانُ عجولاً، ما ذَكَرْتُهُ إلا وأنَا أُريدُ أن أُحَدّثَكُم، حديثي[6] كَما حدّثكُم، قال: ثُم أعودُ الرّابعة، فأحْمَدُهُ بِتِلْك

---

(1) في (ج) و(د) : أدنى أدنى : وهي رواية الجميع عند البخاري عدا الكشميهني ، فإنه زاد ثالثة كما في (أ) ، و(ب) .

(2) هو حجاج بن عتاب العبدي البصري ، والد عمر بن أبي خليفة ، سماه البخاري في «تاريخه» 377/2 وأبو أحمد في «الكنى» ، وكذا الدولابي 165/1 وسئل عنه يحيى بن معين ، فقال : مشهور كما في «الجرح والتعديل» 159/3 وكان رحمه الله متوارياً خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي .

(3) زيادة لم ترد في الأصول ، وهي عند البخاري ، قال الحافظ : أي : مجتمع العقل ، وهو إشارة إلي أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنة تفرق الذهن ، وحدوث اختلاط الحفظ .

(4) في البخاري : انتهى .

(5) في (ب) : فقال .

(6) في (ب) : حدثني .

المَحَامِدِ، ثُمّ أخرُّ لـه ساجداً، فيُقالُ: يا مُحَـمّدُ، ارفَعْ رأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشفَعْ تُشَفّعْ، فأقُولُ: يارَبّ، ائْذَنْ لي فيمنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ، فيقُـولُ: وَعِزّتي وجلالي، وكبريائي وَعَظَمَـتي، لأخْرجنّ منها مَنْ قالَ: لا إله إلا الله»[1]. وهكذا رواه مسلم.

وروي الحـافظُ أبو يعلى عن عـثـمانَ رضي الله عنـه: قال رسُـولُ الله ﷺ: «يَشْفَعُ يَوْمَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياءُ، ثُمّ العُلماءُ، ثُمّ الشّهداءُ»[2].

وفي «الصحيح» من حديث[3] أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً، قال: «فيقُـولُ اللهُ تعالى: شَفَعَتِ الملائكَةُ، وَشَفَعَ النبِـيُّونَ، وشَفَعَ المُؤمنونَ، ولمْ يبقْ إلا أرْحَمُ الرّاحِمِينَ، فَـيَقْبِضُ قَـبْضَةً مِنَ النار، فـيُخْرِجُ منها قَـوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قطّ»[4]، الحديث.

ثم إنّ الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

فالمـشركـون والنصارى والمبـتدعـون من الغُلاة في المشـايخ وغيـرهم: يَجْعَلُون شَفَاعَةَ منْ يُعظّمونه عند الله كالشفاعةِ المعروفة في الدنيا.

---

(1) أخرجه البخاري (7510)، ومسلم (193) (326)، وابن ماجه (4312)، وأحمد 116/3 و244 و247 و248.

(2) وأخرجه ابن ماجه (4313)، والعقيلي في «الضعفاء» 367/3، وفي سنده عند الثلاثة عنبسة بن عبد الرحمن، قال البخاري: تركوه، وقال أبو حاتم: كان يضع الحديث، وشيخه فيه علاق بن أبي مسلم مجهول، ورواه البزار (3471) من طريق عنبسة بن عبد الرحمن بإسناد ابن ماجه إلا أنه قال: «المؤذنون» بدل «العلماء» وهذا الحديث هو في مسند أبي يعلى الكبير كما ذكر البوصيري في «الزوائد» ورقة 273، وليس هو في المطبوع.

(3) في (ب): وفي الصحيح عن أبي.

(4) قطعة من حديث مطول، أخرجه مسلم (183) (302)، وأحمد 94/3.

والمُعتزلة والخوارجُ أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيرِه في أهلِ الكبائرِ.

وأما أهلُ السنة والجماعة، فيُقرُّون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، لكن لا يَشْفَعُ أحدٌ حتى يأْذَنَ الله له ويَحُدّ له حداً، كما في الحديث الصحيح، حديثِ الشفاعة: «إنهم يأتُون آدَمَ، ثُمّ نُوحاً، ثُمّ إبراهيمَ، ثُمّ موسى، ثم عيسى، فيقولُ لهُم عيسى عليهِ السلامُ: اذهَبُوا إلى مُحَمّدٍ، فإنّهُ عَبْدٌ غفرَ الله له مَا تَقدّم من ذَنْبه ومَا تَأخّرَ، فيَأتوني، فأَذهَبُ، فَإذا رَأيتُ ربّي، خَرَرْتُ لهُ سَاجِداً، فأَحْمَدُ ربِّي بِمَحَامِدَ يَفْتَحُها عَلَيّ، لا أُحْسِنُها الآنَ، فَيقُولُ: أيْ مُحَمّدُ، ارفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفّعْ، فَأَقُولُ، ربّي أُمّتي، فَيَحُدُّ لي حَداً، فَأُدْخِلُهم الجنّةَ، ثُمّ أَنْطَلِقُ فأَسْجُدُ، فَيَحُدُّ لي حَداً»[1] ذكر هذا ثلاث مرات.

وأما الاستشفاع بالنبيِّ ﷺ وغيره في الدُّنيا إلى الله تعالى في الدُّعاءِ، ففيه تَفْصِيلٌ: فإنَّ الداعي تارةً يقول: بحقِّ نبيِّك؛ أو بحقِّ فلان، يُقْسِمُ على الله بأحدٍ من مخلوقاته، فهذا محذورٌ من وجهين:

أَحَدُهُما: أنه أقسم بِغَيْرِ الله.

والثاني: اعتقادُه أنَّ لأحَدٍ على الله حقاً. ولا يجوز الحَلِفُ بغير الله، وليس لأحَدٍ على الله حقٌّ إلا ما أحقَّه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وكذلك ما ثبَتَ في «الصحيحين».

❊ ❊ ❊

انتهى بنصه من ص 282 إلى ص 294، شرح العقيدة الطحاوية.

---

(1) قطعة من حديث الشفاعة المطول، وقد تقدم تخريجه ص 265.

ولا يجوز أن تُفسَّر الشفاعةُ تفسيراً يعني إعفاء المسلم المذنب من ذنبه أو يعني تواكله في الدنيا لضمانه دخول الجنة بشفاعة المصطفى . والسلفية الجديدة قادرة على إحداث هذا التطوير بانتقالها من مرحلة البحث عن نصوص إلى مرحلة البحث عن الأفكار ودراسة هذه الأفكار من منظور عملي ، أي من حيث مدى تأثيرها على حياة المسلم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . لقد استخدم الخوارج نصّاً صحيحاً هو : **«إن الحكم إلاّ لله»** ليفسدوا به حياة المسلمين إذ كانوا يعنون به رفض **«الحكومة»** وهل يستقيم مجتمع بلا نظام حكم؟ ولأن مهاجمة فكرة الحكومة مسألة تشغل بال المتطلعين إليها فقد تصدوا لهم فهل هناك من يتصدى لأفكار أخرى تفسد أحيانا أخلاق المسلمين ومسلكهم بسوء تفسيرهم لها .

النص المترجم (عن كتاب مرجان: شرح الإسلام - كما أورده المؤلف)

مبادئ العقيدة الإسلامية أو دليل الإيمان بها والتي يجب على كل مسلم صالح أن يؤمن بها إيمانا أكيداً عددها ثلاثة عشر ، أولها هو أهمها جميعا :

1- وجود الله (سبحانه)

شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة من القلب يصدّقها اللسان ، هو الله المتحكم في الكون الذي خلق كل شيء من العدم ، هو الله الذي لا نظير له ولا شبيه (لا يشبهه شيء) لم يلد أي ليس له ابن بأية حال من الأحوال ، ولم يولد ، فلم يكن يوما ابنا لأحد ، وبالتالي فلا أب له . إنه المتحكم وحده في كل شيء ، وإليه وحده يتوجه المسلمون بالعبادة والإجلال والتقدير . وتلك مسألة لا يجب أن تكون موضع شك أو نقاش ولابد أن تكون واقرة في القلب بعمق .

2- تصديق محمد ﷺ وبالقرآن الكريم

أن نصدق بقلوبنا وتنطق ألسنتنا بأن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا أخيرًا – بعد أن أرسل رسلاً قبل ذلك – محمدًا المختار المبارك بشريعته المقدسة الإلهية التي تضمّنها القرآن رحمة بنا وفضلا . لكن هذه الشريعة نسخت كل الشرائع السابقة عليها كما أن هذه الشريعة تهدف إلى تخليص الناس والأمم من **P.242** الشكوك والآثام لتهديهم إلى العقيدة الراسخة والسعادة الأبدية . لذا فمفروض علينا الالتزام بالفروض والمناسك والشعائر ، وأن نترك أية أديان أخرى غير الإسلام ، وأية مذاهب أخرى غير الإسلام سواء كانت سابقة عليه أو ظهرت بعده ، فهو – أي الإسلام – هو الوحي الأخير (ونبيه هو خاتم المرسلين) ، وبذا نتميز تماما (وننفصل تماما) عن كل أنواع الوثنية والأدبيات الكاذبة والنبوّات غير الحقيقية ، وعن كل المذاهب والمجتمعات والأديان المختلفة عنا والتي هي إما أن تكون خاطئة أو منسوخة أو مبالغا فيها مفرّغة خالية من الإيمان ، ولا حقيقة فيها .

3- الإيمان بالعناية الإلهية وبالقدر خيره وشرّه

لابد أن نؤمن إيماناً راسخاً أن كل شيء ما خلا الله باطل فلا دوام إلاّ له ، وكل شيء غيره لا محالة زائل ، وأن مَلَك الموت سيقبض أرواح المخلوقات بأمر الله القادر على كل شيء ، والذي خلق كل شيء من العدم ، سيقبض أرواح الجميع فلا يبقى على ظهرها من دابة(*) ، والله هو الذي كوّن (خلق) هذا العالم (الكون) بكل ما فيه من خير وشر وحلو ومر ، ووضع مَلَكًا عن يمينه وملكا (بفتح الميم واللام) عن شماله ليسجّلا أفعال كل امرء منا سواء كانت أفعالا (أعمالا) صالحة أم طالحة حتى يحين وقت الحساب ، ويتم الحكم في هذا اليوم المهيب . فمن الضروري إذن أن نؤمن بالقضاء والقدر ، لكنه من غير المسموح أن نتجادل في هذا الأمر مع أي مهما كان إلاّ بعد أن ندرس شريعتنا المكتوبة دراسة عميقة متأنية ، أعني القرآن الكريم وإلاّ بعد أن ندرس سنّة رسولنا ، فهي شريعتنا الشفهية . مادمتم تعرفون أن كل شيء إلى فناء ، فدعونا نعمل الصالحات فنحن لن نعيش إلى الأبد .

4- السؤال في القبر

لنؤمن إيماناً لا يخالطه شك بالسؤآل في القبر ، إذ سيوجه لك ملكان هذه الأسئلة الأربع المهمة :

1- من ربّك وربّنا؟ 2- من نبيّك؟

3- ما دينك ؟ 4- ما اتجاه القبلة؟

فمن أجاب الإجابة الصحيحة وهي أن الله إلهي لا شريك له ، وأن محمداً نبيي فسينعم في قبره ، فإن ضلّ الإجابة فسيمكث في الظلمة حتى يوم الحساب .

(*) ومع هذا فقد ورد في القرآن (الكريم) أن الله سيبعث الناس مرة أخرى يوم البعث . (المؤلف) .

5- حدوث الفناء التام مستقبلا

لابد أن تؤمن إيمان يقين أن كل الأشياء ستفنى بما في ذلك الملائكة والناس والشياطين ، وليس هذا فحسب وإنما سيحدث هذا في نهاية الدنيا عندما ينفخ إسرافيل في البوق فيفنى كل شيء ، ولا يبقى سوى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ، وسيتسبب هذا النفخ في البوق في تصدع الجبال وغرق الأرض واستحالة مياه البحار إلى لون الدم . وآخر من يموت بعد النفخ في البوق هو عزرائيل ملك الموت . بعدها يبقى الله وحده .

6- البّعث

لابد أن نؤمن إيمان يقين أن ملك الموت (عزرائيل) هو أوّل من سيبعثه الله في السماوات ، وأنه – أي الله سبحانه- هو الذي سيستدعي وقتها كل الأرواح ويكسوها بأبدانها فيكون مصيرها إلى نعيم أو عذاب .

أما على الأرض ، فإن أول من سيبعثه الله هو محمد ﷺ ، أما الأرض نفسها فستتشقق من كل نواحيها ، وستُبَدّل الأرض غير الأرض في لحظة ، وبأمر الله ستتأجج النيران وتغمرها حتى أبعد أطرافها عندها يبسط الله سهلا واسعًا مستويا تماما من السّعة بحيث يسع كل المخلوقات جميعا ليحاسبهم عما عملوا في سابق أيامهم . قد يوقظنا يوم الحساب هذا من غفلتنا ، فالحساب في هذا اليوم عادل لا يستثنى أحداً .

7- يوم الحساب

لابد أن نؤمن إيمان يقين بيوم الحساب حيث سيأمر الله كلّ أمّة بالتجمع في المكان المحدد لهذه المحكمة العظمى . سيكون المكان المحدد واسعاً رحباً ليتجلى الله سبحانه في بهائه . في هذا الموقف البهي الرحب حيث تتجمع كل الخلائق في حوالي منتصف النهار وفي سطوع القمر (أي والقمر ساطع رغم أن الوقت

منتصف النهار) يظهر الله ومعه نبيه محمد وبحضور كل البشر - ليحاكم كل أمّة بالعدل والقسطاس ، وليحاكم كل فرد فيها . وفي هذا اليوم يتلقى كل مخلوق كتابه فإن تلقاه بيمينه كان صالحاً وإن تلقاه بشماله كان فاسقاً . وسيكون طول هذا اليوم كطول العصر الحالي . سيكون هو يوم الآهات والأحزان والمحن والكرب العظيم عندما يتم تجرّع كأس الندم حتى الثّمالة . لكن هذا P.245 لا يكون إلاّ بالنسبة للفاسدين الطالحين ، فسيصبح كل شيء بالنسبة لهم مرًّا وعلقماً وحزناً وندماً . لن يكون أمامهم لحظة واحدة يستريحون فيها ، لن يروا شيئا سوى عذاب جهنم ، ولن يسمعوا صوتاً مريحاً ولن يلقوا إلاّ الهوان ، لن تسمع آذانهم سوى صيحات الشياطين وعويلهم . . .الخ .

8- شفاعة محمد ﷺ

لابد أن نؤمن عن يقين أن نبينا محمداً ﷺ سيشفع لأمته في يوم الحساب العظيم . فتكون تلك أول شفاعة ، وعند الشفاعة الثانية سيرق الله تماما (المقصود سيرحم الله تماما) فيعفو عن كل المسلمين لكن لن يقبل أي تضرّع من قبل الأمم الأخرى- غير أمته . وبالنسبة للآثمين الذين لا يسيرون على هدى القرآن الكريم ، فالله وحده هو العالم بهم فهو وحده يعلم يقينا مدى استمرارهم في هذا . أما بالنسبة لنا فيمكننا أن نقصّر من طول يوم العذاب بالأعمال الصالحة وبالصدقات وكل ما نقدر عليه مما يقرّب إلى الله .

9- الثواب والعقاب يوم الحساب

لابد أن نؤمن إيمان يقين أن الله سيحاسبنا على كل ما اقترفناه في هذه الدنيا من خير وشر . فكل من كانوا من أمة محمد سيتعرضون للحساب قبل غيرهم لأنهم سيكونون شهداء على غيرهم من الأمم . وفي هذا اليوم سيأخذ الله من حسنات من أساء إلى أخيه المسلم ليضعها في ميزان من أساء إليه ، فإذا لم تكن أعمال المسيء الحسنة تكفي ،أضاف من سيئات المُساء إليه حتى يعدل

الكفّتين ، فالله خير العادلين . وحتى لا نتعرض لهذا دعونا لا نفكر في أن نخطىء الآخرين وبخسهم حقهم والإساءة إلى شرفهم وأسمائهم .

10- الميزان والأعراف

لابد أن نؤمن عن يقين وأن نعترف بألسنتنا أن كل أعمالنا ما هو صالح منها وما هو غير صالح ستوزن يوماً ما في الميزان ، فمن رجحت كفة حسناته دخل الجنة ، ومن رجحت كفة سيئاته تعرض لعذاب النار (النص : لهيب النار) ، وبالنسبة للذين تعادلت كفتا الميزان بالنسبة لهما أي الذين ساوت حسناتهم سيئاتهم فيتم حجزهم في مكان بين الجنة والنار حيث لا ينعمون بمقام الصالحين ولا يعاقبون عقاب الآثمين ، وهؤلاء سيدخلون الجنة أخيراً عندما يشفع سيدنا محمد ﷺ شفاعته الثانية . لذا فدعونا من الآن فصاعدا نزن أعمالنا الصالحة ونزيدها لنزيد ميزانها حتى ترجح كفة ميزانها على كفة السيئات .

11- لابد من المرور على الصراط

لابد أن نؤمن إيمان يقين أن كل الناس سيمرون يوما على الصراط الحاد Sharp- edged Bridge الذي طوله بطول هذا العالم (الكون أو الدنيا) ، وعرضه لايزيد عن عرض خيط واحد من خيوط العنكبوت وسيكون ارتفاعه متناسبا مع امتداده . وسيمر الصالح بسرعة أسرع من الضوء (البرق) ، أما غير الصالح فلن يقدر على تحمل معاناة عبوره مهما قضى من وقت يبلغ مبلغ عمر هذه الدنيا ، وسيسقط ليقع في نار الجحيم مع الكفار والمجدّفين . . .

12- الفردوس

لابد أن نؤمن إيمان يقين بأن الله خلق الفردوس الذي أعدّه للصالحين من بين المسلمين أتباع الدين الحق أتباع نبينا محمد ﷺ ، فمعه سيكونون في نور دائم ، وفي مباهج سماوية ، وسينعمون بالنظر إلى وجهه الكريم . أما بالنسبة

للذين سَيُصلَون عذاب الجحيم فهم الآثمون المجدفون الذين لم يؤمنوا بالله الواحد فسيتم إطلاق سراحهم عند الشفاعة الثانية للرسول ﷺ وسيغسلهم الرسول فور خروجهم في حوض مبارك مقدس فيخرجون منه بيضا كالثلج متألقين تألقا أكثر من تألقّ الشمس وسيدخلون الجنة لينعموا بكل ما تشتهي أنفسهم . هذا ما سيحدث للأجساد المخلوقة من طين ، فماذا عن أرواحنا؟ سيمنحها الله خلودا في نور عظمته وبهائه . إذن دعونا نأتي الصالحات حتى لا نُحرق بنار جهنم . دعونا نؤدي الصلاة ، ونصوم رمضان ، ونؤدي المناسك التي أمرنا بها ، وهيا بنا لا نسلب الفقراء حقهم المعلوم في العشر من كل بضائعنا .

13- الجحيم

لابد أن نؤمن ونوقن أن هناك جحيما أعد للطالحين الذين يخرقون بسفه شريعة الله ، أولئك الملعونون من الله بسبب أعمالهم الشريرة والذين كان من الأفضل ألاّ يولدوا وألاّ يروْا نور النهار . انه مكان العذاب أو بتعبير آخر انه مكان النار التي تحرقهم دون أن تمسهم ، نار الجليد أو الرياح الشمالية حيث لن يجدوا سوى الحيات والعقارب وكائنات أخرى سامة مؤذية ستظل تعضهم دون أن تقضي عليهم ، وإنما ستسبب لهم آلاما فظيعة يتعذبون بها . والجحيم مأوى للكافرين والأشرار والشياطين يظلون يتعذبون فيه ، وكلما بليت جلودهم من فرط العذاب بُدّلوا جلودا غيرها ليستمر إحساسهم بالألم . لابد لنا أن ندرك نحن المسلمين مدى الرعب والعذاب في هذا الجحيم ، وأن نحذر منه كل عباد الله . أما بالنسبة للذين يشنون الحرب على ديننا فسوف يحسون يوما بعذاب الجحيم . دعونا جميعا منذ الآن نرهب هذا العذاب ودعونا نخاف من عذاب جهنم . دعونا نؤمن إيماناً راسخاً من قلوبنا . إيمان وقر في القلب وصدّقه اللسان .

[D]

MOHAMMEDAN CONFESSION OF FAITH; TRANSLATED FROM THE ARABIC.

(From Morgan's Mahometism Explained.)

The articles of our faith which every good Mussulman is bound to believe and to receive with an entire assurance are thirteen in number, whereof the first and principal is,

I.—*Of God's Existence.*

To believe from the heart, to confess with the tongue, and with a voluntary and steadfast mind to affirm, that there is but one only God, Lord and Governor of the universe, who produced all things from nothing, in whom there is neither image nor resemblance, who never begot any person whatsoever, as he himself was begotton by none; who, as he never was a son, so he never hath been a father. It is this Lord and Sovereign Arbiter of all things whom we Mussulmans are bound to serve and adore · so that none among us may deviate from this article, but every one must imprint it deeply in his heart; for it is unquestionable.

II.—*Of the Prophet Mahomet and the Koran.*

We must believe from our hearts and confess with our mouths that the Most High God, after having revealed himself to mankind by his ancient prophets, sent us at length his Elected, the blessed Mahomet, with the sacred and divine law, which through his grace he had created, the which is contained in the venerable Koran, that hath been from him remitted unto us. By this holy law it is that God hath abolished all the preceding ones, and hath

X

withdrawn from their doubts and errors all nations and people in order to guide them to a firm and lasting state of happiness. Wherefore we are obliged exactly to follow the precepts, rites, and ceremonies thereof, and to abandon every other sect or religion whatsoever, whether instituted before or since this final revelation. By this article we are distinguished and separated from all sorts of idolatry, lying rhapsodies, and false prophecies, and from all those sects, societies, and religions different from ours, which are either erroneous, abrogated, or exaggerated, void of faith, and without truth.

III.—*Of Providence and Predestination.*

We must firmly believe and hold as a certainty that, except God himself who always was and always shall be, every thing shall one day be annihilated, and that the Angel of death shall take to himself the souls of mortals destined to a total and universal extinction,* by the command of God, our powerful Lord and Master, who was able and hath vouchsafed to produce out of nothing, and in fine to set in form this universal world, with all things therein contained, both good and evil, sweet and bitter; and hath been pleased to appoint two angels, the one on the right, and the other on the left, to register the actions of every one of us, as well the good as the bad, to the end that judicial cognizance may be taken thereof, and sentence pronounced thereupon, at the great day of judgment. It is therefore necessary to believe predestination: but it is not permitted to discourse thereof to any whomsoever, till after being perfectly well versed in the study of our written law, viz. the Koran, and of our Sonnah, which is our oral law. Seeing then all things are to have an end, let us do good works, and deport ourselves so that we may live for ever.

* Notwithstanding this annihilation, it is taught in the Koran that all intelligent creatures will be reproduced again at the resurrection.

IV.—*Of the Interrogation in the Grave.*

We must truly and firmly believe and hold as certain and assured, the Interrogation of the sepulchre. which will after death be administered to every one of us by two angels upon these four important questions:—1. Who was our Lord and our God? 2. Who was our Prophet? 3. Which was our religion? 4. On what side was our Keblah? He who shall be in a condition to make answer, that God was his only Lord, and Mahomet his Prophet, shall find a great illumination in his tomb, and shall himself rest in glory. But he who shall not make a proper answer to these questions shall be involved in darkness until the day of judgment.

V.—*Of the Future Dissolution.*

We must heartily believe and hold as certain, that not only shall all things one day perish and be annihilated, viz. angels, men, and devils, but likewise this shall come to pass at the end of the world, when the angel Israfil shall blow the trumpet in such sort that except the Sovereign God none of the universal creation shall remain alive immediately after the dreadful noise, which shall cause the mountains to tremble, the earth to sink, and the sea to be changed to the colour of blood. In this total extinction, the last who shall die will be Azarael, the Angel of death; and the power of the Most High God will be evidently manifested.

VI.—*Of the Future Resurrection.*

We are obliged cordially to believe and to hold for certain, that the first before all others whom God shall revive in heaven shall be the Angel of death; and that he will at that time recall all the souls in general, and reunite them to the respective bodies to

which each belonged; some of which shall be destined to glory, and others to torment. But upon earth, the first whom God will raise shall be our blessed prophet Mahomet. As for the earth itself, it shall open on all sides, and shall be changed in a moment; and by God's command fire shall be kindled in every part thereof, which shall be extended to its utmost extremities. God will then prepare a vast plain, perfectly level, and of sufficient extent to contain all creatures summoned to give an account of their past conduct. May this solemn, definite, and irrevocable judgment awaken us from our security; for to nothing that hath been created shall favour be showed. Every soul shall be judged there by the same rule, and without exception of persons.

VII.—*Of the Day of Judgment.*

We must believe from our hearts and hold for certain, that there shall be a day of judgment, whereon God shall ordain all nations to appear in a place appointed for this great trial, of sufficient vastness that His Majesty may there be evident in splendour. It is in this magnificent and spacious station that the universal assembly of all creatures shall be made, about the middle of the day, and in the brightness of noon: and then it is, that accompanied by his prophet (Mohammed), and in the presence of all mankind, God shall with justice and equity judge all the nations of the earth in general, and every person in particular. To this effect, every one of us shall have a book or catalogue of our actions delivered to us; that of the good in such wise that it shall be received and held in the right hand; that of the wicked, so that it shall be received and held in the left hand. As to the duration of that day, it shall be as long as the continuance of the present age. This shall be a day of sighs and griefs, a day of tribulation and anguish, when the cup of sorrow

and misery must be drunk up, even the very dregs thereof. But this is what shall be particularly experienced by the ungodly and the perverse; every thing shall present to them ideas of sorrow and affliction. To them every thing shall become aloes and bitterness. They shall not obtain one moment of repose. They shall behold nothing that is agreeable, nor hear one voice that shall delight them: their eyes shall see nothing but the torments of hell; their ears shall hear nothing but the cries and howlings of devils; and their terrified imaginations shall represent unto them nothing but spectres and tortures.

VIII.—*Of Mahomet's Intercession.*

We are bound to believe, and hold as certain, that our venerable prophet Mahomet shall with success intercede for his people at the great day of examination. This will be the first intercession; but at the second, God will be entirely relented, and all the faithful Mussulmans shall be transported into a state of glory, while not one excuse or supplication in behalf of other nations shall be accepted. As to the greatness of pain which those among us are to undergo, who have been offenders by transgressing the precepts of the Koran, it is known to God alone, as there is none but Him who exactly knoweth how long the same is to continue, whether its duration shall be more or less than that of the examination or judgment. But to us it belongeth to shorten its continuance by good works, by our charity, and by all the endeavours we are capable of.

IX.—*Of the future Compensation at the last Judgment.*

We must sincerely believe, and hold as a certainty, that we must every one of us give up our accounts before God, concerning the good and evil we have transacted in this world. All who have been

followers of Mahomet shall be before all others summoned to this examination, because they it will be who shall bear witness against all other strange nations. It shall come to pass on that day, that God will take away out of the balance of him who has slandered his brother some of the good works, and put them unto that of him who hath been slandered; and if the slanderer is found to have no good works, he will then deduct from the punishment of the slandered, to include them in the list of those of the slanderer, insomuch that his great justice will be fully manifest. At least, then, that we not run the hazard of this terrible compensation, let us not think of wronging others, or of diminishing their substance, their honour, or their good name.

X.—*Of the Balance, and of Purgatory.*

We must believe from the heart, and confess with the mouth, that all our actions, good and bad, shall one day be weighed in the balance, the one against the other, insomuch that those whose good works outweigh their bad shall enter into Paradise; and that, on the contrary, they whose bad works shall outweigh their good shall be condemned to the flames of hell. And for those whose scales shall be equally poised, because the good they have done is equivalent to the evil, they shall be detained in a station situate in the middle, between Paradise and hell, where consideration will be made both of their merits and of their demerits, since besides their being confined in that place, they shall have no punishment inflicted on them, nor shall they enjoy any part of the glory ordained for the beatified righteous. It is true that all those among that number who are Mussulmans shall be at length released from their captivity, and shall be introduced into Paradise at the second intercession of our blessed prophet Mahomet, whose great compassion will

be signalized by his engaging, in order to our redemption, to supplicate the power and the mercy of the Most High, as well as his justice, already satisfied by the long captivity of the criminals. Wherefore let us from henceforward weigh our good works, to the end that we may assiduously strive to increase their weight, and that they may have the advantage over the bad.

XI.—*Of the Sharp-edged Bridge, and the unavoidable passage thereof.*

We are obliged to believe from our hearts and to hold as assured, that all mankind in the world must pass one day over the Sharp-edged Bridge, whose length shall be equal to that of this world, whose breadth shall not exceed that of one single thread of a spider's web, and whose height shall be proportionable to its extent. The righteous shall pass over it swifter than a flash of lightning; but the impious and the ungodly, shall not, in as much time as the present age shall endure, be able to surmount the difficulties thereof, and that through the want of good works. For which reason, they shall fall and precipitate themselves into hell-fire, in company with the infidels and blasphemers, with those of little faith and bad conscience, who have done few deeds of charity, because they were void of virtue. There shall be some among the good, notwithstanding, whose passage shall be lighter and swifter than that of many others, who shall therein meet with temptations and obstructions from every precept which they shall have ill-observed in this life. Good God! how dreadful to our sight will this formidable bridge appear! What virtue, what secret grace from the Most High shall we not need to be enabled to pass over it?

XII.—*Of Paradise.*

We are to believe and to hold for a certainty, that God did create a Paradise which he prepared for the blessed, from among the number of the faithful, by which are meant the followers of the true religion, and of our holy prophet, Mahomet; where with him they shall be placed in perpetual light, and in the enjoyment of heavenly delights; for ever beautiful in the vigour of their age, and brighter than the sun; and where they shall be found worthy to contemplate and adore the face of the Most High God. As for those who shall be detained in the tortures of hell, to wit, the sinners and transgressors, who have nevertheless believed in one only God, they shall be released at the second intercession of the prophet, by whom they shall immediately be washed in the sacred laver, from whence being come forth whiter than snow and more refulgent than the sun, they shall, with the rest of the blessed, behold themselves seated in paradise, there to enjoy all the glory they can desire. This is what shall befall the body composed of clay; and what then shall be the state of our souls? To the which it shall be granted eternally to behold the light and brightness of the divine majesty. Let us then endeavour to do works of such a character, that we may have no cause to fear hell-fire. Let us, I say, chiefly apply ourselves to good works, let us not refuse to exert our utmost strength in the exact observation thereof, and of the fast of our venerable month of Ramadan, and of the prayers and ceremonies which are ordained; and let us not defraud the poor of a tenth of all our goods.

XIII.—*Of Hell.*

We must sincerely believe and hold for certain, that there is a hell prepared for the unrighteous, the refractory transgressors of the divine law, accursed

of God for their evil works, and for whom it would have been better had they never have been born, and to have never seen the light of day. It is for such as those that a place of torment is appointed, or rather a fire which burneth without touching them, a fire of ice and north winds, where there shall be nothing but snakes and serpents, with other venomous and ravenous creatures, which shall bite them without destroying them, and shall cause them to feel grievous pains. That place shall be the abode of the impious and of the devils, where *these* shall, with all sorts of cruelty and rage, incessantly torture *those;* and lest the sense of their pain should cause them to relent, a new skin shall continually succeed in the stead of that which has been burned or mortified. It is for us Mussulmans to conceive and entertain a just horror of this detestable place; such reflections are the duty of all God's servants. As for those others who have declared war against our religion, they shall one day feel the torments of hell. Let us all dread this punishment and these frightful terrors. Let us confirm our faith by the sentiments of our hearts, and by the confession of our tongues, and let us engrave it in the bottom of our souls.



ـ الملحق الخامس

مُسرد بالأعمال الأساسية

المكتوبة بالعربية واليونانية واللاتينية عن الإسلام ومؤسسه (*)

(جرى نقلها في الأساس عن بريدو Prideaux)

الترجمة العربية - النص الانجليزي

الترجمة العربية

P.250 أبو الفرجيوس (**) Abulffaragius : طبيب عاش في مالاتيا في أرمنيا الدنيا ، كان مسيحيا على المذهب اليعقوبي . كان كاتبا حظي بشهرة في بلاد الشرق ، بين المسلمين و المسيحيين على سواء . ويغطي كتابه عن تاريخ الأسرات الحاكمة Hisoria Dynastarium الفترة من بدء الخلق إلى سنة 1284 . وقد ارتفع شأنه في حوالي نهاية القرن الثالث عشر أي في حوالي الفترة التي أنهى فيها تاريخه ، وقد نُشر كتابه هذا في اكسفورد في سنة 1663 مع ترجمة لاتينية للدكتور بوكوك . واسمه الكامل هو جريجوريوس ابن حكيم أبو الفرجي .

وتحدث عنه جيبون قائلاً : «بل انه في هذة الفترة الطويلة تم تحويل بعض الغرباء من ذوي المكانة إلى عقيدة الطبيعة الواحدة ، وكان أبوه يهوديا وزعيما دينيا في الشرق ، فكان لهذا مبرّزا في حياته وعند مماته (أي الابن أبو الفرجيوس) . وكان كاتبا لامعا بالسريانية والعربية . وكان شاعراً وطبيباً ومؤرّخاً وفليسوفاً حاذقا ولاهوتيا معتدلا . وعندما مات ضمت جنازته منافسه البطريارك النسطوري ، وعدداً كبيراً من الإغريق والأرمن الذين نسوا خلافاتهم

(*) هكذا في الأصل ، وقد أبقينا عليه لمعرفة فكر المؤلف والنص المنقول ، مع عدم موافقتنا على مدلول هذا التعبير ، فالنبي ﷺ رسول الله وناشر دعوته وناقل تشريعه ورسالة دين الاسلام (المترجم)

(**) هو غير أبو الفرج سواء أبو الفرج الأصفهاني أو غيره (المترجم) .

(الدينية) وراحوا يسكبون الدموع معاً على قبر عدوّهم (**المقصود المخالف لهم في المذهب الديني**)(*) .

أبوالفدا : مؤلف بارز بين الكتاب الشرقيين . حظي بشهرة بسبب كتابين ألفهما : الأول يتناول الجغرافيا العامة للعالم على نسق بطلميوس (**أي نهج فيه نهج الجغرافي المعروف بطلميوس**) ، والكتاب الثاني يتناول فيه P.251 التاريخ العام حمل - عند ترجمته - عنوان خلاصة تاريخ الأمم . ولد في سنة 1273 ، وانهى كتابة الجغرافي الآنف ذكره في سنة 1321 . وبعد ذلك بعشرين عاما توجه إلى حماه في الشام ، فتولى فيها الحكم لثلاث سنوات وشهرين فعرف باسم أمير حماة أو شاه حماه shahah Hamah . وتوفى في سنة 1354 وهو في الثانية والسبعين من عمره . وهو تركي الأصل من أسرة نبيلة هي أسرة جوليدي jolidae التي كان منها أيضا صلاح الدين سلطان مصر الشهير وقد ذكره إكلنيسس باسم اسماعيل شاهٍ شاه .

أبو نزار: كاتب حكايات مسلم ، غالبا ماكان هوتنجر ينقل عنه .

اغار AGAR: اسم كتاب يعتبره المسلمون حجة يشتمل على حياة محمد وموته . استخدمه جوهانز أندر ياس استخداماً واسعاً وأشار إليه باسم أزيار azaer ، وكذلك استخدمه بلونيوس bellonius في كتابه الثالث (الملاحظات) وأشار إليه باسم أساير .وقد استخدمه **جوداجول** الذي يمتلك نسخة من هذا الكتاب في ذكرمعظم التفاصيل التي هاجم بمقتضاها حياة محمد وأفعاله .

أحمد بن ادريس : مؤلف دافع عن الإسلام أمام المسيحيين واليهود .

أحمد بن يوسف : حقق شهرة في سنة 1599 عندما أكمل كتابه في التاريخ .

أحمد بن زين العابدين : شريف من أصبهان (أصفهان) في فارس ، عاش في

(*) Decline and fal l,vol, II, p,508, Dublim edition, 1788.

القرن السادس عشر . كتب أحد الكتب ضد الديانة المسيحية ،ودفاعا عن الإسلام . وقد كتب **جيرنيموزافير jernimo Xavier** المبشر اليسوعي في بلاط أكبر الحاكم المغولي ، باللغة الفارسية كتابية يدافع عن المسيحية ، أحدهما هو : **تاريخ يسوع المسيح** ، جمع غالبه من أساطير كنيسة روما ، والآخر : **مرآة الحقيقة** ، يدافع فيه عن الأناجيل مواجها بذلك هجوم المسلمين عليها . ولسوء حظ **P.252** المؤلف أن كتابه الأخير هذا وقع بعد نشره مباشرة في يد مؤلف مسلم هو أحمد ابن زين العابدين الذي سرعان ما كتب كتابا يرد فيه عليه جعل له عنوانا هو : **تهافت كتاب مرآة الحقيقة** ، وأسقط في يد عصبة الدعاية للمسيحية في روما من الطريقة المقتدرة التي أجاب بها أحمد بن زين العابدين على كتاب مبعوثهم (مبشرهم) فتم تكليف اثنين من الرهبان الفرنسسكان لإعداد رد على كتاب زين العابدين لكن النصر كان قد انعقد لخصمهم المسلم لأنهما عندما أعدّا ردهما كانا قد اعتمدا على ما قالة الباباوات وما ورد في المجامع الكنسية .

البخاري: مؤلف عربي شهير قدم لنا كتابا يضم ما روي من أحاديث عن محمد ﷺ ، وقد ذكر جون أندرياس وبلونيوس أنه من بين ستة جماع الأحاديث الستة الذين التقو بأحد الولاة الذين عينهم الخلفاء في دمشق كي يقوموا بوضع مجموعة موثقة لكل الأحاديث واشتمل عمله على جمع ما يتعلق بالشريعة (النص : مجموعة القوانين pandects) . وما يتعلق بالعقيدة ، وقسم مجموعته إلى عشرين كتابا (أو فصلا) ،ونظراً لقدم هذه المجموعة وموثوقتيها فقد اعتبرت من بين الكتابات المقدسةعند المسلمين إذ تلي القرآن(الكريم) في القيمة . وولد البخاري في بخارا في سنة 809م وتوفي سنة 869م .

الفرغاني: فلكي من فرغانه في فارس ، وإليها ينسب ، واسمه مطولا هو محمد بن قتير katir الفرغاني . كتب كتابا عن **عناصر الفلك** The Elements astronomy جرى نشره عدة مرات في أوربا في نورمبرج (1537) وفي باريس

(1546)وفي فرانكفورت باللاتينية في سنة 1590 وعلّق علية كريستماني ، وبعد ذلك نشره جوليوس بالعربية واللاتينية في ليدن في سنة 1669 وأضاف إليه تعليقات مفيدة جداً للباحثين في جغرافيا الشرق . وحقق شهرة على أيام الخليفة المأمون الذي مات سنة 833م .

P.253 **الغزالي :** هو فيلسوف طوس الشهير . وطوس في فارس . كتب كثيراً من الكتب ليس فقط في الفلسفة ، وإنما أيضا في الدفاع عن الإسلام في مواجهة المسيحيين واليهود والوثنيين وكل أصناف الكفرة ، وأشهر كتبه هو **تهافت الفلاسفة** الذي ردّ فيه على **ابن سينا** وغيره من الفلاسفة ، الذين لجأوا إلى شرح كثير من الاستعارات والكنايات المستخدمة في هذا الدين والتي لا يمكن فهمها حرفياً ، وذلك ليجدوا تبريرا للسخافات الإسلامية . هؤلاء الكتّاب الذين هاجمهم الغزالي بعنف وأدانهم بسبب هذه التفسيرات الغامضة (أو الصوفية **mystical**) وبسبب هرطقتهم وإلحادهم واعتبرهم متهافتين (مضللين) يدمرون العقيدة والدين ، وبسبب موقعه هذا أطلق عليه لقب **حجة الإسلام** و(**زين الدين**) . ولد الغزالي في سنة 1058 ومات في سنة 1112م . واسمه مطوّلا هو : أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي .

الجنابي: مؤرخ ولد في جنبه بالقرب من شيراز في فارس . ويستمر تاريخه حتى سنة 1588 ونعرف من تاريخه أنه حجّ إلى مكة ومنها اتجه إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ ، وكان هذا في سنة 1556م .

القاموس المحيط للفيروزآبادي: سُمّي **بالقاموس المحيط** لأنه يضم فيضا هائلا من الكلمات (**محيطا من الكلمات**) . ألّفه **محمد الشيرازي الفيروزآبادي** الذي حظي بتقدير الحكام في عصره ، لجدارته وعلمه ، وقد كرّمه على نحو خاص إسماعيل بن عباس ، حاكم اليمن ، وبغازت BaJazet ملك الترك

وتيمور لنك التتري الذي منحه خمسة آلاف قطعة ذهبا دفعة واحدة . وهو فارسي بالمولد لكنه عاش معظم حياته في صنعاء باليمن ، ولد في سنة 1328 وانتهى من تأليف قاموسه في مكة (المكرمة) وأهداه إلى إسماعيل بن عباس الذي رعاه لمدّة طويلة . ومات الفيروزآبادي في زبيد في سنة 1414 عن عمر يناهز التسعين عاما .

القضاعي Al Kodai : مؤرخ عربي ألف كتابا في حوالي سنة 1045م ومات في سنة 1062 .

المسعودي: مؤرخ . هو مؤلف كتاب **مروج الذهب** Golden Meadows ، ولا ندري الآن محتوى الكتاب ، واسم المؤلف كاملا هو على بن الحسين المسعودي ، وله كتاب آخر بيّن فيه الخداع الذي يمارسه المسيحيون الرومانيون Roman Christiaus (المقصود الكاثوليك) في القدس ، في ضوء الشموع عند القبر المقدس في عيد الفصح . ويمكن للقارىء أن يقرأ رواية كاملة لهذا الادعاء الحقير أو الخداع الحقير في رحلات ثيڤينوت Thevenot **(الكتاب الثاني ، الفصل 43) (المترجم : المؤلف هنا يدين الطقوس الكاثوليكية ويصفها بالخداع)** .

المطرزي: هو مؤلف كتاب Mogrel . ولد في سنة 1143 ومات في سنة 1213 ، وكان على مذهب المعتزلة ، ويبدو من اسمه أنه كان خيّاطا .

البيضاوي Bedawi: من أشهر شارحي القرآن الكريم توفّى في سنة 1293م .

كتـــاب بعنـــوان : Dialogus Mahometis Cum Abdollah Ebn Salem .

كتاب بالعربية يضم كثيراً من الخرافات والأمور المنافية للعقل عن الدين المحمدي (الإسلامي) على شكل حوارات بين المدَّعي نفسه (يقصد محمدا صلى الله عليه وسلم) ويهودي يُفترض أنه هو الذي ساعده على تلفيق القرآن (الكريم) وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية هرمانوس دالماتا ، وهو مطبوع في آخر الترجمة اللاتينية للقرآن (الكريم) التي قام عليها ببلياندر .

كتاب بعنوان : Disputatio Christiani Contra Saracenum De lege Mahemetis أدلة المسيحيين في مواجهة دعاوي المسلمين (السرسرية) ألّف هذا الكتاب مسيحي باللغة العربية ، وكان هذا المسيحي ضابطا في بلاط أحد الملوك المسلمين ، ووجهه إلى صديق له مسلم يعمل مساعداً في البلاط نفسه . ويشتمل الكتاب على دَحْض للإسلام . وقد سعى بيتر (بطرس) رئيس دير كلوني في برجاندي لترجمته إلى اللاتينية ، فترجمه بالفعل بيتر التوليدي P.255 (بطرس التطيلي) ، وقد ألحقت هذه الترجمة بترجمة بيلياندر للقرآن الكريم .

الماكينوس: (عادة ما يكتب اسمه : المكين) مؤلف عربي ، كتب تاريخ الدين المسيحي ، ويبدأ كتابه من بدء الخليقة إلى سنة 1118م . ويبدأ جزؤه الأخير من ظهور الإسلام ، وقد نشر هذا الجزء **إربينيوس** في سنة 1625 وجعل له عنوانا هو **تاريخ العرب والمسلمين** Historia Saracenica ، وهو ابن ياسر العميد سكرتير مجلس الحرب في بلاط سلاطين مصر ، وهو من أسرة جوبيدي Jobidae وفي سنة 1238 خلف المكين أباه في المنصب نفسه واسمه كاملا هو جيورجيوس بن العميد ونظراً لعلمه أصبح اسمه الشيخ الرئيس المكين . وغلب عليه هذا الاسم فاستخدمه إربينيوس للإشارة إليه ، لكن الآخرين يشيرون إليه باسم ابن العميد .

ابن الأثير: مؤلف مسلم . ولد في سنة 1149 ومات في سنة 1209 .

على بن الأثير: مؤرخ وهو أخو الأول (ابن الأثير الآنف ذكره) . ويمتد تاريخه الذي أسماه بالكامل من بداية الخليقة إلى سنة 1230 .

ابن كسائي : (الكسائي) مؤلف **كتاب التعريفات** الذي يشرح فيه المصطلحات العربية المختلفة التي يستخدمها الفلاسفة والمشرعون ورجال الدين وغيرهم من العلماء المسلمين .

يوتيشيوس: مؤلف مسيحي على المذهب الملكاني . اسمه بالعربية **سعد بن بطريق** . ولد في القاهرة سنة 876 ونبغ في الطب لكنه اهتم في الجزء الأخير من حياته بدراسة الدين ، وتم اختياره في سنة 933 بطرياركا للاسكندرية فأصبح

P.256 اسمه **يوتيشيوس**، وتوفى بعدها بسبع سنوات في سنة 940 . وقد نشرت حوليته عن كنيسة الاسكندرية بالعربية واللاتينية في أكسفورد في سنة 1656 . إذ تولى الدكتور **بوكوك** نشرها برعاية المثقف **سِلْدن** .

مطبوع بعنوان: Liber De Generatione Nutritura Mahomitis :

أكثر النصوص تفاهة وغباء . كُتب في الأساس باللغة العربية وترجمه إلى اللاتينية **هرمانيوس دالماتا** ونشره ملحقا بترجمة بيبلياندر للقرآن (الكريم) .

مطبوع بعنوان: Geographia Nubiensis :

من أهم الأعمال الشرقية في الجغرافيا . وهذا العنوان الآنف ذكره من وضع **سيونيتا وهسرونيتا** وهما مسيحيان مارونيّان وقد نشراه باللاتينية بعد أن أضافا له ملحقا في سنة 1619 . لكن هذا الكتاب هو في الواقع مجرد تلخيص لكتاب أوسع وأفضل هو كتاب **الشريف الإدريسي** الذي كُتب بناء على طلب ملك صقلية روجر بغرض شرح المعالم الجغرافية على الكرة الأرضية التي كان الملك قد أمر بصنعها (**المفهوم طبعا مشخَّص الكرة الأرضية**) من الفضّة . وقد أكمل الإدريسي عمله في سنة 1153 وأسماه كتاب روجر . والمؤلف (**الادريسي**) من نسل محمد ﷺ لذا حمل اللقب (**شريف**) وهناك نسخة جميلة من هذا العمل بين مخطوطات بوكوك العربية .

جورجيوس موناشوز: رئيس دير سانت سيمون . كتب كتاباً صغيراً دفاعاً عن الدين المسيحي في مواجهة هجوم المسلمين، على شكل جدال عنيف بينه وبين عدد من المسلمين، أهمهم **أبو سلمة بن سعر** Saar الموصلي .

الجوهري: مؤلف قاموس **الصحاح** المشهور، وهو من أصل تركي . توفى في سنة 1007 ، وقاموسه أدني درجة من قاموس **الفيروزبادي** ، وقد استقى جوليوس من قاموس الجوهري كثيراً عندما أعد قاموسه (**أي قاموس جوليوس**)

الجلالين: مؤلفان اسم كل منهما جلال وضعا تفسيراً موجزاً للقرآن (الكريم)، وقد أنهى جلال الثاني هذا العمل في سنة 1466، وألف أيضا كتاب **المزهر** Mezhar . P.257

الشهرستاني: ولد في شهرستان سنة 1074 ومات في سنة 1154، وهو مؤلف شهير بين المسلمين .(**كتابه المشهور : المِلل والنِحل / المترجم**) .

الزمخشري: مؤلف **كتاب الكشاف**، وهو تفسير موسع للقرآن الكريم يحظى بتقدير كبير - أكثر من غيره - بين المسلمين . توفي في سنة 1143 .

المؤلفون اليونانيون

- **Bartholomei Edessini Confutatio Hagareni** :

رسالة باللغة اليونانية تهاجم الدين المحمدي (**الإسلامي**) نشرها لي موين ضمن مجلده (**Varia Sacra**) . كان المؤلف رئيسا لدير الرّها في العراق، لكننا لا نعرف الفترة التي عاش فيها .

- **Contacuzenus Contra Sectam Mahometicam** :

يضم هذا الكتاب أربعة مباحث تدافع عن المسيحية . كما تضم أربع خطب تهاجم الإسلام . كان المؤلف امبراطورا في القسطنطينية لكنه تخلى عن منصبه لزوج ابنته في سنة 1355 واعتكف في الدير وبصحبته **ميليتيوس Meletius** وهو شخص كان قد ارتد عن الإسلام ودخل المسيحية . وهذا الكتاب، يُقال الآن، أنه كُتب لميليتيوس ليرد به على خطاب أرسله له **سامبسات** - وهو فارسي من أصفهان - لبحثّه - إن أمكن - على العودة للإسلام .

- **Cedreni Compendium Historiarum** :

كتاب يضم تاريخاً موجزاً لكل العصور منذ بدء الخليقة إلى سنة 1057 .

- **Confutato Mahometis** :

كتيب نشره لي مُوينْ في مجلّده Varia Sacra ولا أحد يدري مؤلّفه .

- **Theophanis Chronographia** :

كتاب ألفه أحد المؤرخين البيزنطيين يَضُم تاريخا حوليا للإمبراطورية البيزنطية من سنة 285 إلى سنة 813 . والمؤلف كان أحد نبلاء القسطنطينية . وكان شخصا مهما في البلاط الإمبراطوري لكنه بعد ذلك اعتزل الحياة العامة ، ودخل الدير حيث كتب كتابه الآنف ذكره ، ومات في سنة 815 في السجن في جزيرة ساموتراقيا Samothrace لدفاعه الحار عن عبادة الصور (**عبادة الأيقونات**) التي كان يدافع عنها بحماس في مجمع نيس الثاني .

- **Zonarae Compendium Historiarum** :

سلسلة أخرى من سلاسل التواريخ البيزنطية . تضم تاريخا يبدأ من بدء الخليقة إلى موت ألكسيوس كومنينوس امبراطور القسطنطينية (**المقصود الإمبراطور البيزنطي**) في سنة 1118م . كان المؤلف يحمل رتبة في البلاط لكنه بعد ذلك أصبح اكليريكيا ، وكتب كتابه في التاريخ الآنف ذكره ، وكتب أيضاً تعليقاً شهيراً على القوانين اليونانية .

المؤلفون اللاتين

- **Clenardi Epistolae** :

كان المؤلف أشهر نحوي في عصره . ذهب إلى فاس في سنة 1540 ليتقن هذه اللغة النفيسة (العربية) وكان هذا في فترة متقدمة من العمر . وفي فاس كتب رسائله المشار إليها آنفا والتي تضم تفاصيل دقيقة عن دين المسلمين

وعاداتهم . ومات في غرناطة بأسبانيا بعد عودته من فاس مباشرة .

- **Cusani Cribatio Alcorani** :

اشتهر المؤلف باسم Nicolas de Cusa ، وكان أشهر باحث في عصر . رُسّم كاردينالا لروما ، في سنة 1448م باسم St-Peter's ad vincula ومات في سنة 1464 بعد فتح القسطنطينية على يد الأتراك (العثمانيين) بعشر سنوات . وكان سقوط القسطنطينية باعثًا له على كتابة مؤلّفه هذا ليقدم دواء يشفي من هذا الدين السام (يقصد الإسلام) الذي يراه الآن على وشك اجتياح جانباً كبيراً من المملكة المسيحية .

- **Abrahami Ecchelensis Historia Arabum** :

هذا النص جرى إلحاقه بكتاب تواريخ شرقية الذي جمعه مؤلفه من كتابات المؤلفين العرب . وكان إكشلنيسس مارونيا من جبل لبنان في الشام ، وكان يعمل استاذا للغات الشرقية في كلية دي بروباجندا فيد في روما ، لذا فقد استدعى في حوالي سنة 1640 إلى باريس ليساعد في نشر الكتاب المقدس المسيحي بلغات متعدّدة ، وهناك - أي في باريس - أصبح أستاذ الملك للغات الشرقية في كلية المدينة King's professor وعلى أية حال ، فإن جهوده في هذا العمل الكبير لم يكن جديراً جدارة كبيرة ، وذلك على حد قول بعض أساتذة السوربون . وغالباً ما تجلّى عدم دقّته كثيراً جداً ، وثبت أن أحكامه - إلى حد كبير - كانت قاصرة .

- **J.H. Hottingeri Historia Orientalis** :

يوجد من هذا الكتاب المهم طبعتان . الأولى في سنة 1651 والثانية في سنة 1660 وهي طبعة موسّعة . وكان المؤلف أستاذاً للغات الشرقية في زيورخ في سويسرا ، وبعد ذلك في هيدلبرج في هولندا لكنه - للأسف - غرق في الراين عند انتقاله إلى هيدلبرج . وكان هوتنجر رجلا واسع التعليم دؤبا . إلاّ أن كتاباته

كان يعوزها الدقة ، فقد كتبها في وقت قصير إذ أنه مات في ريعان الشباب . ومع هذا فقد كانت كتاباته مفيدة تماما .

- **Metanae** :

مؤلف هذا الكتاب كان قبل ذلك فقيها أي اختصاصيا في الفقه الإسلامي لكنه ارتد إلى المسيحية في سنة 1487 عندما كان في ڤالينسيا بأسبانيا ، وبعد ذلك مباشرة دخل في التنظيمات الدينية المسيحية وبالتالي كتب رسالته هذه باللغة الأسبانية مهاجما فيها الدين الإسلامي الذي ارتد عنه . وتُرجمت رسالته هذه إلى الإيطالية في سنة 1540 وإلى اللاتينية في سنة 1595 ، وأعاد طبعه ڤيتيوس في أترخت في سنة 1656 . وقد أدّى إلمامه بالموضوع بشكل عميق إلى إدارته للجدل بتمكن لا نظير له .

- بوكوك **Pocock** :

هو أستاذ اللغتين العبرية والعربية في اكسفورد ، وقد حظي بشهرة كبيرة فكان أحد أبرز اللامعين في عصره لتقواه وعلمه . ولد في سنة 1604 ومات في سنة 1691 ، وظل طوال حوالي ستين سنة يعمل في نشر (وتحرير) الكتب المفيدة في آداب الشرق أو تاريخه . وأكثر أعماله أهمية هو Specimen Historia Arabi-cae الذي نشره في سنة 1650 والذي أشار إليه جيبون في أحد حواشيه منوّها لأهميته : «ادرس بعناية كتاب بوكوك Specimen Historiae Arabicae ، فهو يضم 358 ملاحظة تكوّن عملاً كلاسيا وأصليا في العربية القديمة (ربما يقصد الفصحى)» ويقول جيبون في موضع آخر : «إن بوكوك يفهم العربية أكثر مما يفهما مفتي حلب»(*) .

- **Richardi Confutatio Legis Saracenicae** :

مؤلف هذه الرسالة المهمة جدا «أخ» في طائفة الدمينيكان . ذهب إلى بغداد

(*) Decline fall, vol v ,p.228 .

في سنة 1210 لهدف واحد هو دراسة الدين الإسلامي على أرض الواقع ليستطيع دحضه بشكل أكثر فعالية . وهذه الرسالة كانت ثمرة إقامته في بلاد المسلمين ، وقد نشرها عند عودته . وترجمها من اللاتينية إلى اليونانية ديمتريوس سيدونيوس للإمبراطور السابق كانتا كيزين الذي استخدمها كثيرا ، فكانت أفكارها هي الأكثر أهمية في خطبه الأربع ضد الدين المحمدي (الإسلامي) ومن هذه النسخة اليونانية ترجمها بيسينوس مرة أخرى للآتينية ، وتم نشرها ملحقة بنسخة ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية التي قام عليها بيبليانذر . لقد ضاع الأصل ، ولم يبق لنا إلاّ هذه الترجمة . وهذه الرسالة التي كتبها رتشارد بالإضافة للرسالة الأخرى التي كتبها چوهان أندرياس (الآنف ذكرها) هما أفضل رسالتين كتبهما أوربيون في محاجّة المسلمين قبل رسائل الموقّر هنري مارتين التي نشرت في الأساس باللغة الفارسية وترجمها للإنجليزية البروفسور لي Lee في كيمبردج .

– **Roderici Toletani Historia Arabum** :

يضم تاريخ المسلمين منذ مولد محمد ﷺ إلى سنة 1150م . والمؤلف (روديريك) كان رئيس أساقفة توليد و(طُليطلة) في أسبانيا ، والذي كان حاضراً في مجمع لاتيران في سنة 1215 . وقد قصر تاريخه بدءاً من الفصل العاشر على تاريخ المسلمين في أسبانيا في غالب الأحوال ، مما يجعل روايته جديرة بالاعتماد عليها ، لكن يقال إن ما كتبه عن المسلمين خارج شبه الجزيرة الأيبيرية لا يُعوّل عليه كثيرا . نشر هذا الكتاب مع كتاب إربينيوس الموسوم باسم تاريخ المسلمين Historia Saracenica في ليدن في سنة 1625 .

[E]

AN ACCOUNT OF THE PRINCIPAL ARABIC, GREEK, AND LATIN AUTHORS, WHO HAVE TREATED THE SUBJECT OF MOHAMMEDANISM AND ITS FOUNDER.

(Collected chiefly from Prideaux.)

Abul Faragius; a physician of Malatia, in Lesser Armenia, of the Christian religion, and of the sect of the Jacobites. He is a writer of distinguished note in the East, both among Mohammedans and Christians. His *Historia Dynastarum* embraces the period from the creation of the world to the year of our Lord 1284. He flourished near the close of the 13th century, about the time when his History ends. His work was published in 4to at Oxford, A. D. 1663, with a Latin Version by Dr. Pocock. His entire name is Gregorius Ebn Hakim Abul Faragii. He is thus spoken of by Gibbon. "Yet in that long period some strangers of merit have been converted to the Monophysite faith, and a Jew was the father of Abul Pharagius, primate of the East, so truly eminent in his life and death. In his life, he was an elegant writer of the Syriac and Arabic tongues, a poet, a physician, and historian, a subtle philosopher, and a moderate divine. In his death, his funeral was attended by his rival, the Nestorian patriarch, with a train of Greeks and Armenians who forgot their disputes, and mingled their tears over the grave of an enemy."*

Abul Feda; an author eminently distinguished among the oriental writers for two works well known among the learned; the one, a General Geography of the world, after the method of Ptolemy; the other,

* Decline and Fall, vol. v. p. 508. Dublin edition, 1788.

a General History, which he calls the Epitome of the History of Nations. He was born A. D. 1273, and finished his Geography A. D. 1321. Twenty years afterward he was advanced to the principality of Hamah, in Syria, from whence he is commonly called *Shahah Hamah*, i. e. *prince of Hamah*, when after a reign of three years and two months, he died A. D. 1345, aged seventy-two. He was by nation a Turk, of the noble family of the Jolidæ, from which also Saladin, the famous Sultan of Egypt was descended. Ecchelensis quotes him by the name of *Ishmael Shiahinshiah.*

Abunazar; a legendary writer among the Mohammedans, often quoted by Hottinger.

Agar; the name of a book of great authority among the Mussulmans, containing an account of the life and death of Mohammed. Johannes Andreas makes great use of it under the name of Azaer as does Bellonius in the third book of his Observations, under the name of Asaer. Guadagnl, who had a copy of the work, draws from it the most of the particulars which he objects against the life and actions of Mohammed.

Ahmed Ebn Edris; an author who wrote in the defence of the Mohammedan religion against the Christians and the Jews.

Ahmed Ebn Yuseph; a historian who flourished A. D. 1599, when he completed his history.

Ahmed Ebn Zin Alabedin; a nobleman of Ispahan, in Persia, of the sixteenth century, who wrote one of the acutest works against the Christian religion and in defence of the Mohammedan, ever published. Jernimo Xavier, a Jesuit Missionary to the court of Ecbar, Great Mogul, had written in the Persian language, two works in favour of Chistianity, one entitled, *the History of Jesus Christ*, collected for the most part out of the legends of the church of Rome: the other called *A Looking-Glass of the Truth*, intended as a defence of the Gospel against

the Mohammedans. This latter work, unluckily for the author, soon after its publication, fell into the hands of the learned Persian Ahmed Ebn Zin, who immediately wrote an answer to it which he entitled, *The Brusher of the Looking-Glass.* The college of the Propaganda at Rome were so exceedingly nettled by the masterly manner in which their missionary's work had been answered, that two Franciscan Friars were ordered each of them to prepare a reply to the rude Brusher of the Jesuit's Mirror. But as their arguments in defence of Christianity were mostly drawn from the authorities of Popes and Councils, the palm of victory was fairly left in the hands of their Moslem opponent.

Al Bochari; an eminent Arabic writer, who has given the fullest account of the Traditionary Doctrines of the Mohammedan religion. He is enumerated, by Johannes Andreas and Bellonius, among the six Mohammedan Doctors who met by the appointment of one of the Caliphs at Damascus in order to make an authentic collection of all the traditions which compose their Sonnah. His work contains the Pandects of all that relates either to their Law or their Religion, digested under their several titles through twenty books, and from its antiquity and authenticity ranks among their sacred writings next to the Koran. He was born at Bochara, A. D. 809, and died, A. D. 869.

Al Fragani; an astronomer of Fragana in Persia, whence his name; which is at length Mohammed Ebn Katir Al Fragani. He wrote a book called *The Elements of Astronomy,* which has been several times republished in Europe, as at Nuremburgh, A. D. 1537; at Paris, 1546; at Frankfort, cum notis Christmanni, A. D. 1590, in Latin; and afterward by Golius in Arabic and Latin at Leyden, A. D. 1669, with copious notes extremely useful to a knowledge of the Geography of the East. He flourished under the Caliph Al Mamon, who died A. D. 833.

Al Gazali; a famous philosopher of Tusa in Persia. He wrote many works not only in the department of philosophy, but also in defence of the Mohammedan religion against Christians, Jews, Pagans, and every class of unbelievers. The most noted of his works is that entitled *The Destruction of Philosophers*, written against Avicenna and other philosophers, who, in order to solve the absurdities of Islamism, were for turning into figure and allegory numerous points of that religion which had all along been understood literally. These writers he violently opposes, accusing them, on account of these mystical interpretations, of heresy and infidelity, as corrupters of the faith and subverters of religion, for which reason he had the honorary appellation bestowed upon him of Hoghatol Islam Zainoddin, i. e. *The Demonstration of Mohammedanism, and the Honour of Religion.* He was born A. D. 1058, and died A. D. 1112. His name at length is Abu Hamed Ebn Mohammed Al Gazali Al Tusi.

Al Jannabi; a historian born at Jannaba, a city of Persia, near Shiraz. His History extends down to the year of our Lord, 1588, and in the course of it he informs his reader that he took a pilgrimage to Mecca, and went from thence to Medina, to pay his devotions at the tomb of the Prophet, in that year of the Hejira which answers to A. D. 1556.

Al Kamus; i. e. The Ocean; a noted Arabic Dictionary, so called from the ocean of words contained in it. It was written by Mohammed Al Shirazi Al Firauzabadi. He was a person of great esteem among the princes of his time, for his eminent learning and worth, particularly with Ismael Ebn Abbas, king of Yemen, Bajazet, king of the Turks, and Tamerlane the Tartar, the last of whom made him a present of five thousand pieces of gold at one time. He was by birth a Persian, born A. D. 1328, but lived mostly at Sanau in Yemen of Arabia. He finished his Dictionary at Mecca, and dedicated

it to Ismael Ebn Abbas, whose patronage he had long enjoyed, and died at Zibit, in Arabia, A. D. 1414, having attained nearly to the age of ninety years.

AL KODAI; an Arabic historian. He wrote his history about A. D. 1045, and died A. D. 1062.

AL MASUDI; an historian. He is the author of a history called the *Golden Meadows*, but his era it is not possible now to discover. His name at length is Ali Ebn Housain Al Masudi. He wrote another work also, with the professed design of exposing the base fraud practised by the Roman Christians in Jerusalem, in lighting the candles at the Holy Sepulchre on Easter Eve. A full account of this vile imposition may be seen in Thevenot's Travels, Book ii., chap. 43.

AL MOTAREZZI; the author of a book called Mogrel; he was born A. D. 1143, and died A. D. 1213. He was of the sect of the Motazali, and seems by his name, Al Motarezzi, to have been by occupation a tailor, as that is the signification of the word in Arabic.

BEDAWI; one of the most distinguished of the commentators on the Koran. He died A. D. 1293.

DIALOGUS MAHOMETIS CUM ABDOLLAH EBN SALEM; a book written in Arabic, containing a great many of the absurdities of the Mohammedan religion, in the form of a dialogue between the Impostor himself, and the Jew who was supposed to have been his assistant in forging the Koran. It was translated into Latin by Hermannus Dalmata, whose version will be found at the end of Bibliander's Latin translation of the Koran.

DISPUTATIO CHRISTIANI CONTRA SARACENUM DE LEGE MAHOMETIS. This work was written in Arabic by a Christian, who was an officer in the court of a king of the Saracens, to a Mohammedan friend of his, a fellow-officer with him in the same court; and contains a confutation of Islamism. Peter, the famous Abbot of Cluny, in Burgundy who flourished A. D.

1130, caused it to be translated into Latin, by Peter of Toledo. An epitome of the work occurs in Bibliander's Koran.

Elmacinus, usually written Elmacin; an Arabic author, who has written a history of the Christian religion, which extends from the creation of the world to A. D. 1118. The latter part of it, commencing from the rise of Mohammedanism, was published by Erpenius, under the title of Historia Saracenica, A. D. 1625. He was son to Yaser Al Amid, secretary of the council of war under the Sultans of Egypt, of the family of Jobidæ, and in the year 1238, Elmacin succeeded his father to the same office, by whom it had been occupied for forty-five years together. His whole name is Georgius Ebn Amid; but for his eminent learning, was styled Al Shaich Al Rais Al Macin, *i. e. The prime Doctor, solidly learned.* By the last of these titles, or Elmacin, he is generally called by Erpenius; but by others he is frequently cited by the name of Ebn Amid.

Ebnol Athir; a Mohammedan author, born A. D. 1149, and died A. D. 1209.

Ali Ebnol Athir; an historian, brother to the former, who died A. D. 1232. His history, which he calls *Camel*, extends from the beginning of the world to the year of our Lord 1230.

Ebnol Kassai; author of the book called *Taarifat*, or an explication of the various Arabic terms used by philosophers, lawyers, divines, and other classes of the learned professions among them.

Eutychius; a Christian author, of the sect of the Melchites, whose name in Arabic is Said Ebn Batrik. He was born at Cairo in Egypt, A. D. 876, where he became eminently distinguished in the medical profession. But towards the latter part of his life, addicting himself more to the study of divinity, he was A. D. 933, chosen patriarch of Alexandria, when he first took the name of Eutychius.

He died seven years after, A. D. 940. His Annals of the Church of Alexandria, were published in Arabic and Latin at Oxford, by Dr. Pocock, A. D. 1656, at the charge of the learned Selden.

LIBER DE GENERATIONE ET NUTRITURA MAHOMETIS; a most silly and frivolous Tract, written originally in Arabic, from which it was translated into Latin by Hermannus Dalmata, and published with the Latin Koran of Bibliander.

GEOGRAPHIA NUBIENSIS; one of the most noted Oriental works on the subject of geography. This title was given it by Sionita and Hesronita, Maronite Christians, who published it in Latin with a geographical appendix, A. D. 1619. But the *Geographia Nubiensis* is in fact only an abridgment of a much larger and much better work, written by Sherif El Edrisi, at the command of Roger, king of Sicily, for the purpose of explaining a large terrestrial globe which that prince had constructed entirely of silver. He completed his work A. D. 1153, and entitled it Ketab Roger, i. e. *The Book of Roger*, from the name of his patron. The author was by extraction of the race of Mahomet, and therefore called *Sherif*, the title appropriated to all the descendants of the prophet. There was a beautiful copy of this work among the Arabic MSS. of Pocock.

GEORGIUS MONACHUS; Abbot of the monastery of St. Simeon. He wrote a tract in defence of the Christian religion against the Mohammedans, in the form of a disputation held by himself with several Mussulmans, of whom the principal speaker was Abu Salama Ebn Saar, of Mosul.

JAUHARI; the author of a noted Arabic Dictionary called Al Sahah. He was of Turkish origin, and died A. D. 1007. This dictionary is considered inferior only to the Kamus. Golius, in his Arabic Lexicon, has drawn largely from its resources.

JALALANI; i. e. *The two Jalals*. They were two individuals of the same name, who wrote a short

commentary on the Koran, which was began by the first, and finished by the second. The latter completed the work A. D. 1466, and was author also of a history called Mezhar.

SHARESTANI.—A scholastic writer of considerable repute among the Mohammedans. He was born at Sharestan, A. D. 1074, and died A. D. 1154.

ZAMACH-SHARI.—The author of a work called Al Keshaf; which is an extensive commentary on the Koran, the most highly esteemed among the Mohammedans of any work of this kind. He died A. D. 1143.

GREEK AUTHORS.

BARTHOLOMEI EDESSINI CONFUTATIO HAGARENI.—A treatise in the Greek language written against the Mohammedan religion, published by Le Moyne among his *Varia Sacra*. The author was a monk of Edessa in Mesopotamia, but in what age he lived is unknown.

CONTACUZENUS CONTRA SECTAM MAHOMETICAM.—This work contains four apologies for the Christian Religion, and four orations against the Mohammedan. The author had been emperor of Constantinople, but having resigned his empire to John Paleologus, his son-in-law, A. D. 1355, he retired into a monastery, accompanied by one Meletius, whom he had converted from the Mohammedan to the Christian faith. The work now mentioned was written for Meletius in answer to a letter addressed to him by Sampsates, a Persian of Ispahan, with a view to reclaim him, if possible, again to the religion of Islam.

CEDRENI COMPENDIUM HISTORIARUM.—A work embracing a concise history of all ages from the creation of the world to the year of our Lord 1057.

CONFUTATIO MAHOMETIS.—A Greek tract published by Le Moyne in his Varia Sacra; author unknown.

THEOPHANIS CHRONOGRAPHIA.—The work of one of the Byzantine historians, containing a chronological history of the Roman Empire, from the year of our Lord 285 to A.D. 813. The author was a nobleman of Constantinople, where he held an office of distinction in the imperial court, but afterward retiring from public life and secluding himself in a monastery, he wrote this history. He died A.D. 815 in prison, in the island of Samothrace, a martyr to his zeal for image-worship, for which he was a most strenuous advocate in the second council of Nice.

ZONARÆ COMPENDIUM HISTORIARUM.—Another of the series of the Byzantine historians. It contains a history reaching from the creation to the death of Alexius Comnenus, emperor of Constantinople, which happened A.D. 1118, when the author flourished. He was at first a person of distinguished rank in the court of Constantinople, but afterward becoming an ecclesiastic, he wrote the history now mentioned, and was author also of a celebrated Comment on the Greek Canons.

LATIN AUTHORS.

CLENARDI EPISTOLÆ.—The author of these epistles was the famous grammarian of his age. Urged by his high opinion of the literary treasures locked up in the Arabic language, he went to Fez, A.D. 1540, on purpose to make himself master of this invaluable tongue, and that at an advanced period of life. From this place he wrote the epistles above-mentioned, containing a minute account of the manners and religion of the Mohammedans. He died at Granada in Spain, immediately after his return.

Cusani Cribatio Alcorani.—The author of this book was the celebrated Nicolas de Cusa, the most eminent scholar of the age in which he lived. He was made Cardinal of Rome, A. D. 1448, with the title of *St. Peter's ad vincula*, and died A. D. 1464, about ten years after the capture of Constantinople by the Turks. This event gave occasion to the work, in which he aimed to provide an antidote to that baneful religion which he saw was now likely to overspread a great part of Christendom.

Abrahami Ecchelensis Historia Arabum.—This work is subjoined by the author to his *Chronicon Orientale*, collected out of the Arabic writers. Ecchelensis was a Maronite of Mount Libanus in Syria, and was employed as Professor of the Oriental Languages in the College *De Propaganda Fide*, at Rome, from whence, about the year 1640, he was called to Paris, to assist in the publication of the great Polyglot Bible, and was there made the king's Professor of Oriental Languages in the college of that city. His part, however, in the execution of that great work was said by some of the doctors of the Sorbonne to have done him little credit. His inaccuracies were almost infinite, and such as to evince that his judgment came far short of his erudition.

J. H. Hottingeri Historia Orientalis.—Of this valuable work there are two editions; the first of A. D. 1651; the second, much enlarged, of A. D 1660. The author was Professor of Oriental Languages, first at Zurich in Switzerland, and afterward at Heidelburgh in Holland. From this place he was called to a similar Professorship at Leyden, but was unfortunately drowned in the Rhine during his removal thither. Hottinger was a man of amazing industry and of vast learning; but from having written so much in so short a compass of time, for he died young, his works want that accuracy which

the maturity of a few more years in the author would have given them. As it is, they are all useful.

JOHANNES ANDREAS DE CONFUSIONE SECTÆ MAHOMETANÆ.—The author of this work was formerly an *Alfakı*, or doctor of the Mohammedan Law; but in the year 1487, being at Valencia in Spain, he was converted to Christianity, and soon after received into holy orders; whereupon he wrote this treatise in Spanish against the religion which he had abandoned. From the Spanish, it was translated into Italian A. D. 1540; and again into Latin in 1595, and reprinted by Voetius at Utrecht in 1656. His thorough knowledge of the subject enables him to manage the controversy with a force and pertinency which has since been rarely equalled.

POCOCK.—The celebrated Professor of the Hebrew and Arabic tongues at Oxford; for piety and learning one of the brightest ornaments of his age. He was born A.D. 1604, and died A.D. 1691. For upwards of sixty years he was a constant editor of useful and learned works, connected for the most part with the history or literature of the East. His most valuable, though by no means his most extensive, work is the *Specimen Historiæ Arabicæ*, published A.D. 1650, which Mr. Gibbon thus significantly characterizes in one of his notes:—"Consult, peruse, and study the Specimen Historiæ Arabicæ! The three hundred and fifty-eight notes form a classic and original work on the Arabian antiquities."* Again, "the English scholar (Pocock) understood more Arabic than the Mufti of Aleppo."†

RICHARDI CONFUTATIO LEGIS SARACENICÆ.—The author of this very valuable tract was a Dominican friar, who in the year 1210 went to Bagdad with the sole purpose of studying the Mohammedan religion out of their own writings, in order the more successfully to confute it. This learned and judi-

* Decline and Fall, vol. v. p. 139 † Ib vol. v. p. 228.

-ious treatise was the fruit of his foreign residence, which he published upon his return. It was translated from the Latin into Greek by Demetrius Cydonius for the ex-emperor Cantacuzene, who makes great use of it, deriving from it whatever is of most real value in his four Orations against the Mohammedan religion. From this Greek version of Cydonius it was re-translated into Latin by Picenus, and published in the Latin Koran of Bibliander. This is all we now have of it, the original being lost. This tract of Richard, and that of Johannes Andreas before mentioned, were the ablest which had been written by Europeans in the Mohammedan controversy previous to those of the Rev. Henry Martyn, which were originally published in Persian, and have since been translated into English by Prof. Lee of Cambridge.

RODERICI TOLETANI HISTORIA ARABUM.—Containing a history of the Saracens from the birth of Mohammed to the year of our Lord 1150. The author was Roderic, Archbishop of Toledo, in Spain, who was present at the Lateran Council in 1215. His history, from the tenth chapter, is mostly confined to the Saracens of Spain, where his accounts may be generally relied on; but little credit, it is said, is due to him wherever he follows them out of the bounds of the Peninsula. The work was published with Erpenius' *Historia Saracenica* at Leyden, A.D. 1625.

THE END.

مختصر عن المؤلف :

چورج بوش (1796 - 1859)

- اختصاصي في دراسات الكتاب المقدس اليهودي والمسيحي .
- كان واعظًا وبارعًا في الجدال والمناظرة .
- تخرج في دارتموث في سنة 1818 .
- درس في كلية اللاهوت برنستون .
- عُين راعيًا لإحدى الكنائس في إنديانا بولس .
- لم تحظ آراؤه الدينية بالقبول العام .
- في الفترة من 1831 إلى 1847 عمل أستاذًا للغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك .
- له دراسات كثيرة عن أسفار العهد القديم (التوراة وأسفار الأنبياء وكتب الحكمة) .
- فيما يلي أهم البحوث التي أصدرها :

Publications of George Bush

University of Michigan Libraries

Bush, George. *Anastasis...* (NY : Carlton & Philips, 1855)

- Buhr: BT 871.K55 1855

__________. *"Davis'Revelations" revealed...* (NY : John Allen; Boston: Otis Clapp,18_)

- Clements Book Div.

__________. *Ezekiel's Vision...* (Cineinnati: M'Calla & Davis, 1829)

- Clements Book Div.

__________. *A Grammar of the Hebrew Language,* 2nd ed. (NY: Gould, Newman & Saxton, 1839).

• Grad: 822.45. B978 1839.

__________. *Illustrations of the Holy Scriptures* (Philadelphia: Lippincott, 1854).

• Buhr: BS 511.B98.

__________. *Letters to a Trinitarian* (Boston: Otis Clapp, 1850).

• Buhr: BX 8729. T8 B98.

__________.*The Life of Mohammed* (N.Y.: John Allen, 1830).

وهو الكتاب الذي بين يدي القارئ .

• Grad: BP 75.B98.

__________. *Mesmer and Swedenborg* (N.Y.: John Allen. 1847).

• Clements Book Division.

• Buhr: BF 1156.S9 B98 1847.

__________. *The Millenium of the Apocalypse* (N.Y.: Dayton & Newman. 1842).

• Buhr: BT 890. B98 1842.

__________. *Reasons for Embracing the Doctrines and Disclosures of Emanuel Swedenborg*... (London: J. Speirs, 1885).

• Buhr: BX 8721.B98 1885.

__________. The Valley of Vision (N.Y.: Saxton & Miles, 1847).

ترجم للعربية مع دراسة مستفيضة . نشر دار المريخ .

• Clements Book Division.

__________. *Notes Critical and Practical on the Book of Exodus* (Andover: Gould & Newman, 1841).

• Buhr: BS 1245.B97

__________. *Notes Critical and Practical on the Book of Exodus* (N.Y.: Ivison. Phinney, 1867).

• Buhr: BS 1245.B97 1867).

__________. *Notes Critical and Practical on the Book of Exodus*, 9th ed. (N.Y.: Newman. 1850).

• Buhr: BS 1235.B98 1850.

__________. *Notes Critical and Practical on the Book of Joshus* (N.Y.: Saxton & Miles, 1844).

• Buhr: BS 1295.B98 1844.

__________. *Notes Criucal and Practical on the Book of Leviticus* (N.Y.: Newman & Ivison, 1852).

- Grad: BS 1255.B98 1852.

__________. *Notes Critical and Practical on the Book of Numbers* (N.Y.: Ivison & Phinney. 1858).

- Buhr: BS 1265.B98.

__________. Dymond. Jonathan. *Essays on the Principals of Morality*. (N.Y.: Harper, 1855). Preface by George Bush.

- Grad: BJ 1006.D99 1855.

__________. *The Hierophant: or. Monthly Journal of sacred symbols and prophecy*. v. l. no.1-12; June 1842-May 1843. N.Y.: M.H. Newman.

- Grad Microforms: Film X423 Reel 388.

__________. Tafel, Johann Friedrich Immanuel. *Documents Concerning the Life and Character of Emanuel Swedenborg*. New edition with additions by George Bush (N.Y.: John Allen; Boston: O. Clapp, 1847).

- Grad: BX 8748.T123.

__________. Le Boys des Guays, Jean Francois Etienne. *The True System of Religious Philosophy*, 3rd ed. revised and corrected by George Bush (Boston: Otis Clapp, 1850).

- Buhr: BX 8721. L453 1850.




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

مختصر عن المترجم :

أعمال مشتركة :

١ - تكملة دائرة المعارف الإسلامية . أ . ج . بريل (إشراف أكاديمي ومشاركة في الترجمة) الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الشارقة للإبداع الفكري) .

2 - موسوعة الطفل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 12 مج (بالتعاون مع World book Inc) .

3- موسوعة المرأة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (تحت الطبع)

4- موسوعة جينز للأرقام القياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

5- مجموعة أعمال محضير محمد (الأمة الإسلامية) ، القاهرة ، دار الكتاب المصري اللبناني .

ترجمات ومؤلفات في مجال الأديان :

6- موسوعة الأديان الحيّة تحرير زينر ، 2 مج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (تحت الطبع) .

7- الإسلام والمسيحية ، مونتجمري وات . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

8- محمد في مكة لمنتجمري وات ، ترجمة مع آخر . مراجعة د . أحمد شلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

9- القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه ، لمنتجمري وات .

10- اليهود عقائدهم وشرائعهم ، آلان أنترمان ، ترجمة ودراسة . (تحت الطبع بالهيئة المصرية العامة للكتاب)

11- الحركة الأوربية المناهضة للتثليث ، حركة إصلاح ديني أوربي لم تلق الاهتمام الكافي . الرياض ، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود . (تأليف)

12- العثمانيون في أوربا ، تأليف بول كولز . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

في التاريخ والحضارة وأدب الرحلات :

13- السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك ، ترجمة ودراسة . المجمع الثقافي بأبي ظبي (2مج) .

14- قصة الحضارة ول ديورانت (الأجزاء الأخيرة عن عصر نابليون) المجمع الثقافي بأبي ظبي (2 مج) .

15- رحلة بنيامين التطيلي ترجمة عزرا حداد ، إعادة نشر للنص مع دراسة وتعليق . المجمع الثقافي بأبي ظبي .

16- المدخل إلى علم التاريخ . (تأليف) . الرياض ، دار المريخ .

17- قلب الجزيرة العربية لفيلبي . الرياض ، دار المريخ (2 مج) .

18- رحلة بيرتون لمصر والحجاز 3ج . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

19- رحلة ڤاريتما . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

20- أشهر الرحلات في غرب أفريقيا .

21- آشهر الرحلات في جنوب أفريفيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

22- رحلة الأمير ردلف إلى الشرق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

23- رحلة چوزيف بتس إلى مصر والحجاز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

24- رحلة بلي للرياض ، الرياض ، جامعة الملك سعود .

25- رحلة يوركهارث للحجاز ، مع آخر . بيروت ، دار النفائس .

26- حيازة الأرض في نيجيريا في القرن 19 . (تأليف) الرياض ، دار العلوم .

27- الزمر الحاكمة في مصر العثمانية ، ترجمة ودراسة القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة .

28- محمد مؤسس الدين الإسلامي وامبراطورية المسلمين تأليف چورج بوش الموقّر (1796 - 1859) .
ترجمة ودراسة . القاهرة ،دار المريخ .

29- تاريخ جنوب أفريقيا ، تأليف جدون وير . الرياض ، دار المريخ .

30- التطورات التعليمية والثقافية في أفريقيا (نموذج غانا) الرياض ، عالم الكتب . (تأليف)